

المسيح

وأجداده وأعدائه وأتباعه
حسب آيات القرآن
مع دلائل من الكتاب المقدس

اختارها ونظمها
عبد المسيح وزملاؤه

LIGHT OF LIFE • VILLACH • AUSTRIA

لَأَنْتُمْ هَكَذَا
أَحَبُّ
اللَّسَّةُ

الْعَالَمِ حَتَّى بَذَلَ ابْنُكَ الْوَحِيدَ لِي

لَا يَهْلِكَ
كُلُّ مَنْ

يُؤْمِنُ بِهِ

بَلْ تَكُونُ

لَهُ الْحَيَاةُ

الْأَبَدِيَّةُ

انجيل يوحنا
١٦: ٢

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٩٥

All Rights Reserved

Order Number: VB 4330 A

German title: Christus im Koran

English title: Christ in the Koran

Light of Life • P.O. Box 13 • A-9503 Villach • Austria

فهرست

المقدمة	
الجزء الأول	: أجداد المسيح في القرآن
الجزء الثاني	: أسماء المسيح وصفاته في القرآن
الجزء الثالث	: علاقة المسيح بالله وروحه
الجزء الرابع	: الكتب التي واجهها المسيح ورسالته
الجزء الخامس	: معجزات المسيح حسب القرآن
الجزء السادس	: المسيح رسول لبني إسرائيل
الجزء السابع	: موت المسيح حسب القرآن
الجزء الثامن	: المسيح حي (قيامته وصعوده وكيانه عند الله)
الجزء التاسع	: أسماء أتباع المسيح وأخلاقهم حسب القرآن
الجزء العاشر	: الاختلافات بين اليهود والنصارى والمسلمين
الجزء الحادي عشر	: المسيح ويوم القيامة
الجزء الثاني عشر	: النواقص في صورة المسيح القرآنية

الجزء الأول

أجداد المسيح وأقرباءه

حسب القرآن

عمران	٣
هرون	٢٠
موسى	١٣٦
مريم	٣٤
زكريا	٧
يحيى	٥

عمران (من أجداد المسيح)

يرد هذا الاسم ٣ مرات

آل عمران ٣: ٣٣ و ٣٤ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣٤ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

آل عمران ٣: ٣٥ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

التحریم ١٢: ٦٦ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ.

ملاحظات وتفسير عن اسم آل عمران

سورة التحريم ١٢: ٦٦

تفسير ابن كثير الجزء الرابع صفحة ٣٩٣ و ٣٩٤

سورة التحريم ١١: ٦٦ و ١٢ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنِ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١٢ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ.

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه. وقال ابن جرير: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربي عن أسباط

بن محمد عن سليمان التيمي به. ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي ثنا القاسم بن أبي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال غلب موسى وهارون، فتقول آمنت برب موسى وهارون. فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها قال مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي. فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح. فقولها (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) قال العلماء اختارت الجار قبل الدار، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع (ونجني من فرعون وعمله) أي خلصني منه فإني أبرأ إليك من عمله (ونجني من القوم الظالمين). وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوق المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير أبي؟ قالت ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباه، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين رباً غيري؟ قال: نعم ربي وربك ورب كل شيء الله. وإياه أعبدته فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت كذلك. فأتى عليها يوماً فقال لها: ما أنت منتهية؟ فقالت له: ربي وربك رب كل شيء الله. فقال لها: إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها في فيها، وإن روح ابنها بشرها فقال لها أبشري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك، فقال له مثل ذلك. فذبح ابنها الآخر في فيها، فبشرها روحه أيضاً وقال لها اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا. قال وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر، فأمنت امرأة فرعون. وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف العطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لا امرأة فرعون. حتى رأت فازدادت إيماناً و يقيناً وتصديقاً. فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها. فقال لهم إنها تعبد غيري، فقالوا له: اقلها. فأوتد لها أوتاداً فشد يديها وجليها فدعت آسية ربها فقالت (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك. فقبض الله روحها في الجنة رضي الله عنها.

وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) أي حفظته وصانته، والإحصان: هو العفاف والحرية (فنفعنا فيه من روحنا) أي بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى (فنفعنا فيه من روحنا) (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي بقدره وشرعته (وكانت من القانتين) قال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبي الفرات عن علياء عن عكرمة عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط وقال «أتدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن الهمداني عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا (البداية والنهاية) ولله الحمد والمنة وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله (ثيبات وأبكاراً) آخر تفسير سورة التحريم، ولله الحمد والمنة.

التوضيحات من التوراة عن عمّام وعائلته

عمران في التوراة هو عمّام أبو هرون وموسى. وصار عمره ١٣٧ سنة. واسم امرأة عمّام يوكابد بنت لاوي وهي عمته التي وُلدت في مصر، وهي أم هرون وموسى واختهما مريم.

سفر الخروج ١٨: ٢٠ وَبَنُو قَهَاتَ: عَمْرَامُ وَيَضْهَارُ وَحَبْرُونُ وَعُزْرِيئِيلُ. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ قَهَاتَ مِئَةً وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. ١٩ وَأَبْنَا مَرَارِي: مَحْلِي وَمُوشِي. هَذِهِ عَشَائِرُ اللَّاويِّينَ بِحَسَبِ مَوَالِيدِهِمْ. ٢٠ وَأَخَذَ عَمْرَامُ يُوْكَابَدَ عَمَّتَهُ زَوْجَةً لَهُ. فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُونُ وَمُوسَى. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ عَمْرَامَ مِئَةً وَسَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

سفر العدد ٥٩: ٢٦ وَأَسْمُ امْرَأَةِ عَمْرَامَ يُوْكَابَدُ بِنْتُ لَأَوِي الَّتِي وُلِدَتْ لِلأَوِي فِي مِصْرَ. فَوَلَدَتْ لِعَمْرَامَ هَارُونُ وَمُوسَى وَمَرْيَمَ أُخْتَهُمَا.

هارون (هرون) (من أجداد المسيح)

أخو مريم وخال المسيح حسب القرآن

يرد هذا الاسم ٢٠ مرة

هرون وحده

١٦٣:٤ ، ١٤٢:٧ ، ٢٨:١٩ و ٥١-٥٢ ،

٣٦-٢٥:٢٠ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٣٥:٢٥ ، ١٣:٢٦ -

١٥ ، ٣٤:٢٨

هرون وموسى

٢٤٨:٢ ، ٨٦-٨٣:٦ ، ١٢٠:٧-١٢٢ ،

٧٥:١٠ ، ٧٠:٢٠ ، ٤٨:٢١ ، ٤٨-٤٥:٢٣ ،

١٢٠ ، ٤٨:٢٦ ، ١١٤:٣٧ ،

١٤٢:٧ ، ٥١-٥٢:١٩ ، ٣٠:٢٠ ، ٣٦ ،

أخو موسى

٤٥:٢٣ ، ٣٥:٢٥ ، ٣٤:٢٨ ، ٨٧:١٠

٢٨:١٩

مريم أخت هرون

٣٩-٢٧:٢٠

مريم أخت موسى

(وتلقيا وحياً وهدى)

هرون وموسى في سلسلة الأنبياء

١٦٣:٤ ، ٨٦-٨٣:٦ ، ٤٨:٢١

ومنحهما الله سلطاناً والفرقان وضياء

طلب موسى من الله هرون مسنده

٥١-٥٣:١٩ ، ٣٦-٢٥:٢٠ ، ١٣:٢٦-١٥

٧٥:١٠ ، ٤٨-٤٥:٢٣ ، ٣٤:٢٨

الله أرسل موسى وهرون إلى فرعون

١٢٠:٧-١٢٢ ، ٧٠:٢٠ ، ٤٦:٢٦-٤٨

إيمان السحرة برّب العالمين

١٤٢:٧ و ٣٦-٢٥:٢٠

فوّض موسى هرون نائبه وزيراً

٩٠:٢٠-٩١

هرون يحذّر بني إسرائيل دون نجاح

٩٤-٩٠:٢٠

١٢٠-١١٤:٣٧

أو رب موسى وهرون

٤٨:٢٦ ، ١٢٢-١٢٠:٧

الله نصرهما وسلام عليهما

الله هو رب هرون وموسى

البقرة ٢٤٨:٢ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ.

النساء ١٦٣:٤ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا.

الأنعام ٨٦-٨٣:٦ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٤ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٥ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ٨٦ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ.

الأعراف ١٢٢-١٢٠:٧ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ١٢١ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ١٢٢ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ.

الأعراف ١٤٢:٧ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِّمَّا أَتَىٰ رَبَّهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ.

يونس ١٠: ٧٥ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ.

مریم ١٩: ٢٨ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا.

مریم ١٩: ٥١-٥٣ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٢ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٣ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا.

طه ٢٥: ٣٦ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٦ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٧ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ٢٨ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٩ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ٣٠ هَارُونَ أَخِي ٣١ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ٣٢ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ٣٣ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٤ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٥ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٦ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى طه ٢٠: ٧٠ فَأَلْقِي السَّحَرَةَ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى.

طه ٢٠: ٩٠-٩٤ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ٩١ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ٩٢ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ٩٣ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ٩٤ قَالَ يَا أَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي.

الأنبياء ٢١: ٤٨ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ.

المؤمنون ٢٣: ٤٥-٤٨ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٤٦ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ٤٧ فَقَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ٤٨ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ.

الفرقان ٢٥: ٣٥ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا.

الشعراء ١٣: ٢٦-١٥ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ١٤ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٥ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ.

الشعراء ٢٦: ٤٦-٤٨ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ٤٧ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٨ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ.

القصص ٢٨: ٣٤ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ.

الصفات ٣٧: ١١٤-١٢٠ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ١١٥ وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ١١٦ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ١١٧ وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ١١٨ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١١٩ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ١٢٠ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ.

سورة الأنعام ٦: ٨٥

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٢٦١

٨٥ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ

يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضاً المثل الذي هدينا له نوحاً من الهدى والرشاد من ذريته زكريا ابن أزن ابن بركيا، ويحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حرقيا، وإلياس.

واختلفوا في إلياس، فكان ابن إسحاق يقول: هو إلياس بن يسي بن فنحاس بن ألعيزا بن هارون ابن عمران ابن أخي موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم. وكان غيره يقول: هو إدريس. ومن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد. قال: ثنا إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن عبيدة بن ربيعة. عن عبد الله بن مسعود، قال: إدريس: هو إلياس، وإسرائيل: هو يعقوب. وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون: إدريس جد نوح بن لمك بن متوشلح بن أخنوخ، وأخنوخ: هو إدريس بن يرد بن مهلائيل. وكذلك روي عن وهب بن منبه.

والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب، وذلك أن الله تعالى نسب إلياس في هذه الآية إلى نوح وجعله من ذريته، ونوح: ابن إدريس عند أهل العلم، فمحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته.

وقوله (كل من الصالحين) يقول: من ذكرناه من هؤلاء الذين سمينا من الصالحين، يعني: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس صلى الله عليهم.

سورة الأنعام ٦: ٨٥-٨٦

تفسير الرازي الجزء الثالث عشر صفحة ٦٣-٦٦

٨٥ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٧ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٨٨ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون.

في الآية مسائل:

(المسألة الأولى) اعلم أنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه أظهر حجة الله تعالى في التوحيد ونصرها وذب عنها عدد وجوه نعمه وإحسانه عليه. فأولها: قوله (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم) والمراد إنا نحن آتيناه تلك الحجة وهديناه إليها وأوقفنا عقله على حقيقتها. وذكر نفسه باللفظ الدال على العظمة وهو كناية الجمع على ما وفق ما يقوله عظماء الملوك. فعلنا، وقلنا، وذكرنا. ولما ذكر نفسه تعالى ههنا باللفظ الدال على العظمة وجب أن تكون تلك العظمة عظيمة كاملة رفيعة شريفة، وذلك يدل على أن إتياء الله تعالى إبراهيم عليه السلام تلك الحجة من أشرف النعم، ومن أجل مراتب العطايا والمواهب. وثانيها: أنه تعالى خصه بالرفعة والاتصال إلى الدرجات العالية الرفيعة. وهي قوله (نرفع درجات من نشاء)

وثالثها: أنه جعله عزيزاً في الدنيا، وذلك لأنه تعالى جعل أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل من نسله، ومن ذريته وأبقى هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة، لأن من اعظم أنواع السرور علم المرء بأنه يكون من عقبه الأنبياء والملوك، والمقصود من هذه الآيات تعديد أنواع نعم الله على إبراهيم عليه السلام جزاء على قيامه بالذب عن دلائل التوحيد، فقال (ووهبنا له إسحق) لصلبه (ويعقوب) بعده من إسحق.

فإن قالوا: لِمَ لم يذكر إسماعيل عليه السلام مع إسحق، بل أخرّ ذكره عنه بدرجات؟ قلنا لأن المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد إسحق ويعقوب. وأما إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في هذا المقام، لأنه تعالى أمر محمداً عليه الصلاة والسلام أن يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بأن إبراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدنيا أن آتاه الله أولاداً كانوا أنبياء. وملوكاً، فإذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد عليه الصلاة والسلام امتنع أن يذكر نفسه في هذا المعرض، فلهذا السبب لم يذكر إسماعيل مع إسحق.

وأما قوله (ونوحاً هدينا من قبل) فالمراد أنه سبحانه جعل إبراهيم في أشرف الأنساب. وذلك لأنه رزقه أولاداً مثل إسحق، ويعقوب. وجعل أنبياء بني إسرائيل من نسلهما، وأخرجه من أصلاب آباء طاهرين مثل نوح. وإدريس، وشيث. فالمقصود بيان كرامة إبراهيم عليه السلام بحسب الأولاد وبحسب الآباء.

أما قوله (ومن ذريته داود وسليمان) فقليل المراد ومن ذرية نوح، ويدل عليه وجوه: الأول: أن نوحاً أقرب المذكورين وعود الضمير إلى الأقرب واجب. الثاني: أنه تعالى ذكر في جملتهم لوطاً وهو كان ابن أخ إبراهيم وما كان من ذريته، بل كان من ذرية نوح عليه السلام، وكان رسولاً في زمان إبراهيم. الثالث: أن ولد الإنسان لا يقال أنه ذريته، فعلى هذا إسماعيل عليه السلام ما كان من ذرية إبراهيم، بل هو من ذرية نوح عليه السلام. الرابع: قبل إن يونس عليه السلام ما كان من ذرية إبراهيم عليه السلام، وكان من ذرية نوح عليه السلام.

(والقول الثاني) أن الضمير عائد إلى إبراهيم عليه السلام، والتقدير: ومن ذرية إبراهيم داود وسليمان. واحتج القائلون بهذا القول: بأن إبراهيم هو المقصود بالذكر في هذه الآيات وإنما ذكر الله تعالى نوحاً لأن كون إبراهيم عليه السلام من أولاده أحد موجبات رفعة إبراهيم.

واعلم أنه تعالى ذكر أولاً أربعة من الأنبياء: نوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب. ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر من الأنبياء: داود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهرون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوطاً، والمجموع ثمانية عشر.

سورة الأنعام ٦: ٨٥-٨٨

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ١٥٤-١٥٥

٨٤ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ٨٥ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٧ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٨٨ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨٩ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَیْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ٩٠ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحق بعد أن طعن في السن وأيس هو وامراته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروهما بإسحق، فتعجبت المرأة من ذلك وقالت (يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) فبشروهما مع وجوده بنبوته وبأن له نسلًا وعقباً كما قال تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) وهذا أكمل في البشارة وأعظم في النعمة. وقال (فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) أي ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما فتقر أعينكما به كما قرت بوالده. فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذي فيه اشتقاق العقب والذرية وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه

الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقربهم عنه كما قال تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ووهبنا له إسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً) وقال ههنا (ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدياً) وقوله (ونوحاً هدينا من قبل) أي من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به وهم الذين صحبوه في السفينة جعل الله ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذريته، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبياً إلا من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) الآية وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) وقال تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا وسجدوا وبكيا) وقوله في هذه الآية الكريمة (ومن ذريته) أي وهدينا من ذريته (داود وسليمان) الآية وعود الضمير إلى نوح لأنه أقرب المذكورين ظاهر لا إشكال فيه وهو اختيار ابن جرير. وعوده إلى إبراهيم لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن لكن يشكل عليه لوط فإنه ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن أخيه هاران بن آزر الله إلا أن يقال إنه دخل في الذرية تغليباً كما في قوله (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) فاسماعيل عمه دخل في آبائه تغليباً، وكما قال في قوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس) فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود وذم على المخالفة لأنه كان في تشبه بهم فعومل معاملةهم ودخل معهم تغليباً وإلا فهو كان من الجن وطبيعته من النار والملائكة من النور وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية إبراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام فإنه لا أب له. قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل ابن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن بن ضالح حدثنا علي بن عابس عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي حرب بن أبي الأسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم تجده في كتاب الله - وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال أليس تقرأ سورة الأنعام (ومن ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (ويحي وعيسى) قال بلى.

قال أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أ؟ قال صدقت. فلهذا إذا أوصي الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فإنه يختص.

سورة مريم ٢٨:١٩

تفسير الزمخشري الجزء الثاني صفحة ٥٠٨

٢٨ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا

(يا أخت هرون) كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل. وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما. وعن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنوا هرون النبي وكانت من أعقابه في طبقة الأخوة وبينها وبينه ألف سنة وأكثر. وعن السدي: كانت من أولاده، وإنما قيل يا أخت هرون كما يقال يا أخا همدان: أي يا أحداً منهم. وقيل رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به: أي كنت عندنا مثله في الصلاح، أو شتموها به ولم ترد أخوة النسب. ذكر أن هرون الصلاح تبع جنازته أربعون ألفاً كلهم يسمى هرون تبركاً به وباسمه، فقالوا: كنا نشبهك بهرون هذا. وقرأ عمر بن لجأ التيمي: ما كان أباك امروء سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار فلبثوا فيه أربعين يوماً حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال: يا أمه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك. وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها.

تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة ١٦-٣٧

٢٨ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا

(يا أخت هرون) أي يا شبيهة هرون في العبادة (ما كان أبوكِ امراً سوءاً وما كانت أمك بغياً) أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال علي ابن أبي طلحة والسدي قيل لها (يا أخت هرون) أي أخي موسى وكانت من نسله والعبادة وحكى ابن جرير أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له هرون. ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهجستاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا المفضل يعني ابن أبي فضالة حدثنا أبو صخر عن القرظي

في قول الله عز وجل (يا أخت هرون) قال هي أخت هرون لأبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هرون التي قصت أثر موسى (فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) وهذا القول خطأ محض فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بعثاً وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي» ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخراً عن الرسل سوى محمد ولكان قبل سليمان وداود فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام في قوله تعالى (ألم تر إلى الملا من بني إسرائيل من بعد موسى وداود فإن الله قد ذكر داود لنا ملكاً تقاتل في سبيل الله) وذكر القصة إلى أن قال (وقتل داود جالوت) الآية والذي جراً القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر وإغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهرون النبيين تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحهم كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالوا أرأيت ما تقرأون (يا أخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال فرجعت فذكرت ذلك رسول الله ﷺ فقال «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم» انفرد بإخراجه مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك به، وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال أنبت أن كعباً قال إن قوله (يا أخت هرون) ليس بهرون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة قال فكست وفي هذا التاريخ نظر.

وقال ابن جرير أيضاً حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله (يا أخت هرون) الآية قال كانت من اهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون

بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحاً محبباً في
عشيرته وليس بهرون أخي موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات
أربعون ألفاً كلهم يسمي هرون من بني إسرائيل.

موسى (من أجداد المسيح)
(أخوه هرون وخال المسيح حسب القرآن)
يرد اسم موسى ١٣٦ مرة في القرآن
ونقدم جدولاً مفصلاً عن سيرة حياته
مدوّنة في كتاب «قصص العهد القديم في القرآن»
من سلام فلكي

الفقرات الرئيسية

١٠٣:٧-١٦٦، ١٠:٧٦-٩٢، ٨٤:١١-
٩٩، ١٠:١٧-١٠٤، ٩:٢٠-٩٧،
١٠:٢٦-٤٠ وأيضاً ٤٦-٦٦، ٧:٢٧-١٤،
٧:٢٨-٤٥
وأيضاً ٧٦-٨٢، ٤٠:٢٧-٤٦، ٤٣:٤٦-
٥٦، ١٧:٤٤-٣٣

١ - المصريون يؤمنون أنه لن يكون هنالك أي رسول من الله بعد يوسف
٣٤:٤٠

٢ - فرعون يقتل صبيان اليهود ٤٩:٢، ١٤١:٧، ٦:١٤، ٤:٢٨، ٢٥:٤٠

٣ - خوف أم موسى ١٠:٢٨

٤ - أم موسى تضعه في السفط (الصندوق) ٧:٢٨، ٢٠:٣٨-٣٩

٥ - مريم، أخت هارون ٢٨:١٩

٦ - أخت موسى تهتم بأمر السفط الصغير ١١:٢٨

٧ - أخت موسى تُقدّم أم موسى كمرضعة ٤٠:٢٠، ١٢:٢٨

٨ - يُعاد موسى إلى أمه ١٣:٢٨، ٤٠:٢٠

٩ - زوجة فرعون تُعين موسى ٩:٢٨

١٠ - فرعون، عدو موسى - كان عليه أن يريه

١٨:٢٦ ، ٣٩:٢٠ ، ٢٨:٢٨

١٤:٢٨

١١ - موسى يصبح بالغاً

١٢ - موسى يقتل أحد أعدائه وعواقب هذا العمل

٢١:٢٦ ، ٣٣:٢٨ ، ٤٠:٢٠ ، ١٩-١٥:٢٨

٢٧-٢٦:٤٠ ، ٢١-٢٠:٢٨

١٣ - سعي الناس لقتل موسى

٤٠:٢٠ ، ٢٨-٢٢:٢٨

١٤ - موسى في مديان

١٧٦:٢٦ ، ٩٥-٨٤:١١ ، ٩٣-٨٥:٧

١٥ - مديان وشُعيب

١٨٩ ، ٧٩-٧٨:١٥ ، ١٣:٣٨ ، ١٤:٥٠

٤٥:٢٨ ، ٤٣:٢٢ ، ٧٠:٩ ، ٣٧-٣٦:٢٩

١٨-١٧:٢٠

١٦ - موسى وعصا رعايته

٨-٧:٢٧ ، ١٠-٩:٢٠ ، ٣٠-٢٩:٢٨

١٧ - العليقة المشتعلة

٥:١٤ ، ١٦-١١:٢٠ ، ١٩-١٥:٧٩

١٨ - دعوة الله لموسى

٢٦-١٠:١٧ ، ٢٥:٢٠-٣٦ أيضاً ٤٢-٤٦ ،

٣٥-٣٠:٢٨ ، ١٢-٧:٢٧

١٩ - الله يعطي موسى الآيات (المعجزات) التي سينجزها (سيحققها) أمام الفرعون

٢٤-١٧:٢٠ ، ٢٧-١٠:١٢ ، ٣٢-٣١:٢٨

٢٠:٧٩

٢٨-٢٥:٢٠

٢٠ - موسى يطلب حل عقدة لسانه

٣٤:٢٨ ، ٣٦-٢٩:٢٠ ، ٣٥:٢٥ ، ١٤٢:٧

٢١ - هارون كنائب عن موسى

٥٣:١٩ ، ١٤-١٢:٢٦ ، ٣٥

٣٦:٢٥ ، ١٧-١٦:٢٦ ، ٤٨-٤٧:٢٠

٢٢ - الإرسالية بخصوص فرعون

٢٣ - خوف موسى وهارون من الذهاب إلى فرعون

٣٥-٣٣:٢٨ ، ١٥-١٢:٢٦ ، ٤٦-٤٥:٢٠

٢٤ - مركز فرعون وصفاته (وخلقه)

١٠:٨٣، ٢٨:٨، ٦٨:٩، ٥١:٤٠،

١١:٩٧-٩٩، ٢٨:٤، ٣٨، ٤٠:٣٦-٣٧

٢٥ - موسى أمام فرعون، والسحرة

٧:١٠٣-١٢٦، ١٠:٧٦-٨٢، ٢٠:٥٦-

٥٩، ٦٦-٧١، ٢٧:١٣-١٤، ٤٣:٤٦-٤٨،

٥١:٣٨-٣٩، ٨:٥٤، ١١:٩٩، ٢٣:٤٧-

٤٨، ٦٩:٩، ٧٣:١٦، ١٧:١٠١-١٠٢

٢٦ - السحرة يعرضون عن فرعون

٢٠:٧٢-٧٠، ٧:١١٨-١٢٦، ٤٣:٤٨-

٥١، ٢٦:٤٥-٥١

٢٧ - قوم فرعون يعلنون أن تلك الآيات هي مجرد أكاذيب

٢٧:١٣-١٤، ٢٨:٣٦-٣٧، ٤٠:٢٣-٢٤،

١٧:١٠١، ٥٤:٤١-٤٢، ٣:١١، ٥٠:١٣

٢٨ - فرعون يسأل (يستقصي) عن الله ويعلن أنه هو كذلك

٢٠:٤٩-٥٦، ٢٦:٢٣-٣١، ٤٣:٥١-٥٥،

٢٨:٣٨، ٧٩:٢٤

٢٩ - فرعون يُعَيِّر موسى بسبب عقوبته (نكران جميله). ردّة فعل موسى

٢٦:١٨-٢٢

٣٠ - فرعون يريد إخضاع موسى

٧:١٢٧

٣١ - عناد المصريين

٧:١٣٤-١٣٥، ٢٣:٤٨-٤٥، ١١:٩٧،

٢٨:٣٦

٣٢ - قبيلة واحدة فقط تصدق موسى (تؤمن بموسى)

١٠:٨٣، ٧:١٥٩

٣٣ - فرعون يعقد مجلساً سرّياً ضد موسى ٢٠:٦٥-٦٠، ٢٦:٣٤-٤٠

٣٤ - مؤمن مجهول (غير معروف) يريد إنقاذ موسى

٤٠:٢٨-٣٥، ٣٨-٤٦، ٤٤:١٧-٢٢

٢٤-٢٢:٤٤ ، ٨٩-٨٨:١٠

٣٥ - صلاة موسى

١٠١:١٧ ، ١٣٤-١٣٣:٧

٣٦ - الاوبئة

١١:٦٦

٣٧ - إيمان زوجة فرعون

٣٨ - فرعون، ذو الأوتاد، يأمر وزيره هامان بأن يبنى له صرحاً (برجاً)

٣٨:٢٨ ، ٣٧-٣٦:٤٠ ، ٦:٢٨ ، ٨

٣٩:٢٩ ، ٢٤:٤٠ ، ١٢:٣٨ ، ١٠:٨٩

٣٩ - موسى يحذر (يتنبه) بني شعبه ليقوا ثابتين، ولكن الشعب يعير

٨٧-٨٤:١٠ ، ١٢٩-١٢٨:٧٥

٤٠ - شعب موسى بصدد بناء قبلة لهم في مصر

٨٧:١٠

٤١ - على شعب موسى ترك مصر

٥٢:٢٦ ، ٢٤-٢٢:٤٤ ، ٧٨-٧٧:٢٠

١٠٣:١٧ ، ٥٠:٢

٤٢ - أرض المصريين وشعب موسى

٦:٢٨ ، ٢٦-٢٥:٤٤ ، ٥٨-٥٧:٢٦

٤٣ - تدمير (خراب) أبنية فرعون

١٣٧:٧ ، ٣٨:٢٨ ، ٣٧-٣٦:٤٠ ، ١٢:٣٨

١٠:٨٩

٤٤ - فرعون يجمع شعبه ضد شعب موسى

٥٦-٥٣:٢٦

٤٥ - جُبن (تهيب، وجل) شعب موسى

٦٢-٦١:٢٦

٤٦ - العبور عبر (وسط) البحر

٧٧:٢٠ ، ٦٦-٦٣:٢٦ ، ١٣٨:٧ ، ٩٠:١٠

٥٠:٢ ، ٣١-٣٠:٤٤

٤٧ - إفناء (غرق) المصريين في البحر

٧٨:٢٠ ، ٤٠:٢٨ ، ١٣٦:٧ ، ٥٤:٨

١٠٣:١٧ ، ٦٦:٢٦ ، ٤٠:٥١ ، ١٧:٨٥ ، ١٨

٣٩:٢٩ ، ٥٦-٥٥:٤٣ ، ٥٠:٢

٩٢-٩٠:١٠

٤٨ - فرعون وحده فقط قد نجا (أنقذ)

٤٦-٤٥:٤٠

٥٠ - الشعب يطلب تغييراً في الطعام ٦١:٢

٥١ - موسى يفجر مياهاً من الصخرة ٦٠:٢ ، ١٦٠:٧

٥٢ - الشعب يحصل على الظل من الغمام

(السحاب) كذلك المن والسلوى ٥٧:٢ ، ١٦٠:٧ ، ٨٠:٢٠-٨١

٥٣ - عهد الله لبني إسرائيل ٤٠:٢ ، ١٥٤:٤ ، ٧٠:٥ ، ١٦٩:٧ ، ٨٣:٢-٨٤

٥٤ - موسى والكتب (الكتاب المقدس، الأسفار المنزلة)

٨٧:٢ ، ١٤٦-١٤٧ ، ١٣٦:٤ ، ٣٥:٢٥

٢١٣:٢ ، ٣:٣ ، ٤٦:٥ ، ١٢:٤٦ ، ٢:١٧

٤٩:٢٣ ، ٢٣:٣٢ ، ٥٣:٤٠

١١٧:٣٧ ، ٢٣:٣ ، ٤٧:٤ ، ١١٠:١١

٤٥:٤١

٥٥ - رغبة الشعب في رؤية الله ٥٥:٢-٥٦

٥٦ - كيف يتكلم الله مع موسى ١٤٦:٤ ، ٥٢:١٩ ، ٥١:٤٢-٥٣

٥٧ - اليهود يتكلمون بإبهام (بمراوغة، بأسلوب مُلتبس)

٩٣:٢ ، ٤٦:٤-٤٧

٥٨ - الله يهدد برفع الجبل ٩٣:٢ ، ١٧١:٧ ، ٦٣:٢

٥٩ - الله يجعل نسل إسرائيل شهوداً ١٧٢:٧

٦٠ - الوصايا العشر ١١:٢٣ ، ٦٣:٢٥-٧٤ ، ٢٢:١٧-٣٧

٤٦-٤٠:٢ ، ١٥٢-١٥١:٦ ، ١٢-١٠:٤٦

١٧٧:٢ ، ٨٣:٢

٦١ - موسى والأربعون يوماً نتيجة العهد (الميثاق)

٥١:٢ ، ١٤٢:٧ ، ١٤٥ ، ٤٤:٢٨ ، ٥٢:١٩

١١٢:١-٤، ١٦٣:٢، ١٠٢:٦، ٤٨:٤،

١١٦، ٥٥:٢٤، ٥١:١٦، ١٧١:٤،

١١٦:٥-١١٧، ٢٥٥:٢

٦٣ - فروض التوراة في القرآن

أ - الوصايا بخصوص السبت

١٥٤:٤، ١٢٤:١٦، ١٦٣:٧، ١٦٦

ب - الوصايا الخاصة باحترام الوالدين

٨:٢٩، ١٥:٤٦-١٨

ج - قانون الجزاء والعقاب

٤٥:٥، ١٧٨:٢

د - قوانين بخصوص الطعام

٩٣:٣، ١٦٠:٤، ٥:٥

هـ - تحريم الربا

١٦١:٤

٣٢:٥

١٠٤، ٤:١٧

٨٣:٢٠-٨٥، ١٤٨:٧-١٥٠، ١٥٣:٤،

٥٣:٢-٥٣، ٩٢، ٨٧:٢٠

٩٠:٢٠-٩١

٨٦:٢٠

٦٤ - قانون الإبقاء على حياة الإنسان

٦٥ - نبوءة الكتب

٦٦ - العجل الذهبي

٦٧ - هارون يحذّر (ينذر) دون نجاح

٦٨ - موسى يعود إلى الشعب

٦٩ - موسى يؤنب (ينتهر يوبخ) الشعب بخصوص خطية العجل

٥٤:٢، ١٥١:٧، ٨٦:٢٠

٩٢:٢٠-٩٤، ١٥٢:٧

٩٥:٢٠-٩٧

٩٣:٢

٧٠ - غضب موسى على هارون

٧١ - موسى يلعن سامرياً

٧٢ - موسى يجعلهم يشربون العجل

- ٧٣ - الله يغفر خطيئة العجل ٥٤:٢
- ٧٤ - موسى يتسلم الألواح من جديد ١٥٤:٧
- ٧٥ - بنو إسرائيل يقتدون بالشعوب الوثنية ١٣٨:٧ - ١٤٠
- ٧٦ - موسى يختار سبعين رجلاً ١٥٥:٧ - ١٥٦
- ٧٧ - ردة فعل الله ١٥٦:٧ - ١٥٧
- ٧٨ - خطايا الشعب عند دخولهم المدينة ١٦١:٧ - ١٦٢ ، ٥٨:٢ - ٥٩
- ٧٩ - على الشعب دخول الأراضي المقدسة ٢١:٥
- ٨٠ - الشعب يرفض. تحذير يشوع وكالب ٢٢:٥ - ٢٤
- ٨١ - معاقبة تائهي الصحراء ٢٦:٥
- ٨٢ - متجاوزو (متعدو) السبت ١٦٣:٧ - ١٦٦
- ٨٣ - «مسكن صدق» (مبوء صدق) ٩٣:١٠
- ٨٤ - موسى يتمنى (يرغب) أن يرى الله ١٤٣:٧ - ١٤٤ ، ٥٥:٢ - ٥٧
- ٨٥ - غنى (ثراء) قارون وقمرده (عصيانه) ٧٦:٢٨ ، ٣٩:٢٩
- ٨٦ - شعب قارون يحذرونه ٧٦:٢٨ - ٧٧
- ٨٧ - ردة فعل قارون ٧٨:٢٨
- ٨٨ - روح قارون المتكبرة المنتفخة ٧٩:٢٨ - ٨٠
- ٨٩ - سقوط قارون ٨١:٢٨ ، ٤٠:٢٩
- ٩٠ - قبول (تسليم) الآخرين ٨٢:٢٨
- ٩١ - الله يبرر موسى ٦٩:٣٣
- ٩٢ - ذبيحة البقرة الصفراء ٦٧:٢ - ٧٠
- ٩٣ - كيف يُكفّر بالبقرة الصفراء ٧١:٢ - ٧٢
- ٩٤ - «قلوب الشعب» ٧٣:٢
- ٩٥ - القادة الإثنا عشر ١٢:٥ - ١٣ ، ٢٤:٣٤
- ٩٦ - حيران بني إسرائيل ١٣٧:٧ ، ٢١:٥ ، ٥:٢٨

١٢٢:٢ ، ٤٧ ، ١٨:٥ ، ٣٣-٣٢:٤٤ ،

٩٧ - إختيار بني إسرائيل

١٦:٤٥ ، ١٣٧:٧

٩٨ - موسى يحضّ (يحثّ) شعبه في خطاب

٢٠:٥ ، ٨-٦:١٤

١٦٠:٧

٩٩ - القائل

١٣٣:٢٠ ، ٣٦:٥٣ ، ١٩-١٨:٨٧

١٠٠ - صحف موسى

٥٢-٥١:١٩ ، ١٣٦:٢ ، ٨٦-٨٤:٦

١٠١ - موسى في كتب أنبياء الله

مريم (من أجداد المسيح)

أخت هرون وموسى وأم المسيح حسب القرآن

يرد اسم مريم ٣٤ مرة

منها ١١ مرة مستقلاً و ٢٣ مرة في اللقب ابن مريم

(وتوجد الآيات المختصة بابن مريم تحت أسماء المسيح)

آل عمران ٣٥:٣-٣٧ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٦ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٣٧ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

آل عمران ٤٢:٣-٤٥ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٣ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٤ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٥ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ.

النساء ١٥٦:٤ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

مريم ١٦:١٩ - ٣٤ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ١٧ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٨ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ١٩ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ٢٠ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ٢١ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٢٢ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٣ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ٢٤ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٥ وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا ٢٦ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٧ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٨ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ٢٩ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٣٠ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

المؤمنون ٥٠:٢٣ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

التحریم ١٢:٦٦ وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ
بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ.

ملاحظات وأحاديث لمريم أم المسيح

يذكر القرآن مريم إحدى عشرة مرة، ولا يذكر القرآن اسم أنثى غيرها. وقد اختص (سورة مريم) باسمها. ولا يستثني القرآن أنثى سواها: وحدها بين النساء خاطبها الملائكة وخاطبتهم. قالت أمها عنها: «إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (سورة آل عمران ٣٦:٣).

وقد اصطفى الله مريم خاصة على نساء العالمين، فما من امرأة بين الملائكة والبشر أشرف منها على ما نصّ به القرآن جازماً، فلا أم موسى ولا أم غيره من الأنبياء والمرسلين إلاّ كنّ دونها كرامة ومنزلة. ذلك أنها بأمومتها للمسيح سمت عليهن جميعاً فكانت مع ابنها آية الخلق: «وجعلناها وابنها آية للعالمين».

عن السيوطي في حديث أخرجه، وحققه الألباني، عن ابن عباس: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» (عرائس المجالس، الثعلبي ٣٧٢، حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٣٤٤:٢، مسند ابن حنبل ٦٤:٣، سنن أبي داود عدر ٥٠٤، صحيح البخاري ٥١٥:٢ نوارد الأصول الترمذي ٣٠٧).

و «كانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها» (عرائس المجالس، الثعلبي، ٣٧٢).

«أمّ هذا الروح الطيب التي اختارها الله لكلمته وطهرّ جوفها لروحه وسودها على إمائه» (تاريخ الرسل والملوك، الطبري ٧٩٨:٣:١).

«كانا (عيسى وأمه) لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم» (عرائس المجالس، الثعلبي، ٣٧٢).

عن أبي هريرة: «ما من مولود يولد إلاّ نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان

إلا ابن مريم وأمه. ثم قال أبو هريرة: أقرأوا إن شئتم: وإني أعيدُها بك وبذريتها من الشيطان الرجيم» (صحيح مسلم ٢٢٤:٢ مسند ابن حنبل ٢٣٣:٢، ٢٧٤، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣١٩، ٣٦٨، ٥٢٣، صحيح البخاري، ٣:٣٦٦).

«أما أكرم الخلق على الله عز وجل آدم خلقه الله بيده وعلمه الأسماء كلها وأما أكرم إمامه عليه فهي مريم التي أحصنت فرجها فنفخ فيه من روحه» (حياة الحيوان الكبرى، الدميري، ٢:٣٧٤).

سورة آل عمران ٣:٣٦

سورة آل عمران ٣:٣ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

تفسير الطبري الجزء الثالث صفحة ٢٣٧

يعني جل ثناؤه بقوله (فلما وضعتها) فلما وضعت حنة النذيرة، قالت: رب إني وضعتُه أنثى، ومعنى قوله (وضعتها) ولدتها، يقال منه: وضعت المرأة تضع وضعاً (قالت رب إني وضعتها أنثى) أي ولدت النذيرة أنثى (والله أعلم بما وضعت).

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء (وضعت) خبراً من الله عز وجل عن نفسه، أنه العالم بما وضعت من غير قيلها (رب إني وضعتها أنثى)، وقرأ ذلك بعض المتقدمين (والله أعلم بما وضعت) على وجه الخبر بذلك عن أم مريم أنها هي القائلة، والله أعلم بما ولدت مني.

وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها لا يتدافعون صحتها. وذلك قراءة من قرأ (والله أعلم بما وضعت) ولا يعترض بالشاذ عنها عليها.

فتأويل الكلام إذاً: والله أعلم من كل خلقه بما وضعت، ثم رجع جل ذكره إلى الخبر عن قولها، وأنها قالت اعتذاراً إلى ربها مما كانت نذرت في حملها، فحررته لخدمة ربها (وليس

الذكر كالأنثى) لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنفاس (وإني سميتها مريم).

حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وليس الذكر كالأنثى) كانت المرأة لا تستطيع أن يصنع بها ذلك، يعني أن تحرر للكنيسة فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والأذى، فعند ذلك قالت (وليس الذكر كالأنثى).

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن قتادة. (قالت رب إني وضعتها أنثى) وإنما كانوا يحررون الغلمان، قال (وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم).

حدثني المشي، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه. عن الربيع، قال: كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها، وكانت على رجاء أن يهب لها غلاماً، لأن المرأة لا تستطيع ذلك، يعني القيام على الكنيسة لا تبرحها، وتكنسها لما يصيبها من الأذى.

* القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم).

يعني بقولها (وإني أعيدنها بك وذريتها) وإني أجعل معاذها ومعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم بك. وأصل المعاذ: الموئل والملجأ والمعقل، فاستجاب الله لها فأعازها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلاً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من نفس مولود يولد إلا والشيطان ينال منه تلك الطعنة. وبها يستهل الصبي صارخاً إلا ما كان من مريم ابنة عمران فإنها لما وضعتها قالت: (رب إني أعيدنها وذريتها من الشيطان الرجيم) فضرب دونها حجاب، فطعن فيه».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود من ولد آدم له طعنه من الشيطان، وبها يستهل الصبي، إلا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها، فإن أمها قالت حين وضعتها (إني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) فضرب دونهما حجاب فطعن في الحجاب».

حدثنا بان حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عمرو، عن شعيب بن خالد، عن الزبير، عن سعيد بن المسيب، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من بني آدم مولود يولد إلا قد مسه الشيطان حين يولد. فيستهل صارخاً بمسه إياه غير مریم وابنها - فقال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم (إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم).

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن أبي ذئب عن عجلان ملوى المشمعل، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد من بني آدم يمسسه الشيطان بأصبعه إلا مریم وابنها».

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنى عمى عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحرث أن أبا يونس سليمان ملوى أبي هريرة، حدثه عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل بني آدم يمسسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مریم وابنه».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمران أن أبا بونس حدثه، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثله.

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود يولد إلا يمسسه الشيطان فيستهل صارخاً من مسه الشيطان إلا مریم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم).

حدثني المثني، قال: ثنا الحمانى، قال: ثنا قيس، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود يولد إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى ابن مریم ومريم، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم).

حدثنا ابن حميد، قال ثنا هارون بن المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ما ولد مولود إلا وقد استهل، غير المسيح ابن مریم لم يسلط عليه الشيطان ولم ينهزه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وإني أعيذها بك وذريتها من

الشيطان الرجيم) وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «كل بني آدم طعن الشيطان في جنبه إلا عيسى ابن مريم وأمه، جعل بينهما وبينه حجاب، فأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ إليهما شيء». وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها سائر بني آدم. وذكر لنا أن عيسى كان يمشي على البحر كما يمشي على البر مما أعطاه الله تعالى من اليقين والإخلاص.

حدثني المثني، قال: ثنى إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع (وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) قال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل آدمي طعن الشيطان في جنبه غير عيسى وأمه، كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها بنو آدم» قال: وقال عيسى صلى الله عليه وسلم فيما يثنى على ربه: وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن له علينا سبيل.

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: ثنا شعيب بن الليث، قال: ثنا الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل نبي آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه، إلا عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب».

حدثنا الربيع، قال: ثنا شعيب. قال: أخبرنا الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال: قال أبو هريرة: رأيت هذه الصرخة التي يصرخها الصبي حين تلده أمه، فإنها منها.

حدثني أحمد بن الفرج، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثنا الزبيدي، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد يستهل صارخاً».

تفسير البيضاوي الجزء الثاني صفحة ١٤-٢٣

سورة آل عمران ٣٦:٣ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنِيتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

والعلم أو سميع يقول امرأة عمران عليم بنيتها (إذ قالت امرأة عمران رب إنني نذرت لك ما

في بطني) يا ضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون فظن أن المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فإنه كان معاصراً لابن ماثان وتزوج بنته إيشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الأب روى أنها كانت عاقراً عجوزاً فبينما هي في ظل شجرة إذ رأت طائراً يطعم فرخه فحنت إلى الولد وتمنته فقالت اللهم أن لك علي نذر إن رزقني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الأمر على التقدير أو طلبت ذكراً (محرراً) معتقاً لخدمته لا اشغله بشيء أو مخلصاً للعبادة ونصبه على الحال (فتقبل مني) ما نذرته إنك أنت السميع العليم) لقولي ونيتي (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى) تحسراً وتحزناً إلى ربها لأنها كانت ترجو أن تلد ذكراً ولذلك نذرت تحريره (والله أعلم بما وضعت) أي بالشيء الذي وضعت هو استئناف من الله تعالى تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بشأنها وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على أنه من كلامها تسلية لنفسها أي ولعل لله سبحانه وتعالى فيه سراً أو الأنثى كانت خيراً وقرئ وضعت على أنه خطاب الله تعالى لها (وليس الذكر كالأنثى) بيان لقوله والله أعلم أي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهب واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والأنثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس (وإني سميتها مريم) عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وإنما ذكرت ذلك لربها تقرباً إليه وطلباً على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة (وإني أعيدها بك) أجبرها بحفظك (وذريتها من الشيطان الرجيم) المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها ربها) فرضي بها في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) أي بوجه حسن يقبل به النذائر وهو إقامتها مقام الذكر أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة روى أن حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فإن بني ماثان كانت رؤس بني إسرائيل وملوكهم فقال زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فأبوا إلا القرعة وكانوا سبعة وشعرين فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها زكريا ويجوز أن يكون مصدراً على تقدير مضاف أي بذي قبول حسن وأن يكون

تقبل بمعنى استقبل كتنقضي وتجعل أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها نباتاً حسناً) مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها (وكفلها زكريا) شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله تعالى وزريكا مفعول أي جعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعاً (كلما دخل عليها زكريا المحراب) أي الغرفة التي بنيت لها أو المسجد أو أشرف مواضعه ومقدمها سمى به لأنه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت في اشرف موضع في بيت المقدس (وجد عندها رزقاً) روى أنه كان لا يدخل عليها غيره وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس (قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الآن في غير أوانه والأبواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للأولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه (قال هو من عند الله) فلا تستبعده قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثدياً قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير لكثرتة.

تفسير الجلالين صفحة ٩٦

سورة آل عمران ٣٦:٣ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

(قالت) معذرة يا (رب إني وضعتها أنثى والله أعلم) أي عالم (بما وضعت) حملة اعترض من كلامه تعالى وفي قراءة بضم التاء (وليس الذكر) الذي طلبت (كالأنثى) التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه (وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها) أولادها (من الشيطان الرجيم) المطرود في الحديث «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها» رواه الشيخان (فتقبلها ربها) أي قبل مريم من أمها (بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً) أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وأتت بها أمها لأخبار سدنة بيت المقدس فقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا لا حتى نفتزع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن والقوا أقلامهم

على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى (وكفلها زكريا) ضمها إليه وفي قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدوداً ومقصوراً والفاعل الله.

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٥٨-٣٥٩

سورة آل عمران ٣٦:٣ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

امرأة عمران هذه هي أم مريم عليها السلام وهي حنة بنت فاقوذ. قال محمد بن إسحق: وكانت امرأة لا تحمل فرأت يوماً طائراً يزق فرخه فاشتتهت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولداً فاستجاب الله دعاءها فواقعها زوجها فحملت منه فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محرراً أي خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس فقالت: يا رب (إني نذرت لك ما بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم) أي السميع لدعائي العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكر أم أنثى (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) (وليس الذكر كالأنثى) أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى (وإني سميتها مريم) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا وقد حكى مقررًا وبذلك ثبتت السنة عن رسول صلى الله عليه وسلم حيث قال «ولد لي الليلة ولد سميت به باسم أبي إبراهيم» أخرجاه، وكذلك ثبت فيهما أن أنس بن مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه عبد الله: وفي صحيح البخاري: أن رجلاً قال: يا رسول الله ولد لي الليلة ولد فما أسميه؟ قال «سم ابنك عبد الرحمن» وثبت في الصحيح أيضاً. أنه لما جاءه أبو أسيد بابنه ليحنكه فذهل عنه فأمر به أبوه فرد إلى منزلهم فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس سماه المنذر. فأما حديث قتادة عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كل غلام مرتين بعقيقته يذبح عنه يوم السابع ويسمى ويحلق رأسه» فقد رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وروى ويدهم وهو أثبت وأحفظ والله أعلم. وكذا ما رواه الزبير بن بكار

في كتاب النسب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن ولده إبراهيم وسماه إبراهيم، فإسناده لا يثبت وهو مخالف لما في الصحيح ولو صح لحمل على أنه اشتهر اسمه بذلك يومئذ والله أعلم، وقوله إخباراً عن أم مريم أنها قالت (وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أي ع وذتها بالله عز وجل من شر الشيطان وعودت ذريتها وهو لدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك كما قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهر عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرج عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه وروى من حديث قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة، ورواه ابن وهب أيضاً عن ابن أبي ذئب عن عجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة ورواه محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأصل الحديث، وهكذا رواه الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال: قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى بن مريم ذهب فطعن بالحجاب.

تفسير محمد رشيد رضى المنسوب إلى محمد عبده الجزء الثالث والرابع

صفحة ٤٣٧-٤٤٢

سورة آل عمران ٣٦:٣ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

قال الأستاذ الإمام: ورد ذكر عمران في هذه الآيات مرتين، فبعضهم يقول: إنهما واحد

وهو أبو مريم، ويستدل على ذلك بورودهما في سياق واحد، وأكثرهم يقول إن الأول أبو موسى (عليه السلام) والثاني أبو مريم (عليها الرضوان) وبينهما نحو ألف وثمانمائة سنة تقريباً، وذكر تفصيل ذلك على ما هو معروف عند اليهود. قال: والمسيحيون لا يعترفون بأن أبا مريم يدعى عمران ولا ضير في ذلك، فإنه لا يلزم أن تكون كل حقيقة معروفة عندهم، وليس لهم سند لنسب المسيح يحتج به، فهو كسلسلة الطريق عند المتصوفة يزعمون أنها متصلة بعلي أو بالصديق وليس لهم في ذلك سند متصل يحتج بمثله. وأقول: إن نسب المسيح في إنجيلي متى ولوقا مختلف، ولو كتب عن علم لما وقع في الخلاف.

وفي حديث أبي هريرة عند الشيخين وغيرهما واللفظ هنا لمسلم «كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها» وفسر البيضاوي المس هنا: بالطمع في الإغواء، وقال الأستاذ الإمام: إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة. ولعل البيضاوي يرمي إلى ذلك. والحديث صحيح الإسناد بغير خلاف. ويشهد له من وجه حديث شق الصدر وغسل القلب بعد استخراج حظ الشيطان منه، وهو أظهر في التمثيل، ولعل معناه أنه لم يبق للشيطان نصيب من قلبه صلى الله عليه وسلم ولا بالوسوسة، كما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في شيطانه: «إلا أن الله أعانني عليه فأسلم» وراه مسلم. وفي رواية زيادة «فلا يأمر إلا بخير».

فإن قيل: إن حديث استخراج حظ الشيطان منه ونحوه يدل على أنه كان له حظ منه قبل ذلك، وهذا ينافي قوله تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ١٥: ٤٢) وهو صلى الله عليه وسلم صفوة عباده وخاتم رسله المصطفين الأخيار، فإن الآية تنفي سلطة الشيطان عن عباد الرحمن في كل آن. فالجواب: أن الآية تنفي السلطان عليهم لا أصل الوسوسة. فإذا وسوس الشيطان ولم تطع وسوسته لم يكن له سلطان، ومعنى الحديث أنه لم يعد له طريق إلى الوسوسة ولا إلى الأمر بالشر قط. وهذه مرتبة عليا لا يرتقي إليها كل عباد الله، وقد ذكر أهل الحديث من خصائصه صلى الله عليه وسلم إسلام شيطانه، وجملة القول أن الشيطان لم يكن له عليه سلطان ما، ولكن كان له حظ وطمع، فزال وغلبه نور النبوة حتى يئس وزال حظه فلم يأمر إلا بخير أو أسلم كما ورد.

فإن قيل: إن ما فسر به البيضاوي حديث مريم وعيسى يقتضي أن يكونا أفضل من النبي

صلى الله عليه وسلم أو ممتازين عليه إذ كان يطمع فيه ولمي طمع فيهما، وهذا ما يشاغب به دعاة النصرانية عوام المسلمين مستدلين بالحديث إن كتاب هؤلاء الدعاة حجة عليهم، ففي الإصحاح الرابع من إنجيل لوقا ما نصه:

« ١ أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الْأُرْدُنِّ مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ ٢ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئاً فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعٌ آخِيراً. ٣ وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ، فَقُلْ لِهَذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزاً». ٤ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «مَكْتُوبٌ أَنْ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ». ٥ ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. ٦ وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «لَكَ أُعْطِيَ هَذَا السُّلْطَانُ كُلُّهُ وَمَجْدُهُنَّ، لِأَنَّهُ إِلَهِي قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ. ٧ فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ». ٨ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». ٩ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلِ، ١٠ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ، ١١ وَأَنَّهُمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لَا تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». ١٢ فَأَجَابَ يَسُوعُ: «إِنَّهُ قِيلَ: لَا تُجَرِّبَ الرَّبَّ إِلَهَكَ». ١٣ وَلَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ.

فهذا (١) صريح في أن إبليس كان يوسوس للمسيح عليه السلام حتى يحمله ويأخذه. من مكان إلى مكان، وقصارى الأمر أنه لم يكن يطيعه فيما أمر به من السجود له، ومن امتحان الرب إلهه (أي إله المسيح) وقوله: (لا تجرب الرب إلهك) يراد به ما ورد في سفر التثنية آخر أسفار التوراة (١٦: ٦) ومثله قوله: (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان) وقوله: (للرب إلهك تسجد) إلخ. وذلك مما يدل على أنه كان متبعاً للتوراة.

هذا وقد تقدم تحقيق القول في الشيطان ووسوسته في سورة البقرة (١) (راجع مقالات (الكرامات الماثورة) في المجلد الثاني من المنار) والمحقق عندنا أنه ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين، وخيرهم الأنبياء والمرسلون، وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسهما وحديث إسلام شيطان النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه فهو من الأخبار الظنية لأنه من رواية الآحاد. ولما كان موضوعها عالم الغيب والإيمان بالغيب من قسم العقائد وهي لا يؤخذ فيها بالظن لقوله تعالى: (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً -٤٠-

٢٨:٥٣) كنا غير مكلفين الإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا. وقال بعضهم: يؤخذ فيها بأحاديث الآحاد لمن صحت عنده، ومذهب السلف في هذه الأحاديث تفويض العلم بكيفيتها إلى الله تعالى، فلا نتكلم في كيفية مس الشيطان ولا في كيفية إخراج حظه من القلب، وإنما نقول: إن ما قاله الرسول حق وإنه يدل على مزية لمريم وابنها وللنبي صلى الله عليه وسلم لا يشار كهم فيها سواهم من عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وهذه المزية لا تقتضي وحدها أن يكون كل واحد منهم أفضل من سائر عباد الله المخلصين، إذ قد يوجد في المفضول من المزايا ما لا يوجد في الفاضل، فليست مريم أفضل من إبراهيم وموسى عليها الصلاة والسلام، لأن اختصاص الله إياهما بالنبوة والرسالة والخلة والتكليم يعلو كون الشيطان لم يمسهما عند الولادة، على أن الحديث ورد في تفسير كونه تعالى تقبل من أمها إعادتها وذريتها من الشيطان، وهذه الإعادة قد كانت بعد ولادتها والعلم بأنها أنثى، وظاهر الحديث أن المس يكون عند الوضع، والله ورسوله أعلم بمبراهما.

أما ما سبقت القصة لأجله وهو الذي يجب أن نبحت فيه، ونستخرج العبر من قوادمه وخوافيه، فهو تقرير نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ودحض شبه أهل الكتاب الذين احتكروا فضل الله وجعلوه خاصاً بشعب إسرائيل، وشبهة المشركين الذين كانوا ينكرون نبوته لأنه بشر. وبيان ذلك: أن المقصد الأول من مقاصد الوحي هو تقرير عقيدة الألوهية وأهم مسائلها مسألة الوحدانية وتقرير عقيدة البعث والجزاء وعقيدة الوحي والأنبياء. وقد افتتحت السورة بذكر التوحيد وإنزال الكتاب، ثم كانت الآيات من أولها إلى هذه القصة أو قبيل هذه القصة في الألوهية والجزاء بعد البعث بالتفصيل وإزالة الشبهات والأوهام في ذلك، ثم بين أن الإيمان بالله وادعاء حبه ورجاء النجاة في الآخرة والفوز بالسعادة فيها إنما تكون باتباع رسوله. وقفى على ذلك بهذه القصة التي تزيل شبه المشركين وأهل الكتاب في رسالته وتردها على وجوههم.

رد عليهم بما يعرفونه من أن آدم أبو البشر وأن الله اصطفاه بجعله أفضل من كل أنواع الحيوان، وتمكينه هو وذريته من تسخيرهما، وهذا متفق عليه بين المشركين وأهل الكتاب ومن اصطفاء نوح وجعله أبا البشر الثاني وجعل ذريته هم الباقين، ومن اصطفاء إبراهيم من ولد إسماعيل وعلى ملة إبراهيم كما يفخر الآخرون باصطفاء آل عمران من بني إسرائيل حفيد إبراهيم، فالله سبحانه وتعالى يرشد هؤلاء وأولئك وجميع البشر إلى أنه هو الذي اصطفى

هؤلاء بغير مزية سبقت منهم تقتضي ذلك وتوجهه عليه. فإذا كان الأمر له في اصطفاء من يشاء من عباده وبذلك اصطفى هؤلاء على عالمي زمانهم، فما المانع له من اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على العالمين كما اصطفى أولئك؟ لا مانع يمنع ذلك عند من يعقل. فإن قيل: إنه لم يعهد أن بعث نبياً من غير بني إسرائيل بعد وجودهم. قلنا ولم اصطفى بني إسرائيل عند وجودهم؟ أليس ذلك مسبقة لبيان أنه تعالى يصطفى من خلقه إذ جعله هادياً للناس مخرجاً لهم من ظلمات الشرك والجهل والفساد إلى نور الحق الجامع للتوحيد والعلم والصلاح، ولم يكن أثر غيره من آل إبراهيم وآل عمران في الهداية بأظهر من أثره بل أثره أظهر ونوره أسطع. صلى الله عليه وعلى كل عبد مصطفى - وهذا بيان ولجه اتصال القصة بما قبلها من أول السورة.

ومن هذه المثل قصة مريم فإن أمها إذا كان قد ولدتها وهي عاقر على خلاف العهود كما نقل. أو يقال: إذا كان قبول الأنثى محررة لخدمة بيت الله على خلاف المعهود عندهم وقد تقبله الله فلماذا لا يجوز أن يرسل الله محمداً من غير بني إسرائيل على خلاف المعهود عندهم؟ ومثل هذا يقال في قصة زكريا عليه السلام الآتية. ومن ذلك كله يعلم أن أعماله تعالى لا تأتي دائماً على ما يعهد الناس ويألفون.

سورة آل عمران ٣: ٣٧

سورة آل عمران ٣: ٣٧ تَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْحَرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٥٩-٣٦٠

يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة وأنه أنبتها نباتاً حسناً أي جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلماذا قال (وكفلها زكريا) بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية أي جعله كافلاً لها. قال ابن إسحق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة وذكر غيره أن بني إسرائيل أصابتهم سنة جذب فكفل زكريا مريم لذلك ولا منافاة بين القولين والله أعلم. وإنما قدر الله كون زكريا كفلها

لسعادتها لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً، ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحق وابن جرير وغيرهما، وقيل زوج أختها كما ورد في الصحيح «إذا بيحي وعيسى وهما ابنا الخالة» وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحق ذلك أيضاً توسعاً فعلى هذا كانت في حضانة خالتها: وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في عمارة بنت حمزة أن تكون في حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب وقال: «الخالة بمنزلة الأم» ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلادتها في محل عبادتها فقال (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعي والصحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وعن مجاهد (وجد عندها رزقاً) أي علماً، أو قال. صحفها علم، رواه ابن أبي حاتم والأول أصح وفيه دلالة على كرامات الأولياء. وفي السنة لهذا نظائر كثيرة، فإذا رأى زكريا هذا عندها (قال يا مريم أنى لك هذا) أي يقول من أين لك هذا؟ (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سهل بن زنجلة حدثنا عبد الله ابن صالح حدثنا عبد الله بن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منها شيئاً فأتى فاطمة فقال «يا بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع؟» قالت. لا والله - بأبي أنت وأمي - فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعت في جفنة لها وقالت. والله لأؤثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليها فقالت: بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك قال «هلمي يا بنية» قالت فأتيتها بالجفنة فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه حمد الله وقال «من أين لك هذا يا بنية» قالت. يا أبت (هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فحمد الله وقال «الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسئلت عنه قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فبعث رسول الله ﷺ إلى علي ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي ﷺ وأهل بيته حتى شبعوا جميعاً قالت: وبقيت الجفنة كما هي قالت. فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً.

سورة آل عمران ٣: ٤٢

سورة آل عمران ٣: ٤٢ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

تفسير الطبري الجزء الثالث صفحة ٦٣٢: ٦٣٣

يعني بذلك جل ثناؤه: والله سميع عليم (إذ قالت امرأة عمران رب إنني نذرت لك ما في بطني محرراً)، و(إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك).

ومعنى قوله (اصطفاك) اختارك واجتباك لطاعته، وما خصك به من كرامته. وقوله (وطهرك) يعني: طهر دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم، (واصطفاك على نساء العالمين) يعني: اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك إياه، ففضلك عليهم.

كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» يعني بقوله: خير نساء أهل الجنة.

حدثني بذلك الحسين بن علي الصدائي، قال: ثنا محاضر بن المورع، قال: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، قال: سمعت علياً بالعراق، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة».

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنى المنذر بن عبد الله الخزامي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «خير نساء الجنة مريم بنت عمران، وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول: «حسبك بمريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد» وفاطمة بنت محمد من نساء العالمين» قال قتادة: مر لنا أن بني الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «خير نساء ركبن الإبل صوالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده» قال قتادة: وذكر لنا أنه كان يقول: «لو عملت أن مريم ركبت الإبل ما فضلت عليها أحداً».

حدثنا الحسين بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) قال: كان أبو هريرة يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير نساء ركن الإبل صلح نساء قريش أحناه على ولد وأرعاه لزوج في ذات يده» قال أبو هريرة: ولم تركب مريم بعيراً قط.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه قوله «وإذ قالت الملائكة يا مريم أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» قال: كان ثابت البناتي يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد».

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم العسقلاني، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا عمرو بن مرة، قال: سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد».

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو الأسود المصري، قال: ثنا ابن لهيعة، عن عمار بن غزيرة، عن محمد ابن عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان، أن فاطمة بنت حسين بن علي حدثته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وأنا عند عائشة، فناجاني. فبكيت، ثم ناجاني، فضحكت، فسألني عائشة عن ذلك، فقلت: لقد عجلت، أخبرك بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فتركتني، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، سألتها عائشة، فقالت نعم، ناجاني فقال «جبريل كان يعارض القرآن كل عام مرة، وإنه قد عارض القرآن مرتين، وإنه ليس من نبي إلا عمر نصف عمر الذي كان قبله، وإنه عيسى أخي كان عمره عشرين ومائة سنة، وهذه لي ستون، وأحسبني ميتاً في عامي هذا، وإنه لم ترزأ امرأة من نساء العالمين ما رزئت، ولا تكوني دون امرأة صبراً، قالت: فبكيت، ثم قال: أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم البتول» فتوفي عامه ذلك.

حدثني المثنى قال: ثنا أبو الأسود، قال: ثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن الحرث، أن أبا زياد الحميري حدثه، أنه سمع عمار بن سعد يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فُضِلت خديجة على نساء أمتي كما فُضِلت مريم على نساء العالمين».

وبمثل الذي قلنا في معنى قوله (وطهره): أنه وطهر دينك من الدنس والريب، قال مجاهد: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله (إن الله اصطفاك وطهرك) قال: جعلك طيبة إيماناً.

حدثني المشنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (واصطفاك على نساء العالمين) قال: ذلك للعالمين يومئذ، وكانت الملائكة فيما ذكر ابن إسحاق تقول ذلك لمريم شفاهاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنى ابن إسحاق، قال: كانت مريم حبساً في الكنيسة ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف، وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيراً حبساً، فكانا في الكنيسة جميعاً، وكانت مريم إذا نقد مأوها وماء يوسف، أخذتا قلتيهما فانطلقا إلى المفازة التي فيها الماء الذي يستعذبان منه، فيملآن قلتيهما، ثم يرجعان إلى الكنيسة، والملائكة في ذلك مقبلة على مريم (يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) فإذا سمع ذلك زكريا، قال: إن لابنة عمران لشأنا.

سورة آل عمران ٤٤-٤٥

تفسير الزمخشري الجزء الأول صفحة ٤٣٠-٤٣٥

سورة آل عمران ٤٤-٤٥ ٤٤ ذَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٥ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ

اختاروها للقرعة تبركاً بها (إذ يختصمون) في شأنها تنافساً في التكفل بها. فإن قلت: أيهم يكفل بم يتعلق؟ قالت: محذوف دل عليه يلقون أقلامهم كأنه قيل يلقونها بنظرون أيهم يكفل أن ليعلموا أو يقولون (المسيح) لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مسيحاً بالعبرانية ومعناه المبارك، كقوله: وجعلني مباركاً أينما كنت، وكذلك (عيسى) معرب من أيشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء. فإن قلت: إذ قالت بم يتعلق؟ قلت:

هو بدل من وإذا قالت الملائكة، ويجوز أن يبدل من إذ يختصمون على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا. فإن قلت: لم قيل عيسى ابن مریم والخطاب لمریم؟ قلت: لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه، وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين، فإن قلت: لم ذكر ضمير الكلمة؟ قلت: لأن المسمى بها مذكر. فإن قلت: لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مریم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة؟ قلت: الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل: الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة (وجيهاً) حال من كلمة وكذلك قوله - ومن المقرين ويكلم ومن الصالحين - أي يشارك به موصوفاً بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة، والوجهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة، وكونه (من المقرين) رفعه إلى السماء وصحبته للملائكة، والمهد ما يمهّد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر، و(في المهد) في محل نصب على الحال، و(كهلاً) عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلاً وكهلاً، ومعناه: يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء، ومن بجع التفاسير أن قولها (رب) نداء لجبريل عليه السلام بمعنى يا سيدي (ونعلمه) عطف على يشارك أو على وجيهاً أو على ما يخلق أو هو كلام مبتدأ، وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء. فإن قلت: علام تحمل ورسولاً ومصدقاً من المنصوبات المتقدمة وقوله أني قد جئكم ولما بين يدي أبني حملة عليها؟ قلت: هو من المضايق وفيه وجهان: أحدهما أن يضمّر له وأرسلت على إرادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة، ويقول أرسلت رسولاً بأنني قد جئكم ومصدقاً لما بين يدي. والثاني أن الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل: وناطقاً بأنني قد جئكم وناطقاً بأنني أصدق ما بين يدي. وقرأ اليزيدي ورسول عطفاً على كلمة (إني قد جئكم) أصله أرسلت بأنني قد جئكم فحذف الجار وانتصب بالفعل و(أني أخلق) نصب بدل من أني قد جئكم. أو جر بدل من آية، أو رفع على هي أني أخلق لكم. وقرأ إني بالكسر على الاستئناف: أي أقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف: أي في ذلك يسمى المماثل بهيئة الطير (فيكون طيراً) فيصير طيراً كسائر الطيور حياً طياراً، وقرأ عبد الله فأنفخها قال: كالمبرقي تنحى بنفخ الفحم. وقيل لم يخلق غير الخفاش (الأكمه) الذي ولد أعمى، وقيل هو الممسوح العين،

ويقال لم يكن في هذه الأمة أكمله غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير، وروى أنه ربما اجتمع عليه خصمون ألفاً من المرضى من أطاق منهم أتاها ومن لم يتفق أتاها عيسى، وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده، وكرر (ياذن الله) دفعاً لوهم من توهم فيه اللاهوتية، وروى أنه أحيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية، فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبيء كذا، وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف (ولأحل) رد على قوله بآية من ربكم: أي جئتمكم بآية من ربكم ولأحل لكم، ويجوز أن يكون مصداقاً مردوداً عليه أيضاً: أي جئتمكم بآية وجئتمكم مصداقاً، وما حرم الله عليهم في شريعة موسى والشحوم والثروب ولحوم الإبل. السمك وكل ذي ظفر، فأحل لهم عيسى بعض ذلك، قيل أحل لهم من السمك والطيور ما لا صيصية له، واختلفوا في إحلاله لهم للمبيت، وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وما بين يدي من التوراة أو الله عز وجل أو موسى عليه السلام، لأن ذكر التوراة دل عليه لأنه كان معلوماً عندهم، وقرئ حرم بوزن كرم (وجئتمكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله (إن الله ربي وربكم) لأن جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا به، وقرئ بالفتح على البديل من آية، وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض. فإن قلت: كيف جعل هذا القول آية من ربه؟ قال: لأن الله تعالى جعله له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال، ويجوز أن يكون تكريراً لقوله جئتمكم بآية من ربكم: أي جئتمكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك، وقرأ عبد الله وجئتمكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتمكم به من الآيات وأطيعوني فيما أدعوكم إليه، ثم ابتداء فقال: إن الله ربي وربكم، ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لإيلاف قريش فليعبدوا، ويجوز أن يكون المعنى: وجئتمكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض (فلما أحس) فلما علم منهم (الكفر) علماً لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس و(إلى الله) من صلة أنصاري مضمناً معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرنني أو يتعلق بمحذوف حالاً من الياء: أي من أنصاري ذاهباً إلى الله ملتجئاً إليه (نحن أنصار الله) أي أنصار دينه ورسوله، وحواري الرجل صفوته وخالصته، ومنه قيل للحضرىات الحورىات لخلوص ألوانهن ونظافتهن، قال:

فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوايح

وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة، وإنما طلبه شهادة بإسلامهم تأكيداً لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم (مع الشاهدين) مع الأنبياء الذين يشهدون لأُممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية، وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم شهداء على الناس (ومكروا) الواو لكفار بني إسرائيل الذي أحس منهم الكفر ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اعتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) أقواهم مكرًا وأنفذهم كيداً وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب (إذ قال الله) ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله (إني متوفيك) أي مستو من أجلك، ومعناه: إني عاصمك من أني تقلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم (ورافعك إلي) إلى سمائي ومقر ملائكتي (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جواريتهم وخبث صحبتهم، وقيل متوفيك: قابضك من الأرض من توفيت ما لي على فلان إذا أستوفيته، وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن، وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله - والتي لم تمت في منامها - ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف تستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب (فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) يعلنونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لأنه متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فأحكم بينكم) تفسير الحكم قوله (فأعذبهم - فنوفيتهم أجورهم) وقرئ فيوفيتهم بالياء - ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه) و(من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي و(من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف بضمير يفسر نتلوه (والذكر الحكيم) القرآن وصف بصفة من هو سببه، أو كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه (إن مثل عيسى) إنشاء عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم وقوله (خلقه من تراب) جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم: أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمرة أب ولا أم فكذلك حال عيسى. فإنقلت: كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أم؟ قلت: هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ولأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما

استغربه. وعن بعض العلماء أنه أسر بالروح فقال لهم: لم تعبدون عيسى؟ قالوا لأنه لا أب له، قال فآدم أولى لأنه لا أبوين له، قالوا كان يحيي الموتى، قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيأ أربعة نفر وأحيأ حزقيل ثمانية آلاف، فقالوا كان يرى الأكمه والأبرص. قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالماً. «خلقه من تراب» قدره جسداً من طين (ثم قال له كن) أي أنشأه بشراً كقوله: - ثم أنشأناه خلقاً آخر - (فيكون حكاية حال ماضية) الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف: أي هو الحق كقول أهل خير محمد والخميس، ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممترياً من باب التهيج زيادة الثبات والطمأنينة وأن يكون لطفاً لغيره (فمن حاجك) من النصارى (فيه) في عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من البيانات الموجبة للعلم (تعالوا) هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول نفكر في هذه المسألة (ندع أبناءنا وأبناءكم) أي يدع كل مني ومنكم أبناءه ونسائه ونفسه إلى المباهلة (ثم نبتهل)، بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم. والبهلة بالفتح والضم اللعنة، وبهله الله: لعنه وأبعده من رحمته من قولك أبهله إذا أهمله، وناقاة باهل لإصرار عليها، وأصل الابتهاال هذا ثم استعمل في كل دعاء يحتهد فيه وإن لم يكن التعانا. وروى أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل، ولقد جائكم بالفصل من أمر صاحبكم. والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكن، فإن أبيتن إلا إلف دينك والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمضي خلفه وعلي خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك ونثبت على ديننا، قال: فإذا أبيتن المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا، قال: فإني أناجزكم، فقالوا ما لنا بحرب العرب طافة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذول وقال: ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا. وعن

عائشة رضي الله عنها» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرجل من شعر اسود، فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم عليّ ثم قال - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت -». فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الأبناء والنساء؟ قلت: ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجراً على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة، وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الطعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنهم بأرواحهم حماة الحقائق، وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك (إن هذا) الذي قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص الحق) قرئ بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون، لأن اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد، وهو إما فصل بين اسم إن وخبرها، وإما مبتدأ، والقصص الحق خبره والجملة خبر إن. فإن قلت: لم جاز دخول اللام على الفصل؟ قلت: إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ، و«من» في قوله (وما من إله إلا الله) بمنزلة البناء على الفتح في لا إله إلا الله في إفادة معنى الاستغراق، والمراد الرد على النصارى في تثليثهم (فإن الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله - زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون - (يا أهل الكتاب) قيل هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة (سواء بيننا وبينكم) مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل، وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) يعني تعالوا إليها حتى لا نقول عزيز ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا، ولا نطيع أخبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله كقوله تعالى - اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً - وعن عدي بن حاتم «ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال: أليس كانوا يحلون لكم ويخرجون فتأخذون بقولهم؟

قال نعم، قال هو ذاك» وعن الفضيل: لا أبالي أطعت بمعنى استوت استواء (فإن تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أي لزمتمكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع أو غيرهما اعترف بأني أنا الغالب وسلم إلى الغلبة، ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره. زعم فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه، فقل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمة متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره و(حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى، يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والإنجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم.

سورة آل عمران ٣: ٤٢-٤٤

٤٢ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
٤٣ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٤ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا
كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ.

تفسير ابن كثير الجزء الأول صفحة ٣٦٢-٣٦٣

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك أن الله قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالته على نساء العالمين. قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قول تعالى (إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) قال كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير نساء ركن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده، ولم تترك مريم بنت

عمران بعيداً قط» ولم يخرج من هذا الوجه سوى مسلم فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد» أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام به مثله. وقال الترمذي: حدثنا أبو بكر بن زنجوية حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» تفرد به الترمذي وصححه. وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه قال: كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خير نساء العالمين أربع، مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله» رواه ابن مردويه أيضاً، ومن طريق شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث، مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وقال ابن جرير: حدثني المشي حدثنا آدم العسقلاني حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون» وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود من طرق عن شعبة به، ولفظ البخاري «ويكمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة عن النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه في قصة عيسى بن مريم عليه السلام في كتابنا البداية والنهاية ولله الحمد والمنة، ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب في العمل لما يريد الله بها من الأمر الذي قدره الله وقضاه مما فيه محنة لها ورفعته في الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة حيث خلق منها ولداً من غير أب فقال تعالى (يا مريم اقنتي لربك واسجدي وركعي مع الراكعين) أما القنوت فهو الطاعة في خشوع كما قال تعالى (وله من في السموات والأرض كل له قانتون) وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن ابن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال «كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة» ورواه ابن جرير من طريق ابن لهيعة

عن دراج به وفيه نكارة. وقال مجاهد كانت مريم عليها السلام تقوم حتى تتورم كعباها، والقنوت هو طول الركوع في الصلاة يعني امتثالاً لقول الله تعالى (يا مريم اقنتي لربك) قال الحسن. يعني اعبدني لربك (واسجدي واركعي مع الراكعين) أي كوني منهم وقال الأوزاعي. ركدت في محرابها راکعة وساجدة وقائمة حتى نزل الماء الأصفر في قدميها رضي الله عنها وأرضاها. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكديمي وفيه مقال: ثنا علي بن بحر بن برى ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله (يا مريم اقنتي لربك واسجدي) قال سجدت حتى نزل الماء الأصفر في عينيها. وذكر ابن أبي الدنيا ثنا الحسن ابن عبد العزيز ثنا ضمرة عن أبي شاذب قال كانت مريم عليها السلام تغتسل في كل ليلة. ثم قال لرسوله بعد ما أطلعه على جلية الأمر (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) أي نقصه عليك (وما كنت لديهم) أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معاينة عما جرى بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكلفها وذلك لرغبتهم في الأجر. قال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة، وأبي بكر عن عكرمة قال ثم خرجت بها يعني مريم في خرقها إلى بني الكاهن بن هرون أخي موسى عليهما السلام قال: وثم يؤمئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فإنني حررتها وهي أنثى ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا أردّها إلى بيتي فقالوا: هذه ابنة إمامنا وكان عمران يؤمهم في الصلاة، وصاحب قرباننا فقال زكريا. ادفعوها لي فإن خالتها تحتي فقالوا: لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها وقد ذكر عكرمة أيضاً والسدي وقتادة والريعي بن أنس وغير واحد دخل حديث بعضهم في بعض. أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فايهم يثبت في جرية الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت، ويقال: إنه ذهب صاعداً يشق جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين.

تفسير محمد عبده الجزء الثالث والرابع صفحة ٢٤٦:٢٤٧

سورة آل عمران ٤٢-٤٤ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٣ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٤ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ.

قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ) معطوف على قوله: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ) متعلق بقوله قبله: (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وهذا الخطاب ليس بشرع خصت به، وإنما هو إلهام بمكانتها عند الله وبما يجب عليها من الشكر له بدوام القنوت والصلاة. ومن اعتقد أنه مكرم اجتهد في المحافظة على كرامته وتباعد أشد التباعد عن كل ما ينقص منها. فقول الملائكة لها: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) قد زادها بمقتضى سنة الفطر تعلقاً بالكمال كما زادها روحانية بتأثير تلك الأرواح الطيبة التي أمدت روحها الطاهرة. والاصطفاء الأول هو قبولها محررة لخدمة الله في بيته وكان ذلك خاصاً بالرجال. والتطهير قد فسر بعدم الحيض. وبذلك كانت أهلاً لملازمة المحراب وهو أشرف مكان في المعبد. وروى أن السيدة فاطمة الزهراء ما كانت تحيض وأنها لذلك لقبت بالزهراء. وقال الجلال: إنه التطهير من مسيس الرجال. واختار الأستاذ الإمام حملة على ما هو أهم من هذا وذاك، أي طهرت مما يستقبح كفسفاس الأخلاق وذميم الصفات وغير ذلك. والاصطفاء الثاني ما اختصت به من خطاب الملائكة وكمال الهداية. وقال الأستاذ الإمام: هو جعلها تلد نبياً من غير أن يمسه رجل، فهو على هذا اصطفاء لم يكن قد تحقق بالفعل بل بالإعداد والتهيئة. وبحثوا هنا في قوله: (عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) هل المراد به عالمو زمانها - كما يقال أرسطو أعظم الفلاسفة ويفهم منه فلاسفة زمانه أو أمته - أم جميع العالمين. وفي الأحاديث «إِنَّ أَفْضَلَ النِّسَاءِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ» صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن. (يا مريم اقنتي لربك) أي الزمي طاعته مع الخضوع له (واسجدي واركعي مع الراكعين) السجود: التظامن والتذلل. والركوع: الانحناء، ويستعمل في لازمه وسببه. وهو التواضع والخشوع في العبادة أو غيرها. وركوعها مع الراكعين عبارة عن صلاته مع المصلين في المعبد وقد كانت ملازمة لمحرابه كما تقدم. وقد أطلق الركوع والسجود في صلاتنا على العمل المعلوم وهو

استعمال للفظ في حقيقته ومجازه إذ الدين يطالبنا بالخشوع واستشعار التواضع في هذا الانحناء والتطامن. ولم تكن صلاة اليهود كصلاتنا في أعمالها وصورتها. ولكنهم طولبوا فيها بمثل ما طولبنا من الخشوع والتذلل لله تعالى.

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٦٣-٣٦٤

سورة آل عمران ٤٥:٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

الملائكة يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده هي ولدك اسمها المسيح عيسى بن مريم. ثم قال مستدلاً على هذا ما نصه: ولذلك قال عز وجل: (اسمه المسيح) فذكر ولم يقل «اسمها» فيؤنث و«الكلمة» مؤنثة، لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى فلان، وإنما هي بمعنى البشارة. فذكرت كنياتها كما تذكر كناية الذرية والدابة والألقاب إلى آخر ما أطال به في المسألة من جهة العربية.

فقال تعالى في وصفه: (وجيهاً في الدنيا والآخرة) معناه أنه يكون ذا وجاهة وكرامة في الدارين، فالوجيه ذو الجاه والوجاهة، والمادة مأخوذة من الوجه حتى قالوا: إن لفظ الجاه أصله وجه. فنقلت الواو إلى موضع العين. فقلت أنفاً ثم اشتقوا منه. فقالوا: جاه فلان يجوه. كما قالوا: وجه يوجه، وذو الجاه يسمى وجهاً ووجاهة، وكأن الأصل في الوجيه من يعظم ويحترم وجهاً عند السلطان، كما يقال: إن له جاهاً ووجاهة، وكأن الأصل في الوجيه من يعظم ويحترم عند المواجهة لما له من المكانة في النفوس. وقال الإمام الغزالي: الجاه ملك القلوب.

قال الأستاذ الإمام: إن كون المسيح ذا جاه ومكانة في الآخرة ظاهر، وأما وجاهته في الدنيا فهي قد تكون موضع إشكال، لما عرف من امتهان اليهود له ومطاردتهم إياه على فقره وضعف عصبته. والجواب عن ذلك سهل، وهو أن الوجيه في الحقيقة من كانت له مكانة في القلوب واحترام ثابت في النفوس، ولا يكون أحد كذلك حتى يكون له أثر حقيقي ثابت من شأنه أن يدوم بعده زمناً طويلاً أو غير طويل. ولا ينكر أحد أن منزلة المسيح في نفوس المؤمنين به كانت عظيمة جداً، وإن ما جاء به من الإصلاح هو من الحق الثابت، وقد بقي أثره بعده، فهذه الوجاهة أعلى وأرفع من وجاهة الأمراء والملوك الذين يحترمون في الظاهر لظلمهم واتقاء شرهم أو لدهائهم والتزلف إليهم، رجاء الانتفاع بشيء مما في أيديهم من عرض الحياة الدنيا،

لأن هذه وجهة صورية لا أثر لها في النفوس إلا الكراهة والبغض والانتقاص، وتلك وجهة حقيقية مستحوذة على القلوب. وحقيقة الواجهة في الآخرة: هي أن يكون الوجه في مكان عليّ ومنزلة رفيعة يراه الناس فيها فيجلونه ويعلمون أنه مقرب من الله تعالى. ولا يمكننا أن نحددها ونعرف بماذا تكون.

تفسير محمد عبده الجزء الثالث صفحة ٢٥٠-٢٥٧

سورة آل عمران ٤٥:٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

قوله تعالى: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) شروع في خبر عيسى نفسه بعد قصة أمه وقصة زكريا عليهم السلام. وهو بدل من قوله: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك) وما بينهما اعتراض ناطق بحكمة نزول الآيات، مبين وجه دلالتها على صدق من أنزلت عليه. والمعنى أن الملائكة بشرت مريم بالولد الصالح حين بشرتها باصطفاء الله إياها وتطهيره لها وأمرتها بمزيد عبادته والاستغراق في شكره. والمراد بالملائكة هنا الروح جبريل لقوله تعالى في سورة مريم: (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ١٩: ١٧) إلى آخر الآيات. وذكر بلفظ الجمع لما تقدم في قصة زكريا، أو لأنه كان معه غيره. وفي لفظ (كلمة) أربعة وجوه:

(الوجه الأول) أن المراد بالكلمة كلمة التكوين لا كلمة الوحي، ذلك أنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن البارئ عز وجل مما يعلو عقول البشر عبر عنه سبحانه بقوله: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ٣٦: ٨٢) فكلمة (كن) هي كلمة التكوين، وسيأتي تفسيرهما. وههنا يقال: إن كل شيء قد خلق بكلمة التكوين. فلماذا خص المسيح بإطلاق الكلمة عليه؟ وأجيب عن ذلك بأن الأشياء تنسب في العادة والعرف العام في البشر إلى أسبابها، ولما فقد في تكوين المسيح وعلوق أمه به ما جعله الله سبباً للعلوق، وهو تلقيح ماء الرجل لما في الرحم من البويضات التي يتكون منها الجنين أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله، وأطلقت الكلمة على المكون إيداناً بذلك، أو جعل كأنه نفس الكلمة مبالغة، وهذا هو الوجه

(الوجه الثاني) أنه أطلق على المسيح للإشارة إلى بشارة الأنبياء به، فهو قد عرف بكلمة الله، أي بوحيه لأنبياؤه. قاله الأستاذ الإمام، والكلمة تطلق على الكلام كقوله: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ٣٧: ١٧١) الخ.

(الوجه الثالث) أنه أطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام الله الذي حرفه قومه اليهود حتى أخرجوه عن وجهه، وجعلوا الدين مادياً محضاً. قاله الرازي وجعله من قبيل وصف الناس للسلطان العادل بظل الله ونور الله، لما أنه سبب لظهور ظل العدل ونور الإحسان، قال: فكَذلك كان عيسى سبباً لظهور كلام الله عز وجل بسبب كثرة بياناته له وإزالة الشبهات والتحريفات عنه.

(الوجه الرابع) أن المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه، فقوله: (بكلمة منه) معناه بخبر من عنده أو بشارة، وهو كقول القائل: ألقى إليّ فلان كلمة سرّني بها، بمعنى أخبرني خبراً فرحت به، قاله ابن جرير واستشهد له بقوله: (وكلمته ألقاها إلى مريم ٤: ١٧١) يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها، قال: فتأويل القول وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت (رب أنى يكون لي ولد لوم يمسسني بشر).

وأقول: اعلم أن الكافرين بآيات الله ينكرون الحمل بعيسى من غير أب جموداً على العادات. وذهولاً عن كيفية خلق جميع المخلوقات، ولو كان لهم دليل عقلي على استحالة ذلك لكانوا معذورين، ولكن لا دليل لهم إلا أنه ذا غير معتاد، وهم في كل يوم يرون من شئون الكون ما لم يكن معتاداً من قبل. فمنه ما يعربون له سبباً ويعبرون عنه بالاكشاف والاختراع. ومنه ما لا يعرفون له سبباً ويعبرون عنه بفلتات الطبيعة، ونحن معاشر المؤمنين نقول: إن تلك الأشياء المعبر عنها بالفلتات إما أن يكون لها سبب خفي وحينئذ يجب أن تهدي هؤلاء الجامدين إلى أن بعض الأشياء يجوز أن يأتي من غير طريق الأسباب المعروفة فلا ينكروا كل ما يخالفها، لاحتمال أن يكون له سبب خفي لم يقفوا عليه، ولا ينزل أمر عيسى في الحمل به من غير واسطة أب عن ذلك. وإما أن تكون قد وجدت في الواقع ونفس الأمر خارقة لنظام الأسباب. وحينئذ يجب أن يعترفوا بأن الأسباب الظاهرة المعروفة ليس واجبة وجوباً عقلياً مطرداً. وإذا كان الأمر كذلك امتنع على العاقل أن ينكر شيئاً ما ويعده مستحيلاً لأنه لا يعرف له سبباً. ولعل أبناء العصور السابقة كانوا أقرب إلا أن يعذروا بإنكار غير المؤلف من أبناء هذا العصر الذي ظهر فيه من أعمال الناس ما لو حدث به عقلاء الغابرين لعدوه من

خرافات الدجالين، ونحن نرى عملاء الغرب وفلاسفته متفقين على إمكان التولد الذاتي. أي تولد الحيوان من غير حيوان أو من الجماد. وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا إلى ذلك بتجاربهم. وإذا كان تولد الحيوان من الجماد جائزاً فتولد الحيوان من حيوان واحد أولى بالجواز وأقرب إلى الحصول. نعم إنه خلاف الأصل وإن كونه جائزاً لا يقتضي وقوعه بالفعل. ونحن نستدل على وقوعه بالفعل بخبر الوحي الذي قام الدليل على صدقه.

ويمكن تقريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة في نظام الكائنات.

أن الاعتقاد القوي الذي يستولي على القلب ويستحوذ على المجموع العصبي يحدث في عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد. فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس في بدنه شيء من جراثيم هذا المرض. فولد له اعتقاده تلك الجراثيم الحية وصار مريضاً، وكم من أمرئ سُقي الماء القراح أو نحوه فشربه معتقداً أنه سم نافع فمات مسموماً به، والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب، وإذا اعتبرنا بها في أمر ولادة المسيح نقول: إن مريم لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولداً بمحض قدرته. وهي على ما هي عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين، انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالاً فعل في الرحم فعل التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السلم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ، وكان نفخ الروح الذي ورد في سورة أخرى متمماً لهذا التأثير.

(ومصدقاً لما بين يدي من التوراة) أي أنه لم يأت ناسخاً للتوراة بل مصداقاً لها عاملاً بها، ولكنه نسخ بعض أحكامها كما قال: «ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم» فقد كان حرم على بني إسرائيل بعض الطيبات بظلمهم وكثرة سؤالهم فأحلها عيسى (وجئتكم بآية من ربكم) قال الأستاذ الإمام: أعاد ذكر الآية للتفرقة بينها قبلها وما بعدها (فاتقوا الله وأطيعون. إن الله ربي وربكم فاعبدوه) أمرهم بتقوى الله وطاعته فيما جاء به عنه. وختم ذلك بالتوحيد والاعتراف بالعبودية. وقال في ذلك: (هذا صراط مستقيم) أي أقرب موصل إلى الله.

سورة النساء ٤: ١٧١

سورة النساء ٤: ١٧١ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٣٤-٣٥

يعني جل ثناؤه بقوله (إنما المسيح عيسى بن مريم): ما المسيح أيها الغالون في دينهم من أهل الكتاب بابن الله كما تزعمون، ولكنه عيسى بن مريم دون غيرها من الخلق، لا نسب له غير ذلك. ثم نعتة الله جل ثناؤه بنعته. ووصفه بصفته. فقال: هو رسول الله أرسله الله بالحق إلى من أرسله إليه من خلقه، وأصل المسيح: الممسوح، صرف من مفعول إلى فاعيل. وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب، وقيل: مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين. كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه، فيظهر منه، ولذلك قال مجاهد: ومن قال مثل قوله: المسيح: الصديق. وقد زعم بعض الناس أن أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية مشيحاً فعربت. فقيل المسيح، كما عرّب سائر أسماء الأنبياء التي في القرآن مثل إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى.

قال أبو جعفر: وليس ما مثل به من ذلك المسيح بنظير، وذلك أن إسماعيل وإسحاق وما أشبه ذلك، أسماء لا صفات، والمسيح صفة، وغير جائز أن تخاطب العرب وغيرها من أجناس الخلق في صفة شيء إلا بمثل ما يفهم عن مخاطبتها. ولو كان المسيح من غير كلام العرب، ولم تكن العرب تعقل معناه ما خوطبت به. وقد أتينا من البيان عن نظائر ذلك فيما بمضى بما فيه الكفاية عن إعادته. وأما المسيح الدجال، فإنه أيضاً بمعنى الممسوح العين، صرف من مفعول إلى فاعيل. فمعنى المسيح في عيسى صلى الله عليه وسلم: الممسوح البدن من الأدناس والآثام. ومعنى المسيح في الدجال: الممسوح العين اليمنى أو اليسرى كالذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك.

وأما قوله (وكلمته ألقاها إلى مريم) فإنه يعني بالكلمة: الرسالة التي أمر الله ملائكته أن تأتي مريم بها. بشارة من الله لها التي ذكر الله جل ثناؤه في قوله (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) يعني: برسالة منه، وبشارة من عنده.

وقد قال قتادة في ذلك، ما حدثنا به الحسن بن يحيى. قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة (وكلمته ألقاها إلى مريم) قال: هو قوله: كن فكان. وقد بينا اختلاف المختلفين من أهل الإسلام في ذلك فيما مضى، بما أعنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله (ألقاها إلى مريم) يعني: أعلمها بها وأخبرها، كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة، بمعنى أخبرتك بها، وكلمتك بها.

وأما قوله (وروح منه) فإن أهل العلم اختلفوا في تأويله. فقال بعضهم: معنى قوله (وروح منه): ونفخة منه، لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم بأمر الله إياه بذلك، فنسب إلى أنه روح من الله، لأنه يأمره كان. قال: وإنما سمي النفخ روحاً لأنها ریح تخرج من الروح. وقالوا: يعني بقوله: أحيها بروحك: أي أحيها بنفخك.

وقال بعضهم: يعني بقوله (وروح منه): أنه كان إنساناً بإحياء الله له بقوله: كن. قالوا: وإنما معنى قوله (وروح منه): وحياة منه. بمعنى إحياء الله إياه بتكوينه.

وقال بعضهم: معنى قوله (وروح منه) ورحمة منه كما قال جل ثناؤه في موضع آخر (وايدهم بروح منه) قال: ومعناه في هذا الموضع: ورحمة منه. قال: فجعل الله عيسى رحمة منه على من اتبعه وآمن به وصدقته. لأنه هداهم إلى سبيل الرشاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: وروح من الله خلقها فصورها. ثم أرسلها إلى مريم. فدخلت في فيها. فصيرها الله تعالى روح عيسى عليه السلام.

حدثني المشنى. قال: ثنا إسحاق. قال: ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد، قال: أخبرني أبو جعفر. عن الربيع، عن أبي العالقة. عن أبي بن كعب في قوله (وإذ أخذ ربك من بين آدم من ظهورهم ذريتهم) قال: أخذهم فجعلهم أرواحاً. ثم صورهم. ثم استنطقهم. فكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عليها العهد والميثاق، فأرسل ذلك الروح إلى مريم. فدخل في فيها فحملت، والذي خاطبها هو روح عيسى عليه السلام.

وقال آخرون: معنى الروح ههنا. جبريل عليه السلام. قالوا: ومعنى الكلام: وكلمته ألقاها

إلى مريم، وألقاها أيضاً إليها روح من الله، قالوا: فالروح معطوف به على ما في قوله ألقاها، من ذكر الله. بمعنى: أن إلقاء الكلمة إلى مريم كان من الله. ثم من جبريل عليه السلام، ولكل هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد من الصواب.

القول في تأويل قوله (فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم):

يعني بقوله جل ثناؤه (فآمنوا بالله ورسله) فصدقوا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وربوبيته، وأنه لا ولد له. وصدقوا رسله فيما جاءوكم به من عند الله، وفيما أخبرتكم به أن الله واحد لا شريك له، ولا صاحبة له. ولا ولد له (ولا تقولوا ثلاثة) يعني: ولا تقولوا الأرباب ثلاثة، ورفعت الثلاثة بمحذوف دل عليه الظاهر. وهو هم. ومعنى الكلام: ولا تقولوا هم ثلاثة. وإنما جاز ذلك لأن القول حكاية. والعرب تفعل ذلك في الحكاية. ومنه قول الله (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه. ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم، ثم قال لهم جل ثناؤه متوعداً لهم في قولهم العظيم الذي قالوه في الله: انتهوا أيها القائلون: الله ثالث ثلاثة. عما تقولون من الزور والشرك بالله. فإن الانتهاء عن ذلك خير لكم من قيمة لما لكم عند الله من العقاب العاجل لكم على قيلكم ذلك، إن أقمتهم عليه، ولم تنبئوا إلى الحق الذي أمرتكم بالإجابة إليه. والآجل في معادكم.

القول في تأويل قوله (إِنَّمَا إِلَهُ الْإِلَهِ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا):

يعني بقوله (إِنَّمَا إِلَهُ الْإِلَهِ وَاحِدٌ): ما الله أيها القائلون: الله ثالث ثلاثة كما تقولون، لأن من كان له ولد فليس بإله، وكذلك كن كان له صاحبة، فغير جائز أن يكون إلهاً معبوداً، ولكن الله الذي له الألوهة والعبادة. إله عما قال فيه أعداؤه الكفرة به. فقال: (سبحانه أن يكون له ولد) يقول: علا الله. وجل وعز وتعظم وتنزه عن أن يكون له ولد أو صاحبة، ثم أخبر جل ثناؤه عباده أن عيسى وأمه، ومن في السموات ومن في الأرض، عبيده. وملكه، وخلقه، وأنه رازقهم وخالقهم. وأنهم أهل ذا حاجة وفاقة إليه. احتجاجاً منه بذلك على من ادعى أن المسيح ابنه، وأنه له كان ابنه كما قالوا لم يكن ذا حاجة إليه. ولا كان له عبداً مملوكاً، فقال (له ما في السموات وما في الأرض) يعني: لله ما في السموات وما في الأرض من الأشياء كلها. ملكاً وخلقاً. وهو يرزقهم ويقوتهم ويدبرهم، فكيف يكون المسيح ابناً لله، وهو في الأرض أو في السموات، غير خارج من أن يكون في بعض هذه الأماكن.

وقوله (وكفى بالله وكيلاً) يقول: وحسب ما في السموات وما في الأرض بالله قيماً ومديراً ورازقاً من الحاجة معه إلى غيره.

تفسير الزمخشري الجزء الأول صفحة ٥٨٤

سورة النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

(ثلاثة) فإن صحت الحكاية أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم روح القدس. وأنهم يريدون بأقنوم الأب الذات وأقنوم الابن العلم وأقنوم روح القدس الحياة. فتقديره الله ثلاثة وإلا فتقديره الآلهة ثلاثة. والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، وأن المسيح ولد الله من مريم. ألا ترى إلى قوله - أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله - وقالت النصارى المسيح ابن الله، والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم. ويدل عليه قوله - إنما المسيح عيسى ابن مريم - فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتها، وأن اتصاله بالله تعالى من حيث إنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسداً حياً من غير أب - فنفي أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء، وقوله سبحانه - أنى يكون له ولد، وقرأ الحسن أن يكون بيان لتنزهه عما نسب إليه: يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه، على أن الجزء إنما يصح في الأجساد وهو معتدل عن صفات الأجسام والأعراض - وكفى بالله وكيلاً - يكل إليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة، من نكفت الدمع إذا نحيته عن خدك بأصبعك.

قوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) قال محمود (معناه: لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة الخ) قال أحمد: وقد كثر الاختلاف في تفضيل الأنبياء على الملائكة. فذهب جمهور الأشعرية إلى تفضيل الأنبياء. وذهب القاضي أبو بكر منا والحليمي وجماعة المعتزلة إلى تفضيل الملائكة. واتخذ المعتزلة هذه الآية عمدتهم في تفضيل الملائكة من حيث الوجه الذي استدل به الزمخشري. ونحن بعون الله نشبع القول في المسئلة

من حيث الآية فنقول: أورد الأشعرية على الاستدلال بها أسئلة أحدها أن سدينا محمداً أفضل من عيسى، فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح أن تكون أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا السؤال إنما يتوجه إذ لم يدع مورده أن كل واحد من آحاد الأنبياء أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة وبين طائفتنا في هذا الطرف خلاف. السؤال الثاني أن قوله: ولا الملائكة المقربون صيغة جمع تتناول مجموع الملائكة. فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح. ولا يلزم أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح، وفي هذا السؤال أيضاً نظر لأن مورده إذا بني على أن المسيح من كل واحد من آحاد الملائكة فقد يقال: يلزم القول بأنه أفضل من الكل، كما أن النبي عليه الصلاة والسلام لما كان أفضل من كل واحد من آحاد الأنبياء كان أفضل من كلهم. ولم يفرق بين التفضيل على التفضيل والتفضيل على الجملة أحد ممن في هذا المعنى.

تفسير الرازي الجزء العاشر صفحة ١١٥-١١٨

سورة النساء ١٧١: ٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

(وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)

فاعلم أنا فسرنا «الكلمة» في قوله تعالى (أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح) والمعنى أنه وجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة ولا نطفة كما قال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وأما قوله (وروح منه) ففيه وجوه: الأول: أنه جرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح، فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وإنما تكون من نفخة جبريل عليه السلام لا جرم وصف بأنه روح. والمراد من قوله (منه) التشريف والتفضيل كما يقال: هذه نعمة من الله. والمراد كون تلك النعمة كاملة شريفة. الثاني: أنه كان سبباً لحياة الخلق في أديانهم. ومن كان كذلك وصف بأنه روح. قال تعالى في صفة القرآن (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) الثالث: روح منه أي رحمة منه، قيل في تفسير قوله تعالى (وأيدهم بروح منه) أي برحمة منه، وقال عليه الصلاة

والسلام «إنما أنا رحمة مهداة» فلما كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث أنه كان يرشداهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم لا جرم سمي روحاً منه: الرابع: أن الروح هو النفخ في كلام العرب، فإن الروح والريح متقاربان، فالروح عبارة عن نفخة جبريل وقوله (منه) يعني أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه فهو منه. وهذا كقوله (فنفخنا فيها من روحنا) الخامس: قوله (روح) أدخل التنكير في لفظ (روح) وذلك يفيد التعظيم. فكان المعنى: وروح من الأرواح الشريفة القدسية العالية. وقوله (منه) إضافة لذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم.

ثم قال تعالى - فآمنوا بالله ورسوله - أي أن عيسى من رسول الله فآمنوا به كإيمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه إلهاً.

ثم قال (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم) وفيه مسألتان:

المعنى: ولا تقولوا إن الله سبحانه واحد بالجواهر ثلاثة بالأقانيم.

واعلم أن مذهب النصارى مجبول جداً. والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة إلا أنهم وإن سموه صفات فهي في الحقيقة ذوات بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسنا. وإلا لما جوزوا عليها أنت حل في الغير وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى. فهم وإن كانوا يسمونها بالصفات إلا أنهم في الحقيقة ييقتون ذوات متعددة قائمة بأنفسها. وذلك محض الكفر فلماذا قال تعالى (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا) فأما إنحملنا الثلاثة على أنهم يثبتون صفات ثلاثة فهذا لا يمكن إنكاره، وكيف لا نقول ذلك وإنا نقول: هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام للعالم الحي القادر المريد. ونفهم من كل واحد من هذه الألفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر، ولا معنى لتعدد الصفات إلا ذلك. فلو كان القول بتعدد الصفات كفراً لزم رد جميع القرآن ولزم رد العقل من حيث أنا نعلم بالضرورة أن المفهوم من كونه تعالى عاملاً غير المفهوم من كونه تعالى قادراً أو حياً.

ثم قال تعالى (انتهوا خيراً لكم) وقد ذكرنا وجه انتصابه عند قوله (فآمنوا خيراً لكم).

ثم أكد التوحيد بقوله (إنما الله إله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد بقوله (سبحانه أن يكون له ولد) ودلائل تنزيه الله عن الولد قد ذكرناها في سورة آل عمران وفي سورة مريم على الاستقصاء. وقرأ الحسن: إن يكون بكسر الهمزة من «إن» ورفع النون من يكون، أي سبحانه ما يكون له ولد، وعلى هذا التقدير فالكلام جملتان.

ثم قال تعالى (له ما في السموات وما في الأرض)

واعلم أنه سبحانه في كل موضع نزع نفسه عن الولد ذكر كونه ملكاً ومالكاً لما في السموات وما في الأرض، فقال في مریم (أن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً).

والمعنى: من كان مالکاً لكل السموات والأرض ولكل ما فيها كان مالکاً لعيسى ولمریم لأنهما كانا في السموات وفي الأرض. وما كانا أعظم من غيرهما في الذات والصفات. وإذا كان مالکاً لما هو أعظم منهما فبأن يكون مالکاً لهما أولى. وإذا كانا مملوكين له فكيف يعقل مع هذا توهم كونهما له ولداً وزوجة؟

ثم قال (وكفى بالله وكيلاً) والمعنى أن الله سبحانه كاف في تدبير المخلوقات وفي حفظ المحدثات فلا حاجة معه إلى القول بإثبات إله آخر. وهو إشارة إلى ما ذكره المتكلمون من أنه سبحانه لما كان عالماً بجميع المعلومات قادراً على كل المقدورات كان كافياً في الإلهية. ولو فرضنا إلهاً آخر معه لكان معطلاً لا فائدة فيه. وذلك نقص. والناقص لا يكون إلهاً.

ثم قال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) وفي مسائل: (المسألة الأولى) قال الزجاج: لن يستنكف أي لن يأنف، وأصله في اللغة من نكفت الدمع إذا نحيت بأصبعك عن خدك، فتأويل (لن يستنكف) أي لن يتنقص ولن يمتنع. وقال الأزهري: سمعت المنذري يقول: سمعت أبا العباس وق دسئل عن الاستكفاف فقال: هو من النكف. يُقال ما عليه في هذا الأمر من نكف ولا وكف، والنكف أن يُقال له سوء، واستنكاف إذا دفع ذلك السوء عنه.

روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا عيسى. قال: وأي شيء قالت؟ قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله، قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله، فنزلت هذه الآية. وأنا أقول: إنه تعالى أقام الحجة القاطعة على أن عيسى عبد الله، ولا يجوز أن يكون ابناً له، أشار بعده إلى حكاية شبهتهم وأجاب عنها، وذلك لأن الشبهة التي عليها يعولون في إثبات أنه ابن الله هو أنه كان يخبر عن المغيبات وكان يأتي بخوارق العادات من الإحياء والإبراء. فكأنه تعالى قال (لن يستنكف المسيح) بسبب هذا القدر من العلم والقدرة عن عبادة الله تعالى فإن الملائكة المقربين أعلى حالاً منه في العلم بالمغيبات لأنهم مطلعون على اللوح المحفوظ، وأعلى حالاً منه في القدرة، لأن ثمانية منهم

حملوا العرش على عظمته. ثم أن الملائكة مع كمال حالهم في العلوم والقدرة لن يستنكفوا عن عبودية الله، فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر القليل الذي كان معه من العلم والقدرة. وإذا حملنا الآية على ما ذكرناه صارت هذه الآيات متناسبة متتابعة ومناظرة شريفة كاملة. فكان حمل الآية على هذا الوجه أولى.

استدل المعتزلة بهذه الآية على أن الملك أفضل من البشر. وقد ذكرنا استدلالهم بها في تفسير قوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وأجبنا عن هذا الاستدلال بوجوه كثيرة، والذي نقول ههنا: أنا نسلم أن اطلاع الملائكة على المغيبات أكثر من اطلاع البشر عليها، ونسلم أن قدرة الملائكة على التصرف في هذا العالم أشد من قدرة البشر. كيف ويقال: أن جبريل قلع مدائن قوله لوط بريشة واحدة من جناحه إنما النزاع في أن ثواب طاعات الملائكة أثبتوا أكثر أم ثواب طاعات البشر، وهذه الآية لا تدل على ذلك البتة، وذلك أن النصارى إنما أثبتوا إلهية عيسى بسبب أنه أخبر عن الغيوب وأتى بخوارق العادات، فإيراد الملائكة لأجل إبطال هذه الشبهة إنما يستقيم إذا كانت الملائكة أقوى من الآية تفضيل الملائكة على المسيح في كثرة الثواب على الطاعات فذلك مما لا يناسب هذا الموضع ولا يليق به. فظهر أن هذا الاستدلال إنما قوي في الأوهام لأن الناس ما لخصوا محل النزاع والله أعلم.

تفسير ابن كثير الجزء الأول صفحة ٥٨٩-٥٩١

سورة النساء ١٧١: ٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعدها الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية. وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم قال زعيم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» وقال علي بن الديني هذا حديث عن سفيان بن عيينة عن الزهري كذلك، ولفظة: «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» وقال علي بن الديني هذا حديث صحيح مسند، وهكذا رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة عن الزهري به ولفظه «فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله ﷺ «أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» تفرد به من هذا الوجه. وقوله تعالى (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولداً تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً وتنزه وتقدس وتوحد في سؤده وكبريائه وعظمته فلا إله إلا هو ولا رب سواه ولهذا قال (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له كن فكان، ورسول من رسوله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، فكان عيسى بإذنه عز وجل. وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق لله عز وجل. ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان، والروح التي أرسل بها جبريل. قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل: وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) وقال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال كن فيكون) وقال تعالى (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) إلى آخر السورة، وقال تعالى إخباراً عن المسيح (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) الآية وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) هو كقوله (كن فيكون). وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت شاذ بن يحيى يقول في قول الله (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) قال ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله (ألقاها إلى مريم) أي أعلمها بها كما زعمه في قوله (إذ قالت الملائكة يا مريم إن

الله يبشرك بكلمة منه) أي يعلمك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام. وقال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي عدثني بن هانئ حدثنا جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» وقال الوليد فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هانئ عن جنادة زاد «من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جابر به، ومن وجه آخر عن الأوزاعي به فقوله في الآية والحديث «وروح منه» كقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) أي من خلقه ومن عنده وليست من التبعية كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة بل هي لا ابتداء الغاية كما في الآية الأخرى، وقد قال مجاهد في قوله (وروح منه) أي ورسول منه وقال غيره ومحبة منه، والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيف الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله (هذه ناقة الله) وفي قوله (وطهر بيتي للطائفين) وكما روى في الحديث الصحيح «فأدخل على ربي في داره» أضافها إليه إضافة تشريف وهذا كله من قبيل واحد ونمد واحد وقوله (فآمنوا بالله ورسوله) أي فصدقوا بأن الله واحد لا ولد له ولا صاحبة، واعملوا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله ولهذا قال تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهذه الآية والتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) وكما قال في آخر السورة المذكورة (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأوليائي إلهة قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم) الآية والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فمنهم من يعتقد إلهاً، ومنهم من يعتقد شريكاً ومنهم من يعتقد ولداً وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة. ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولاً. ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بترك الاسكندرية في حدود سنة أربع مائة من الهجرة النبوية أنهم

اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم، وإنما هي الخيانة الحقة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة، وأنهم اختلفوا عليه اختلافاً لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أزيد من ألفين أسقفاً فكانوا أحزاباً كثيرة كل خمسين منهم على مقالة، وعشرون على مقالة ومائة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص. فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفر وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفاً داهية، ومحق ما عداها من الأقوال. وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتباً وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقيونها الولدان من الصغار ليعتقدوها ويعمدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم الملكانية. ثم إنهم اجتمعوا مجعاً ثانياً فحدث فيهم اليعقوبية، ثم مجعاً ثالثاً فحدث فيهم النسطورية. وكل هذه الفرق تثبت الأقاليم الثلاثة في المسيح، ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحداً أو ما اتحداً أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى. ونحن نكفر الثلاثة ولهذا قال تعالى (انتهاوا خيراً لكم) أي كن خيراً لكم (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد) أي تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً (له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً) أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيهما عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد كما قال في الآية الأخرى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد) الآية وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيأاً إدا - إلى قوله - فرداً).

تفسير محمد عبده الجزء السادس صفحة ٦٧-٨٠

سورة النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً.

هذه الآيات نزلت في محاجة النصارى خاصة بعد محاجة اليهود وإقامة الحجة عليهم، وقد غلت اليهود في تحقير عيسى وإهانته والكفر به، ففرطوا كل التفريط. فغلت النصارى في تعظيمه وتقديسه فأفرطوا كل الإفراط. فلما دحض تعالى شبهات أولئك قفى بدحض شبهات

هؤلاء. فقال عز من قائل: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) فتجاوزوا الحدود التي حدها الله لكم. فإن الزيادة في الدني كالنقص منه. كلاهما مخرج له عن وضعه (ولا تقولوا عن الله إلا الحق) أي الثابت المتحقق في نفسه. إما بنص ديني متواتر، وإما ببرهان عقلي قاطع. ليس لكم على مزاعمكم في المسيح شيء منها (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) إلى بني إسرائيل أمرهم بأن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً. وأن يجرعوا عن الإيمان بالجبت والطاغوت. وعن اتباع الهوى وعبادة المال. وإيثار شهوات الأرض على ملكوت السماء، وزهدهم في الحياة الدنيا. وحثهم على حق التقوى. وبشرهم بالنبى الخاتم الذي يبين لهم كل شيء. ويقيمهم على صراط الاعتدال. ويهديهم إلى الجمع بين حقوق الأرواح وحقوق الأجساد (وكلمته ألقاها إلى مريم) أي وهو تحقيق كلمته التي ألقاها إلى أمه مريم ومصدقها. والمراد كلمة التكوين أو البشارة. فإنه لما أرسل إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام، بشرها بأنه مأمور بأن يهب لها غلاماً زكياً، فاستنكرت أن يكون لها ولد وهي عذراء لم تتزوج. فقال لها: (كذلك الله يخلق من يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ٣: ٤٧) فكلمة (كن) هي الكلمة الدالة على التكوين بمحض قدرة الله تعالى عند إرادته خلق الشيء وإيجاده، وقد خلق المسيح بهذه الكلمة. وفي تفسيرها وجوه أخرى سبقت في الجزء الثالث من التفسير في المتاع. قال تعالى: (فالقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله يومئذ السلم ١٦: ٨٦، ٨٧) ومعناه الطرح والنبذ. فلما عبر الله عن التكوين أو البشارة بالكلمة أحسن التعبير بقوله: (وكلمته ألقاها إلى مريم) أي أوصلها إليها وبلغها إياها.

وأما قوله: (وروح منه) ففيه وجهان (أحدهما) أن معناه أنه مؤيد بروح منه تعالى. ويوضحه قوله فيه: (وأيدناه بروح القدس ٢: ٢٥٣) وقال في صفات المؤمنين الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كان من ذوي القربى: (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ٥٨: ٢٢) (وثانيهما) أن معناه أنه خلق بنفخ من روح الله وهو جبريل عليه السلام، ويوضحه قوله تعالى في أمه: (والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها من روحنا ٢١: ٩١) وقال تعالى فيها: (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ١٩: ١٧) كما قال في خلق الإنسان بعد ذكر من طين: (ثم جعل نسله من سلالة من مائي مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ٣٢: ٨ و ٩) وقال بعضهم: إن المراد بالروح هنا النفخ. أي نفخ الملك بأمر الله في مريم، فإنه استعمل بمعنى النفخ والنفس الذي ينفخ.

والروح الذي يحيا به الإنسان مأخوذ من اسم الريح (وأصل الريح روح بالكسر فقلبت الواو ياء لتناسب الكسرة، وجمعه أرواح وأصل هذه رواح بالكسر) كما أن اسم النفس بسكون الفاء من النفس بفتحها.

ويجوز أن يراد بقوله تعالى: (وروح منه) الأمران معاً. أي أنه خلق بنفخ الملك المعبر عنه بالروح وبروح القدس في أمه نفخا كان كالتلقيح الذي حصل باقتران الزوجية، وكان مؤيداً بهذا الروح مدة حياته ولذلك غلبت عليه الروحانية. وظهرت آيات الله فيه زمن الطفولية وزمن الرجولية (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ٥: ١١٠) فلما كان كذلك أطلق عليه أنه (روح) كأنه هو عين ذلك الملك الذي جعله الله سبب ولادته وأيده به مدة حياته. كما يقال: «رجل عدل» على سبيل المبالغة والمراد ذو عدل. وقال بعض المفسرين: إن المراد بالروح هنا الرحمة كقوله تعالى في المؤمنين: (وأيدهم بروح منه ٥٨: ٢٢) ويقويه قوله تعالى فيه: (ولنجعله آية للناس ورحمة منا ١٩: ٢١) ويمكن إدخال هذا المعنى في الوجه الأول لأنه من فروع، والمعنى الجامع أن الروح ما به الحياة. والحياة قسمان: حسية، ومعنوية، فالأول ما به يشعر الإنسان ويدرم ويتفكر ويتذكر. والثانية ما به يكون رحيماً حكيماً فاضلاً محباً محبوباً نافعاً للخلق، وقد سمى الله الوحي روحاً فقال الخاتم رسله: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ٤٢: ٥٢) وقال: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ١٦: ٢) وكلا المعنيين متحقق في عيسى عليه السلام على وجه الكمال، فلهذا جوزنا الوجهين في المسألة.

وآية الله تعالى في خلق عيسى بكلمته، وجعله بشراً سوياً بما نفخ فيه من روحه كآبته في خلق آدم بكلمته وما نفخ فيه من روحه. إذك ان خلق كل منهما بغير السنة العامة في خلق الناس من ذكر وأنثى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ٣: ٥٩).

وقد علم مما قررناه أن قوله: (منه) متعلق بمحذوف صفة (روح) أي وروح كائنة منه. وزعم بعض النصارى أن «من» للتبعيض وأن عيسى جزء من الله. بمعنى أنه ابنه، ونقل المفسرون أن طبيباً نصرانياً للرشيدي ناصر علي بن حسين الوافدي المورزي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى، وتلا هذه الآية، فقرأ له الواقدي قوله تعالى:

(وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ١٣:٤٥) وقال: يلزم إذاً أن تكون جميع هذه الأشياء أجزاء منه تبارك وتعالى، فانقطع النصراني وأسلم ففرح الرشيد بإسلامه ووصل الواقدي بصلة فاخرة.

أما أناجيل النصارى وكتبهم فقد استعملت لفظ الروح في معان مختلفة فيما يتعلق بالمسيح وفي غير ما يتعلق به، فمن ذلك قول متى: ١٨:١ أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس) وفي الفصل الأول من إنجيل لوقا تفصيل لظهور الملك جبريل لها وتبشيرها بإياها بولد ومحاورتهما في ذلك، ومنها أنها سألته عن كيفية ذلك فقال لها: (٣٥) الروح القدس يحل عليك) فروح القدس ليس هو الله، ومن يؤيده الله به لا يكون إلهاً. ففي هذا الفصل نفسه من إنجيل لوقا أن (أليصابات) أم يحيى امتلات من الروح القدس (٤١) وبذلك حملت يحيى وكانت عاقراً - وأن زكريا أباه متلاً من الروح القدس (٦٧). وفي الفصل الثاني منه ما نصه «٢٥) والروح القدس كان عليه ٢٦ وكان قد أوحى إليه بالروح القدس» وهذا الاستعمال كثير عندهم لا حاجة لإضاعة الوقت بكثرة إيراد الشواهد فيه، وإنما تقول: إن روح القدس عندهم وعندنا واحد، وهو ملك من ملائكة الله الذين لا يحصى عددهم غيره تعالى، والقدس الطهر. ويذكر في مقابلة في الأناجيل الروح النجس أي الشيطان، فجعلوه إلهاً كما فعل الوثنيون من قبل.

وجملة القول إن هذه الأناجيل تدل على ما ذكرناه آنفاً من كون عيسى خُلق بواسطة روح القدس. وأن يحيى خُلق كذلك وكان خلقه آية من وجه آخر. إذ كان أبوه شيخاً كبيراً وأمه عاقراً. ولكن الواسط والسبب واحد. وهو الملك المسمى بروح القدس. أيدهم الله به نساء ورجالاً عليهم السلام. فمن الحماسة أن يقول قائل مع هذا إن قوله تعالى: (وروح منه) يفيد أنه جزء من الله تعالى جل شأنه عن التركيب والتجزؤ والحلول والاتحاد يخلقه، بل يقولون: إن تلاميذ المسيح أنفسهم كانوا مؤيدين بروح القدس. حتى من طرده المسيح ولعنه منهم وسماه شيطاناً. وقد أيد به من كان دونهم أيضاً.

علمنا أن مؤلفي الأناجيل يستعملون كلمة روح القدس استعمالاً لا يدل على أنه ملك من خلق الله. ولكن يوحنا قد انفرد بعبارات يمكن إرجاعها إلى استعمال غيره. ويمكن تحريفها للاستدلال بها على شيء آخر كما فعلوا، فهم يقولون: إن الروح منبثق من الآب وإنه عين

الآب، ويستدلون على ذلك بقول يوحنا حكاية عن المسيح (٢٦:١٥ ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الـ ينبثق فهو يشهد لي) أصل الانبثاق أن يكسر الماء ما أمامه من سد على الشط ويفيض على ما وراءه، وفي قراءة أخرى في ترجمة البروتستانت (يخرج) فمن هذه الكلمة استنبطوا عقيدة وثنية تنقصها نصوص كثيرة في الأناجيل.

وهذه الجملة خبر عن شيء يكون في المستقبل (وفرق بين ينبثق من عنده وبين البثق منه على أن هذه لا تدل على ما زعموا أيضاً) وهي بشارة من المسيح ممن يرسله الله تعالى بعده الذي عبروا عنه هنا بالمعزي. وكلمة المعزي ترجمة للبارقليط وهي كلمة يونانية معناها (محمد أو أحمد) وتقرأ بالاستقامة وبالإمالة فلا يحتاج في تحريفها عن المعنة الذي قلناه إلى معنى المعزي الذي قالوه إلا إلى لـي اللسان بها لئلاً قليلاً. وقد ترجمت في إنجيل برنابا بمحمد فكانت هذه الترجمة موضع الاستغراب عند كثير من الناس طائنين أن برنابا نقل عن المسيح أنه نطق بكلمة محمد العربية. والظاهر أنه نطق بترجمتها. ومن عادة أهل الكتاب، ترجمة الأعلام والألقاب. على أن «روح الحق» من جملة أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم، كما ترى في أسمائه المسرودة في دلائل الخيرات. وقد بين يوحنا في الفصل السادس عشر من إنجيله تفصيلاً عن المسيح عليه السلام لبشارته بالبارقليط. منه أنه خير لهم أن يذهب هو من الدنيا، لأنه إذا لم يذهب لا يأتي البارقليط. وأنه متى جاء ييكت العالم على الخطية وعلى البر والحساب (الدينونة) وفسر الخطيئة بعدم الإيمان به أي المسيح. ومنه أنه هو أي المسيح لا يستطيع أن يقول لهم كل شيء لعدم استعدادهم وعدم طاقتهم الاحتمال. قال: (١٣) وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ١٤ ذلك يمجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) ولم يجئ بعد المسيح أحد من عند الله وبخ الناس وبكتهم على عدم الإيمان بالمسيح وعلى طعن بعضهم فيه وفي أمه. وعلى غلو طائفة فيهما وجعلهما إلهين مع الله، وعلم الناس كل شيء من أمور العقائد والآداب والفضائل والأحكام الشخصية والمدنية. وأخبر بالأمور المستقلة - لم يجئ أحد بكل هذا إلا روح الحق محمد صلى الله عليه وسلم. وهو منبثق من الله، أي مرسل منه فإحياء الناس. كما يرسل الله الغيث لإحياء الأرض. وفي الحديث أنه شبه بعثته بالغيث الذي تأخذ منه كل أرض بحسب استعدادها. فإذا كانت عبارة يوحنا تدل على أن روح الحق الذي بشر

به المسيح وأنه يأتي بعده تدل للفظ الانبثاق على ما قالوا. فليجعلوا محمداً صلى الله عليه وسلم هو الأقنوم الثالث أو أقنوماً رابعاً. وينتقلوا من التثليث إلى الترياع، لا. لا أقول لهم أصروا على هذا التأويل والتضليل، بل أقول لهم ما قاله الله عز وجل: (لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) إلى قوله تعالى:

«فأموا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة» إلخ. أي فإذا كان الأمر كذلك، وهو المعقول الذي لا تحتمل غيره النقول. فأموا بالله إيماناً يليق به. وهو أنه واحد أحد. فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، تنزه عن صفات الحوادث، ونسبتها إليه واحدة، وهي أنها مخلوقة وهو الخالق، ومملوكة وهو المالك، وأن هذه الأرض في مجموع ملكه أقل من حبة رمل بالنسبة إلى اليابس منها، ومن نقطة ماء بالنسبة إلى بحارها وأنهارها. فمن الجهل الفاضح أن يجعل له ند وكفء فيها، أو يقال إنه حل أو اتحد بشيء منها، وآمنوا برسله كلهم، كما يليق بهم، وهو أنهم عبيد له خصهم بضرب من العلم والهداية «الوحي» ليعلموا الناس كيف يوحدون ربهم ويعبدونه ويشكروونه وكيف يزكون أنفسهم، ويصلحون ذات بينهم - ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة الآب والابن وروح القدس. أو: الله ثلاثة أقانيم كل منها عين الآخر، فكل منها إله واحد. فتسفهوا أنفسكم بترك لتوحيد الخالص الذي هو ملة إبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام، والقول بالتثليث الذي هو عقيدة الوثنيين الطغام. ثم تدّعوا الجمع بين التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وهو تناقض تحيله العقول ولا تقبله الأفهام. (انتهوا خيراً لكم) أي انتهوا عن هذا القول الذي ابتدعوه في دين الأنبياء تقليداً لآبائكم الوثنيين الأعباء. يكن هذا الانتهاء خيراً لكم، أو انتهوا عنه وانتحلوا قولاً آخر خيراً لكم منه، وهو قول جميع النبيين والمرسلين بتوحيده وتنزيهه. حتى المسيح الذي سميتموه إلهاً فإن مما لا تزالون تحفظون عنه قوله في إنجيل يوحنا: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته).

(إنما الله إله واحد) ليس له أجزاء ولا أقانيم، ولا هو مركب ولا متحد بشيء من المخلوقات (سبحانه أن يكون له ولد) أي تنزهه وتقدس عن أن يكون له ولد كما تقولون في المسيح إنه ابنه وإنه هو عينه، فإنه تبارك وتعالى ليس له جنس فيكون له منه زوج يقترن بها فتلد له ابناً. ولكنه في اختيار لفظ الولد في الرد عليهم، على لفظ الابن الذي يعبرون به. هي بيان أنهم إذا كانوا يريدون الابن الحقيقي الذي يفهم من هذا اللفظ فلا بد أن يكون ولداً أي مولوداً من تلقيح أبيه

لأُمه وهذا محال على الله تعالى. وإن أرادوا أنه ابن مجازاً لا حقيقة كما أطلق في كتب العهد العتيق والعهد الجديد على إسرائيل وداود على صانعي السلام وغيرهم من الأخيار، فلا يكون له دخل في الألوهية، ولا يعد من باب الخصوصية.

(له ما في السموات وما في الأرض) أي ليس له ولد خاص مولود منه يصح أن يسمى ابنه حقيقة. بل له كل ما في السموات والأرض - والمسيح من جملتها - خلق كل ذلك خلقاً. وكل ذي عقل منها وإدراك يفتخر بأن يكون له عبداً (إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً ١٩: ٩٣) لا فرق في هذا بين الملائكة القربين، والنبين الصالحين، كما صرحت به الآية التالية لهذه، ولا بين من خلقه ابتداء من غير أب ولا أم كالملائكة وآدم. ومن خلق من أصل واحد كحواء وعيسى. ومن خلق من الزوجين الذكر والأنثى. كلهم بالنسبة إليه تعالى سواء. عبيد له من خلقه محتاجون دائماً إلى فضله. وهو يتصرف فيهم كما يشاء. (وكفي بالله وكيفاً أي به الكفاية لمن عرفه وعرف سننه في خلقه إذا وكلوا إليه أمورهم. ولم يحاولوا الخروج عن سننه وشرائعه بسوء اختيارهم.

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب الجزء الثاني صفحة ٦٠٧-٦١٧

النساء ١٧١: ٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَزُوْجٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

هذا الدرس جولة مع النصارى من أهل الكتاب، كما كان الدرس الماضي جولة مع اليهود. منهم وهؤلاء وهؤلاء من أهل الكتاب الموجه إليهم هذا الخطاب.

وفي الدرس الماضي أنصف القرآن عيسى ابن مريم وأمه الطاهرة من افتراءات اليهود، وأنصف العقيدة الصحيحة في حكاية صلب المسيح - عليه السلام - وأنصف الحق نفسه من يهود، وأفاعيل يهود، وعنت يهود!

وفي هذا الدرس يتجه السياق إلى إنصاف الحق والعقيدة، وإنصاف عيسى ابن مريم

كذلك من غلو النصارى في شأن المسيح - عليه السلام - ومن الأساطير الوثنية التي تسربت إلى النصرانية السمحة من شتى الأقوام وشتى الملل، التي احتكت بها النصرانية، سواء في ذلك أساطير الإغريق والرومان، وأساطير قدماء المصريين، وأساطير الهنود!

ولقد تولى القرآن الكريم تصحيح عقائد أهل الكتاب التي جاء فوجدها مليئة بالتحريفات مشحونة بالأساطير، كما تولى تصحيح عقائد المشركين، المتخلفة من بقايا الحنيفية دين إبراهيم - عليه السلام - في الجزيرة العربية ومن ركام فوقها من أساطير البشر وترهات الجاهلية!

لا بل جاء الإسلام ليتولى تصحيح العقيدة في الله للبشر أجمعين، وينقذها من كل انحراف وكل اختلال وكل غلو، وكل تفريط، في تفكير البشر أجمعين.. فصحح - فيما صحح - اختلالات تصور التوحيد في آراء أرسطو في أثينا قبل الميلاد، وأفلوطين في الإسكندرية بعد الميلاد، وما بينهما وما تلاهما من شتى التصورات في شتى الفلسفات التي كانت تخطط في التيه، معتمدة على ذبالة العقل البشري، الذي لا بد أن تعينه الرسالة، ليهتدي في هذا التيه (١) (يراجع فصل: «تبه وركام» وفصل «الربانية» في كتاب: «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته»).

والقضية التي يعرض لها السياق في هذه الآيات، هي قضية «التثليث» وما تتضمنه من أسطورة «بنوة المسيح» لتقرير وحدانية الله سبحانه على الوجه المستقيم الصحيح.

ولقد جاء الإسلام والعقدية التي يعتنقها النصارى - على اختلاف المذاهب - هي عقيدة أن الإله واحد في أقانيم ثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس. والمسيح هو «الابن».. ثم تختلف المذاهب بعد ذلك في المسيح. هل هو ذو طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية؟ أم هل هو ذو طبيعة واحدة لاهوتية فقط. وهل هو ذو مشيئة واحدة مع اختلاف الطبيعتين؟ وهل هو قديم كالآب أو مخلوق.. إلى آخر ما تفرقت به المذاهب، وقامت عليه الاضطهادات بين الفرق المختلفة.. (وسيأتي شيء من تفصيل هذا الإجمال في مناسبه في سياق سورة المائدة).

والثابت من تتبع التاريخ لأطوار العقيدة النصرانية، أن عقيدة التثليث، وكذلك عقيدة بنوة المسيح لله - سبحانه - (ومثلها عقيدة ألوهية أمه مريم، ودخولها في التثليثات المتعددة الأشكال) كلها لم تصاحب النصرانية الأولى. إنما دخلت إليها على فترات متفاوتة التاريخ،

مع الوثنيين الذين دخلوا النصرانية، وهم لا يبرأوا بعد من التصورات الوثنية والآلهة المتعددة.. والتثليث بالذات يغلب أن يكون مقتبساً من الديانات المصرية القديمة، من تثليث «أويوريس وإيزيس، وحوريس» والتثليثات المتعددة في هذه الديانة..

وقد ظل النصارى الموحدون يقاومون الاضطهادات التي أنزلها بهم الأباطرة الرومان، والمجامع المقدسة الموالية للدولة (الملوكانيون) إلى ما بعد القرن السادس الميلادي على الرغم من كل ما لاقوه من اضطهاد وتغرب وتشرد بعيداً عن أيدي السلطات الرومانية!

وما تزال فكرة «التثليث» تصدم عقول المثقفين من النصارى، فيحاول رجال الكنيسة أن يجعلوها مقبولة لهم بشتى الطرق، ومن بينها الإحالة إلى مجهولات لا ينكشف سرها للبشر إلا يوم ينكشف الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض!

يقول القس بوطر صاحب رسالة: «الأصول والفروع» أحد شراح العقيدة النصرانية في هذه القضية:

«قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا. ونرجو أن نفهمه فهماً أكثر جلاء في المستقبل، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات والأرض» (١) (نقلاً عن كتاب: «محاضرات في النصرانية» للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة).

ولا نريد هنا أن ندخل في سرد تاريخي للأطوار وللطريقة التي تسلفت بها هذه الفكرة إلى النصرانية. وهي إحدى ديانات التوحيد الأساسية. فنكتفي باستعراض الآيات القرآنية الواردة في سياق هذه السورة، لتصحيح هذه الفكرة الدخيلة على ديانة التوحيد!

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

فهو الغلو إذن وتجاوز الحد والحق، هو ما يدعو أهل الكتاب هؤلاء إلى أن يقولوا على الله غير الحق، فيزعموا له ولداً - سبحانه - كما يزعمون أن الله الواحد ثلاثة..

وقد تطورت عندهم فكرة البنوة، وفكرة التثليث، حسب رقي التفكير وانحطاطه. ولكنهم قد اضطروا أمام الاشمئزاز الفطري من نسبة الولد لله، والذي تزيده الثقافة العقلية، أن يفسروا

البنوة بأنها ليست عن ولادة كولدادة البشر. ولكن عن «المحبة» بين الآب والابن. وأن يفسروا الإله والواحد في ثلاثة.. بأنها «صفات» لله سبحانه في «حالات» مختلفة.. وإن كانوا ما يزالون غير قادرين على إدخال هذه التصورات المتناقضة إلى الإدراك البشري. فهم يحيلونها إلى معميات غيبية لا تكشف إلا بانكشاف حجاب السماوات والأرض..

والله - سبحانه - تعالى عن الشركة، وتعالى عن المشابهة. ومقتضى كونه خالقاً يستتبع.. بذاته .. أن يكون غير الخلق. وما يملك إدراك أن يتصور إلا هذا التغير بين الخالق والخلق. والمالك والملك.. وإلى هذا النص القرآني:

«إنما الله إله واحد، سبحانه! أن يكون له ولد؟ له ما في السموات وما في الأرض..».

وإذا كان مولد عيسى - عليه السلام - من غير أب عجيماً في عرف البشر، خارقاً لما ألفوه، فهذا العجب إنما تنشئه مخالفة المألوف. والمألوف للبشر ليس هو كل الموجود. والقوانين الكونية التي يعرفونها ليست هي كل سنة الله. والله يخلق السنة ويجربها، ويصرفها حسب مشيئته. ولا حد لمشيئته.

والله - سبحانه يقول - وقوله الحق - في المسيح:

«إنما المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه».. فهو على وجه القصد والتحديد:

«رسول الله»..

شأنه في هذا شأن بقية الرسل. شأن نوح وإبراهيم وموسى ومحمد، وبقية الرهط الكريم من عباد الله المختارين للرسالة على مدار الزمان..

«وكلمته ألقاها إلى مريم»

وأقرب تفسير لهذه العبارة، أنه سبحانه، خلق عيسى بالأمر الكوني المباشر، الذي يقول عنه في مواضع شتى من القرآن: إنه «كن.. فيكون».. فلقد ألقى هذه الكلمة إلى مريم فخلق في عيسى في بطنها من غير نطفة أب - كما هو المألوف في حياة البشر غير آدم - والكلمة التي تخلق كل شيء من العدم، لا عجب في أن تخلق عيسى - عليه السلام - في طين مريم من النفخة التي يعبر عنها بقوله:

«وروح منه»..

وقد نفخ الله في طينة آدم من قبل من روحه. فكان «إنساناً».. كما يقول الله تعالى: «إذ

قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين».. وكذلك قال في قصة عيسى: «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا».. فالأمر له سابقة.. والروح هنا هو الروح هناك.. ولم يقل أحد من أهل الكتاب - وهم يؤمنون بقصة آدم والنفخة فيه من روح الله - إن آدم إله، ولا أقنوم من أقانيم الإله. كما قالوا عن عيسى، مع تشابه الحال - من حيث قضية الروح والنفخة ومن حيث الخلقة كذلك. بل إن آدم خلق من غير آب وأم: وعيسى خلق مع وجود أم.. وكذلك قال الله: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون»..

ويعجب الإنسان - وهو يرى وضوح القضية وبساطتها - من فعل الهوى ورواسب الوثنية التي عقدت قضية عيسى عليه السلام هذا التعقيد كله، في أذهان أجيال وأجيال وهي - كما يصورها القرآن - بسيطة بسيطة، وواضحة مكشوفة.

إن الذي وهبت لآدم.. من غير أبوين.. حياة إنسانية متميزة عن حياة سائر الخلائق بنفخة من روحه، لهو الذي وهب عيسى.. من غير أب.. هذه الحياة الإنسانية كذلك.. وهذا الكلام البسيط الواضح أولى من تلك الأساطير التي لا تنتهي عن ألوهية المسيح، لمجرد أنه جاء من غير أب. وأن ألوهية الأقانيم الثلاثة كذلك!.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً: «فآمنوا بالله ورسله. ولا تقولوا: ثلاثة. انتهوا خيراً لكم»..

وهذه الدعوة للإيمان بالله ورسله - ومن بينهم عيسى بوصفه رسولاً، ومحمد بوصفه خاتم النبيين - والانتهاء عن تلك الدعاوى والأساطير، تجيء في وقتها المناسب بعد هذا البيان الكاشف والتقرير المريح..

«إنما الله إله واحد»..

تشهد بهذا واحدة الناموس. ووحدة الخلق.. ووحدة الطريقة: كن.. فيكون.. ويشهد بذلك العقل البشري ذاته. فالقضية في حدود إدراكه. فالعقل لا يتصور خالقاً يشبه مخلوقاته، ولا ثلاثة في واحد. ولا واحداً في ثلاثة:

«سبحانه أن يكون له ولد»..

والولادة امتداد للفاني ومحاولة للبقاء في صورة النسل.. والله الباقي غني عن الامتداد في صورة الفانين، وكل ما في السموات وما في الأرض ملك له سبحانه على استواء:

«له ما في السموات وما في الأرض»..

ويكفي البشر أن يرتبطوا كلهم بالله ارتباط العبودية للمعبود، وهو يرعاهم أجمعين، ولا حادة لافتراض قرابة بينهم وبينه عن طريق ابن له منهم! فالصلة قائمة بالرعاية والكلاءة: «وكفى بالله وكيلاً»..

وهكذا لا يكتفي القرآن ببيان الحقيقه وتقريرها في شأن العقيدة، إنما يضيف إليها إراحة شعور الناس من ناحية رعاية الله لهم، وقيامه - سبحانه - عليهم وعلى حوائجهم ومصلحتهم، ليكلوا إليه أمرهم كله في طمأنينة.

سورة مريم ١٩: ١٦ - ٣٤

مريم ١٩: ١٦ - ٣٤ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ١٧ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٨ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ١٩ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ٢٠ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ٢١ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٢٢ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٣ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ٢٤ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٥ وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ٢٦ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٧ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٨ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ٢٩ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٣٠ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

تفسير الزمخشري الجزء الثاني صفحة ٥٠٥-٥٠٩

المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه. والانتباز: الاعتزال والانفراد، تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجة بحائط أو بشيء يسترها كان موضعها المسجد، فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، فإذا طهرت عادت إلى المسجد. فبينا هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آجمي شاب أمرد وضئ الوجه جعد الشعر سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً، أو حسن الصورة مستوى الخلق، وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولت قدر على استماع كلامه. ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائدة الحسن، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبراً لعفتها. وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها، فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك. وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس. وقيل أن النصراني اتخذت المشرق قبلة لانتباز مريم مكاناً شرقياً. الروح جبريل لأن الدين يحيا به ويوحيه، أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريباً كما تقول لحبيبك أنت روعي. وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله - فأما إن كان من المقربين فروح وريحان - أو لأنه من المقربين وهم الموعودون بالروح: أي مقربنا وذا روحنا. أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك كقوله تعالى - بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين - أي إنما أنا رسول من استعذت به (لأهب لك) لأكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع. وفي بعض المصاحف - إنما أنا رسول ربك - أمرني أن أهب لك، أو هي حكاية لقول الله تعالى. جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله تعالى - من قبل أن تمسوهن أو لمستمن النساء - والزنى ليس كذلك، إنما يقال فيه فجرها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أو تراعى فيه الكنايات والآداب. والبغي: الفاجرة التي تبغي الرجال، (ولنجعله آية) أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمرة: أي لنبين به قدرتنا ولنجعله

آية ومحوه - وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت - وقوله - وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه - (مقضيًا) مقدراً مسطوراً في اللوح لا بد لك من جريه عليك، أو كان أمراً حقيقياً بأن يكون ويقضي لكونه آية ورحمة، والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله، وبالرحمة الشرائع والألطاف، وما كان سبباً في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين. عن ابن عباس: فاكأنت إلى قوله، فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت. وقيل كان مدة الحمل ستة أشهر. وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر، وقيل: ثمانية ولم يعيش مولود وضع الثمانية إلا عيسى، وقيل ثلاث ساعات، وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها. وعن ابن عباس: كانت حضات حيضتين قبل أن تحمل وقالوا: ما من مولود إلا يستهل غيره (فانتبذت به) أي انزلت وهو في بطنها كقوله «تدوس بنا الجماجم والتريبا» أي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى - تنبت بالدهن - أي تنبت ودهنها (قصياً) بعيداً من أهلها وراء الجبل، وقيل أقصى الدار، وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف، فلما حملت من الزنى خاف عليها قتل الملك فهر بها، فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها، فأتاه جبيل فقال: إنه من روح القدس فلا تقاتلها فتركها (فأجاءها) أجاء منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء، والتعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس، فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل، وإما أن يكون تعريف الجنس: أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى إنما ارشدها إلى النخلة ليطلعها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها، ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد وثمارها إنما هي من جمارها، فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها والجاها إليها. قرئ (مت) النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى - وفديناه بذبح عظيم - وعن يونس: العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم: أي الشي اليسير نحو العصا والقدرح والشظاظ، تمت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة، وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما

لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية، لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها إذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام، لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيباً يعتب به ويعنف بسببه، أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها. (من تحتها) هو جبريل عليه السلام، قيل كان يقبل كالقابلة، وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وإبي عمرو، وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله - تجري من تحتها الأنهار - وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها لا تحزني.

وقيل هو من السرو والمراد عيسى. وعن الحسن: كان والله عبداً سرياً. فإن قلت: ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب. قلت: لم تقع التسلية بهما من حيث إنهما طعام وشراب، ولكن من حيث إنهما معجزات تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريية وأم مثلها مما قرفوها به بمعزل، وأن لها أمور إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا، حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها (تساقط) و(رطباً) تميز أو مفعول على حسب القراءة. وعن المبرد جواز انتصابه بهزّي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله تعالى - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - أو على معنى أفعلي الهز به كقوله: بجرح في عراقها نصلي. قالوا: التمر للنفسا عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك، وقالوا: كان من العجوة. وقيل ما للنفساء خير من الرجب ولا للمريض خير من العسل. وقيل إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب. عن طلحة بن سليمان (جنباً) أي جمعنا لك في السرى والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب، والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين، وهو في معنى قوله - فكلي واشربي وقرني عينا - أي وطبي نفسيّاً ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهملك. (صوماً) صمتاً. وفي مصحف عبد الله صمنا. وعن أنس بن مالك مثله، وقيل صياماً إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لأنه نسخ في أمته. أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين: أحدهما أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها، والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم. وفيه أن السكوت عن السفية واجب، ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها. قيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم

بالإشارة وقيل سوّغ لها ذلك بالنطق (إنسياً) أي أكلم الملائكة دون الأنس. الفرّيّ البديع وهو من فرى الجلد (يا أخت هرون) كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل. وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما. وعن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنوا هرون النبي وكانت من أعقابه في طبقة الأخوة وبينها وبينه ألف سنة وأكثر. وعن السدي: كانت من أولاده، وإنما قيل يا أخت هرون كما يقال يا أخا همدان: أي يا أحداً منهم. وقيل رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به: أي كنت عندنا مثله في الصلاح، أو شتموها به ولم ترد أخوة النسب. ذكر أن هرون الصلاح تبع جنازته أربعون ألفاً كلهم يسمى هرون تبركاً به وباسمه، فقالوا: كنا نشبهك بهرون هذا. وقرأ عمر بن لجأ التيمي: ما كان أبك امرؤ سوء. وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار فلبثوا فيه أربعين يوماً حتى تعلت من نفسها ثم جاءت تحمله فكلّمها عيسى في الطريق فقال: يا أمّاه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك. وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها (فأشارت إليه) أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه، وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام. وعن السدي: لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها. وروى أنه كان يرضع، فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته. وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان (كان) لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خصاصة والبدال عليه مبني الكلام وأنه مسوق للتعجب، ووجه آخر أن يكون نكلم حكاية حال ماضية: أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس. صبيّاً في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا. أنطقه الله أولاً بأنه عبد الله رداً لقول النصارى، و(الكتاب) هو الإنجيل. واختلفوا في نبوته فقيل أعطيتها في طفوليته أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً نظراً في ظاهر الآية. وقيل معناه: أن ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه قد وجد (مباركاً أينما كنت) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعاً حيث كنت وفيل معلماً للخير. قرئ (وبراً) عن أبي نهيك جعل ذاته براً لفرط بره أو نصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلّفني لأن أوصاني بالصلاة وكلّفنيها واحداً (والسلام عليّ) قيل أدخل الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ. والصحيح إن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود، وتحقيقه أن اللام للجنس: فإذا قال: وجنس السلام على خاصة، فقد عرض بأن

ضده عليكم، ونظيره قوله تعالى - والسلام على من اتبع الهدى - يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام منكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض. قرأ عاسم وابن عامر (قول الحق) وإنما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندا. ويحتمل إذا أريد بقول الحق عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل، وأن يكون بمعنى الثبات والصدق، ويعزده قوله - الذي فيه يمترون - أي أمره حق يقين وهم فيه شاكون (يمترون) يشكون، والمرية الشك، أو يمارون يتلاحقون. قالت اليهود: ساحر كذاب، وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة. وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب. وعن أبي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون. كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه، إذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد، ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئاً من الأجناس كلها أوجده بكن كان منزهاً من شبه الحيوان الوالد، والقول ههنا مجاز ومعناه أن إرادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف، فشبه ذلك بأمر المطاع إذا ورد على المأمور الممثل. قرأ المدنيون وأبو عمر بفتح أن، ومعناه: ولأنه ربي وربكم فاعبدوه كقوله - وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً - والأستار وأبو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حرف أبي: إن الله بالكسر بغير واو، وبأن الله: أي بسبب ذلك فاعبدوه (الأحزاب) اليهود والنصارى عن الكلبي، وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية، وعن الحسن: الذين تحزبوا على الأنبياء لماقص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس (من مشهد يوم عظيم) أي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف، أو من وقت الشهود، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال، أو من مكان الشهادة أو وقتها. وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه. لا يوصف الله تعالى بالتعجب، وإنما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صماً وعمياً في الدنيا. وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويصرون مما يسوءهم ويصدع

قلوبهم. أوقع الظاهر: أعنى الظالمين موقع الضمير إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم، والمراد بالضلال المبين إغفال النظر والاستماع (قضي الأمر) فرغ من الحساب.

سورة مريم ١٩: ٢٢ و ٢٣

٢٢ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٣ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا.

تفسير الطبري الجزء السادس عشر صفحة ٦٢-٦٦

وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه (فنفخنا فيه من روحنا) بسلام (فحملته فانتبذ به مكاناً صياً) وبذلك جاء تأويل أهل التأويل.

حدثني محمد بن سهل، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثنى عبد الصمد بن معقل ابن اخي وهب بن منبه، قال: سمعت وهبا قال: لما أرسل الله جبريل إلى مريم تمثل لها بشراً سوياً فقال له (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني، قال: لما قال ذلك، يعني لما قال جبريل (قال كذلك قال ربك هو عليّ هين...) الآية استسلمت لأمر الله، فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها.

وقوله (فانتبذت به مكاناً قصياً) يقول: فاعتزلت بالذي حملته، وهو عيسى، وتنحت به عن الناس مكاناً قصياً: يقول: مكاناً نائياً قاصياً عن الناس، يقال: هو بمكان قاص، وقصى بمعنى واحد.

يقال منه: قصا المكان يقصو قصواً: إذا تباعد، وأقصيت الشيء: إذا أبعدته وأخرته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (فانتبذت به مكاناً قصياً) قال: مكاناً نائياً.

وقوله (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) يقول تعالى ذكره: فجاء بها المخاض إلى جذع

النخلة، ثم قيل: لما أسقطت الباء منه أجاءها، كما يقال: أتيتك بزبد، فإذا حذفت الباء قيل أتيتك زبداً كما قال جل ثناؤه (آتوني زُبر الحديد) والمعنى: ائتوني بزُبر الحديد. ولكن الألف مدت لما حذفت الباء، وكما قالوا: خرجت به وأخرجته، وذهبت به واهبته، وإنما هو أفعل من المجيء، كما يقال: جاء هو، وأجأته أنا: أي جئت به، ومثل من أمثال العرب: «شر ما أجأني إلى مخة عرقوب». وأشاء ويقال: شر ما يجيئك ويشيئك إلى ذلك، ومنه قول زهير:

وجار سار معتمداً إليكم أجأته المخافة والرجاء

يعني: جاء به وأجأه إلينا وأشاءك من لغة تميم، وأجأك من لغة أهل العالية، وإنما تأول من تأول ذلك بمعنى: ألجأها، لأن المخاض لما جاءها إلى جذع النخلة كان قد ألجأها إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن نجيح، عن مجاهد، قوله (فأجأها المخاض) قال: المخاض ألجأها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: ألجأها المخاض. قال ابن جريج: وقال ابن عباس: ألجأها المخاض إلى جذع النخلة.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي (فأجأها المخاض إلى جذع النخلة) يقول: ألجأها المخاض إلى جذع النخلة.

واختلفوا في أأ المكان الذي انتبذت مريم بعيسى لوضعه وأجأها إليه المخاض، فقال بعضهم: كان ذلك في أدنى أرض مصر، وآخر أرض الشام، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت، فتوجهت نحو مصر هاربة منهم.

حدثنا محمد بن سهل، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثنى عبد الصمد بن معقل، أنه مسع وهب بن منبه يقول: لما اشتهمت مريم على الحمل كان معها قرابة لها يقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون. وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم. فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبوا في ذلك، فكانا يلبان معالجته بأنفسهما تحبيرة وكناسته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه. وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد اجتهاداً وعبادة منهما. فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف، فلما رأى الذي بها استفظعه وعظم عليه، وفضع به،

فلم يدر على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد يوسف أن يتهمها ذكر صلاحها وبراءتها. وأنها لم تغب عنه ساعة قط، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر عليها، فلما اشتد عليه ذلك كلمها. فكان أول كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمر قد خشيته، وقد حرصت على أن أميته وأكتمه في نفسي، فغلبني ذلك، فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري، قالت: فقل قولاً جميلاً، قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك، فحدثيني، هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم، قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر، أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده، أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون، قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامراته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك، ثم تولى يوسف خدمة المسجد، وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه، وذلك لما رأى من رقة جسمها، واصفرار لونها. وكلف وجهها، ونتوّ بطنها، وضعف قوتها، ودأب نظرها. ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك، فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك، فإنهم إن ظفروا بك عيرونك. وقتلوا ولدك، فأفضت ذلك إلى أختها، وأختها حينئذ حُبلى، وقد بشرت بيبى، فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خرّ لوجهه ساجداً معترفاً لعيسى، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمالٍ له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء، فانطلق يسوف بها حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع بلاد قومها، أدرك مريم النفاس، ألجأها إلى أرى حمار، يعني مذود الحمار، وأصل نخلة، وذلك في زمان أحسبه برداً أو حراً «الشك من أبي جعفر» فاشتد على مريم المخاض، فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفاً محدقين بها.

وقوله (يا ليتني مت قبل هذا) ذكر أنه قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس.

كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: قالت وهي تطلق

من الحبل استحياء من الناس (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) تقول: يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه، والحزن بولادتي المولود من غير بعل، وكنت نسياً منسياً: شيئاً نسي فترك طلبه كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر، وكذلك كل شيء نسي وترك ولم يطلب فهو نسي ونسي بفتح النون وكسرهما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد.

ويعني بقوله: تقصه: تطلبه، لأنها كانت نسيته حتى ضاع، ثم ذكرته فطلبته، ويعني بقوله: تبت: تحسن وتصدق، ولو وجه النسي إلى المصدر من النسيان كان صواباً، وذلك أن العرب فيما ذكر عنها تقول: نسيته نسياناً ونسياً كما قال بعضهم من طاعة الرب وعصى الشيطان، يعني وعصيان، وكما تقول أتيته إتياناً وأتياً.

وقوله (منسياً) مفعول من نسيت الشيء كأنها قالت: ليتني كنت الشيء الذي ألقى، فترك ونسي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

سورة مريم ١٩: ٣٠-٣٣

٣٠ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا.

تفسير الرازي الجزء واحد وعشرين صفحة ٢٠٩-٢٢١

قوله تعالى (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا).

اعلم أنه وصف نفسه بصفات تسع: (الصفة الأولى) قوله (إني عبد الله) وفيه فوائد: (الفائدة الأولى) أن الكلام منه في ذلك الوقت كان سبباً للوهم الذي ذهبت إليه النصارى، فلا جرم أول ما تكلم إنما تكلم بما يرفع ذلك الوهم فقال (إني عبد الله) وكان ذلك الكلام وإن كان موهماً من حيث أنه صدر عنه في تلك الحالة، ولكن ذلك الوهم يزول ولا يبقى من حيث إنه تنصيص على العبودية (الفائدة الثانية) أنه لما أقر بالعبودية فإن كان صادقاً في مقاله

فقد حصل الغرض، وإن كان كاذباً لم تكن القوة قوة إلهية بل قوة شيطانية فعلى التقديرين ييطل كونه إلهاً. (الفائدة الثالثة) أن الذي اشتدت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنما هو نفي تهمة الزنا عن مريم عليها السلام، ثم إن عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وإنما نص على إثبات عبودية نفسه، كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن الأم، فلهذا أول ما تكلم إنما تكلم بها. (الفائدة الرابعة) وهي أن التكلم بإزالة هذه التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الأم، لأن الله سبحانه لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة. أنا نقول دلالة أحوال عيسى على العبودية أقوى من دلالتها على الربوبية لأنه كان مجتهداً في العبادة والعبادة لا تليق إلا بالعبيد فإنه كان في نهاية البعد عن الدنيا والاحتراز عن أهلها حتى قالت النصارى إن اليهود قتلوه ومن كان في الضعف هكذا فكيف تليق به الربوبية المسيح إما أن يكون قديماً أو محدثاً والقول بقدمه باطل لأننا نعلم بالضرورة أنه ولد وكان طفلاً ثم صار شاباً وكان يأكل ويشرب ويعرض له ما يعرض لسائر البشر، وإن كان محدثاً كان مخلوقاً ولا معنى للعبودية إلا ذلك، فإن قيل المعنى بإلهيته أنه حلت صفة الآلهية فيه، قلنا هب أنه كان كذلك لكن الحال هو الصفة الإله والمسيح هو المحل والمحل محدث مخلوق فما هو المسيح (إلا) عبد محدث فكيف يمكن وصفه بالإلهية أن الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد فإن كان لله ولد فلا بد وأن يكون من جنسه فإذا قد اشتركا من بعض الوجوه، فإن لم يتميز أحدهما عن الآخر بأمر ما فكل واحد منهما هو الآخر، وإن حصل الامتياز فما به الإمتياز غير ما به الاشتراك، فيلزم وقوع التركيب في ذات الله وكل مركب ممكن، فالواجب ممكن هذا خلق محال هذا كله على الاتحاد والحلول (أما الاحتمال الثالث) وهو أن يقال معنى كونه إلهاً أنه سبحانه خص نفسه أو بدنه بالقدرة على خلق الأجسام والتصرف في هذا العالم فهذا أيضاً باطل لأن النصارى حكوا عنه الضعف والعجز وأن اليهود قتلوه ولو كان قادراً على خلق الأجسام لما قدروا على قتله بل كان هو يقتلهم ويخلق لنفسه عسكرياً يذبون عنه (وأما الاحتمال الرابع) وهو أنه اتخذ ابناً لنفسه على سبيل التشريف فهذا قد قال به قوم من النصارى يقال لهم الأرميوسية وليس فيه كثير خطأ إلا في اللفظ فهذا جملة الكلام على النصارى وبه ثبت صدق ما حكاه الله تعالى عنه أنه قال إني عبد الله قوله تعالى.

سورة مريم ١٩: ١٦ - ٣٧

مريم ١٩: ١٦ - ٣٤ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ١٧ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٨ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ١٩ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ٢٠ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢١ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٢٢ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٣ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ٢٤ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٥ وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ٢٦ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٧ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٨ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ٢٩ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٣٠ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة ١١٤ - ١٢٣

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً عطف بذكر قصة مريم في إيجادها ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرهما في آل عمران وههنا وفي سورة الأنبياء يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمته سلطانه وأنه على ما -٩٢-

يشاء قادر، فقال (واذكر في الكتاب مريم) وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وأنها نذرتها محررة، أي تخدم مسجد بيت المقدس وكانوا يتقربون بذلك (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نباتاً حساناً) ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل والدعوب وكانت في كفالة زوج أختها زكريا نبي بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم الذي يجرعون إليه في دينهم. ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فذكر أنه كان يجب عندها ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء كما تقدم بيانه في سورة آل عمران فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام أحد الرسل أولى العزم الخمسة العظام (انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) أي اعتزلتهم وتنحت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس. قال السدي لحيض أصابها، وقيل لغير ذلك قال أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عنه إلا قيل ربك (فانتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) قال خرجت مريم مكاناً شرقياً فصلوا قبل مطلع الشمس وراه ابن أبي حاتم وابن جرير. وقال ابن جرير أيضاً حدثنا إسحق بن شاهين حدثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال: إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله تعالى (فانتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) واتخذوا ميلاد عيسى قبلة، وقال قتادة (مكاناً شرقياً) شاسعاً متنحياً، وقال محمد بن إسحق ذهبت بقلتها لتستقي الماء، وقال نوف البكالي اتخذت لها منزلاً تتعبد فيه فالله أعلم وقوله (فاتخذت من دونهم حجاباً) أي استترت منهم وتوارت فارسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً سوياً) أي على صورة إنسان تام كامل، قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج ووهب بن منبه والسدي في قوله (فارسلنا إليها روحنا) يعني جبرائيل عليه السلام وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن فإنه تعالى قد قال في الآية الأخرى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال أوب جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال إن روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم عليه السلام وهو الذي تمثل لها بشراً سوياً، أي

روح عيسى، فحملت الذي خاطبها وحل في فيها وهذا في عاية الغرابة والنعارة وكأنه إسرائيلي (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) أي لما تبدى لها الملك في صورة بشر وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنت أهايريدها على نفسها فقالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) أي إن كنت تخاف الله تذكيراً له بالله وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل فخوفته أولاً بالله عز وجل، قال ابن جرير حدثني أبو كريب حدثنا أبو بكر عن عاصم قال: قال أبو وائل وذكر قصة مريم فقال قد علمت أن التقى ذو نيهة حين قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً). قال إنما أنا رسول ربك) أي فقال لها الملك مجيباً لها ومزيلاً لما حصل عندها من الخوف على نفسها لست مما تظنين ولكني رسول ربك أي بعثني الله إليك، ويقال إنها لما ذكرت لارحمن انتفض جبريل فرقاً وعاد إلى هيئته وقال (إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاماً زكياً) هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهوري القراء، وقرأ الآخرون (لأهب لك غلاماً زكياً) وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنى صحيح وكل تستلزم الأخرى (قالت أنى يكون لي غلام) أي فتعجبت مريم من هذا وقالت كيف يكون لي غلام أي على أي صفة يوجد هذا الغلام منى ولست بذات زوج ولا يتصور منى الفجور ولهذا قالت (ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً) والبغى هي الزانية والهذا جاء في الحديث النهي عن مهر البغى (قال كذلك قال ربك هو علي هين) أي فقال لها الملك مجيباً لها عما سألت إن الله قد قال إنه سيوجد منك غلاماً وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة فإنه على ما يشاء قادر ولهذا قال (ولنجعله آية للناس) أي دلالة وعلامة على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم فخلق اباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من كذر بلا أنثى وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه وقوله (ورحمة منا) أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء يدعو إلى عبادة ربه في مهده وكهولته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحيم بن إبراهيم حدثنا مروان حدثنا العلاء بن الحارث الكوفي عن مجاهد قال: قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر، وقوله (وكان أمراً مقضياً) يحتمل أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيعته، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأنه كنى بهذا عن النفخ

في فرجها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) قال محمد بن إسحق (وكان أمراً مقضياً) أي إن الله قد عزم على هذا فليس منه بد، واختار هذا أيضاً ابن جرير في تفسيره ولم يحك غيره والله أعلم.

٢٢ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ٢٣ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِياً مَنْسِياً

يقول تعالى مبخراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال إنها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير واحد من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت في لافرج فحملت بالولد بإذن الله تعالى، فلما حملت قه ضاقت ذرعاً ولم تدر ماذا تقول للناس فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فميا تخبرهم به غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا. وذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب إلى ذلك. فحملت امرأته فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتنقتها وقالت أشعرت يا مريم أني حبلى؟ فقالت لها مريم وعلى علمت أيضاً أني حبلى وذكرت لهذا شأنها وما كان من خبرها وكانوا بيت إيمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تجدد الذي في بطنها يسجد للذي في بطن مريم أي يعظمه ويخضع له فإن السجود كان في ملتهم عند الإسلام مشروعاً كما سجد ليوسف أبواه وإخوته وكما أمر لاله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام. ولكن حرم في ملتنا هذه تكميلاً لتعظيم جلال الرب تعالى، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين قال قرئ على الحارث ابن مسكين وأنا اسمع أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال: قال مالك رحمه الله بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعاً معاق فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم إني أرى الأكمه والأبرص ثم اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعي أشهر وقال عكرمه ثمانية أشهر وقال ولهذا ألا يعيش ولد لثمانية أشهر وقال ابن جريج أخبرني المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفي سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن إلا أن حملت فوضعت وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً). فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) فالفاء

وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً) وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوماً وقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) فالمشهور الظاهر والله على كل شيء قدير أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل بها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس يقال له يوسف النجار فلما رأى ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها ثم تأمل ما هي فيه فجعل أمرها يجوس في فكره لا يستطيع صرفه عن نفسه، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول فقال يا مريم إني سائلك عن أمر فلا تعجلي علي. قالت وما هو؟ قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر وهل يكون ولد من غير أب. فقالت نعم وفهمت ما أشار إليه. أما قولك هل يكون قط شجر من غير حب وزرع من غير بذر فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ولا بذر وهل يكون ولد من غير أب فإن الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولا أم فصدقها وسلم لها حالها، ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم مكاناً قصياً أي قاصياً منهم بعيداً عنهم لئلا تراهم ولا يروها، قال محمد بن إسحق: فلما حملت به وملأت قلبها ورجعت استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والتوحم وتغير اللون حتى فطر لسانها فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا وشاع الحديث في بني إسرائيل فقالوا إنما صاحبها يوسف ولم يكن معها في الكنيسة غيره وتوارت من الناس واتخذت من دونهم حجاباً فلا يراها أحد ولا تراه، وقوله (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) أي فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة في المكان الذي تنحت إليه وقد اختلفوا فيه فقال السدي كان شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس، وقال وهب بن منبه ذهبت هاربة فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق، وفي رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم، قلت وقد تقدم في أحاديث الإسراء من رواية النسائي عن أنس رضي الله عنه والبيهقي عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن ذلك ببيت لحم فالله أعلم وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى أنه ببيت لحم وقد تلقاه الناس وقد ورد به الحديث إن صح، وقوله تعالى إخباراً عنها (قالت يا ليتني مت قبل

هذا وكنت نسياً منسياً فيه دليل على جواز تمنى الموت عند الفتنة فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها وبعدها كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت (يا لثني مت قبل هذا) أي قبل هذا الحال (وكنت نسياً منسياً) أي لم أخلق ولم أك شيئاً قاله ابن عباس، وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحياء فترك طلبه كخرق الحيض إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شيء نسي وترك فهو نسي، وقال قتادة (وكنت نسياً منسياً) أي شيئاً لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من أنا، وقال الربيع بن أنس (وكنت نسياً منسياً) هو السقط، وقال ابن زيد لم أكن شيئاً قط، وقد قدمنا الأحاديث الدالة على النهي عن تمنى الموت إلا عند الفتنة عند قوله (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين).

٢٤ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٥ وَهَٰذَا إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَبِيثًا ٢٦ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا

قرأ بعضهم من تحتها بمعنى الذي تحتها، وقرأ الآخرون من تحتها على أنه حرف جر، واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟ فقال العوفي وغيره عن ابن عباس (فناداها من تحتها) جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، وكذا قال سعيد بن جبيرة والضحاك وعمور بن ميمون والسدي وقاتادة: إنه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أي ناداها من أسفل الوادي، وقال مجاهد (فناداها من تحتها) قال عيسى بن مريم وكذا قال عبد الرزاق عم معمر عن قتادة قال: قال الحسن هو ابنها وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبيرة أنه ابنها قال أو لم تسمع الله يقول (فأشارت إليه) واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره، وقوله (أن لا تحزني) أي ناداها قائلاً لا تحزني (قد جعل ربك تحتك سريراً) قال سفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحق عن البراء بن عازب (قد جعل ربك تحتك سريراً) قال الجدول وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: السري بالنهر، وبه قال عمور بن ميمون نهر تشرب منه، وقال مجاهد هو النهر بالسرمانية، وقال سعيد بن جبيرة السري النهر الصغير بالنبطية، وقال الضحاك هو النهر الصغير بالسرمانية، وقال إبراهيم النخعي هو النهر الصغير وقال قتادة هو الجدول بلغة أهل الحجاز، وقال وهب بن منبه. السري هو ربيع الماء، وقال السدي هو النهر واختار هذا القول ابن جرير

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع فقال الطبراني حدثنا أبو شعيب الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله البابلي حدثنا أيوب بن نهيك سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن السري الذي قال لله لمريم (قد جعل ربك تحتك سرياً) نهر أخرجه الله لتشرب منه» وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. وأيوب بن نهيك هذا هو الحبلى قال فيه أبو حاتم الرازي ضعيف. وقال أبو زرعة: منكر الحديث وقال أبو الفتح الأزدي: متروك الحديث، وقال آخرون المراد بالسري عيسى عليه السلام وبه قال الحسن والريبع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو إحدى الروايتين عن قتادة وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والقول الأول أظهر ولهذا قال بعده (وهزي إليك بجذع النخلة) أي وخذي إليك بجذع النخلة، قيل كانت يابسة قاله ابن عباس وقيل مثمرة قال مجاهد كانت عجوة، وقال الثوري عن أبي داود نفع الأعمى كانت صرفانة والظاهر أنها كانت شجرة ولكن لم تكن في إبان ثمرها قاله وهب بن منبه ولهذا امتن عليها بذلك بأن جعل عندها طعاماً وشراباً فقال (تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقري عينا) أي طيبي نفساً ولهذا قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية الكريمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسرور بن سعيد التميمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلحق غيرها وقال رسول الله ﷺ «أطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران» هذا حديث منكر جداً ورواه أبو يعلى عن شيبان به، وقرأ بعضهم (تساقط) بتشديد السين وآخرون بتخفيفها، وقرأ أبو نهيك (تسقط عليك رطباً جنياً) وروى أبو إسحق عن البراء أنه قرأها (يساقط) أي الجذع والكل متقارب.

وقوله (فأما ترين من البشر أحداً) أي مهما رأيت من أحد (فقلولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) المراد بهذا القول الإشارة إليه بذلك لا أن المراد به القول اللفظي لئلا ينافي (فلن أكلم اليوم إنسياً) قال أنس بن مالك في قوله (إني نذرت للرحمن صوماً) قال: صمتا وكذا قال ابن عباس والضحاك وفي رواية عن أنس وصمتا وكذا قال قتادة وغيرهما والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام، نص على

ذلك السيد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد. قال ابن إسحق عن حارثة قال: كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك؟ قال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله بن مسعود كلم الناس وسلم عليهم فإن تلك امرأة علمت أن أحداً لا يصدقها أنها حملت من غير زوج، يعني بذلك مريم عليها السلام ليكون عذراً لها إذا سئلت ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله وقال عبد الرحمن بن زيد لما قال لمريم (لا تحزني) قالت وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة أي شي عذري عن الناس؟ يا لتي مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً قال لها عيسى أنا أكفيك الكلام (فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) قال هذا كله من كلام عيسى لأمه وكذا قال وهب.

٢٧ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا ٢٨ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ٢٩ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٣٠ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا

يقول تعالى مخبراً عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك وأن لا تكلم أحداً من البشر فإنها ستكفي أمرها ويقام بحجتها فسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها فأتت به قومها تحمله فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه جداً وقالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً أي أمراً عظيماً قاله مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شيبان وحدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوتي، عن نوف الباطلي قال وخرج قومها في طلبها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا منها شيئاً فلقوا راعي بقر فقالوا رأيت فتاة كذا وكذا نعتها قال لا ولكني رأيت الليلة من بقري ما لم أره منها قط قالوا وما رأيت؟ قال رأيتها الليلة تسجد نحو هذا الوادي. قال عبد الله بن زياد وأحفظ عن شيبان أنه قال رأيت نوراً ساطعاً فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها في حجرها فجاءوا حتى قاموا عليها (وقالوا

يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) أي أنت من بيت طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال علي ابن أبي طلحة والسدي قيل لها (يا أخت هارون) أي أخي موسى وكانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخت تميم وللمضري يا أخت المضير وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تقاس به في الزهادة والعبادة وحكى ابن جرير عن بعضهم أنهم شبهوها برجل فاجر كان يقال هرون. ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهجستاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا المفضل يعني ابن أبي فضالة حدثنا أبو صخر عن القرظي في قول الله عز وجل (يا أخت هرون) قال هي أخت هرون لأبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هرون التي قصت أثر موسى (فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) وهذا القول خطأ محض فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بعثاً وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بين وبينه نبي» ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخراً عن الرسل سوى محمد ولكان قبل سليمان وداود فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام في قوله تعالى (ألم تر إلّا الملا من بني من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) وذكر القصة إلى أن قال (وقتل داود جالوت) الآية والذي جرأ القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر وإغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهرون النبيين تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحهم كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالوا أرأيت ما تقرءون (يا أخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال فرجعت فكرت ذلك رسول الله ﷺ فقال «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم» انفرد بإخراجه مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك به، وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه عن سعيد بن صدقة عن محمد بن

سيرين قال أنبت أن كعباً قال إن قوله (يا أخت هرون) ليس بهرون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت وفي هذا التاريخ نظر.

وقال ابن جرير أيضاً حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله (يا أخت هرون) الآية قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحاً محبباً في عشيرته وليس بهرون أخي موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هرون من بني إسرائيل، وقوله (فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً) أي أنهم لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية وقد كانت يومها ذلك صائمة فأحالت الكلام عليه وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه فقالوا متهمين بها ظانين أنها تزدرى بهم وتلعب بهم (كيف نكلم من كان في المهد صبياً) قال ميمون بن مهران لما (فأشارت إليه) قالت كلموه فقالوا على ما جاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبياً: وقال السدي لما (أشارت إليه) غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حتى تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً) أي من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره كيف يتكلم؟ قال إني عبد الله، أول شيء تكلم به أن نزل جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله (آتاني الكتاب وجعلني نبياً) تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة قال نوف البكالي لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديه فنزع الثدي من فمه واتكأ على جنبه الأيسر وقال (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً - إلى قوله - ما دمت حياً) وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناتي رفع أصبعه السبابة فوق منكبه وهو يقول (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) الآية، وقال عكرمة (آتاني الكتاب) أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصقي حدثنا يحيى بن سعيد هو العطار عن عبد العزيز بن زياد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان عيسى بن مريم قد درس التوراة وأحكمها وهو في بطن أمه فذلك قوله (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) يحيى بن سعيد العطار الحمصي متروك وقوله - وجعلني مباركاً أينما كنت) قال مجاهد وعمرو بن قيس والثوري وجعلني معلماً للخير وفي رواية عن مجاهد نفاعاً وقال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي

سمعت وهيب بن الورد مولى بني مخزوم قال لقي عالم عالم هو فوقه في العلم فقال له يرحمك الله ما الذي أعلن من عملي؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده، وقد أجمع الفقهاء على قول الله (وجعلني مباركاً أينما كنت) وقيل ما بركته؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان وقوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) كقوله تعالى لمحمد ﷺ (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين). وقال عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس في قوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) قال أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت. ما اثبتها لأهل القدر. وقوله (وبراً بوالدي) أي وأمرني ببر والدي ذكره بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) وقال (أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير) وقوله (ولم يجعلني جباراً شقياً) أي ولم يجعلني جباراً مستكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدي فأشقى بذلك: قال سفيان الثوري الجبار الشقي الذي يقتل على الغضب، وقال بعض السلف لا تجد أحداً عاقاً لوالديه إلا وجدته مختلاً فخوراً ثم قرأ (وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختلاً فخوراً)، وقال قتادة ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ويرى الأكفم والأبرص في آيات سلطة الله عليهن وأذن له فيهن فقالت طوبى للبطن الذي حملك وطوبى للشدي الذي أرضعت به فقال نبي الله عيسى عليه السلام يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقياً وقوله (والسلام عليّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً) إثبات منه لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق من خلق الله يحيى ويميت ويبعث كسائر الخلائق ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشقى ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه.

٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذي قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام (وقول الحق الذي فيه يمترون) أي يختلف المبطلون والمحققون ممن آمن به وكفر به ولهذا قرأ الأكثرون قول الحق برفع قول وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر قول الحق، وعن ابن مسعود أنه قرأ ذلك عيسى بن مريم قال الحق والرفع أظهر إعراباً ويشهد له قوله تعالى (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبداً نبياً نزه نفسه المقدسة فقال

(ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) أي عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علواً كبيراً (إذ قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) أي إذا أراد شيئاً فإنما يأمُر به فيصير كما يشاء كما قال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين) وقوله (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أي ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال (فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي جئكم به عن الله صراط مستقيم أي قويم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه ضل وغوى. وقوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) أي اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضح حاله وأنه عنده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على أنه ولد زينة، وقالوا كلامه هذا سحر، وقالت طائفة أخرى إنما تكلم الله وقال آخرون بل هو ابن الله، وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد إليه المؤمنين، وقد روى نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف. قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) قال اجتمع بنو إسرائيل فاخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد أحد الاثنان للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الإسرئيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله. قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون. فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا فاقتتلوا وظهر على المسلمين، وذلك قول الله تعالى (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قال قتادة وهم الذين قال الله (فاختلف الأحزاب من بينهم) قال اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريباً من ذلك، وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفاً فاختلفوا في عيسى بن مريم عليه السلام اختلافاً متبايناً جداً فقالت كل شذمة فيه قولاً فمائة تقول فيه قولاً آخر وخمسون تقول شيئاً آخر

ومائة وستون تقول شيئاً ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلثمائة وثمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فمال إليهم الملك وكان فيلسوفاً فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الأمانة الكبيرة بل هي الخيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعاً كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيروه فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشر ألف كنيسة وبنت أمه هيلانة قمامة على المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله إلى السماء وقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله وافترى وزعم أن له ولداً ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلماً وثقة بقدرته عليهم فإنه الذي لا يجعل على من عصاه كما جاء في الصحيحين «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم» وقد قال الله تعالى (وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير) وقال تعالى (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) ولهذا قال ههنا (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أي يوم القيامة، وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من شهد أن لا إله إلا الله وحده له شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب الجزء الخامس صفحة ٤٣٠-٤٣٧

سورة مريم

ونظراً لغرابة الحادث وضخامته فقد عز على فرق من الناس أن تتصوره على طبيعته وأن تدرك الحكمة في إبرازه، فجعلت تضيفي على عيسى ابن مريم - عليه السلام - صفات ألوهية، وتصوغ حول مولده الخرافات والاساطير، وتعكس الحكمة من خلقه على هذا النحو العجيب، - وهي إثبات القدرة الإلهية التي لا تتقيد - تعكسها فتشوه عقيدة التوحيد.

والقرآن في هذه السورة يقص كيف وقعت هذه العجيبة، ويبرز دلالتها الحقيقية، وينفي تلك الخرافات والأساطير.

والسياق يخرج القصة في مشاهد مثيرة، حافلة بالعواطف والانفعالات، التي تهز من يقرأها هزاً كأنما هو يشهدها:

«واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً. فأرسلنا إليها من روحنا، فتمثل لها بشراً سوياً. قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً. قال: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً. قالت: أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً؟ قال: ذكّل قال ربك هو علي هين، ولنجعله آية للناس ورحمة منا.. وكان أمراً مقضياً»..

فهذا هو المشهد الأول - فتاة عذراء. قديسة، وهبتها أمها وهي في بطنها لخدمة المعبد. لا يعرف عنها أحد إلا الطهر والعفة حتى لتنسب إلى هارون أبي سدنة المعبد الإسرائيلي المتطهرين - ولا يعرف عن أسرتها إلا الطيبة والصلاح من قديم.

ها هي ذي تخلص إلى نفسها لشأن من شؤونها التي تقتضي التواري من أهلها والاحتجاب عن أنظارهم.. ولا يحدد السياق هذا الشأن، ربما لأنه شأن خاص جداً من خصوصيات الفتاة...

وها هي ذي في خلوتها، مطمئنة إلى انفرادها. ولكن ها هي تفاجأ مفاجأة عنيفة. إنه رجل مكتمل سوي: «فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً».. وها هي ذي تنتفض انتفاضة العذراء المذعورة يفجؤها رجل في خلوتها، فتلجأ إلى الله تستعيز به وتستنجد وتستشير مشاعر التقوى في نفس الرجل، والخوف من الله والتحرج من رقابته في هذا المكان الخالي: «قالت إني أعوذ بالرحمان منك إن كنت تقياً» فالتقي ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمان، ويرجع عن دفعة الشهوة ونزغ الشيطان..

وهنا يتمثل الخيال تلك العذراء الطيبة البريئة ذات التربة الصاحلة، التي نشأت في وسط صالح وكفلها زكريا، بعد أن نذرت لله جنيناً.. وهذه هي الهزة الأولى..

«قال: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً».. وليتمثل الخيال مقدار الفزع والحجل.

وهذا الرجل السوي - الذي لم تثق بعد بأنه رسول ربها - فقد تكون حيلة فاتك يستغل طبيعتها - يصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول، وهو أنه يريد أن يهب لها غلاماً، وهما في خلوة - وهذه الهزة الثانية.

ثم تدركها شجاعة الأنثى المهددة في عرضها! فتسأل في صراحة: كيف؟

«قالت: أن يكون لي غلام، ولم يمسنني بشر، ولم أك بغيا»؟.. هكذا في صراحة وبالألفاظ المكشوفة. فهي والرجل في خلوة. والغرض من مباغتته لها قد صار مكشوفاً. فما تعرف هي بعد كيف يهب لها غلاماً؟ وما يخفف من روع الموقف أن يقول لها: «إنما أنا رسول ربك» ولا أنه مرسل ليهب لها غلاماً طاهراً غير مدنس المولد، ولا مدنس السيرة، ليطمئن بالها. لا. فالحياء هنا لا يجدي، والصراحة أولى.. كيف؟ وهي عذراء لم يمسسها بشر، وما هي بغى فتقبل الفعلة التي تجيء منها بغلام!

ويبدو من سؤالها أنها لم تكن تتصور حتى اللحظة وسيلة أخرى لأن يهبها غلاماً إلا الوسيلة المعهودة بين الذكر والأنثى. وهذا هو الطبيعي بحكم التصور البشري.

«قال: كذلك قال ربك: هو علي هين. ولنجعله آية للناس، ورحمة منا»..

فهذا الأمر الخارق الذي لا تتصور مريم وقوعه، هين على الله. فأمام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون، كل شيء هين، سواء جرت به السنة المعهودة أو جرت بغيره. والروح يخبرها بأن ربها يخبرها بأن هذا هين عليه. وأنه أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته. ورحمة لبني إسرائيل أولاً ولل بشرية جمعاً، يبرز هذا الحادث الذي يقودهم إلى معرفة الله وعبادته وابتغاء رضاه.

بذلك انتهى الحوار بين الروح الأمين ومريم العذراء.. ولا يذكر السياق ماذا كان بعد الحوار، فهنا فجوة من فجوات العرض الفني للقصة. ولكنه يذكر أن ما أخبرها به من أن يكون لها غلام وهي عذراء لم يمسسها بشر، وأن يكون هذا الغلام آية للناس ورحمة من الله. أن هذا قد انتهى أمره، وتحقق وقوعه: «وكان أمراً مقضياً» كيف؟ لا يذكر هنا عن ذلك شيئاً (١).

(١) جاء في سورة التحريم: «ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا». فهل كلمة «روحنا» التي في سورة مريم هي نفسها التي في سورة التحريم؟ وهل مدلولها واحد؟.. نحن نميل إلى أنها ذات مدلولين: فهي هنا في السورة تعني جبريل الروح الأمين وهو رسول الله إلى مريم. أما في التحريم فتعني الروح الذي نفخ الله منه في آدم فإذا هو

إنسان ونفخ منه في فرج مريم فإذا البويضة حية مستعدة للنمو: فهي النفخة الإلهية التي تمنح الحياة وتمنح معها الخصائص المرافقة لنوع هذه الحياة. وهي في الإنسان الاستعدادات التي تصله بالملأ الأعلى وتهبه الحس الإنساني والتفكير والمشاعر والإلهامات. ونفسر حالة مريم بأن جبريل وهو الروح الأمين كان حاملاً وموصلاً لنفخة الروح العلوية من الله. ثم نعود فنقول: إننا لا ندرك شيئاً لا عن ماهية الروح بمعنى جبريل، ولا عن ماهية الروح بالمعنى الآخر. فكله غيب إنما نحن نستلهم السياق في السورتين فتجد أن مدلول الروح هنا غيره هناك.

«فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً. فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً»..

وهي هي الهزة الثالثة..

إن السياق لا يذكر كيف حملته ولا كم حملته. هل كان حاملاً عادياً كما تحمل النساء وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط في البويضة فإذا هي علقه فمضغة فعظام ثم تكسى العظام باللحم ويستكمل الجنين أيامه المعهودة؟ إن هذا جائز. فبويضة المرأة تبدأ بعد التلقيح في النشاط والنمو حتى تستكمل تسعة أشهر قمرية، والنفخة تكون قد أدت دور التلقيح فسارت البويضة سيرتها الطبيعية.. كما أنه من الجائز في مثل هذه الحالة الخاصة أن لا تسير البويضة بعد النفخة سيرة عادية، فتختصر المراحل اختصاراً، ويعقبها تكون الجنين ونموه واكتماله في فترة وجيزة.. ليس في النص ما يدل على إحدى الحالتين. فلا تجري طويلاً وراء تحقيق القضية التي لا سند لنا فيها.. فلنشهد مريم تنتبذ مكاناً قصياً عن أهلها، في موقف أشد هولاً من موقفها الذي أسلفنا. فلئن كانت في الموقف الأول تواجه الحصانة والتربية والأخلاق بينها وبين نفسها، فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة. ثم هي تواجه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية. تواجه المخاض الذي «أجاءها» إجابة إلى جذع النخلة، واضطربا اضطراباً إلى الاستناد عليها. وهي وحيدة فريدة، تعاني حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء. ولا معين لها في شيء.. فإذا هي قالت: «يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً» فإننا لنكاد نرى ملامحها، ونحس اضطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها. وهي تتمنى لو كانت «نسياً» تلك الخرقة التي تتخذ لدم الحيض ثم تلقى بعد ذلك وتنسى!

وفي حدة الألم وغمرة الهول تقع المفاجأة الكبرى.

«فناداها من تحتها ألا تخزني فد جعل ربك تحتك سرياً. وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً. فكلي واشربي وقري عينا، فإما ترين من البشر أحداً فقولي: إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا»..

ياالله! طفل وُلد اللحظة يناديها من تحتها. يطمئن قلبها ويصلها بربها، ويرشده إلى طعامها وشرابها. ويدلها على حجتها وبرهانها!

لا تخزني.. «قد جعل ربك تحتك سرياً» فلم ينسك ولم يتركك، بل أجرى لك تحت قدميك جدولاً سارياً - الأرجح أنه جرى للحظته من ينبوع أو تدفق من مسيل ماء في الجبل - وهذه النخلة التي تستندين إليها هزيها فتساقط عليك رطباً. فهذا طعام وذاك شراب. والطعام الحلو مناسب للنفساء. والرطب والتمر من أجود طعام النفساء. «فكلي واشربي» هنيئاً. «وقري عينا» واطمئني قلباً. فأما إذا واجهت أحداً فأعلنه بطريقة غير الكلام، أنك نذرت للرحمان صوماً عن حديث الناس وانقطعت إليه للعبادة. ولا تجيبي أحداً عن سؤال..

ونحسبها قد دهشت طويلاً، وبهتت طويلاً، قبل أن تمد يدها إلى جذع النخلة تهزه ليساقط عليها رطباً جنياً.. ثم أفاقت فاطمأنت إلى أن الله لا يتركها. وإلى أن حجتها معها.. هذا الطفل الذي ينطق في المهد.. فكشف عن الخارقة التي جاءت به إليها.. «فأت بها قومها تحمله..!» فلنشهد هذا المشهد المثير:

إننا لتتصور الدهشة التي تعلو وجوه القوم - ويبدو أنهم أهل بيتها الأقربون في نطاق ضيق محدود - وهم يرون ابنتهم الطاهرة العذراء الموهوبة للهيكل العابدة المنقطعة للعبادة.. يرونها تحمل طفلاً!

«قالوا: يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً. يا أخت هارون ما كان أبوك أمراً سوء، وما كانت أمك بغياً!»

إن ألسنتهم لتنطلق بالتقريع والتأنيب: «يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً» فظيماً مستنكراً. ثم يتحول السخط إلى تهكم مرير: «يا أخت هارون» النبي الذي تولى الهيكل هو وذريته من بعده والذي تنتسبين إليه بعبادتك وانقطاعك لخدمة الهيكل. فيا للمفارقة بين تلك النسبة التي تنتسبينها وذلك الفعل الذي تقارفينه! «ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت أمك بغياً» حتى تأتي بهذه الفعلة التي لا يأتيها إلا بنات آباء السوء والأمهات البغايا!

وتنفذ مريم وصية الطفل العجيب التي لقنها إياها:

«فأشارت إليه».. فماذا نقول في العجب والغيظ الذي ساورهم وهم يرون عذراء تواجههم بطفل، ثم تتبجح فتسخر ممن يستنكرون فعلتها فتصمت وتشير لهم إلى الطفل ليسألوه عن سرها!

«قالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبيًا!..»

ولكن ها هي ذي الخارقة العجيبة تقع مرة أخرى:

«قال: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً».

وهكذا يعلن عيسى - عليه السلام - عبوديته لله. فليس هو ابنه كما تدعي فرقة. وليس هو إلهاً كما تدعي فرقى. وليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقى.. ويعلن أن الله جعله نبياً، لا ولداً ولا شريكاً. وبارك فيه، وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته. والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته. فله إذن حياة محدودة ذات أمد. وهو يموت ويبعث. وقد قدر الله له السلام والأمان والطمأنينة يوم وُلد يوم يموت ويوم يُبعث حياً..

والنص صريح هنا في موت عيسى وبعثه. وهو لا يحتلم تأويلاً في هذه الحقيقة ولا جدالاً. ولا يزيد السياق القرآني شيئاً على هذا المشهد. لا يقول: كيف استقبل القوم هذه الخارقة. ولا ماذا كان بعدها من أمر مريم وابنها العجيب. ولا متى كانت نبوته التي أشار إليها وهو يقول:

«آتاني الكتاب وجعلني نبياً».. ذلك أن حادث ميلاد عيسى هو المقصود في هذا الموضع. فحين يصل به السياق إلى ذلك المشهد الخارق يسدل الستار ليعقب بالغرض المقصود في أنسب موضع من السياق، بلهجة التقرير، وإيقاع التقرير:

«ذلك عيسى ابن مريم. قول الحق الذي فيه يمترون. ما كان الله أن يتخذ من ولد. سبحانه. إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون. وإن الله ربي وربكم فاعبدوه. هذا صراط مستقيم».

ذلك عيسى ابن مريم، لا ما يقوله المؤلهون له أو المتهمون لأمه في مولده.. ذلك في حقيقته وذلك واقع نشأته. ذلك هو يقول قول الحق الذي فيه يمترون ويشكون. يقولها لسانه ويقولها الحال في قصته: «ما كان لله أن يتخذ من ولد» تعالى وتنزهه فليس من شأنه أن يتخذ ولداً. والولد إنما يتخذه الفانون للامتداد، ويتخذه الضعاف للنصرة. والله باق لا يخشى فناء، قادر لا

يحتاج معيناً. والكائنات كلها توجد بكلمة كن. وإذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون.. فما يريد تحقيقه يحققه بتوجه الإرادة لا بالولد والمعين.. وينتهي ما يقوله عيسى - عليه السلام - ويقول له حاله بإعلان ربوبية الله له وللناس، ودعوته إلى عبادة الله الواحد بلا شريك: «وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم».. فلا يبقى بعد شهادة عيسى وشهادة قصته مجال للأوهام والأساطير.. وهذا هو المقصود بذلك التعقيب في لغة التقرير وإيقاع التقرير: وبعد هذا التقرير يعرض اختلاف الفرق والأحزاب في أمر عيسى فيبدو هذا الاختلاف مستنكراً نائياً في ظل هذه الحقيقة الناصعة:

«فاختلف الأحزاب من بينهم»..

ولقد جمع الإمبراطور الروماني قسطنطين مجمعا من الأساقفة - وهو أحد المجامع الثلاثة الشهيرة - بلغ عدد أعضائه ألفين ومئة وسبعين أسقفاً فاختلفوا في عيسى اختلافاً شديداً، وقالت كل فرقة فيه قولاً.. قال بعضهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحياء وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء. وقال بعضهم: هو أحد الأقانيم الثلاثة: الآب والابن وروح القدس. وقال بعضهم: هو ثالث ثلاثة: الله إله وهو إله وأمه إله. وقال بعضهم: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته. وقالت فرق أخرى أقوالاً أخرى. ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلاث مئة وثمانية اتفقوا على قول. فمال إليه الإمبراطور ونصر أصحابه وطرده الآخرين وشرده المعارضين وبخاصة الموحدين.

ولما كانت العقائد المنحرفة قد قررتها مجامع شهدتها جموع الاساقفة فإن السياق هنا ينذر الكافرين الذين ينحرفون عن الإيمان بوحداية الله، ينذرهم بمشهد يوم عظيم تشهده جموع أكبر، وترى ما يحل بالكافرين المنحرفين:

«فويل للكافرين من مشهد يوم عظيم. أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا، لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين. وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون».

ويل لهم من ذلك المشهد في يوم عظيم. بهذا التنكير للتفخيم والتهويل. المشهد الذي يشهده الثقلان: الإنس والجن، وتشهده الملائكة، في حضرة الجبار الذي أشرك به الكفار.

ثم يأخذ السياق في التهكم بهم ويأعرضهم عن دلائل الهدى في الدنيا. وهم في ذلك المشهد أسمع الناس وأبصر الناس!:

«اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا، لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين».

فما أعجب حالهم!.. لا يسمعون ولا يبصرون حين يكون السمع والبصر وسيلة للهدى والنجاة. وهم أسمع شيء وأبصر شيء يوم يكون السمع والبصر وسيلة للخزي ولإسماعهم ما يكرهون وتبصيرهم ما يتقون في مشهد يوم عظيم!

«وأنذرهم يوم الحسرة».. يوم تشتد الحسرات حتى لكأن اليوم ممحض للحسرة لا شيء فيه سواها، فهي الغالبة على جوه البارزة فيه. أنذرهم هذا اليوم الذي لا تنفع فيه الحسرات: «غذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون» وكأنما ذلك اليوم موصول بعدم إيمانهم، موصول بالغفلة التي هم فيها سادرون..

أنذرهم ذلك اليوم الذي لا شك فيه، فكل ما على الأرض ومن على الأرض عائد إلى الله، عودة الميراث كله إلى الوراث الوحيد!:

«إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون».

سورة المؤمنون ٥٠:٢٣

تفسير الرازي الجزء الثالث والعشرون صفحة ١٠٢

سورة المؤمنون ٥٠:٢٣ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين)

اعلم أن ابن مريم هو عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية بأن خلقه من غير ذكر وأنطقه في المهد الصغير وأجرى على يديه إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى. وأما مريم فقد جعلها آية لله تعالى لأنها حملته من غير ذكر. وقال الحسن تكلمت مريم في صعرها كما تكلم عيسى عليه السلام وهو قولها (هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) ولم تلقم ثدياً قط، قال القاضي إن ثبت ذلك فهو معجزة لذكرها عليه السلام لأنها لم تكن نبيه، قلنا القاضي إنما قال ذلك لأن عنده الإرهاص غير جائز وكرامات الأولياء غير جائزة وعندنا هما جائزان فلا حاجة إلى ما قال. والأقرب أنه جعلهما آية بنفس الولادة لأنه ولد من غير ذكر وولده من دون ذكر فاشتركا جميعاً في هذا الأمر العجيب الخارق للعادة والذي يدل على أن هذا التفسير أولى وجهان (أحدهما) أنه تعالى قال (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) لأن نفس الإعجاز ظهر فيهما لا أنه ظهر على يدهما وهذا أولى من أن يحمل على الآيات التي ظهرت على يده نحو إحياء الموتى والملك لأن الولادة فيه وفيها آية فيهما وكذلك أن نطقاً في المهد وما عدا ذلك من الآيات ظهر على يده لا أنه آية فيه (الثاني) أنه تعالى قال آية ولم يقل آيتين، وحمل هذا اللفظ على الأمر الذي لا يتم إلا بمجموعهما أولى وذلك هو أمر الولادة لا المعجزات التي كان عيسى عليه السلام مستقلاً بها.

أما قوله تعالى (وآويناها إلى ربوة ذات قرار) أي جعلنا مأواهما الربوة، والربوة والرباوة في رأيهما الحركات الثلاث وهي الأرض المرتفعة، وقال أبو هريرة رضي الله عنه إنها الرملة. وقال الكلبي وابن زيد هي بمصر. وقال الأكثرون إنها دمشق.

تفسير البيضاوي الجزء الرابع صفحة ٦٧

المؤمنون ٥٠:٢٣ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام أنه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى وقوله (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار معين) قال الضحاك عن ابن عباس : الربوة المكان المرتفع من الأرض وهو أحسن ما يكون فيه النبات، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة قال ابن عباس وقوله (ذات قرار) يقول ذات خصب (ومعين) استوى الماء فيها، وقال مجاهد وقتادة (ومعين) الماء الجاري. ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة من أي أرض هي؟

(وجعلنا ابن مريم وأمه آية) بولادتها إياه من غير مسيس فالآية أمر واحد. مضاف إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد وظهرت منه معجزات أخر وأمه آية بأن ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما إلى ربوة) أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فإن قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر (ذات قرار) مستقر من الأرض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها (ومعين) وماء معين ظاهر جار فاعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الأبعاد في الشيء أو من الماعون وهو المنفعة لأنه نفاع أو مفعول من عائه إذا أدركه يعينه لأنه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك أنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان.

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء السادس صفحة ٣١-٣٢

المؤمنون ٥٠: ٢٣ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

«ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم يهتدون. وجعلنا ابن مريم وأمه آية، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين».

وتختلف الروايات في تحديد الربوة المشار إليها في هذا النص.. أين هي؟ أكانت في مصر، أم في دمشق، أم في بيت المقدس.. وهي الأماكن التي ذهبت إليها مريم بابنها في طفولته وصباه - كما تذكر كتبهم - وليس المهم تحديد موضعهما، إنما المقصود هو الإشارة إلى إيواء الله لهما في مكان طيب، ينضرب فيه النبات، ويسيل فيه الماء، ويجدان فيه الرعاية والإيواء.

وعندما يصل إلى هذه الحلقة من سلسلة الرسائل، يتوجه بالخطاب إلى أمة الرسل، وكأنما هم متجمعون في صعيد واحد، في وقت واحد، فهذه الفوارق الزمانية والمكانية لا اعتبار لها أمام وحدة الحقيقة التي تربط بينهم جميعاً:

«يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً. إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون».

إنه نداء للرسل ليمارسوا طبيعتهم البشرية التي ينكرها عليهم الغافلون: «كلوا من الطيبات».. فالأكل من مقتضيات البشرية عامة، أما الأكل من الطيبات خاصة فهو الذي يرفع هذه البشرية ويزكيها ويصلها بالملاء الأعلى.

ونداء لهم ليصلحوا في هذه الأرض: «واعملوا صالحاً».. فالعمل هو من مقتضيات البشرية كذلك. أما العمل الصالح فهو الذي يميز الصالحين المختارين، فيجعل لعملهم ضابطاً وهدفاً، وغاية موصولة بالملاء الأعلى.

وليس المطلوب من الرسول أن يتجرد من بشريته. إنما المطلوب أن يرتقي بهذه البشرية فيه إلى أفقها الكريم الوضيء، الذي أراده الله لها، وجعل الأنبياء رواداً لهذا الأفق ومثلاً أعلى. والله هو الذي يقدر عملهم بعد ذلك بميزانه الدقيق: «إني بما تعملون عليم».

وتتلاشى آماد الزمان، وأبعاد المكان، أمام وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسل. ووحدة الطبيعة التي تميزهم. ووحدة الخالق الذي أرسلهم. ووحدة الاتجاه الذي يتجهونه أجمعين: «وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون».

سورة التحريم ١٢:٦٦

تفسير ابن كثير - الجزء الرابع - صفحة ٣٩٣-٣٩٤

وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ.

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنه لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه. وقال ابن جرير: ثنا إسماعيل بن حفص الإيلي ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكان ترى بيتها في الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربي عن أسباط بن محمد عن سليمان التيمي به. ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي ثنا القاسم بن أبي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال غلب موسى وهارون، فتقول آمنت برب موسى وهارون. فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن مضت على قولها فالقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي. فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح. فقولها (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) قالت العلماء اختارت الجار قبل الدار، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع (ونجني من فرعون وعمله) أي خلصني منه فإنني أبرأ إليك من عمله (ونجني من القوم الظالمين). وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها. وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوق المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير أبي؟ قالت ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله. فلطمتها بنت فرعون وضربت بها وأخبرت

أباها، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين رباً غيري؟ قالت نعم ربي وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد. فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت كذلك. فأتى عليها يوماً فقال لها: ما أنت منتهية؟ فقالت له: ربي وربك ورب كل شيء الله. فقال لها: إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها في فيها، وإن روح ابنها بشرها فقال لها ابشري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك، فقالت له مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر في فيها» فبشرها روحه أيضاً وقال لها اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا. قال وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر، فأمنت امرأة فرعون. وقبض الله روح امرأى خازن فرعون وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لا مرة فرعون، حتى رأت فازدادت إيماناً و يقيناً وتصديقاً. فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأتوا عليها. فقال لهم إنها تعبد غيري، فقالوا له: اقتلها. فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك. فقبض الله روحها في الجنة رضي الله عنها. وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) أي حفظته وصانته، والإحصان: هو العفاف والحرية (فنفخنا فيه من روحنا) أي بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعبسى عليه السلام ولهذا قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي بقدره وشرعه (وكانت من القانتين) قال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط وقال «أتدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة الهمداني عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

توضيحات من التوراة و الإنجيل

عن مريم أخت هرون وموسى وعن مريم العذراء وولادة يسوع منها.

أولاً: مريم أخت هارون وموسى

مريم نجت أخاها موسى من النيل

خروج ٢: ١-١٠ وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لَآوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لَآوِي، ٢ فَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتْ أَبْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. ٣ وَلَمَّا لَمْ يُمَكِّنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفْطًا مِنَ الْبُرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمْرِ وَالزَّرْفِ، وَوَضَعَتْ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. ٤ وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لَتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. ٥ فَفَزَعَتْ أَبْنَتُهُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لَتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتْ أَلْسَفُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ. ٦ وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتْ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هَذَا مِنْ أَوْلَادِ الْعِبْرَانِيِّينَ». ٧ فَقَالَتْ أُخْتُهُ لِأَبْنَتِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكَ أَمْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتَرْضِعَ لَكَ الْوَلَدَ؟» ٨ فَقَالَتْ لَهَا أَبْنَتُ فِرْعَوْنَ: «أَذْهَبِي». فَذَهَبَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَّ الْوَلَدِ. ٩ فَقَالَتْ لَهَا أَبْنَتُ فِرْعَوْنَ: «أَذْهَبِي بِهِذَا الْوَلَدَ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكَ». فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ. ١٠ وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى أَبْنَتِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا أَبْنًا، وَدَعَتْ أَسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي أَنْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ».

نشيد مريم بعد غرق جيش فرعون في البحر

خروج ١٥: ٢٠-٢١ فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ أَلْدَفَ بِيَدِهَا، وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَاءَهَا بِدُفُوفٍ وَرَقَصٍ. ٢١ وَأَجَابَتْهُنَّ مَرْيَمُ: «رَنُّوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ! الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ!».

ثورة مريم وقصاص الله عليها

عدد ١٢: ١-١٥ وَتَكَلَّمَتْ مَرْيَمُ وَهَارُونُ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْكُوشِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا (لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ اتَّخَذَ أَمْرَأَةً كُوشِيَّةً) ٢ فَقَالَا: «هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يُكَلِّمْنَا

نَحْنُ أَيْضًا؟» فَسَمِعَ الرَّبُّ. ٣ وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. ٤ فَقَالَ الرَّبُّ خَالًا لِمُوسَى وَهَارُونَ وَمَرْيَمَ: «أَخْرِجُوا أَنْتُمْ الثَّلَاثَةُ إِلَى خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ». فَخَرَجُوا هُمُ الثَّلَاثَةُ. ٥ فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي عَمُودٍ سَحَابٍ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْخِيَمَةِ، وَدَعَا هَارُونَ وَمَرْيَمَ فَخَرَجَا كِلَاهُمَا. ٦ فَقَالَ: «اسْمَعَا كَلَامِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَبِالْزُّوْيَا أَسْتَعْلِنُ لَهُ. فِي الْحُلُمِ أَكَلَّمُهُ. ٧ وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هَكَذَا، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. ٨ فَمَا إِلَى فَمٍ وَعَيْنَانَا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ، لَا بِاللُّغَاظِ. وَشَبَهَ الرَّبُّ يُعَايِنُ. فَلِمَذَا لَا تَخْشِيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟». ٩ فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمَا وَمَضَى. ١٠ فَلَمَّا أَرْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْخِيَمَةِ إِذَا مَرْيَمُ بَرَصَاءُ كَالثَّلَجِ. فَالْتَفَتَ هَارُونُ إِلَى مَرْيَمَ وَإِذَا هِيَ بَرَصَاءُ. ١١ فَقَالَ هَارُونُ لِمُوسَى: «أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي، لَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا الْخَطِيئَةَ الَّتِي حَمَقْنَا وَأَخْطَأْنَا بِهَا. ١٢ فَلَا تَكُنْ كَأَمَلِيَّتِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ قَدْ أَكَلَ نِصْفَ لَحْمِهِ». ١٣ فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ: «اللَّهُمَّ أَشْفِهَا». ١٤ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «وَلَوْ بَصَقَ أَبُوهَا بَصَقًا فِي وَجْهِهَا، أَمَا كَانَتْ تَخْجَلُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ؟ تُحْجِزُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ خَارِجَ أَلْحَلَّةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُرْجَعُ». ١٥ فَحُجِزَتْ مَرْيَمُ خَارِجَ أَلْحَلَّةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّعْبُ حَتَّى أُرْجِعَتْ مَرْيَمَ.

موت مريم في قادش

وَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا، إِلَى بَرِّيَّةِ صِينَ فِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ. وَأَقَامَ الشَّعْبُ فِي قَادِشَ. وَمَاتَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ وَدُفِنَتْ هُنَاكَ.

ذكر مريم في التاريخ

تشية ٩: ٢٤ أذْكُرْ مَا صَنَعَ الرَّبُّ إِلَهُكَ بِمَرْيَمَ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ.

مicha ٣: ٦-٣ يا شَعْبِي، مَاذَا صَنَعْتُ بِكَ وَبِمَاذَا أَضَجَرْتُكَ؟ أَشْهَدُ عَلَيْ! ٤ إِنِّي أَضَعْدُثُكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَفَكَكْتُكَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، وَأَرْسَلْتُ أَمَامَكَ مُوسَى وَهَارُونَ وَمَرْيَمَ.

ثانياً: مريم أم المسيح

وعود الملاك ليوسف عن مريم العذراء وولادة يسوع

متى ١٨: ٢٥-١: أمّا ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: لما كانت مريم أمّه مخطوبة ليوسف، قبل أن يجتمعا، وجدت حبلً من الروح القدس. ١٩ فيوسف رجلها إذ كان باراً، ولم يشأ أن يشهرها، أراد تخليتها سراً. ٢٠ ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً: «يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. ٢١ فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.

وعود الملاك لها

لوقا ٢٦: ٥٦-١ وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، ٢٧ إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم. ٢٨ فدخل إليها الملاك وقال: «سلام لك أيتها النعم عليها! الرب معك. مبارك أنت في النساء». ٢٩ فلما رآته اضطربت من كلامه، وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية! ٣٠ فقال لها الملاك: «لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدت نعمة عند الله. ٣١ وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. ٣٢ لهذا يكون عظيمًا، وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ٣٣ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون ملكه نهاية». ٣٤ فقالت مريم للملاك: «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟» ٣٥ فأجاب الملاك: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله. ٣٦ وهوذا أليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلت بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، ٣٧ لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله». ٣٨ فقالت مريم: «هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك». فمضى من عندها الملاك.

٣٩ فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا، ٤٠ ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات. ٤١ فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض

الْجَنِينَ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلَأَتْ أَلْيَصَابَاتٍ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، ٤٢ وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ! ٤٣ فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ ٤٤ فَهُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلَامٍ لِي أُذُنِي أَرْتَكُضَ الْجَنِينَ بِأَيْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. ٤٥ فَطُوبَى لِي لِي آمَنْتُ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ». ٤٦ فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «تُعْظِمُ نَفْسِي الرَّبَّ، ٤٧ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِإِلَهِ مُخَلِّصِي، ٤٨ لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ اتَّضَاعَ أَمْتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي، ٤٩ لِأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ، وَأَسْمُهُ قُدُّوسٌ، ٥٠ وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلٍ الْأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. ٥١ صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. ٥٢ أَنْزَلَ الْأَعْزَاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَضْعِعِينَ. ٥٣ أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الْأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. ٥٤ عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكُرَ رَحْمَةً، ٥٥ كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا. لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الْأَبَدِ». ٥٦ فَمَكَثَتْ مَرْيَمُ عِنْدَهَا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا.

ولادة المسيح منها

وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أَوْغُسْطُسَ قَيْصَرٍ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. ٢ وَهَذَا الْاِكْتِتَابُ الْأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينْيُوسُ وَالْيَ سُوْرِيَّةَ. ٣ فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. ٤ فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، ٥ لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمُخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. ٦ وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. ٧ فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ وَقَمَطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمَذُودِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ. ٨ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، ٩ وَإِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً. ١٠ فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَاكُ: «لَا تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أَبْشِرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لَجَمِيعِ الشَّعْبِ: ١١ أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. ١٢ وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مَقْمَطاً مُضْجِعاً فِي مِذْوَدٍ». ١٣ وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلَاكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: ١٤ «الْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ». ١٥ وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لِنَذْهَبِ الْآنَ إِلَى بَيْتِ

لَحْمٍ وَنَنْظُرُ هَذَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِهِ الرَّبُّ». ١٦ فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ
وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِدْوَدِ. ١٧ فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلَامِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ
هَذَا الصَّبِيِّ. ١٨ وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ. ١٩ وَأَمَّا مَرْيَمُ
فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلَامِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا. ٢٠ ثُمَّ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ
آلَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ. ٢١ وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ
لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ.

زكريا (من أجداد المسيح)

يرد هذا الاسم ٧ مرات

آل عمران ٣: ٣٧-١ ٤ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْحَرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٩ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ٤٠ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ٤١ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَآذُكُزْ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ.

الأنعام ٦: ٨٤-٨٦ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ٨٥ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٧ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

مريم ١٩: ٢ - ١١ ذَكَرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٣ إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٥ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٦ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٧ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٨ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ

أَمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٩ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ
وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ١٠ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١١ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ
أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا.

الأنبياء ٨٩: ٢١ و ٩٠ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٩٠
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ.

سورة آل عمران ٣: ٣٧-٤١

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٥٩-٣٦٠

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْحَرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة وأنه أنبت لها نباتاً حسناً أي جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلماذا قال (وكفلها زكريا) جعله كافلاً لها. قال ابن إسحق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة وذكر غيره أن بني إسرائيل أصابتهم سنة جذب فكفل زكريا مريم لذلك ولا منافاة بين القولين والله أعلم. وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً، ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحق وابن جرير وغيرهما، وقيل زوج أختها كما ورد في الصحيح «فإذا ييحيى وعيسى وهما ابنا الخالة» وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحق ذلك أيضاً توسعاً فعلى هذا كانت في حضانة خالتها: وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في عمارة بنت حمزة أن تكون في حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب وقال: «الخالة بمنزلة الأم» ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلالته في محل عبادتها فقال (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وعن مجاهد (وجد عندها رزقاً) أي علماً، أو قال صحفها علم، رواه ابن أبي حاتم والأول أصح وفي دلالة على كرامات الأولياء. وفي السنة لهذا نظائر كثيرة، فإذا رأى زكريا هذا عندها (قال يا مريم أنى لك هذا) أي يقول من أين لك هذا؟ (قالت هو من عند الله والله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سهل بن زنجلة حدثنا عبد الله ابن صالح حدثنا عبد الله بن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياماً لم يطعم طعاماً

حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً فأتى فاطمة فقال «يا بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع؟» قالت: لا والله - بأبي أنت وأمي - فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعت في جفنة لها وقالت. والله لأوثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة طعام فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليها فقالت: بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك قال «هلمي يا بنية» قالت فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على بنيه وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه حمد الله وقال «من أين لك هذا يا بنية؟» قالت. يا أبت (هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فحمد الله وقال «الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسئلت عنه قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فبعث رسول الله ﷺ إلى علي ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي ﷺ وأهل بيته حتى شبعوا جميعاً قالت: وبقيت الجفنة كما هي قالت. فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً.

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٦١-٣٦٢

٣٨ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ

ولما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء طمع حينئذ في الولد وإن كان شيخاً كبيراً قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيباً وكانت امراته مع ذلك كبيرة وعاقراً، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفياً وقال (رب هب لي من لدنك) أي من عندك (ذرية طيبة) أي ولداً صالحاً (إنك سميع الدعاء). قال الله تعالى (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) أي خاطبته الملائكة شفاهاً خطاباً أسمعته وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته. ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة (أن الله يبشرك بيحيى) أي بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى. قال قتادة وغيره: إنما سمي يحيى لأن الله أحياه بالإيمان. وقوله (مصدقاً بكلمة من الله) روى العوفي وغيره عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وأبو

الشعثاء والسدي والربيع بن أنس والضحاك وغيره في هذه الآية (مصدقاً بكلمة من الله) أي بعيسى بن مريم. وقال الربيع بن أنس: هو أول من صدق بعيسى بن مريم. وقال قتادة: وعلى سنته ومنهجه. وقال ابن جريج. قال ابن عباس في قوله مصدقاً بكلمة من الله قال: كان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم: «إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك». فذلك تصديقه له في بطن أمه وهو أول من صدق عيسى وكلمة الله عيسى، وهو أكبر من عيسى عليه السلام وهكذا قال السدي أيضاً.

وقوله (وسيداً) قال أبو العالية والربيع بن أنس وقاتادة وسعيد بن جبير وغيرهم: الحلیم، وقال قتادة، سيداً في العلم والعبادة. وقال ابن عباس والثوري والضحاك السيد الحلیم التقي: قال سعيد بن المسيب: هو الفقيه العالم، وقال عطية: السيد في خلقه ودينه، وقال عكرمة: هو الذي لا يغلبه الغضب وقال ابن زيد: هو الشريف، وقال مجاهد وغيره هو الكريم على الله عز وجل.

وقوله (وحصوراً) روى عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء وعطية العوفي أنهم قالوا: الذي لا يأتي النساء. وعن أبي العالية والربيع بن أنس: هو الذي لا يولد له ولا ماء له. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس في الصحور: الذي لا ينزل الماء، وقد روى ابن أبي حاتم في هذا حديثاً غيراً جداً فقال: حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي حدثني سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام عن يحيى بن سعيد عن المسيب عن ابن المعاص - لا يدري عبد الله أو عمرو - عن النبي ﷺ في قوله (وسيداً وحصوراً) قال: ثم تناول شيئاً من الأرض فقال «كان ذكره مثل هذا».

وقد قال القاضي عياض في كتابه الشفاء: اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان (حصوراً) ليس كما قاله بعضهم أنه كان هيوباً أو لا ذكر له، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين، ونقاد العلماء وقالوا: هذا نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور عنها، وقيل: مانعاً نفسه من الشهوات، وقيل ليست له شهوة في النساء وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه: درجة عليا وهي

درجة نبينا ﷺ الذي لم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة بتحسينهن وقيامه عليهم وإكسابه لهن وهدايته إياهن بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال: «حب إلي من دنياكم» هذا لفظه. والمقصود أنه مدح ليحيى بأنه حضور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم من الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: (هب لي من لدنك ذرية طيبة) كأنه قال ولداً له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله (ونبياً من الصالحين) هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته وهي أعلى من الأولى كقوله لأم موسى (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فلما تحقق زكريا عليه السلام هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر (قال رب إنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر) قال أي الملك (كذلك الله يفعل ما يشاء) أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ولا يتعاضمه أمر (قال رب اجعل آية) أي علامة أستدل بها على وجود الولد مني (قال آيتك ألا تكلم ثلاثة أيام إلا رمزاً) أي إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوى صحيح كما في قوله (ثلاث ليال سويًا) ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح في هذه الحال فقال تعالى (واذكر ربك كثيراً وسبح بالعضي والإبكار).

تفسير الرازي الجزء الثامن صفحة ٣٥-٤١

٣٩ فَنادته الْمَلَكَةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ
مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ

قوله (أن الله يشرك بيحيى) ففيه مسائل:

(المسألة الأولى) أما البشارة فقد فسرناها في قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وفي قوله (يشرك بيحيى) وجهان (الأول) أنه تعالى كان قد عرف زكريا أنه سيكون في الأنبياء رجل اسمه يحيى وله ذرية عالية، فإذا قيل: إن ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان ذلك بشارة له بيحيى عليه السلام (والثاني) أن الله يشرك بولد اسمه يحيى.

(المسألة الثانية) في المراد بكلمة (من الله) قولان (الأول) وهو قول أبي عبيدة: إنها كتاب من الله، واستشهد بقولهم: أنشد فلان كلمة، والمراد به القصيدة الطويلة.

(والقول الثاني) وهو اختيار الجمهور: أن المراد من قوله (بكلمة من الله) هو عيسى عليه السلام، قال السدي: لقيت أم عيسى أم يحيى عليهما السلام، وهذه حامل يحيى وتلك بعيسى، فقالت: يا مريم أشعرب أني حبلى؟ فقالت مريم: وأنا أيضاً حبلى، قالت امرأة زكريا فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله (مصدقاً بكلمة من الله) وقال ابن عباس: إن يحيى كان أكبر سنّاً من عيسى بستة أشهر، وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله وروحه، ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام، فإن قيل: لم سمي عيسى كلمة في هذه الآية، وفي قوله (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) قلنا: فيه وجوه (الأول) أنه خلق بكلمة الله، وهو قوله (كن) من غير واسطة الأب. فلما كان تكوينه بمحض قول الله (كن) وبمحض تكوينه وتخليقه من غير واسطة الأب والبذر، لا جرم سمي: كلمة، كما يسمى المخلوق مخلوقاً، والمقدور قدرة، والمرجو رجاء، والمشتهى شهوة، وهذا باب مشهور في اللغة (والثاني) أنه تكلم في الطفولية. وآتاه الله الكتاب في زمان الطفولية، فكان في كونه متكلماً بالغاً مبلغاً عظيماً. فسمي كلمة بهذا التأويل وهو مثل ما يقال: فلان جود وإقبال إذا كان كاملاً فيهما (والثالث) أن الكلمة كما أنها تفيد المعاني والحقائق. كذلك عيسى كان يرشد إلى الحقائق والأسرار الإلهية، فسمي: كلمة، بهذا التأويل وهو مثل تسميته روحاً من حيث إن الله تعالى أحيا به من الضلالة كما يحيا الإنسان بالروح، وقد سمي الله القرآن روحاً، فقال (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) (الرابع) أنه قد وردت البشارة به في كتب الأنبياء الذين كانوا قبله، فلما جاء قيل: هذا هو تلك الكلمة، فسمي كلمة بهذا التأويل قالوا: ووجه المجاز فيه أن من أخبر عن حدوث أمر فإذا حدث ذلك الأمر قال: قد جاء قولي وجاء كلامي، أي ما كنت أقول وأتكلم به، ونظيره قوله تعالى (وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) وقال (ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين) (الخامس) أن الإنسان قد يسمى بفضل الله ولطف الله فكذا عيسى عليه السلام كان اسمه العلم: كلمة الله، وروح الله، وأعلم أن كلمة الله هي كلامه، وكلامه على قول أهل السنة صفة قديمة قائمة بذاته، وعلى قول المعتزلة أصوات يخلقها الله تعالى في جسم مخصوص دالة بالوضع على معان مخصوصة، والعلم الضروري حاصل بأن الصفة القديمة أو الأصوات التي هي أعراض غير باقية يستحيل أن يقال: أنها هي ذات عيسى عليه السلام، ولما كان ذلك باطلاً في بداهة العقول لم يبق إلا التأويل.

(المسألة الثانية) ليحيى عليه السلام قوله (وسيداً) والمفسرون ذكروا فيه وجوهاً (الأول) قال ابن عباس: السيد الحليم. وقال الحبائي: إنه كان سيداً للمؤمنين، رئيساً لهم في الدين، أعني في العلم والحلم والعبادة والورع. وقال مجاهد: الكريم على الله، وقال ابن المسيب: الفقيه العالم. وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب، قال القاضي: السيد هو المتقدم المرجوع إليه، فلما كان سيداً في الدين كان مرجوعاً إليه في الدين وقدوة في الدين، فدخل فيه جميع الصفات المذكورة من العلم والحلم والكرم والعفة والزهد والورع.

(الصفة الثالثة) قوله (وحصوراً) وفيه مسألتان:

(المسألة الأولى) في تفسير الحصور والحصر في اللغة الحبس. يقال حصر، ويحصره حصراً وحصر الرجل. أي اعتقل بطنه. والحصور الذي يكتم السر ويحبسه، والحصور الضيق البخل، وأما المفسرون: فلهم قولان (أحدهما) أنه كان عاجزاً عن إتيان النساء، ثم منهم من قال كان ذلك لصغر الآلة، ومنهم من قال: كان ذلك لتعذر الإنزال، ومنهم من قال: كان ذلك لعدم القدرة، فعلى هذا الحصور فعول بمعنى مفعول، كأنه قال محصور عنهن، أي محبوس، ومصله ركوب بمعنى مركوب وحلوب بمعنى محلوب. وهذا القول عندنا فاسد لأن هذا من صفات النقصان وذكر صفة النقصان في معرض المدح لا يجوز، ولأن على هذا التقدير لا يستحق به ثواباً ولا تعظيماً.

(والقول الثاني) وهو اختيار المحققين أنه الذي لا يأتي النساء لا للعجز بل للعفة والزهد. وذلك لأن الحصور هو الذي يكثر منه حصر النفس ومنعها كالأكل الذي يكثر منه الأكل وكذا الشروب. والظلم، والغشوم. والمنع إنما يحصل أن لو كان المقتضي قائماً، فلولا أن القدرة والداعية كانت موجودتين، وإلا لما كان حاصراً لنفسه فضلاً عن أن يكون حصوراً، لأن الحاجة إلى تكثير الحصر والدفع إنما تحصل عند قوة الرغبة والداعية والقدرة، وعلى هذا الحصور بمعنى الحاصر فعول بمعنى فاعل.

(المسألة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على أن ترك النكاح أفضل وذلك لأنه تعالى مدحه بترك النكاح، وذلك يدل على أن ترك النكاح أفضل في تلك الشريعة، وغذا ثبت أن الترك في تلك الشريعة أفضل. وجب أن يكون الأمر كذلك في هذه الشريعة بالنص والمعقول. أما النص فقوله تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وأما المعقول فهو أن الأصل في الثابت بقاؤه على ما كان والنسخ على خلاف الأصل.

(الصفة الرابعة) قوله (ونبياً) واعلم أن السيادة إشارة إلى أمرين (أحدهما) قدرته على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع إلى تعليم الدين (والثاني) ضبط مصالحهم فيهما يرجع إلى التأديب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأما الحضور فهو غشارة إلى الزهد التام فلما اجتماعا حصلت النبوة بعد ذلك، لأنه ليس بعدهما إلا النبوة.

(الصفة الخامسة) قوله (من الصالحين) وفيه ثلاثة أوجه (الأول) معناه أنه من أولاد الصالحين (والثاني) أنه خير كما يقال في الرجل الخير (إن من الصالحين) (والثالث) أن صلاحه كان أتم من صلاح سائر الأنبياء. بدليل قوله عليه الصلاة والسلام «ما من نبي إلى وقد عصى أو هم بمعصية غير يحيى فإنه لم يعص ولم يهيم».

فإن قيل: لما كان منصب النبوة أعلى من منصب الصلاح فلما وصفه بالنبوة فما الفائدة في وصفه بعد ذلك بالصلاح؟

قلنا: أليس أن سليمان عليه السلام بعد حصول النبوة قال (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) وتحقيق القول فيه: أن للأنبياء قدراً من الصلاح لو انتقص لانتفت النبوة، فذلك القدر بالنسبة إليهم يجري مجرى حفظ الواجبات بالنسبة إلينا، ثم بعد اشتراكهم في ذلك القدر تتفاوت درجاتهم في الزيادة على ذلك القدر، وكل من كان أكثر نصيباً منه كان أعلى قدراً والله أعلم.

قوله تعالى (قال رب أنى يكون لي غلام) لم يكن هذا الكلام لأجل أنه كان شاكاً في قدرة الله تعالى على ذلك والدليل عليه وجهان (الأول) أن كل أحد يعلم أن خلق الولد من النطفة إنما كان على سبيل العادة لأنه لو كان لا نطفة إلا من خلق، ولا خلق إلا من نطفة. لزم التسلسل ولزم حدوث الحوادث في الأزل وهو محال، فعلمنا أنه لا بد من الانتهاء إلى مخلوق خلقه الله تعالى لا من نطفة أو من نطفة خلقها الله تعالى لا من إنسان.

(والوجه الثاني) أن زكريا عليه السلام طلب ذلك من الله تعالى، فلو كان ذلك محالاً ممتنعاً لما طلبه من الله تعالى، فثبت بهذين الوجهين أن قوله (أنى يكون لي غلام) ليس للاستبعاد، بل ذكر العلماء فيه وجوهاً (الأول) أن قوله (أنى) معناه: من أين. ويحتمل أن يكون معناه: كيف تعطي ولداً على القسم الأول أم على القسم الثاني. وذلك لأن حدوث الولد يحتمل وجهين (أحدهما) أن يعيد الله شبابه ثم يعطيه الولد مع شخيوخته. فقوله (أنى يكون لي غلام) معناه: كيف تعطي الولد على القسم الأول أم على القسم الثاني؟ فقل له

كذلك. أي على هذا الحال والله يفعل ما يشاء. وهذا القول ذكره الحسن والأصم (والثاني) أن من كان آيساً من الشيء مستبعداً لحصوله ووقوعه إذا اتفق أن حصل له ذلك المقصود فربما صار كالمدهوش من شدة الفرح فيقول: كيف حصل هذا. ومن أين وقع هذا كمن يرى إنساناً وهبه أموالاً عظيمة، يقول كيف وهبت هذه الأموال، ومن أين سمحت نفسك بهبتها؟ فكذا ههنا لما كان زكريا عليه السلام مستبعداً لذلك، ثم اتفق إجابة الله تعالى إليه، صار من عظم فرحه وسروره قال ذلك الكلام (الثالث) أن الملائكة لما بشروه بيحيى لم يعلم أنه يرزق الولد من جهة أنثى أو من صلبه، فذكر هذا الكلام لذلك الاحتمال (الرابع) أن العبد إذا كان في غاية الاشتياق إلى شيء فطلبه من السيد، ثم أن السيد يعده بأنه سيعطيه بعد ذلك. فالتذ السائل بسماع ذلك الكلام، فربما أعاد السؤال ليعيد ذلك الجواب فحينئذ يلتذ بسماع تلك الإجابة مرة أخرى. فالسبب في إعادة زكريا هذا الكلام يحتمل أن يكون من هذا الباب (الخامس) نقل سفيان بن عيينة أنه قال: كان دعاؤه قبل البشارة بستين سنة حتى كان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة زمان الشيخوخة لا جرم استبعد ذلك على مجرى العادة، لا شكاً في قدرة الله تعالى فقال ما قال. (السادس) نقل عن السدي أن زكريا عليه السلام جاءه الشيطان عند سماع البشارة فقال إن هذا الصوت من الشيطان، وقد سخر منك فاشتبه الأمر على زكريا عليه السلام فقال (رب أنى يكون لي غلام) وكان مقصوده من هذا الكلام أن يريه الله تعالى آية تدل على أن ذلك الكلام من الوحي والملائكة لا من إلقاء الشيطان قال القاضي: لا يجوز أن يشتبه كلام الملائكة بكلام الشيطان عند الوحي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق عن كل الشرائع ويمكن أن يقال: لما قامت المعجزات على صدق الوحي في كل ما يتعلق بالدين لا جرم حصل الوثوق هناك بأن الوحي من الله تعالى بواسطة الملائكة ولا مدخل للشيطان فيه، أما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فربما لم يتأكد ذلك المعجز فلا جرم نقى احتمال كون ذلك من الشيطان فلا جرم رجع إلى الله تعالى في أن يزيل عن خاطره ذلك الاحتمال.

أما قوله تعالى (وقد بلغني الكبر)

فالكبر مصدر كبر الرجل يكبر إذا أسن، قال ابن عباس: كان يوم بشر بالولد ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت تسعين وثمان.

أما قوله (وامرأتي عاقر).

اعلم أن العاقر من النساء التي لا تلد، يقال: يعقر عقراً، ويقال أيضاً عقر الرجل، وعقر بالحركات الثلاث في القاف إذا لم يحمل له، ورمل عاقر: لا ينبت شيئاً، واعلم أن زكريا عليه السلام ذكر كبر نفسه مع كون زوجته عاقراً لتأكيد حال الاستبعاد.

أما قوله (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) ففيه بحثان (الأول) أن قوله (قال) عائد إلى مذكور. سابق وهو الرب المذكور في وقته. (قال رب أنى يكون لي غلام) وقد ذكرنا أن ذلك يحتمل أن يكون هو الله تعالى، وأن يكون هو جبريل.

١٤ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ.

واعلم أن زكريا عليه السلام لفرط سروره بما بشر به وثقته بكرم ربه، وإنعامه عليه أحب أن يجعل له علامة تدل على حصول العلوق، وذلك لان العلوق لا يظهر في أول الأمر فقال (رب اجعل لي آية) فقال الله تعالى (آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً) وفيه مسائل:

ذكر ههنا ثلاثة أيام، وذكر في سورة مريم ثلاثة ليالي فدل مجموع الآيتين على أن تلك الآية كانت حاصلة في الأيام الثلاثة مع لياليها.

(المسألة الثانية) ذكروا في تفسير هذه الآية وجوهاً (أحدها) أنه تعالى حبس لسانه ثلاثة أيام فلم يقدر أن يكلم الناس إلا رمزاً، وفيه فائدتان (إحدهما) أن يكون ذلك آية على علوق الولد (والثانية) أنه تعال حبس لسانه عن أمور الدنيا، وأقدره على الذكر والتسبيح والتهليل ليكون في تلك المدة متشغلاً بذكر الله تعالى، وبالطاعة والشكر على تلك النعمة الجسيمة وعلى هذا التقدير يصير الشيء الواحد علامة على المقصود، وأداء لشكر تلك النعمة، فيكون جامعاً لكل المقاصد.

أما قوله (إلا رمزاً) ففيه مسألتان:

(المسألة الأولى) أصل الرمز الحركة، يقال: ارتمز إذا تحرك، ومنه قيل للبحر: الراموز، ثم اختلفوا في المراد بالرمز ههنا على أقوال (أحدها) أنه عبارة عن الإشارة كيف كانت باليد، أو الراس. أو الحاجب، أو العين، أو الشفة (والثاني) أنه عبارة عن تحريك الشفتين باللفظ من غير نطق وصوت.

ثم قال الله تعالى (واذكر ربك كثيراً) وفيه قولان (أحدهما) أنه تعالى حبس لسانه عن

أمور الدنيا (إلا رمزاً) فأما في الذكر والتسبيح، فقد كان لسانه جيداً. وكان ذلك من المعجزات الباهرة (والثاني) إن المراد منه الذكر بالقلب وذلك لأن المستغرقين في بحار معرفة الله تعالى عادتهم في الأول أن يواظبوا على الذكر اللساني مدة فإذا امتلأ القلب من نور ذكر الله سكت اللسان وبقي الذكر في القلب، ولذلك قالوا: من عرف الله كل لسانه. فكأن زكريا عليه السلام أمر بالسكوت واستحضار معاني الذكر والمعرفة واستدامتها.

سورة الأنعام ٨٥-٨٧

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٢٦١

٨٥ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ

يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضاً لمثل الذي هدينا له نوحاً من الهدى والرشاد من ضريته زكريا بن أزن ابنبركيا، ويحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حرقيا، وإلياس.

واختلفوا في إلياس، فكان ابن إسحاق يقول: هو إلياس بن يسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون ابن عمران ابن أخي موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم. وكان غيره يقول: هو إدريس، ومن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن عبيدة بن ربيعة. عن عبد الله بن مسعود، قال: إدريس: هو إلياس، وإسرائيل هو يعقوب. وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون: إدريس جد نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ، وأخنوخ: هو إدريس بنيرد بن مهلائيل. وكذلك روى عن وهب بن منبه.

والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب، وذلك أن الله تعالى نسب إلياس في هذه الآية إلى نوح وجعله من ذريته، ونوح، ابن إدريس عند أهل العلم، فمحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته.

وقوله (كل من الصالحين) يقول: من ذكرناه من هؤلاء الذين سمينا من الصالحين، يعني: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس صلى الله عليهم.

تفسير الرازي الجزء الثالث عشر صفحة ٦٣-٦٦

٨٥ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ

وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٧ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ

وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وسليمان وإيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل وأليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون.

في الآية مسائل:

(المسألة الأولى) اعلم أنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه أظهر حجة الله تعالى في التوحيد ونصرها وذب عنها عدد وجوه نعمه وإحسانه عليه. فأولها: قوله (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم) والمراد إنا نحن آتيناه تلك الحجة وهديناه إليها وأوقفنا عقله على حقيقتها. وذكر نفسه باللفظ الدال على العظمة وهو كناية الجمع على وفق ما يقوله عظماء الملوك. فعلنا، وقلنا، وذكرنا. ولما ذكر نفسه تعالى ههنا باللفظ الدال على العظمة وجب أن تكون تلك العظمة عظمة كاملة رفيعة شريفة، وذلك يدل على أن إتياء الله تعالى إبراهيم عليه السلام تلك الحجة من أشرف النعم، ومن أجل مراتب العطايا والمواهب. وثانيها: أنه تعالى خصه بالرفعة والاتصال إلى الدرجات العالية الرفيعة. وهي قوله (نرفع درجات من نشاء) وثالثها: أنه جعله عزيزاً في الدنيا، وذلك لأنه تعالى جعل أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل من نسله، ومن ذريته وأبقى هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة، لأن من أعظم أنواع السرور علم المرء بأنه يكون من عقبه الأنبياء والملوك، والمقصود من هذه الآيات تعديد أنواع نعم الله على إبراهيم عليه السلام جزاء على قيامه بالذب عن دلائل التوحيد، فقال (ووهبنا له إسحق) مع إسحق، بل أخر ذكره عنه بدرجات؟ قلنا: لأن المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد إسحق ويعقوب. وأما إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في هذا المقام، لأنه تعالى أمر محمداً عليه الصلاة والسلام أن يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بأن إبراهيم لما ترك الشرك واصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدين والدنيا، ومن النعم العظيمة في الدنيا أن آتاه الله أولاداً كانوا أنبياء وملوكاً، فإذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد عليه الصلاة والسلام امتنع أن يذكر نفسه في هذا المعرض، فلهذا السبب لم يذكر إسماعيل مع إسحق.

وأما قوله (ونوحاً هدينا من قبل) فالمراد أنه سبحانه جعل إبراهيم في أشرف الأنساب.

وذلك لأنه رزقه أولاداً مثل إسحق، ويعقوب. وجعل أنبياء بني إسرائيل من نسلهما، وأخرجه من أصلاب آباء طاهرين مثل نوح. وإدريس، وشيث. فالمقصود بيان كرامة إبراهيم عليه السلام بحسب الأولاد وبحسب الآباء.

أما قوله (ومن ذريته داود وسليمان) فقليل المراد ومن ذرية نوح، ويدل عليه وجوه الأول: أن نوحاً أقرب المذكورين وعود الضمير إلى الأقرب واجب. الثاني: أنه تعالى ذكر في جملته لوطاً وهو كان ابن أخ إبراهيم وما كان من ذريته، بل كان من ذرية نوح عليه السلام، وكان رسولاً في زمان إبراهيم. الثالث: أن ولد الإنسان لا يقال أنه ذريته، فعلى هذا إسماعيل عليه السلام ما كان من ذرية إبراهيم، بل هو من ذرية نوح عليه السلام. الرابع: قيل أن يونس عليه السلام ما كان من ذرية إبراهيم عليه السلام، وكان من ذرية نوح عليه السلام.

(والقول الثاني) أن الضمير عائد إلى إبراهيم عليه السلام، والتقدير: ومن ذرية إبراهيم داود وسليمان. واحتج القائلون بهذا القول: بأن إبراهيم هو المقصود بالذكر في هذه الآيات وإنما ذكر الله تعالى نوحاً لأن كون إبراهيم عليه السلام من أولاده أحد موجبات رفعة إبراهيم. واعلم أنه تعالى ذكر أولاً أربعة من الأنبياء، وهم: نوح، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب. ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر من الأنبياء: داود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهرون، وزكريا، ويحيى، وإلياس، وإسماعيل، وأليسع، ويونس، ولوطاً، والمجموع ثمانية عشر.

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ١٥٤-١٥٥

٨٥ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ٨٦ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ

وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ٨٧ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ

وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحق بعد أن طعن في السن وأيس هو وامرأته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروهما بإسحق، فتعجبت المرأة من ذلك وقالت (يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) فبشروهما مع وجوده بنبوته وبأن له نسلًا وعقباً كما قال تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) وهذا أكمل في البشارة وأعظم في النعمة وقال (فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) أي ويولد لهذا المولود

ولد في حياتكما فتقر أعينكما به كما قرت بوالده فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذي فيه اشتقاق العقب والذرية وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقرّ بهم عينه كما قال تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً) وقال ههنا (وهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا) وقوله (ونوحاً هدينا من قبل) أي من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به وهم الذين صلبوه في السفينة جعل الله ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذريته، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبياً إلا من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) الآية وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) وقال تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا إذا تنلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) وقوله في هذه الآية الكريمة (ومن ذريته) أي وهدينا من ذريته (داود وسليمان) عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فإنه لا أب له. قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل ابن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن بن ضالح حدثنا علي بن عابس عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي حرب بن أبي الأسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم تجده في كتاب الله - وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال أليس تقرأ سورة الأنعام (ومن ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (ويحيى وعيسى) قال بلى. قال أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال صدقت. فلهذا إذا وصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فإنه يختص.

توضيحات من الإنجيل عن زكريا وظهور الملاك له وولادة يحيى

لوقا ١: ٥-٢٥ كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكْرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيثَا، وَأَمْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَأَسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. ٦ وَكَانَا كِلَاهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللَّهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ. ٧ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِرًا. وَكَانَا كِلَاهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا. ٨ فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نُوبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللَّهِ، ٩ حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ، أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبْخِرَ. ١٠ وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا وَقْتَ الْبُخُورِ.

١١ فَظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبُخُورِ. ١٢ فَلَمَّا رَأَهُ زَكْرِيَّا اضْطَرْبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. ١٣ فَقَالَ لَهُ الْمَلَاكُ: «لَا تَخَفْ يَا زَكْرِيَّا، لِأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَأَمْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. ١٤ وَيَكُونُ لَكَ فَرْحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلَادَتِهِ، ١٥ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لَا يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. ١٦ وَيَرْذُ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهُهِمْ. ١٧ وَيتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِبِلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرْذُ قُلُوبَ الْآبَاءِ إِلَى الْإِبْنَاءِ، وَالْعَصَاةَ إِلَى فِكْرِ الْأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا». ١٨ فَقَالَ زَكْرِيَّا لِلْمَلَاكِ: «كَيْفَ أَعْلَمُ هَذَا، لِأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَأَمْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟» ١٩ فَأَجَابَ الْمَلَاكُ: «أَنَا جَبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللَّهِ، وَأَرْسَلْتُ لِكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذَا. ٢٠ وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا، لِأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلَامِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ». ٢١ وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكْرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ. ٢٢ فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يَوْمِي إِلَيْهِمْ وَبَقِيَ صَامِتًا. ٢٣ وَلَمَّا كَمِلَتْ أَيَّامُ خِدْمَتِهِ مَضَى إِلَى بَيْتِهِ. ٢٤ وَبَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ حَبِلَتْ أَلِيصَابَاتُ أَمْرَأَتُهُ، وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَائِلَةً: ٢٥ «هَكَذَا قَدْ فَعَلَ بِي الرَّبُّ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا نَظَرْتُ إِلَيْي، لِيُنْزِعَ عَارِي بَيْنَ النَّاسِ».

لوقا ١: ٥٧-٦٦ وَأَمَّا أَلِيصَابَاتُ فَتَمَّ زَمَانُهَا لِتَلِدَ، فَوَلَدَتْ ابْنًا. ٥٨ وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرَبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا، فَفَرِحُوا مَعَهَا. ٥٩ وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ،

وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا. ٦٠ فَقَالَتْ أُمُّهُ: «لَا بَلْ يُسَمَّى يُوْحَنَّا». ٦١ فَقَالُوا لَهَا: «لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكَ تَسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ». ٦٢ ثُمَّ أَوْمَأُوا إِلَى أَبِيهِ، مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى. ٦٣ فَطَلَبَ لَوْحاً وَكَتَبَ: «اسْمُهُ يُوْحَنَّا». فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ. ٦٤ وَفِي الْحَالِ انْفَتَحَ فَمُّهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللَّهَ. ٦٥ فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ. وَتُحَدِّثُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ جَمِيعَهَا فِي كُلِّ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ، ٦٦ فَأَوْدَعَهَا جَمِيعُ السَّامِعِينَ فِي قُلُوبِهِمْ قَائِلِينَ: «أَتَرَى مَاذَا يَكُونُ هَذَا الصَّبِيُّ؟» وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُ.

يحيى (من أجداد المسيح)

(يوحنا المعمدان)

يرد هذا الاسم ٥ مرات

آل عمران ٣: ٣٩ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْخَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.

الأنعام ٦: ٨٤-٨٦ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ٨٥ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٧ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

مريم ١٩: ٧ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا.

مريم ١٩: ١٢-١٥ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ١٣ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ١٤ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ١٥ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُنْعَثُ حَيًّا.

الأنبياء ٢١: ٩٠ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ.

سورة آل عمران ٣٩:٣

تفسير الرازي الجزء الثامن صفحة ٣٥-٤١

٣٩ فَنادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ
مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ

قوله (أن الله يشرك يحيى) ففيه مسائل:

(المسألة الأولى) وفي قوله (يشرك يحيى) وجهان (الأول) أنه تعالى كان قد عرف زكريا أنه سيكون في الأنبياء رجل اسمه يحيى وله ذرية عالية، فإذا قيل: إن ذلك النبي المسمى يحيى هو ولدك كان ذلك بشارة له يحيى عليه السلام (والثاني) أن الله يشرك بولد اسمه يحيى.

(المسألة الثانية) واعلم أنه تعالى ذكر من صفات يحيى ثلاثة أنواع:

(الصفة الأولى) قوله (مصدقاً بكلمة من الله) وفيه مسألتان:

(المسألة الأولى) قال الواحدي قوله (مصدقاً بكلمة من الله) نصب على الحال أنه نكرة، ويحيى معرفة.

(المسألة الثانية) في المراد بكلمة (من الله) قولان (الأول) وهو قول أبي عبيدة: إنها كتاب من الله، واستشهد بقولهم: أنشد فلان كلمة، والمراد به القصيدة الطويلة.

(والقول الثاني) وهو اختيار الجمهور: أن المراد من قوله (بكلمة من الله) هو عيسى عليه السلام، قال السدي: لقيت أم عيسى أم يحيى عليهما السلام، وهذه حامل يحيى وتلك بعيسى، فقالت: يا مريم أشعرب أني حبلى؟ فقالت مريم: وأنا أيضاً حبلى، قالت امرأة زكريا فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله (مصدقاً بكلمة من الله) وقال ابن عباس: إن يحيى كان أكبر سنّاً من عيسى بستة أشهر، وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله وروحه، ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام، فإن قيل: لم سمي عيسى كلمة في هذه الآية، وفي قوله (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) قلنا: فيه وجوه (الأول) أنه خلق بكلمة الله، وهو قوله (كن) من غير واسطة الأب. فلما كان تكوينه بمحض قول الله (كن) وبمحض تكوينه وتخليقه من غير واسطة الأب والبذر، لا جرم سمي: كلمة،

كما يسمى المخلوق مخلوقاً، والمقدور قدرة، والمرجو رجاء، والمشتهى شهوة، وهذا باب مشهور في اللغة (والثاني) أنه تكلم في الطفولية. وآتاه الله الكتاب في زمان الطفولية، فكان في كونه متكلماً بالغاً مبلغاً عظيماً. فسمي كلمة بهذا التأويل وهو مثل ما يقال: فلان جود وإقبال إذا كان كاملاً فيهما (والثالث) أن الكلمة كما أنها تفيد المعاني والحقائق. كذلك عيسى كان يرشد إلى الحقائق والأسرار الإلهية، فسمي: كلمة، بهذا التأويل وهو مثل تسميته روحاً من حيث إن الله تعالى أحيا به من الضلالة كما يحيا الإنسان بالروح، وقد سمي الله القرآن روحاً، فقال (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) (الرابع) أنه قد وردت البشارة به في كتب الأنبياء الذين كانوا قبله، فلما جاء قيل: هذا هو تلك الكلمة، فسمي كلمة بهذا التأويل قالوا: ووجه المجاز فيه أن من أخبر عن حدوث أمر فإذا حدث ذلك الأمر قال: قد جاء قولي وجاء كلامي، أي ما كنت أقول وأتكلم به، ونظيره قوله تعالى (وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) وقال (ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين) (الخامس) أن الإنسان قد يسمى بفضل الله ولطف الله فكذا عيسى عليه السلام كان اسمه العلم: كلمة الله، وروح الله، وأعلم أن كلمة الله هي كلامه، وكلامه على قول أهل السنة صفة قديمة قائمة بذاته، وعلى قول المعتزلة أصوات يخلقها الله تعالى في جسم مخصوص دالة بالوضع على معان مخصوصة، والعلم الضروري حاصل بأن الصفة القديمة أو الأصوات التي هي أعراض غير باقية يستحيل أن يقال: أنها هي ذات عيسى عليه السلام، ولما كان ذلك باطلاً في بداهة العقول لم يبق إلا التأويل.

(المسألة الثانية) ليحيى عليه السلام قوله (وسيداً) والمفسرون ذكروا فيه وجوهاً (الأول) قال ابن عباس: السيد الحليم. وقال الحبائي: إنه كان سيداً للمؤمنين، رئيساً لهم في الدين، أعني في العلم والحلم والعبادة والورع. وقال مجاهد: الكريم على الله، وقال ابن المسيب: الفقيه العالم. وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب، قال القاضي: السيد هو المتقدم المرجوع إليه، فلما كان سيداً في الدين كان مرجوعاً إليه في الدين وقدوة في الدين، فدخل فيه جميع الصفات المذكورة من العلم والحلم والكرم والعفة والزهد والورع.

(الصفة الثالثة) قوله (وحصوراً) وفيه مسألتان:

(المسألة الأولى) في تفسير الحصور والحصر في اللغة الحبس. يقال حصر، ويحصره حصراً وحصر الرجل. أي اعتقل بطنه. والحصور الذي يكتم السر ويحبسه، والحصور الضيق البخيل،

وأما المفسرون: فلهم قولان (أحدهما) أنه كان عاجزاً عن إتيان النساء، ثم منهم من قال كان ذلك لصغر الآلة، ومنهم من قال: كان ذلك لتعذر الإنزال، ومنهم من قال: كان ذلك لعدم القدرة، فعلى هذا الحصور فعول بمعنى مفعول، كأنه قال محصور عنهن، أي محبوس، ومصله ركوب بمعنى مركوب وحلوب بمعنى محلوب. وهذا القول عندنا فاسد لأن هذا من صفات النقصان وذكر صفة النقصان في معرض المدح لا يجوز، ولأن على هذا التقدير لا يستحق به ثواباً ولا تعظيماً.

(والقول الثاني) وهو اختيار المحققين أنه الذي لا يأتي النساء لا للعجز بل للعفة والزهد. وذلك لأن الحصور هو الذي يكتر منه حصر النفس ومنعها كالأكل الذي يكتر منه الأكل وكذا الشروب. والظلم، والغشوم. والمنع إنما يحصل أن لو كان المقتضي قائماً، فلولا أن القدرة والداعية كانت موجودتين، وإلا لما كان حاصراً لنفسه فضلاً عن أن يكون حصوراً، لأن الحاجة إلى تكثير الحصر والدفع إنما تحصل عند قوة الرغبة والداعية والقدرة، وعلى هذا الحصور بمعنى الحاصر فعول بمعنى فاعل.

(المسألة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على أن ترك النكاح أفضل وذلك لأنه تعالى مدحه بترك النكاح، وذلك يدل على أن ترك النكاح أفضل في تلك الشريعة، وغذا ثبت أن الترك في تلك الشريعة أفضل. وجب أن يكون الأمر كذلك في هذه الشريعة بالنص والمعقول. أما النص فقوله تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وأما المعقول فهو أن الأصل في الثابت بقاؤه على ما كان والنسخ على خلاف الأصل.

(الصفة الرابعة) قوله (ونبياً) واعلم أن السيادة إشارة إلى أمرين (أحدهما) قدرته على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع إلى تعليم الدين (والثاني) ضبط مصالحهم فيهما يرجع إلى التأديب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأما الحصور فهو غشارة إلى الزهد التام فلما اجتماعا حصلت النبوة بعد ذلك، لأنه ليس بعدهما إلا النبوة.

(الصفة الخامسة) قوله (من الصالحين) وفيه ثلاثة أوجه (الأول) معناه أنه من أولاد الصالحين (والثاني) أنه خير كما يقال في الرجل الخير (إن من الصالحين) (والثالث) أن صلاحه كان أتم من صلاح سائر الأنبياء. بدليل قوله عليه الصلاة والسلام «ما من نبي إلى وقد عصى أو هم بمعصية غير يحيى فإنه لم يعص ولم يههم».

فإن قيل: لما كان منصب النبوة أعلى من منصب الصلاح فلما وصفه بالنبوة فما الفائدة في وصفه بعد ذلك بالصلاح؟

قلنا: أليس أن سليمان عليه السلام بعد حصول النبوة قال (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) وتحقيق القول فيه: أن للأنبياء قدراً من الصلاح لو انتقص لانتفت النبوة، فذلك القدر بالنسبة إليهم يجري مجرى حفظ الواجبات بالنسبة إلينا، ثم بعد اشتراكهم في ذلك القدر تتفاوت درجاتهم في الزيادة على ذلك القدر، وكل من كان أكثر نصيباً منه كان أعلى قدراً والله أعلم.

قوله تعالى (قال رب أنى يكون لي غلام) في الآية سؤالات:

(السؤال الأول) قوله (رب) خطاب مع الله أو مع الملائكة، لأنه جائز أن يكون خطاباً مع الله، لأن الآية المتقدمة دليل على أن الذين نادوه هم الملائكة، وهذا الكلام لا بد أن يكون خطاباً مع ذلك المندي لا مع غيره، ولا جائز أن يكون خطاباً مع الملك، لأنه لا يجوز للإنسان أن يقول للملك: يا رب.

(والجواب) للمفسرين فيه قولان (الأول) أن الملائكة لما نادوه بذلك وبشروه به تعجب زكريا عليه السلام ورجع في إزالة ذلك التعجب إلى الله تعالى (والثاني) أنه خطاب مع الملائكة والرب إشارة إلى المربي، ويجوز وصف المخلوق به، فإنه يقال فلان يريني ويحسن إلي.

أما قوله تعالى (وقد بلغني الكبر) ففيه مسائل:

(المسألة الأولى) الكبر مصدر كبر الرجل يكبر إذا أسن، قال ابن عباس: كان يوم بشر بالولد ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت تسعين وثمان.

(المسألة الثانية) قال أهل المعاني: كل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك، وكلما جاز أن يقول: بلغت الكبر جاز أن يقول بلغني الكبر يدل عليه قول العرب: لقيت الحائط، وتلقاني الحائط.

فإن قيل: يجوز بلغني البلد في موضع بلغت البلد، قلنا: هذا لا يجوز، والفرق بين الموضعين أن الكبر كالشيء الطالب للإنسان فهو يأتيه بحدوثه فيه، والإنسان أيضاً يأتيه بمرور السنين عليه، أما البلد فليس كالطالب للإنسان الذهاب، فظهر الفرق.

أما قوله (وامرأتي عاقراً).

اعلم أن العاقر من النساء التي لا تلد، يقال: يعقر عقرًا، ويقال أيضاً عقر الرجل، وعقر بالحركات الثلاث في القاف إذا لم يحمل له، ورمل عاقر: لا ينبت شيئاً، واعلم أن زكريا عليه السلام ذكر كبر نفسه مع كون زوجته عاقراً لتأكيد حال الاستبعاد.

أما قوله (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) ففيه بحثان (الأول) أن قوله (قال) عائد إلى مذكور. سابق وهو الرب المذكور في وقته. (قال رب أنى يكون لي غلام) وقد ذكرنا أن ذلك يحتمل أن يكون هو الله تعالى، وأن يكون هو جبريل.

سورة الانعام ٨٥-٨٧

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٢٦١

٨٥ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ

يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضاً لمثل الذي هدينا له نوحاً من الهدى والرشاد من ضريته زكريا بن أزن ابنبركيا، ويحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حرقيا، وإلياس.

واختلفوا في إلياس، فكان ابن إسحاق يقول: هو إلياس بن يسي بن فنحاص بن ألعيزار بن هارون ابن عمران ابن أخي موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم. وكان غيره يقول: هو إدريس، وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن عبيدة بن ربيعة. عن عبد الله بن مسعود، قال: إدريس: هو إلياس، وإسرائيل هو يعقوب. وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون: إدريس جد نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ، وأخنوخ: هو إدريس بنيرد بن مهلائيل. وكذلك روى عن وهب بن منبه.

والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب، وذلك أن الله تعالى نسب إلياس في هذه الآية إلى نوح وجعله من ذريته، ونوح، ابن إدريس عند أهل العلم، فمحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته.

وقوله (كل من الصالحين) يقول: من ذكرناه من هؤلاء الذين سمينا من الصالحين، يعني: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس صلى الله عليهم.

تفسير الرازي الجزء الثالث عشر صفحة ٦٣-٦٦

٨٥ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٧ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وسليمان وإيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى

وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل وأيسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون.

في الآية مسائل:

(المسألة الأولى) اعلم أنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه أظهر حجة الله تعالى في التوحيد ونصرها وذب عنها عدد وجوه نعمه وإحسانه عليه. فأولها: قوله (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم) والمراد إنا نحن آتيناه تلك الحجة وهديناه إليها وأوقفنا عقله على حقيقتها. وذكر نفسه باللفظ الدال على العظمة وهو كناية الجمع على وفق ما يقوله عظماء الملوك. فعلنا، وقلنا، وذكرنا. ولما ذكر نفسه تعالى ههنا باللفظ الدال على العظمة وجب أن تكون تلك العظمة عظمة كاملة رفيعة شريفة، وذلك يدل على أن إتياء الله تعالى إبراهيم عليه السلام تلك الحجة من أشرف النعم، ومن أجل مراتب العطايا والمواهب. وثانيها: أنه تعالى خصه بالرفعة والاتصال إلى الدرجات العالية الرفيعة. وهي قوله (نرفع درجات من نشاء) وثالثها: أنه جعله عزيزاً في الدنيا، وذلك لأنه تعالى جعل أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل من نسله، ومن ذريته وأبقى هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة، لأن من أعظم أنواع السرور علم المرء بأنه يكون من عقبه الأنبياء والملوك، والمقصود من هذه الآيات تعديد أنواع نعم الله على إبراهيم عليه السلام جزاء على قيامه بالذب عن دلائل التوحيد، فقال (ووهبنا له إسحق) مع إسحق، بل أخر ذكره عنه بدرجات؟ قلنا: لأن المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد إسحق ويعقوب. وأما إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في هذا المقام، لأنه تعالى أمر محمداً عليه الصلاة والسلام أن يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بأن إبراهيم لما ترك الشرك واصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدين والدنيا، ومن النعم العظيمة في الدنيا أن آتاه الله أولاداً كانوا أنبياء وملوكاً، فإذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد عليه الصلاة والسلام امتنع أن يذكر نفسه في هذا المعرض، فلهذا السبب لم يذكر إسماعيل مع إسحق.

وأما قوله (ونوحاً هدينا من قبل) فالمراد أنه سبحانه جعل إبراهيم في أشرف الأنساب.

وذلك لأنه رزقه أولاداً مثل إسحق، ويعقوب. وجعل أنبياء بني إسرائيل من نسلهما، وأخرجه من أصلاب آباء طاهرين مثل نوح. وإدريس، وشيث. فالمقصود بيان كرامة إبراهيم عليه السلام بحسب الأولاد وبحسب الآباء.

أما قوله (ومن ذريته داود وسليمان) فقليل المراد ومن ذرية نوح، ويدل عليه وجوه من فضائل الأنبياء عليهم السلام وخواصهم قوة المعجزات وكثرة البراهين والمهابة العظيمة والصولة الشديدة وتخصيص الله تعالى إياهم بالتقريب العظيم والتكريم التام، وذلك كله كان في حق موسى وهرون.

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ١٥٤-١٥٥

٨٥ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٧ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحق بعد أن طعن في السن وأيس هو وامراته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروهما بإسحق، فتعجبت المرأة من ذلك وقالت (يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) فبشروهما مع وجوده بنبوته وبأن له نسلًا وعقباً كما قال تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) وهذا أكمل في البشارة وأعظم في النعمة وقال (فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) أي ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما فتقر أعينكما به كما قرت بوالده فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذي فيه اشتقاق العقب والذرية وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقر بهم عينه كما قال تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً) وقال ههنا (وهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا) وقوله (ونوحاً هدينا من قبل) أي من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح عليه السلام فإن

الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به وهم الذين صحبوه في السفينة جعل الله ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذريته، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبياً إلا من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) الآية وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) وقال تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) وقوله في هذه الآية الكريمة (ومن ذريته) أي وهدينا من ذريته (داود وسليمان) لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فإنه لا أب له. قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل ابن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن بن ضالح حدثنا علي بن عابس عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي حرب بن أبي الأسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم تجده في كتاب الله - وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال أليس تقرأ سورة الأنعام (ومن ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (ويحيى وعيسى) قال بلى. قال أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال صدقت. فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فإنه يختص.

توضيحات من الإنجيل عن يوحنا المعمدان (المسمى يحيى في القرآن) وهو أعظم كل الأنبياء حسب قول يسوع

١ - دعوة يوحنا المعمدان للتوبة متى ١٢: ٣-١

مرقس ١: ٢-٨

لوقا ٣: ١-١٨

٢ - المعمودية يسوع بيد يوحنا متى ٣: ١٣-١٧

مرقس ١: ٩-١١

لوقا ٣: ٢١-٢٢

٣ - إضافات البشير يوحنا عن المعمدان يوحنا ١٩: ١-٣٤

٤ - سؤال يوحنا عن مسيحية يسوع متى ١١: ٢-١٥

لوقا ٧: ١٨-٢٣

٥ - سجن يوحنا وقتله بيد هيرودس متى ١٤: ١-١٢

مرقس ٦: ١٤-٢٩

لوقا ٣: ١٩-٢٠

لوقا ٩: ٧-٩

متى ١٢: ٣-١ وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية ٢ قائلاً: «توبوا،
لأنه قد اقترب ملكوت السماوات. ٣ فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعيا النبي: صوت
صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة». ٤ ويوحنا هذا كان
لباسه من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقة من جلد. وكان طعامه جراداً وعسلًا برياً.
٥ حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة الحيطية بالأردن،
٦ واعتمدوا منه في الأردن، معتربين بخطاياهم. ٧ فلما رأى كثيرين من الفريسيين
والصدوقيين يأتون إلى معمديته، قال لهم: «يا أولاد الأفاعي، من أراكم أن تهربوا من
الغضب الآتي؟ ٨ فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة. ٩ ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم:

لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبَا. لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلَادًا لِإِبْرَاهِيمَ.
١٠ وَالْآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ
وَتُلْقَى فِي النَّارِ. ١١ أَنَا أَعْمَدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي،
الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيَعْمَدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. ١٢ الَّذِي
رَفُسُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيَنْقِي بَيَدْرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمَحَهُ إِلَى الْخَزَنِ، وَأَمَّا التَّنُّ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لَا تُطْفَأُ
(قارن أيضاً مرقس ١: ٢-٨، لوقا ٣: ١-١٨).

متى ١٣: ١٧-١٤ حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الْأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. ١٤ وَلَكِنْ
يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» ١٥ فَقَالَ يَسُوعُ لَهُ: «
أَسْمَحِ الْآنَ، لِأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيْقُ بِنَا أَنْ نُكْمَلَ كُلُّ بَرٍّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. ١٦ فَلَمَّا اعْتَمَدَ
يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ
حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، ١٧ وَصَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ
سُرَرْتُ» (قارن أيضاً مرقس ١: ٩-١١، لوقا ٣: ٢١-٢٢).

يوحنا ١٩: ٣٤-٣٠ وَهَذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلَاوِيِّينَ
لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» ٣٠ فَأَعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ أَنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحُ. ٣١ فَسَأَلُوهُ:
«إِذَا مَاذَا؟ إِيْلِيَا أَنْتَ؟» فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا». «الْنَّبِيُّ أَنْتَ؟» فَأَجَابَ: «لَا». ٣٢ فَقَالُوا لَهُ:
«مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟» ٣٣ قَالَ: «أَنَا صَوْتُ
صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوْمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ». ٣٤ وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ
الْفَرِيسِيِّينَ، ٣٥ فَسَأَلُوهُ: «فَمَا بِأَلْكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلَا إِيْلِيَا، وَلَا النَّبِيَّ؟»
٣٦ أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا: «أَنَا أَعْمَدُ بِمَاءٍ، وَلَكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ.
٣٧ هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ
حِذَائِهِ». ٣٨ هَذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةٍ فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يَعْمَدُ.
٣٩ وَفِي الْعَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلَ اللَّهُ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ
الْعَالَمِ. ٣٠ هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي، لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي.
٣١ وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَغْرِفُهُ. لَكِنْ لِيُظْهَرَ لِإِسْرَائِيلَ لِدَلِيلِكَ جِئْتُ أَعْمَدُ بِالْمَاءِ». ٣٢ وَشَهِدَ
يُوحَنَّا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. ٣٣ وَأَنَا لَمْ أَكُنْ

أَعْرِفُهُ، لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأَعْمَدَ بِأَمَاءٍ، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. ٣٤ وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ».

متى ١١: ١-١٥ وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ أَمْرَهُ لِتِلَامِيذِهِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، انْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ لِيَعْلَمَ وَيَكْرِزَ فِي مَدِينِهِمْ. ٢ أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السَّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اِثْنَيْنِ مِنْ تِلَامِيذِهِ، ٣ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» ٤ فَأَجَابَهُمَا يَسُوعُ: «أَذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: ٥ الْعُمَى يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ. ٦ وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ». ٧ وَبَيْنَمَا ذَهَبَ هَذَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا: «مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِنَنْظُرُوا؟ أَفَصَبَّةٌ تَحْرِكُهَا الرِّيحُ؟ ٨ لَكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِنَنْظُرُوا؟ إِنْسَانًا لَا بِسَاءَ ثِيَابًا نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ هُمْ فِي ثِيَابِ الْمَلُوكِ. ٩ لَكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِنَنْظُرُوا؟ أَنْبِيَاءُ؟ نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ، وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيِّ. ١٠ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلَائِكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. ١١ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ. ١٢ وَمِنْ أَيَّامِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الْآنَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ. ١٣ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسِ إِلَى يُوحَنَّا تَنَبَّأُوا. ١٤ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهَذَا هُوَ إِيَّائِي الْمَزْمُوعُ أَنْ يَأْتِيَ. ١٥ مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ (قَارِنْ أَيْضًا لُوقَا ٧: ١٨-٢٣).

متى ١٤: ١-١٢ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سَمِعَ هِيرُودُسُ رَئِيسَ الرُّبْعِ خَبَرَ يَسُوعَ، ٢ فَقَالَ لِغِلْمَانِهِ: «هَذَا هُوَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَلِذَلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقَوَاتِ». ٣ فَإِنَّ هِيرُودُسَ كَانَ قَدْ أَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ وَطَرَحَهُ فِي سِجْنٍ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا أَمْرَأَةٍ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، ٤ لِأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لَهُ: «لَا يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ». ٥ وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ خَافَ مِنَ الشَّعْبِ، لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيِّ. ٦ ثُمَّ لَمَّا صَارَ مَوْلِدُ هِيرُودُسَ رَقَصَتْ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا فِي الْوَسْطِ فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ. ٧ مِنْ ثَمَّ وَعَدَ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبَتْ يُعْطِيهَا. ٨ فَهِيَ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَلَقَّيَتْ مِنْ أُمِّهَا قَالَتْ: «أَعْطِنِي هَهُنَا عَلَى طَبَقِ رَأْسِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ». ٩ فَاعْتَمَّ الْمَلِكُ. وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ الْأَقْسَامِ وَالْمُتَكَبِّعِينَ مَعَهُ أَمَرَ أَنْ يُعْطَى.

١٠ فَأَرْسَلَ وَقَطَعَ رَأْسَ يُوْحَنَّا فِي السَّجْنِ. ١١ فَأُخْضِرَ رَأْسُهُ عَلَى طَبَقٍ وَدَفِعَ إِلَى الصَّبِيَّةِ، فَجَاءَتْ بِهِ إِلَى أُمِّهَا. ١٢ فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَرَفَعُوا الْجَسَدَ وَدَفَنُوهُ. ثُمَّ أَتَوْا وَأَخْبَرُوا يَسُوعَ (قارن أيضاً مرقس ١٤: ٦-٢٩، ١٩: ٣-٢٠، ٩: ٧-٩).

الجزء الثاني

أسماء المسيح وصفاته

عيسى	٢٥	
مثل آدم	٢	
ابن مريم	٢٣	
نبي	١	
المسيح	١١	(نبيون وأنبياء ٣ من ٢٦)
رسول	٨	
من الصالحين	٢ (رسل ٤)	
بار لأمه	١	
كلمة الله	٥	
ليس جباراً شقيماً	١	
قول الحق	١	
مبارك أينما كان	١	
روح الله	٣	
عليه السلام	١	
آية الله	٣	
وجيه في الدنيا والآخرة	١	
غلام زكي	١	

من المقرين

١

رحمة الله

١

شهيد

٢

عبد الله

٣

علم الساعة ١

نقدم عرضاً منفصلاً عن أسماء المسيح الثلاثة الأولى الأساسية

عيسى (من أسماء المسيح وصفاته)

يرد الاسم «عيسى» ٢٥ مرة

ومنها يرتبط كما يلي

أولاً: عيسى وأسماءه الأخرى

عيسى وحده	٩	١٣٦:٢ ، ٥٢:٣ ، ٥٥ ، ٨٤،٥٩ ، ١٦٣:٤ ، ٨٥:٦ ، ١٣:٤٢ ، ٦٣:٤٣
عيسى ابن مريم	١٣	٨٧:٢ ، ٢٥٣ ، ٤٦:٥ ، ٧٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ٣٤:١٩ ، ٧:٣٣ ، ٢٧:٥٧
		١٤ ، ٦:٦١
المسيح عيسى ابن مريم	٣	٤٥:٣ ، ١٥٧:٤ ، ١٧١
(عيسى المسيح أو المسيح عيسى غير وارد في القرآن!)		
عيسى رسول	٤	٤٩:٣ ، ١٥٧:٤ ، ١٧١ ، ٦:٦١
عيسى من الرسل	٣	٨٧:٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧:٥٧
عيسى من النبيين	٣	١٣٦:٢ ، ١٦٣:٤ ، ٧:٣٣
عيسى كلمة الله	٢	٤٥:٣ ، ١٧١:٤
عيسى قول الحق	١	٣٤:١٩
عيسى من الصالحين	٢	٤٦:٣ ، ٨٥:٦
عيسى من المقربين	١	٤٥:٣
عيسى وجهه	١	٤٥:٣
عيسى روح منه	١	١٧١:٤
عيسى مثل آدم	١	٥٩:٣
عيسى مبشر بأحمد	١	٦:٦١

ثانياً: عيسى في سلسلة الأنبياء

١ - عيسى وتسمية الأنبياء ٨٧:٢، ١٣٦، ٨٤:٣، ٤١٦٣:٤، ٨٤:٦، ٨٥-٨٤

٢ - عيسى بين الأنبياء الآخرين بدون تفضيل

٨٤:٣، ١٣٦:٢

٣ - عيسى وتفضيله عن الرسل الآخرين ٢٥٣:٢

٤ - يجب على المسلم الإيمان بالرسل والأنبياء ومنهم عيسى

٨٤:٣، ١٣٦:٢

ثالثاً: عيسى وعلاقته بالله

١ - بشر الله أمه بعيسى ٤٥:٣

٢ - عيسى كلمه الله ١١٦:٥، ٥٥:٣

٣ - أوحى الله لعيسى ١٦٣:٤

٤ - عيسى علمه الله ١١٠:٥، ٤٨:٣

٥ - منح الله نعمته لعيسى ١١٠:٥

٦ - أذن الله لعيسى بمعجزاته ١١٠:٥، ٤٩:٣

٧ - طهر الله عيسى من كفر بني إسرائيل ١١٠:٥، ٥٥:٣

٨ - اعتبر الله عيسى مثل آدم ٥٩:٣

٩ - خلقه بكلمته ٥٩، ٤٧:٣

١٠ - أوصاه بأوامره ١٣:٤٢

١١ - ليس عيسى من الثالوث ١١٦:٥، ١١٨-١٧١:٤

١٢ - ليس عيسى ولد الله ١٧١:٤

١٣ - لا يعرف عيسى ما في الله ١١٦:٥

١٤ - عيسى خاضع لله ١١٧:٥

رابعاً: عيسى وأسفار الكتاب المقدس ورسالته في الإنجيل

١ - عيسى والكتاب ٤٨:٣، ١١٠:٥، (٣٠:١٩)

٢ - التوراة ٤٨:٣، ١١٠:٥

٦٣:٤٣ ، ١١٠:٥ ، ٤٨:٣

٣ - الحكمة

٢٧:٥٧ ، ١١٠ ، ٤٦:٥ ، ٤٨:٣

٤ - الإنجيل

١١٠:٥ ، ٤٦:٣

٥ - تكلم بعد ولادته

٦١:٦ ، (x٢) ، ٤٦:٥ ، ٥٠:٣

٦ - مصداقاً لصحة التوراة

٧:٣٣

٧ - عهد الله مع عيسى

١١٤:٥

٨ - عيدده حول مائدة السماء

١١٤:٥

٩ - صلاته باسم اللهم

٦٣:٤٣ و ٥٢ ، ٤٩:٣

١٠ - علمه بالغيب والأسرار

٦٣:٤٣ و ٥٠:٣

١١ - عيسى المشرع

٦٣:٤٣ ، ٥٠:٣

١٢ - طالب الطاعة

١١٧:٥ ، ١٧١:٤ ، ٥٢:٣

١٣ - يدعو للإسلام

٧٢:٥

١٤ - يحذر المشركين من النار

١٤:٦١ ، ٥٣:٣

١٥ - يحرض حواريه للجهاد

٧٨:٥

١٦ - يلعن الكفار بين اليهود

٦:٦١

١٧ - مبشراً بأحمد

٣٤:١٩ ، ١٧١:٤ ، ٤٥:٣

١٨ - عيسى كلمة الله المتجسد

خامساً: عيسى ومعجزاته

٨٧:٢ و ٢٥٣ ، ١١٠:٥ ، ٦٣:٤٣ ، ٦:٦١

١ - البينات

١١٤:٥ ، ٥٠ ، ٤٩:٣

٢ - الآيات

١١٠:٥ ، ٢٥٣ ، ٨٧:٢

٣ - تأييده بروح القدس

١١٠:٥ ، ٤٦:٣

٤ - تكلم فوراً بعد ولادته

١١٠:٥ ، ٤٩:٣

٥ - خلق الطير

١١٠:٥ ، ٤٩:٣

٦ - شفاءات عيسى

١١٠:٥ ، ٤٩:٣

٧ - إحياء الموتى

سادساً: موت عيسى وصعوده

- ١ - تكذيبه واضطهاده حتى الموت ٨٧:٢ ، ٦:٦١
- ٢ - ادعاء اليهود بقتله ١٥٧:٤
- ٣ - فكر الله لإلغاء صلبه ١١٧:٥ ، ٥٥:٣
- ٤ - رفض قتله وصلبه ١٥٧:٤
- ٥ - تشبيهه مصلوباً ١٥٧:٤
- ٦ - الشك في قتله وصلبه ١٥٧:٤
- ٧ - رفعه الله إليه ١٥٨:٤ ، ٥٥:٣
- ٨ - الإيمان به قبل موته ١٥٩:٤

سابعاً: أتباع عيسى وأعدائه

- شكّروا فيه واختلفوا حتى الإقتال ٢٥٣:٢ ، ٣٤:١٩
- الكفر به ٢٥٣:٢ ، ٥٢:٣ ، ٥٥ ، ٧٨:٥ ، ١٤:٦١
- الإيمان به ٢٥٣:٢ ، ٥٢:٣ ، ٣٤:١٩ ، ١٤:٦١
- أهل الكتاب ١٧١:٤ وشواهد أخرى.
- حواريه ١٤:٦١ ، ٥٢:٣
- أنصاره ١٤:٦١ ، ٥٢:٤
- مسلمون ٥٢:٣
- مرتفعون فوق الكفرة ٥٥:٣
- متّقون ٤٦:٥
- موهوبون بالرحمة والرأفة والرهبنة ٢٧:٥٧

البقرة ٢: ٨٧ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

البقرة ٢: ١٣٦ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

البقرة ٢: ٢٥٣ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

آل عمران ٣: ٤٥ - ٥١ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٦ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ٤٧ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٨ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٩ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٠ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥١ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

آل عمران ٥٢:٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

آل عمران ٥٩:٣ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ.

آل عمران ٨٤:٣ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ .

النساء ١٥٧:٤ - ١٥٩ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ
وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ
عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ١٥٨ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً
حَكِماً ١٥٩ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ
عَلَيْهِمْ شَهِيداً.

النساء ١٦٣:٤ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ
وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُبُوراً.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً.

المائدة ٤٦:٥ - ٤٧ وَفَقَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ

وَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ٤٧ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.

المائدة ٧٨:٥ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ .

المائدة ١١٢:٥ - ١١٥ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ
عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١١٣ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ
مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ١١٤ ,
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا
وآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١١٥ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ
فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

المائدة ١١٦:٥ - ١١٨ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ
إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الْرَقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٨ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

الأنعام ٨٤-٨٥ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ
٨٥ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ.

مريم ٣٠:١٩-٣٤ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا
٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

الأحزاب ٣٣:٧ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وعيسى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.

الشورى ٤٢:١٣ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.

الزخرف ٤٣:٦٣ و ٦٤ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٦٤ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

الحديد ٥٧:٢٧ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

الصف ٦١:٦ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

الصف ٦١:١٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَتَتْ طَائِفَةٌ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.

ملاحظات عن عيسى

يسمى القرآن المسيح عادة: «عيسى» بدلاً من يسوع.
هو «عيسى» وبالعبرانية «يشوع» ومعناه «الرب يخلص» هذا اسمه الشخصي المعروف به،
اسم العلم. الذي به يُعلم. وصحيح الاسم «يشوع» بالعبرانية، و«يسوع» باليونانية. فمن أين
حرّف القرآن هذا الاسم على هذه الصورة «عيسى»؟
الأرجح أنها منقولة نطقاً عن السريانية في صيغة المنادى «إيشو» فوصلت إلى قلب الجزيرة
على هذه الصورة «عيسى».
وأنزل الاسم يسوع من السماء بحسب الإنجيل (لوقا ١: ٣١) وحتى في القرآن نزل باسم
عيسى (آل عمران ٤٥: ٣).

سورة البقرة ٢: ١٣٦

تفسير الطبري الجزء الأول - صفحة ٥٦٦

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

يعني تعالى ذكره بذلك: قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم:
كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا: آمنا. أي صدّقنا بالله.

وقد دللنا فيما مضى أن معنى الإيمان: التصديق بما أغنى عن إعادته (وما أنزل إلينا) يقول

أيضاً: صدقنا بالكتاب الذي أنزل الله أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فأضاف الخطاب بالتنزيل عليهم إذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به. فكان وإن كان تنزيلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى التنزيل إليهم للذي لهم فيه من المعاني التي وصفت.

ويعني بقوله (وما أنزل إلى إبراهيم) صدقنا أيضاً، وآمنا بما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط. وهم الأنبياء من ولد يعقوب.

وقوله (وما أوتي موسى وعيسى) يعني: وآمنا أيضاً بالتوراة التي آتاها الله موسى، وبالإنجيل الذي آتاه عيسى. والكتب التي أتى النبيين كلهم، وأقرنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله. وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدق بعضهم بعضاً على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله، والعلم بطاعته (لا نفرق بين أحد منهم) يقول: لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض، ونتبرأ من بعض، ونتولى بعضاً: كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرت بغيرهما من الأنبياء، وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم، وأقرت بغيره من الأنبياء كل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله وأنبياءه، بعثوا بالحق والهدى.

وأما قوله (ونحن له مسلمون) فإنه يعني تعالى ذكره: ونحن له خاضعون بالطاعة، مذعنون له بالعبودية، فذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لليهود، فكفروا بعيسى وبمن يؤمن به.

كما حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وعازر وخالد وزيد وإزار بن أبي إزار وأشيع. فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال (آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن بعيسى. ولا نؤمن بمن آمن به، فأنزل الله فيهم (قل يا أهل الكتاب هل تستقيمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل، وأن أكثركم فاسقون).

تفسير محمد عبده الجزء الاول والثاني صفحة ٣٩٧-٤٠٠

(وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم) قال الأستاذ الإمام: وههنا نكتة دقيقة في اختلاف التعبير عن الوحي الذي م نحه الله الأنبياء إذ عبر بأنزل تارة وبأوتي تارة أخرى، وهي أن التعبير بأنزل ذكر هنا في جانب الأنبياء الذين ليس لهم كتب تؤثر، ولا صحف تنقل، وذلك أن إنزال الوحي على نبي لا يستلزم إعطائه كتاباً يؤثر عنه، وهذا ظاهر إذا كان النبي غير مرسل فإن الوحي إليه يكون خاصاً به، ويكون إرشاده للناس أن يعملوا بشرع رسول آخر إن كان بعث فيهم رسول وإلا كان قدوة في الخير ومعداً للنفوس لبعثه نبي مرسل، وأما النبي المرسل فقد يؤمر بالتبليغ الشفاهي ولا يعطي كتاباً باقياً، وقد يكتب ما يوحى إليه في عصره فيضيع من بعده، فهؤلاء الرسل الكرام الذين عبر عنهم بقوله: (وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) لا يؤثر عن أحد منهم كتاب مسند صحيح ولا غير صحيح، وأننا نؤمن بأنهم كانوا أنبياء، وأن ما نزل عليهم هو دين الله الحق، وأنه موافق في جوهره وأصوله لما أنزل على من بعدهم، وما ذكر الله من ملة إبراهيم بالنص هو روح ذلك الوحي كله. وقد جاء في سورة النجم وسورة الأعلى ذكر صحف لإبراهيم. وقال (الجلال) هنا: أنها عشر، فنؤمن أنه كان له صحف ولا نزيد على ما ورد شيئاً، وأما إسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط فلم يثبت أن لهم صحفاً ولا كتباً، فنؤمن بما أنزل إليهم بالإجمال ونعتقد أنه عين ملة إبراهيم، وجاء التعبير عن وحي الذين كان لهم كتب تؤثر بقوله: (وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم) فهو يشير بالإتياء إلى أن ما أوحى إليهم له وجود يمكن الرجوع إليه والنظر فيه، فإن أقوامهم ياثرون عنهم كتباً.

وأقول الآن: إن المراد بالإيمان بما أنزل الله تعالى وما أعطاه لاولئك النبيين والمرسلين إجمالاً، وأنه كان وحياً من الله فلا نكذب أحداً منهم بما ادعاه ودعا إليه في عصره. بصرف النظر عما طرأ عليه من ضياع بعضه وتحريف بعض. فإن ذلك لا يضرنا، لأن الإيمان التفصيلي والعمل مقصور على ما أنزل إلينا.

وأما ما ذكره شيخنا من نكتة اختلاف التعبير فيشكل بقوله في أول الآية: (وما أنزل إلينا) أي معشر المسلمين وهو القرآن وقوله بعد: (وما أوتي النبيون) ولم يعلم أنه كان لغير داود منهم كتاب منزل، على أن عدم العلم بكتب أنزلت على إبراهيم وإسماعيل وإسحق لا يدل على

عدم تلك الكتب، ولعل نكتة اختلاف التعبير أن يشمل ما أوتي موسى وعيسى تلك الآيات التي أيدهما بها كما قال: (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ١٧: ١٠١) وقال: (وآتينا عيسى ابن مريم البينات ٨٧: ٢) ثم قال: (وما أوتي النبيون من ربهم) ليدل على أن ذلك لم يكن خاصاً بموسى وعيسى والله أعلم.

وقال بعد ما ذكر الفريقين: (لا نفرق بين أحد من رسله) أي سواء منهم من له كتاب يؤثر ومن ليس له ذلك، نؤمن بالجميع إجمالاً ونأخذ التفصيل عن خاتمهم الذي بين لنا أصل ملتهم التي كانوا عليها وزادنا من الحكم والأحكام ما يناسب هذا الزمان وما بعده من الأزمان، والعمدة في الدين على إسلام القلب لله تعالى (ونحن له مسلمون): أي مدعونون منقادون كما يقتضي الإيمان الصحيح ولستم كذلك أهل الكتاب، وإنما متبعون لأهوائكم وتقاليدهم لا تحولون عنها.

(فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) قال صاحب الكشاف: إن الآية تعريض بأهل الكتاب وتبكيته لهم. وقال (الجلالان): إن لفظ (مثل) زائد واستنكر الأستاذ الإمام ذلك واستكبره كعادته، فإنه يخطئ كل من يقول: إن في القرآن كلمة زائدة أو حرفاً زائداً. وقال: إن لمثل هنا معنى لطيفاً ونكتة دقيقة، وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على الأنبياء ولكن طرأت على إيمانهم بالله نزعات الوثنية، وأضاعوا لباب ما أنزل على الأنبياء وهو الإخلاص والتوحيد وتركية النفس والتأليف بين الناس، وتمسكوا بالقشور وهي رسوم العبادات الظاهرة، ونقصوا منها وزادوا عليها ما يبعد كلامهم عن الآخر ويزيد في عداوته وبغضائه له، ففسقوا عن مقصد الدين من حيث يدعون العمل بالدين، فلما بين الله لنا حقيقة دين الأنبياء وأنه واحد لا خلاف فيه ولا تفريق، وأن هؤلاء الذين يدعون اتباع الأنبياء قد ضلوا عنه فوقعوا في الخلاف والشقاق، أمرنا سبحانه وتعالى أن ندعوهم إلى الإيمان الصحيح بالله وبما أنزل على النبيين والمرسلين بأن يؤمنوا بمثل ما نؤمن نحن به لا بما هم عليه من ادعاء حلول الله في بعض البشر، وكون رسولهم إلهاً أو ابن الله، ومن التفرق والشقاق لأجل الخلاف في بعض الرسوم والتقاليد، فالذي يؤمنون به في الله ليس مثل الذي نؤمن به، فنحن نؤمن بالتنزيه، وهم يؤمنون بالتشبيه، وعلى ذلك القياس، فلو قال: فإن آمنوا بالله وبما أنزل على أولئك النبيين وما أوتوه، فقد اهتدوا لكان لهم أن يجادلونا بقولهم: إننا نحن المؤمنون بذلك دونكم، ولفظ (مثل) هو الذي يقطع عرق الجدال.

على أن المساواة في الإيمان بين شخصين بحيث يكون إيمان أحدهما كإيمان الآخر في صفته وقوته وانطباقه على المؤمن به وما يكون في نفس كل منهما من متعلق الإيمان يكاد يكون محالاً، فكيف يتساوى إيمان أم وشعوب كثيرة مع الخلاف العظيم في طرق التعليم والتربية والفهم والإدراك؟ ولو كانت القراءة: فإن آمنوا بما آمنتم به - كما روى عن ابن عباس في الشواذ - لكان الأولى أن يقدر المثل، فكيف نقول وقد ورد لفظ مثل متواتراً: إنه زائد؟

(وإن تولوا) أي أعرضوا عما تدعوهم إليه من الرجوع إلى أصل دين الأنبياء ولبابه بإيمان كإيمانكم (فإنما هم في شقاق) أي عن أمرهم محصور في العداوة والمشاقة، أي الإيذاء والإيقاع في المشقة، أو شق العصا بتحري الخلاف والتعصب لما يفصلهم ويبينهم منكم (فسيكفيهم الله وهو السميع العليم) أي يكفيك إيذاءهم ومكرهم السيء ويؤيد دعوتك، وينصر أمتك، فهذا الوعد بالكفاية عام للمؤمنين، وإن كان الخطاب خاصة، فإن أهل الكتاب وغيرهم ما شاقوا النبي لذاته وما كان لهم حظ في مقاومة شخصه، فالإيذاء كان متوجهاً إليه من حيث هو نبي يدعو إلى دين غير ما كانوا عليه، وقد أنجز الله وعده للنبي والمؤمنين عندما كانوا على ذلك الإيمان وكان الناس يقاومونهم لأجله، فلما انحرفوا من بعدهم عنه خرجوا عن الوعد، ولو عادوا لعاد الله عليهم بالكفاية والنصر (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ٢٢:٤٠).

(صبغة الله) أي صبغنا بما ذكر من ملة إبراهيم صبغة الله وفطرته فطرنا عليها، وهي ما صبغ الله به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة، فلا دخل فيها للتقاليد الوضعية ولا لآراء الرؤساء وأهواء الزعماء، وإنما هو من الله تعالى بلا واسطة متوسط ولا صنع صانع. والصبغة في أصل اللغة صيغة للهيئة من صبغ الثوب إذا لونه بلون خاص (ومن أحسن من الله صبغة) أي لا أحسن من صبغته فهي جماع الخير الذي يؤلف بين الشعوب والقبائل، ويذكي النفوس ويطهر العقول والقلوب. وأما إضافة أهل الكتاب إلى الدين من آراء أحبارهم ورهبانهم فهو من الصنعة الإنسانية، والصبغة البشرية قد جعل الدين الواحد مذاهب متفرقة مفرقة، والأمة الواحدة شيعاً متنافرة متمزقة (ونحن له) وحده (عابدون) فلا نتخذ أحبارنا وعلماءنا أرباباً يزيدون في ديننا وينقصون، ويحلون لنا بآرائهم ويحرمون ويمحون من نفوسنا صبغة الله الموجبة للتوحيد ويثبتون مكانها صبغة البشر القاضية بالشرك والتنديد.

قال الأستاذ الإمام: والآية تشير إلى أنه لا حاجة في الإسلام إلى تمييز المسلم من غيره

بأعمال صناعية كالمعمودية عند النصارى مثلاً، وإنما المدار فيه على ما صبغ الله به الفطرة السليمة من الإخلاص وحب الخير والاعتدال والقصد في الأمور (فطرة الله التي فطر الناس عليها. لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٠-٣٠).

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء الأول صفحة ١٦١-١٦٤

المسلمين، ولحقية الوراثة وحقيقة الدين، يناقش ادعاءات أهل الكتاب المعاصرين، ويعرض لحججهم وجدلهم ومحالهم، فيبدو هذا كله ضعيفاً شاحباً، كما يبدو فيه العنت والادعاء بلا دليل: كذلك تبدو العقيدة الإسلامية عقيدة طبيعية شاملة لا ينحرف عنها إلا المتعنتون:

«١٣٥ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٣٦ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ١٣٧ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ آهَتُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٣٨ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ١٣٩ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ١٤٠ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

وإنما كان قول اليهود: كونوا يهوداً تهتدوا، وكان قول النصارى: كونوا نصارى تهتدوا. فجمع الله قوليهما ليوجه نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يواجههم جميعاً بكلمة واحدة:

«قل: بل ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين»..

قل: بل نرجع جميعاً، نحن وأنتم، إلى ملة إبراهيم، أيينا وأبيكم، وأصل ملة الإسلام، وصاحب العهد مع ربه عليه.. «وما كان من المشركين».. بينما أنتم تشركون..

ثم يدعو المسلمين لإعلان الوحدة الكبرى للدين، من لدن إبراهيم أب الأنبياء إلى عيسى ابن مريم، إلى الإسلام الأخير. ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بهذا الدين الواحد:

«قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»..

تلك الوحدة الكبرى بين الرسائل جميعاً، وبين الرسل جميعاً، هي قاعدة التصور الإسلامي وهي التي تجعل من الأمة المسلمة، الأمة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله في الأرض، الموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة في الدرب على هدى ونور. والتي تجعل من النظام الإسلامي النظام العالمي مجتمعاً مفتوحاً للناس جميعاً في مودة وسلام.

ومن ثم يقرر السياق الحقيقة الكبيرة، ويثبت عليها المؤمنين بهذه العقيدة. حقيقة أن هذه العقيدة هي الهدى. من اتبعها فقد اهتدى. ومن أعرض عنها فلن يستقر على أصل ثابت، ومن ثم يظل في شقاق مع الشيعة المختلفة التي لا تلتقي على قرار:

«فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما هم في شقاق»..

وهذه الكلمة من الله، وهذه الشهادة منه سبحانه، تسكب في قلب المؤمن الاعتزاز بما هو عليه. فهو وحده المهتدي. ومن لا يؤمن بما يؤمن به فهو المشاق للحق المعادي للهدى. ولا على المؤمن من شقاق من لا يهتدي ولا يؤمن، ولا عليه من كيد ومكره. ولا عليه من جداله ومعارضته. فالله سيتولاهم عنه، وهو كافيه وحسبه:

«فسيكفيكمهم الله. وهو السميع العليم».

إنه ليس على المؤمن إلا أن يتسقيم على طريقته، وأن يعتز بالحق المستمد مباشرة من ربه، وبالعلامة التي يضعها الله على أوليائه، فيعرفون بها في الأرض:

«صبغة الله. ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون»..

صبغة الله التي شاء لها أن تكون آخر رسالاته إلى البشر. لتقوم عليها وحدة إنسانية واسعة الآفاق، لا تعصب فيها ولا حقد، ولا أجناس فيها ولا ألوان.

ونقف هنا عند سمة من سمات التعبير القرآني ذات الدلالة العميقة.. إن صدر هذه الآية من كلام الله التقريري: «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة».. أما باقيها فهو من كلام المؤمنين. يلحقه السياق - قلا فاصل - بكلام الباري سبحانه في السياق. وكله قرآن منزل. ولكن الشطر الأول حكاية عن قول الله، والشطر الثاني حكاية عن قول المؤمنين. وهو تشریف

عظيم أني خلق كلام المؤمنين بكلام الله في سياق واحد، بحكم الصلة الوثيقة بينهم وبين ربهم، وبحكم الاستقامة الواصلة بينه وبينهم. وأمثال هذا في القرآن كثير. وهو ذو مغزى كبير.

ثم تمضي الحجة الدامغة إلى نهايتها الحاسمة:

«قل: أحتاجوننا في الله، وهو ربنا وربكم، ولنا أعمالنا لوكم أعمالكم، ونحن له مخلصون؟»..

ولا مجال للجدل في وحدانية الله وربوبيته. فهو ربنا وربكم، ونحن محاسبون بأعمالنا، وعليكم وزر أعمالكم. ونحن متجردون له مخلصون لا نشرك به شيئاً، ولا نرجو معه أحداً.. وهذا الكلام تقرير لموقف المسلمين واعتقادهم، وهو غير قابل للجدل والمحااجة واللجاج. ومن ثم يضر السياق عنه، وينتقل إلى مجال آخر من مجالات الجدل. يظهر أنه هو الآخر غير قابل للمحااجة والمحال:

«أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى؟». وهم كانوا أسبق من موسى، وأسبق من اليهودية والنصرانية، والله يشهد بحقيقة دينهم - وهو الإسلام كما سبق البيان - :
«قل: أنتم أعلم أم الله؟».

وهو سؤال لا جواب عليه! وفيه من الاستنكار ماي قطع الألسنة دون الجواب عليه! ثم إنكم لتعلمون أنهم كانوا قبل أن تكون اليهودية والنصرانية. وكانوا على الحنيفية الأولى التي لا تشرك بالله شيئاً. ولديكم كذلك شهادة في كتبكم أن سبيعت نبي في آخر الزمان دينه الحنيفية، دين إبراهيم. ولكنكم تكتمون هذه الشهادة:
«ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله؟»..

والله مطلع على ما تخفون من الشهادة التي ائتمتم عليها، وما تقومون به من الجدل فيها لتعميتها وتلبيسها:

«وما الله بغافل عما تعملون»..

وحين يصل السياق إلى هذه القمة في الإفحام، وإلى هذا الفصل في القضية، وإلى بيان ما بين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وبين اليهود المعاصرين من مفارقة تامة في كل اتجاه.. عندئذ يعيد الفاصلة التي ختم بها الحديث من قبل عن إبراهيم وذريته المسلمين:

«تلك أمة قد خلت. لها ما كسبت ولكم ما كسبتم. ولا تسألون عما كانوا يعملون»..
وفيها فصل الخطاب، ونهاية الجدل، والكلمة الأخيرة في تلك الدعاوى الطويلة العريضة.

سورة البقرة ٢: ٢٥٣

تفسير الطبري الجزء الثالث صفحة ٢٠١

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمُوا وَلَكِنْ أَلَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

يعني تعالى ذكره بقوله (تلك الرسل) الذين قص الله قصصهم في هذه السورة، كموسى بن عمران وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وشمويل وداود، وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة. يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعض، فكلمت بعضهم، والذي كلمته منهم موسى صلى الله عليه وسلم، ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة.

القول في تأويل قوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)

يعني تعالى ذكره بذلك (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) وآتينا عيسى ابن مريم الحجج والأدلة على نبوته، من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وما أشبه ذلك، مع الإنجيل الذي أنزلته إليه، فبينت فيه ما فرضت عليه.

ويعني تعالى ذكره بقوله (وايدناه) وقويناه وأعناه بروح القدس، يعني بروح الله، وهو جبريل، وقد ذكرنا اختلاف أهل العلم في معنى روح القدس، والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

تفسير الزمخشري الجزء الأول صفحة ٣٨٢

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا) الآية. قال محمود رحمه الله (والظاهر أنه أراد محمداً عليه الصلاة والسلام الخ) قال أحمد: وإنما أوردت هذا الفصل من كلامه استحساناً له لفظاً ومعنى وتبركاً بإعطاء المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل بعض حقه، وأصاب الزمخشري في قوله حيث أوتي النبي عليه الصلاة والسلام من الفضل المنيف على سائر ما أوتيته الأنبياء، على الجميع الصلاة والسلام، وليس كما يقال عن بعض أهل العصر من تفضيل النبي عليه الصلاة والسلام على كل واحد واحد من آحاد الأنبياء، وينبغي الوقوف عن نسبته له فإنه من العلماء الأعلام وعمد دين الإسلام، والوجه التوريك بالغلط على النقلة عنه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحاً بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم الله إياه وعيسى برفعه إلى السماء وقلنا: رسول الله أفضل منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل عليه الصلاة والسلام فقال: فيم أنتم؟ فذكرنا له، فقال: لا ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يحيى بن زكريا، فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهمل بها. فإن قلت: فلم خص موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر؟ قلت: لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة، ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات، فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل، وهذا دليل بين أن من زيد تفصيلاً بالآيات منهم فقد فضل على غيره، ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي أوتي منها ما لم يؤت أحد في كثرتها وعظمتها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع. اللهم

أرزقنا شفاعته يوم الدين (ولو شاء الله) مشيئته إجماع وقسر (ما اقتتل الذين) من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضاً (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) لالتزامه دين الأنبياء (ومنهم من كفر) لإعراضه عنه (ولو شاء الله ما اقتتلوا).

تفسير الرازي الجزء الرابع صفحة ١٩٤-٢٠٧

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) في الآية مسائل:

(السؤال الثالث) تخصيص عيسى بن مريم بإتياء البينات، يدل أو يوهم أن إتياء البينات ما حصل في غيره، ومعلوم أن ذلك غير جائز فإن قلتم: إنما خصهما بالذكر لأن تلك البينات أقوى؟ فنقول: إن بينات موسى عليه السلام كانت أقوى من بينات عيسى عليه السلام، فإن لم يكن أقوى فلا أقل من المساواة.

(الجواب) المقصود منه التنبيه على قبح أفعال اليهود، حيث أنكروا نبوة عيسى عليه السلام مع ما ظهر على يديه من البينات اللائحة.

(السؤال الرابع) البينات جمع قلة، وذلك لا يليق بهذا المقام.

قلنا: لا نسلم أنه جمع قلة، والله أعلم.

أما قوله تعالى (وأيدناه بروح القدس) ففيه مسألتان:

(المسألة الأولى) القدس تثقله أهل الحجاز وتخففه تميم.

(المسألة الثانية) في تفسيره أقوال (الأول) قال الحسن: القدس هو الله تعالى، وورحه جبريل عليه السلام، والإضافة للتشريف، والمعنى أعناه بجبريل عليه السلام في أول أمره وفي وسطه وفي آخره، أما في أول الأمر فلقوله (فنفخنا فيه من روحنا) وأما في وسطه فلأن جبريل عليه السلام علمه العلوم، وحفظه من الأعداء، وأما في آخر الأمر فحين أرادت اليهود قتله أعانه جبريل عليه السلام ورفعته إلى السماء. والذي يدل على أن روح القدس جبريل عليه السلام قوله تعالى (قل نزله روح القدس).

(والقول الثاني) وهو المنقول عن ابن عباس أن روح القدس هو الإسم الذي كان يحيي به عيسى عليه السلام الموتى.

(والقول الثالث) وهو قول أبي مسلم: أن روح القدس الذي أيد به يجوز أن يكون الروح الطاهرة التي نفخها الله تعالى فيه، وأبانه بها عن غيره ممن خلق من اجتماع نطفتي الذكر والأنثى.

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٠٣

وقوله (وآتيناه عيسى ابن مريم البينات) أي الحجج والدلائل القاطعات على صحة ما جاء بني إسرائيل به من أنه عبد الله ورسوله إليهم (وأيدناه بروح القدس) يعني أن الله أيد به جبريل عليه السلام ثم قال تعالى (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا) أي كل ذلك عن قضاء الله وقدره ولهذا قالوا (ولكن الله يفعل ما يريد).

تفسير المنار الجزء الثالث صفحة ١١-٤

ثم قال تعالى: (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) البينات: هي ما يتبين به الحق من الآيات والدلائل كما قال في هذه السورة: (ولقد جاءكم موسى بالبينات ٢: ٩٢) وروح القدس: هو روح الوحي الذي يؤيد الله به رسله كما قال لنبينا: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ٤٢: ٥٢) الآية. وقال له في سورة النحل: (قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ١٦: ١٠٢) وقال أبو مسلم: إن روح القدس عبارة عن الروح الطيبة المقدسة التي أيد بها عيسى عليه السلام، وقد سبقت هذه العبارة في آية (٨٧) من هذه السورة فلا نطيل في إعادة تفسيرها، ولعل النكتة في ذكر اسم عيسى عليه الصلاة والسلام: أن ما آتاه إياه لما كان مشتركاً كان ذكره بالإبهام غير صريح في كونه ممن فضل به، أو الرد على الذين غلوا فيه، فزعموا أنه إله لا رسول مؤيد بآيات الله، ظهر لي هذا عند الكتابة، ثم راجعت تفسر أبي السعود فإذا هو يقول: وإفراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين أهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والإفراط.

«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ».

وقد ذكر النص هنا مثالين في موسى وعيسى - عليهما السلام - وأشار إشارة عامة إلى من سواهما:

«منهم من كلم الله - ورفع بعضهم درجات - وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس»..

وحين يذكر تكليم الله لأحد من الرسل ينصرف الذهن إلى موسى - عليه السلام - ومن ثم لم يذكره باسمه. وذكر عيسى ابن مريم - عليه السلام - وهكذا يرد اسمه منسوباً إلى أمه في أغلب المواضع القرآنية. والحكمة في هذا واضحة. فقد نزل القرآن وهناك حشد من

الأساطير الشائعة حول عيسى عليه السلام - وبنوته لله - سبحانه وتعالى - أو عن ازدواج طبيعته من اللاهوت والناسوت. أو عن تفرد ببطيعة إلهية ذابت فيها الطبيعة الناسوتية كالقطرة في الكأس! إلى آخر هذه التصورات الأسطورية التي غرقت الكنائس والمجامع في الجدل حولها، وجرت حولها الدماء أنهاراً في الدولة الرومانية! ومن ثم كان هذا التوكيد الدائم على بشرية عيسى - عليه السلام - وذكره في معظم المواضع منسوباً إلى أمه مريم.. أما روح القدس فالقرآن يعني به جبريل - عليه السلام - فهو حامل الوحي إلى الرسل. وهذا أعظم تأييد وأكبره. وهو الذي ينقل الإشارة الإلهية إلى الرسل بانتدابهم لهذا الدور الفذ العظيم، وهو الذي يثبتهم على المضي في الطريق الشاق الطويل، وهو الذي ينتزل عليهم بالسكينة والثبت والنصر في مواقع الهول والشدة في ثنايا الطريق.. وهذا كله التأييد أما البينات التي آتاها الله عيسى - عليه السلام - فتشمل الإنجيل الذي نزل عليه، كما تشمل الخوارق التي أجراها على يديه، والتي ورد ذكرها مفصلة في مواضعها المناسبة من القرآن. تصديقاً لرسالته في مواجهة بني إسرائيل المعاندين!

ولم يذكر النص هنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - لأن الخطاب موجه إليه. كما جاء في الآية السابقة: «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين.. تلك الرسل.. الخ» فالسياق سياق إخبار له عن غيره من الرسل.

وحين ننظر إلى مقامات الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - من آية ناحية نجد محمداً - صلى الله عليه وسلم - في القمة العليا. وسواء نظرنا إلى الأمر من ناحية شمول الرسالة و كليتها، أو من ناحية محيطها وامتدادها فإن النتيجة لا تتغير.

إن الإسلام هو أكمل تصور لحقيقة الوحدة - وهي أضخم الحقائق على الإطلاق - وحدة الخالق الذي ليس كمثله شيء. ووحدة الإرادة التي يصدر عنها الوجود كله بكلمة: «كن». ووحدة الوجود الصادر عن تلك الإرادة. ووحدة الناموس الذي يحكم الوجود. ووحدة الحياة من الخلية الساذجة إلى الإنسان الناطق. ووحدة البشرية من آدم - عليه السلام - غلى جماعة الرسل المبلغة لهذه الدعوة. ووحدة الأمة المؤمنة التي لبت هذه الدعوة.. ووحدة النشاط البشري المتجه إلى الله وإعطائه كله اسم «العبادة». ووحدة الدنيا والآخرة داري العمل والجزاء. ووحدة المنهج الذي شرعه الله للناس فلا يقبل منهم سواه. ووحدة المصدر الذي يتلقون عنه تصوراتهم كلها ومنهجهم في الحياة..

سورة آل عمران ٤٥:٣

٤٥ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

تفسير الرازي الجزء الثامن صفحة ٤٧-٥٢

قوله تعالى (بكلمة منه) فقد ذكرنا تفسير الكلمة من وجوه وألقها بهذا الموضوع وجهان (الأول) أن كل علوق وإن كان مخلوقاً بواسطة الكلمة وهي قوله (كن) إلا أن ما هو السبب المتعارف كان مفقوداً في حق عيسى عليه السلام وهو الأب، فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمة كما أن من غلب عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة إنه نفس الجود، ومحض الكرم، وصريح الإقبال، فكذا ههنا.

(والوجه الثاني) أن السلطان العادل قد يوصف بأنه ظل الله في أرضه، وبأنه نور الله لما أنه سبب لظهور ظل العدل، ونور الإحسان، فكذلك كان عيسى عليه السلام سبباً لظهور كلام الله عز وجل بسبب كثيرة بياناته وإزالة الشبهات والتحريفات عنه، فلا يبعد أن يسمى بكلمته تعالى على هذا التأويل.

أما قوله تعالى (بكلمة منه) فلفظه (من) ليست للتبعيض ههنا إذ لو كان كذلك لكان الله تعالى متجزئاً متبعضاً محتملاً للاجتماع والافتراق وكل من كان كذلك فهو محدث، وتعالى الله عنه بل المراد من كلمة (من) ههنا ابتداء الغاية، وذلك لأن في حق عيسى عليه السلام لما لم تكن واسطة الأب موجودة صار تأثير كلمة الله تعالى في تكوينه وتخليقه أكمل وأظهر، فكان كونه كلمة (الله) مبدأ لظهوره وحدثه كمل فكان المعنى لفظ ما ذكرناه لا ما يتوهمه النصارى والحلولية.

وأما قوله تعالى (اسمه المسيح عيسى ابن مريم) ففيه سؤالات:

(السؤال الأول) المسيح: هل هو اسم مشتق أو موضوع؟

(والجواب) فيه قولان (الأول) قال أبو عبيدة والليث: أصله بالعبرانية مشيحاً، فعربته العرب وغيروا لفظه، وعيسى: أصله يشوع كما قالوا في موسى: أصله موسى، أو ميشا بالعبرانية، وعلى هذا القول لا يكون له اشتقاق.

(والقول الثاني) أنه مشتق وعليه الأكثر، ثم ذكروا فيه وجوهاً (الأول) قال ابن عباس: إنما سمي عيسى عليه السلام مسيحاً، لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة، إلا برئ من مرضه. (الثاني) قال أحمد بن يحيى: سمي مسيحاً، لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها، ومنه مساحة أقسام الأرض، وعلى هذا المعنى يجوز أن يقال: لعيسى مسيح بالتشديد على المبالغة كما قال للرجل فسيق وشريب. (الثالث) أنه كان مسيحاً، لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى. فعلى هذه الأقوال: هو فاعيل بمعنى: فاعل، كرحيم بمعنى: راحم. (الرابع) أنه مسح من الأوزار والآثام. (والخامس) سمي مسيحاً لأنه ما كان في قدمه خمص، فكان ممسوح القدمي، (والسادس) سمي مسيحاً لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء، ولا يمسح به غيرهم. ثم قالوا: وهذا الدهن يجوز أن يكون الله تعالى جعله علامة حتى تعرف الملائكة أن كل من مسح به وقت الولادة فإنه يكون نبياً. (السابع) سمي مسيحاً لأنه مسحه جبريل صلى الله عليه وسلم بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوتاً له عن مس الشيطان. (الثامن) سمي مسيحاً لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. وعلى هذه الأقوال يكون المسيح، بمعنى: الممسوح، فاعيل بمعنى: مفعول. قال أبو عمرو بن العلاء المسيح: الملك. وقال النخعي: المسيح الصديق والله أعلم، ولعلهما قالا ذلك من جهة كونه مدحاً لا لدلالة اللغة عليه. وأما المسيح الدجال فإنما سمي مسيحاً لأحد وجهين (أحدهما) لأنه ممسوح أحد العينين. (والثاني) أنه يمسح الأرض أي: يقطعها في المدة القليلة. قالوا: ولهذا قيل له. دجال لضربه في الأرض. وقطعه أكثر نواحيها، يقال: قد دجل الدجال إذا فعل ذلك، وقيل: سمي دجالاً من قوله: دجل الرجل إذا موه ولبس.

(السؤال الثاني) المسيح كان كاللقب له، وعيسى كالاسم فلم قدم اللقب على الاسم؟

(الجواب) أن المسيح كاللقب الذي يفيد كونه شريفاً رفيع الدرجة، مثل الصديق والفاروق، فذكره الله تعالى أولاً بقلبه ليفيد علو درجته، ثم ذكره باسمه الخاص.

(السؤال الثالث) لِمَ قال عيسى بن مريم والخطاب مع مريم؟

(الجواب) لأن الأنبياء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فلما نسبته الله تعالى إلى الأم دون الأب، كان ذلك إعلماً لها بأنه يحدث بغير الأب، فكان ذلك سبباً لزيادة فضله وعلو درجته.

(السؤال الرابع) الضمير في قوله: اسمه عائد إلى الكلمة وهو مؤنثة فلم ذكر الضمير؟

(الجواب) لأن المسمى بها مذكر.

(السؤال الخامس) لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم؟ والاسم ليس إلا عيسى، وأما المسيح فهو لقب، وأما ابن مريم فهو صفة.

(الجواب) الاسم علامة المسمى ومعرف له، فكأنه قيل: الذي يعرف به هو مجموع هذه الثلاثة.

أما قوله تعالى (وجيهاً في الدنيا والآخرة) ففيه مسألتان:

(المسألة الأولى) معنى الوجيه: ذو الجاه والشرف والقدر، يقال: وجه الرجل، يوجه وجهه وجاهة فهو وجيه، إذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس والسلطان، وقال بعض أهل اللغة: الوجيه: هو الكريم، لأن أشرف أعضاء الإنسان وجهه فجعل الوجه استعارة عن الكرم والكمال.

واعلم أن الله تعالى وصف موسى صلى الله عليه وسلم بأنه كان وجيهاً قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) ثم للمفسرين أقوال: (الأول) قال الحسن: كان وجيهاً في الدنيا بسبب النبوة. وفي الآخرة بسبب علو المنزلة عند الله تعالى (والثاني) أنه وجيه عند الله تعالى، وأما عيسى عليه السلام، فهو وجيه في الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه ويحيي الموتى ويرى الأكمه والأبرص بسبب دعائه، ووجيه في الآخرة بسبب أنه يجعله شفيع أمته المحققين ويقبل شفاعتهم فيهم كما يقبل شفاعته أكابر الأنبياء عليهم السلام (والثالث) أنه وجيه في الدنيا بسبب أنه كان مبرأ من العيوب التي وصفه اليهود بها، ووجيه في الآخرة بسبب كثرة ثوابه وعلو درجته عند الله تعالى.

فإن قيل: كيف كان وجيهاً في الدنيا واليهود عاملوه بما عاملوه، قلنا: قد ذكرنا أنه تعالى سمى موسى عليه السلام بالوجيه مع أن اليهود طعنوا فيه، وآذوه إلى أن برأه الله تعالى مما قالوا. وذلك لم يقدح في وجاهة موسى عليه السلام، فكذا ههنا.

(المسألة الثانية) قال الزجاج (وجيهاً) منصوب على الحال، المعنى: أن الله يشارك بهذا الولد وجيهاً في الدنيا والآخرة، والفراء يسمى هذا قطعاً كأنه قال: عيسى بن مريم الوجيه فقطع منه التعريف.

أما قوله (ومن المقرين) ففيه وجوه (أحدها) أنه تعالى جعل ذلك كالمدح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم بواسطة هذه الصفة . (وثانيها) أن هذا الوصف كالتنبيه على أنه عليه السلام سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة. (وثالثها) أنه ليس كل وجيه في الآخرة يكون مقرباً لأن أهل الجنة على منازل ودرجات، ولذلك قال تعالى (وكنتم أزواجاً ثلاثة) إلى قوله (والسابقون السابقون أولئك المقربون).

أما قوله تعالى (ويكلم الناس في المهد وكهلاً) ففيه مسائل:

(المسألة الأولى) الواو للعطف على قوله (وجيهاً) والتقدير كأنه قال: وجيهاً ومكلماً للناس وهذا عندي ضعيف، لأن عطف الجملة الفعلية على الإسمية غير جائز إلا للضرورة، أو الفائدة والأولى أن يقال تقدير الآية (إن الله يشارك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) الوجيه في الدنيا والآخرة المعدود من المقرين، وهذا المجموع جملة واحدة ثم قال (ويكلم الناس) فقوله (ويكلم الناس) عطف على قوله (إن الله يشارك).

(المسألة الثانية) في المهد قولان (أحدهما) أنه حجر أمه (والثاني) هو هذا الشيء المعروف الذي هو مضجع الصبي وقت الرضاع، وكيف كان فالمراد منه: فإنه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها إلى المعد، ولا يختلف هذا المقصود سواء كان في حجر أمه أو كان في المهد.

(المسألة الثالثة) قوله (وكهلاً) عطف على الظرف من قوله (في المهد) كأنه قيل: يكلم الناس صغيراً وكهلاً. وههنا سؤالات:

(السؤال الأول) ما الكهل؟

(الجواب) الكهل في اللغة ما اجتمع قوته وكمال شبابه، وهو مأخوذ من قول العرب اكتهل النبات إذا قوي وثم قال الأعشى:

يصاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بحميم النبت مكتهل

أراد بالكتهل المتناهي في الحسن والكمال.

(السؤال الثاني) أن تكلمه حال كونه في المهد من المعجزات، فأما تكلمه حال الكهولة

فليس من المعجزات، فما الفائدة في ذكره؟

(والجواب) من وجوه (الأول) أن المراد منه بيان كونه متقبلاً في الأحوال من الصبا إلى الكهولة والتغير على الإله تعالى محال، والمراد منه الرد على وفد نجران في قولهم. إن عيسى كان إلهاً. (والثاني) المراد منه أن يكلم الناس مرة واحدة في المهد لإظهار طهارة أمه. ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي والنبوة. (والثالث) قال أبو مسلم: معناه أنه يكلم حال كونه في المهد، وحال كونه كهلاً على حد واحد وصفة واحدة، وذلك لا شك أنه غاية في المعجزة. (الرابع) قال الأصم: المراد منه أنه يبلغ حال الكهولة.

(السؤال الثالث) نقل أن عمر عيسى عليه السلام إلى أن رُفِع كان ثلاثاً وثلاثين سنة وستة أشهر، وعلى هذا التقدير: فهو ما بلغ الكهولة.

(والجواب) من وجهين (الاول) بينا أن الكهل في أصل اللغة عبارة عن الكامل التام. وأكمل أحوال الإنسان إذا كان بين الثلاثين والأربعين، فصَحَّ وصفه بكونه كهلاً في هذا الوقت. (والثاني) هو قول الحسين بن الفضل البجلي: أن المراد بقوله (كهلاً) أن يكون كهلاً بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان، ويكلم الناس. ويقتل الدجال، قال الحسين بن الفضل: وفي هذه الآية نص في أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض.

(المسألة الرابعة) أنكرت النصارى كلام المسيح عليه السلام في المهد، واحتجوا على صحة قولهم بأن كلامه في المهد من أعجب الأمور وأغربها، ولا شك أن هذه الواقعة لو وقعت لوجب أن يكون وقوعها في حضور الجمع العظيم الذي يحصل القطع واليقين بقولهم، لأن تخصيص مثل هذا المعجز بالواحد والإثنين لا يجوز، ومتى حدثت الواقعة العجيبة جداً عند حضور الجمع العظيم فلا بد وأن تتوفر الدواعي على النقل فيصير ذلك بالغاً حد التواتر، وإخفاء ما يكون بالغاً إلى حد التواتر ممتنع، وأيضاً فلو كان ذلك لكان ذلك الإخفاء ههنا ممتنعاً لأن النصارى بالغوا في إفراط محبته إلى حيث قالوا إنه كان إلهاً، ومن كان كذلك يمتنع أن يسعى في إخفاء مناقبه وفضائله بل ربما يجعل الواحد ألفاً، فثبت أن لو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى، ولما أطبقوا على إنكارها علمنا أنه كان موجوداً البتة.

أجاب المتكلمون عن هذه الشبهة، وقالوا: إن كلام عيسى عليه السلام في المهد إنما كان

للدلالة على براءة حال مريم عليها السلام من الفاحشة، وكان الحاضرون جمعاً قليلاً، فالسامعون لذلك الكلام، كان جمعاً قليلاً، ولا يبعد في مثله التواطؤ على الإخفاء، وبتقدير: أن يذكروا ذلك إلا أن اليهود كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم إلى البهت. فهم أيضاً قد سكتوا لهذه العلة. فلأجل هذه الأسباب بقي الأمر مكتوماً مخفياً إلى أن أخبر الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك.

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٦٣-٣٦٤

الملائكة يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده هي ولدك اسمها المسيح عيسى بن مريم. ثم قال مستدلاً على هذا ما نصه: ولذلك قال عز وجل: (اسمها المسيح) فذكر ولم يقل «اسمها» فيؤنث و«الكلمة» مؤنثة، لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى فلان، وإنما هي بمعنى البشارة. فذكرت كنياتها كما تذكر كناية الذرية والدابة والألقاب إلى آخر ما أطال به في المسألة من جهة العربية.

فقال تعالى في وصفه: (وجيهاً في الدنيا والآخرة) معناه أنه يكون ذا وجاهة وكرامة في الدارين، فالوجيه ذو الجاه والوجاهة، والمادة مأخوذة من الوجه حتى قالوا: إن لفظ الجاه أصله وجه. فنقلت الواو إلى موضع العين. فقلبت أنفاً ثم اشتقوا منه. فقالوا: جاه فلان يجوه. كما قالوا: وجه يوجه، وذو الجاه يسمى وجهاً ووجاهة، وكأن الأصل في الوجيه من يعظم ويحترم وجهاً عند السلطان، كما يقال: إن له جاهاً ووجاهة، وكأن الأصل في الوجيه من يعظم ويحترم عند المواجهة لما له من المكانة في النفوس. وقال الإمام الغزالي: الجاه ملك القلوب.

قال الأستاذ الإمام: إن كون المسيح ذا جاه ومكانة في الآخرة ظاهر، وأما وجاهته في الدنيا فهي قد تكون موضع إشكال، لما عرف من امتهان اليهود له ومطاردتهم إياه على فقره وضعف عصبيته. والجواب عن ذلك سهل، وهو أن الوجيه في الحقيقة من كانت له مكانة في القلوب واحترام ثابت في النفوس، ولا يكون أحد كذلك حتى يكون له أثر حقيقي ثابت من شأنه أن يدوم بعده زمناً طويلاً أو غير طويل. ولا ينكر أحد أن منزلة المسيح في نفوس المؤمنين به كانت عظيمة جداً، وإن ما جاء به من الإصلاح هو من الحق الثابت، وقد بقي أثره بعده، فهذه الوجاهة أعلى وأرفع من وجاهة الأمراء والملوك الذين يحترمون في الظاهر لظلمهم واتقاء شرهم أو لدهائهم والتزلف إليهم، رجاء الانتفاع بشيء مما في أيديهم من عرض الحياة الدنيا،

لأن هذه وجهة صورية لا أثر لها في النفوس إلا الكراهة والبغض والانتقاص، وتلك وجهة حقيقية مستحوذة على القلوب. وحقيقة الوجهة في الآخرة: هي أن يكون الوجه في مكان عليّ ومنزلة رفيعة يراه الناس فيها فيجلونه ويعلمون أنه مقرب من الله تعالى. ولا يمكننا أن نحددها ونعرف بماذا تكون.

قال قائل في الدرس: إن هذه الوجهة تكون بالشفاعة، فقال الأستاذ الإمام: إن الآية لم تبين ذلك. على أنكم تقولون: إن هذه الشفاعة عامة لكل نبي وعالم وصالح، فما هي مزية المسيح إذن؟ ولما كانت الوجهة متعلقة بالناس وما يعود من مطارح أنظارهم على شعور قلوبهم وخطرات أفكارهم قال تعالى فيه: (ومن المقرين) أي هو مع ذلك من عباد الله المقرين إليه عز وجل. فما ينعكس عن أنظار الناظرين إليه هناك إلى مرايا قلوبهم حقيقي في نفسه.

تفسير محمد عبده الجزء الثالث صفحة ٢٥٠-٢٥٧

قوله تعالى: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) شروع في خبر عيسى نفسه بعد قصة أمه وقصة زكريا عليهم السلام. وهو بدل من قوله: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك) وما بينهما اعتراض ناطق بحكمة نزول الآيات، مبين وجه دلالتها على صدق من أنزلت عليه. والمعنى أن الملائكة بشرت مريم بالولد الصالح حين بشرتها باصطفاء الله إياها وتطهيره لها وأمرتها بمزيد عبادته والاستغراق في شكره. والمراد بالملائكة هنا الروح جبريل لقوله تعالى في سورة مريم: (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ١٩: ١٧) إلى آخر الآيات. وذكر بلفظ الجمع لما تقدم في قصة زكريا، أو لأنه كان معه غيره. وفي لفظ (كلمة) أربعة وجوه:

(الوجه الأول) أن المراد بالكلمة كلمة التكوين لا كلمة الوحي، ذلك أنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن الباري عز وجل مما يعلو عقول البشر عبر عنه سبحانه بقوله: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ٣٦: ٨٢) فكلمة (كن) هي كلمة التكوين، وسيأتي تفسيرهما. وههنا يقال: إن كل شيء قد خلق بكلمة التكوين. فلماذا خص المسيح بإطلاق الكلمة عليه؟ وأجيب عن ذلك بأن الأشياء تنسب في العادة والعرف العام في البشر إلى أسبابها، ولما فقد في تكوين المسيح وعلوق أمه به ما جعله الله سبباً للعلوق، وهو تلقيح ماء

الرجل لما في الرحم من البويضات التي يتكون منها الجنين أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله، وأطلقت الكلمة على المكون إيداناً بذلك، أو جعل كأنه نفس الكلمة مبالغة، وهذا هو الوجه المشهور.

(الوجه الثاني) أنه أطلق على المسيح للإشارة إلى بشارة الأنبياء به، فهو قد عرف بكلمة الله، أي بوحيه لأنبيائه. قاله الأستاذ الإمام، والكلمة تطلق على الكلام كقوله: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ٣٧: ١٧١) الخ.

(الوجه الثالث) أنه أطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام الله الذي حرفه قومه اليهود حتى أخرجوه عن وجهه، وجعلوا الدين مادياً محضاً. قاله الرازي وجعله من قبيل وصف الناس للسلطان العادل بظل الله ونور الله، لما أنه سبب لظهور ظل العدل ونور الإحسان، قال: فكذلك كان عيسى سبباً لظهور كلام الله عز وجل بسبب كثرة بياناته له وإزالة الشبهات والتحريفات عنه.

(الوجه الرابع) أن المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه، فقوله: (بكلمة منه) معناه بخبر من عنده أو بشارة، وهو كقول القائل: ألقى إليّ فلان كلمة سرّني بها، بمعنى أخبرني خبراً فرحت به، قاله ابن جرير واستشهد له بقوله: (وكلمته ألقاها إلى مريم ٤: ١٧١) يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها، قال: فتأويل القول وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت (رب أنى يكون لي ولد لوم يمسسني بشر).

وأقول: اعلم أن الكافرين بآيات الله ينكرون الحمل بعيسى من غير أب جموداً على العادات. وذهولاً عن كيفية خلق جميع المخلوقات، ولو كان لهم دليل عقلي على استحالة ذلك لكانوا معذورين، ولكن لا دليل لهم إلا أنه ذا غير معتاد، وهم في كل يوم يرون من شئون الكون ما لم يكن معتاداً من قبل. فمنه ما يعربون له سبباً ويعبرون عنه بالاكشاف والاختراع. ومنه ما لا يعرفون له سبباً ويعبرون عنه بفلتات الطبيعة، ونحن معاشر المؤمنين نقول: إن تلك الأشياء المعبر عنها بالفلتات إما أن يكون لها سبب خفي وحينئذ يجب أن تهدي هؤلاء الجامدين إلى أن بعض الأشياء يجوز أن يأتي من غير طريق الأسباب المعروفة فلا ينكروا كل ما يخالفها، لاحتمال أن يكون له سبب خفي لم يقفوا عليه، ولا ينزل أمر عيسى في الحمل به من غير واسطة أب عن ذلك. وإما أن تكون قد وجدت في الواقع ونفس الأمر خارقة لنظام الأسباب. وحينئذ يجب أن يعترفوا بأن الأسباب الظاهرة المعروفة ليس واجبة

وجوباً عقلياً مطرداً. وإذا كان الأمر كذلك امتنع على العاقل أن ينكر شيئاً ما ويعده مستحيلاً لأنه لا يعرف له سبباً. ولعل أبناء العصور السابقة كانوا أقرب إلا أن يعذروا بإنكار غير المؤلف من أبناء هذا العصر الذي ظهر فيه من أعمال الناس ما لو حدث به عقلاء الغابرين لعدوه من خرافات الدجالين، ونحن نرى عملاء الغرب وفلاسفته متفقين على إمكان التولد الذاتي. أي تولد الحيوان من غير حيوان أو من الجماد. وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا إلى ذلك بتجاربهم. وإذا كان تولد الحيوان من الجماد جائزاً فتولد الحيوان من حيوان واحد أولى بالجواز وأقرب إلى الحصول. نعم إنه خلاف الأصل وإن كونه جائزاً لا يقتضي وقوعه بالفعل. ونحن نستدل على وقوعه بالفعل بخبر الوحي الذي قام الدليل على صدقه.

ويمكن تقريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة في نظام الكائنات بوجهين:

(الوجه الأول): أن الاعتقاد القوي الذي يستولي على القلب ويستحوذ على المجموع العصبي يحدث في عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد. فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس في بدنه شيء من جراثيم هذا المرض. فولد له اعتقاده تلك الجراثيم الحية وصار مريضاً، وكم من أمرئ سُقي الماء القراح أو نحوه فشربه معتقداً أنه سم نافع فمات مسموماً به، والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب، وإذا اعتبرنا بها في أمر ولادة المسيح نقول: إن مريم لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولداً بمحض قدرته. وهي على ما هي عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين، انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالاً فعل في الرحم فعل التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السلم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ، وكان نفخ الروح الذي ورد في سورة أخرى متمماً لهذا التأثير.

(الوجه الثاني): وهو أقرب إلى الحق - وإن كان أخفى وأدق - وبيانه يتوقف على مقدمة وجيزة في تأثير الأرواح في الأشباح، وهي أن المخلوقات قسمين: أجسام كثيفة وأرواح لطيفة، وأن اللطيف هو الذي يحدث في الكثيف الحي ما نراه فيه من النمو والحركة والتوالد الذي يكون من النمو أو يكون النمو منه. فلولا الهواء لما عاشت هذه الأحياء. والهواء روح ولذلك كان من أسمائه إذا تحرك الريح، وأصلها «روح» بكسر الراء، ولأجل الكسر قلبت الواو ياء لتناسبه. والماء الذي منه كل شيء حي مركب من روحيين لطيفين، وهو يكاد يكون في حال التركيب وسطاً بين الكثيف واللطيف ولكنه أقرب إلى الثاني، والكهربائية من الأرواح وناهيك بفعلها في الأشباح، فهذه الموجودات اللطيفة التي سمينها أرواحاً هي التي تحدث معظم التغير

الذي نشاهده في الكون. حتى إننا قد رأينا في هذا العصر من أسرارها ما لم يكن يخطر على بال أحد من قدماء فلاسفتنا. ويعتقد علماءنا اليوم إن ما سيطهر مها في المستقبل أجل وأعظم. فإذا كان الأمر كذلك في الأرواح التي لا دليل عندنا على أنها تدرك وتريد. فلم لا يجوز أن يكون تأثير الأرواح العاقلة أعظم!!

إذا تمهد هذا فنقول: إن الله المسخر للأرواح المنبثة في الكائنات قد أرسل روحاً من عنده إلى مريم قتمثل لها بشراً ونفخ فيها. فأحدثت نفخته التلقيح في رحمها، فحملت بعيسى عليه السلام. وهل حملت إليها تلك النفخة مادة أم لا؟ الله أعلم. أما البحث في تمثل هذه الأرواح التي تسمى بلسان الشرع الملائكة فسيأتي الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: (فأرسلنا إليها تسمى بلسان الشرع الملائكة فسيأتي الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: (فأرسلنا إليها روحنا فتشمل لها بشراً سويا ١٩: ١٧) إذا أنسأ الله لنا في الأجل ووفقنا للمضي في هذا العمل (التفسير) والأستاذ الإمام لم يتعرض لهذا البحث.

(ويعلمه الكتاب الحكمة والتوراة والإنجيل) قرأ نافع وعاصم (ويعلمه) بالياء والباقون (ونعلمه) بالنون. والكتاب هنا: الكتاب بالخط، والحكمة: العلم الصحيح الذي يبعث الإرادة إلى العلم النافع، ويقف بالعامل على الصراط المستقيم لما فيه من البصيرة وفقه الأحكام وأسرار المسائل. (والتوراة): هو ما أوحى إليه نفسه - وقد تقدم في تفسير أول السورة الكلام فيهما - والكلام معطوف على قوله: (ويكلم الناس) وآية (قالت رب) معترضة بينهما (ورسولاً إلى نبي إسرائيل) أي ويرسله أو يجعله - بالياء أو النون - رسولاً إلى بني إسرائيل، فحذف لفظ يرسله أو يجعله لدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر:

ورأيت روحك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً

وقال الأستاذ الإمام: إن الرسول هنا بمعنى الرسالة، والتقدير: ويعلمه الرسالة إلى بني

إسرائيل، واستعمال لفظ الرسول بمعنى الرسالة شائع. قال كثير:

لقد كذب الواشون ما بحث عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

وفي رواية «برسيل» قال: وبعض المفسرين يجعل الرسول بمعنى الناطق، أي ناطقاً إلى بني إسرائيل (أني قد جئتكم بآية من ربكم) أقول: والمعنى على التقدير الأول: أنه يرسله محتجاً على صدق رسالته بأني قد جئتكم بآية من ربكم - وفسر الآية بقوله: (أني أخلق لكم من

الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) قال الأستاذ الإمام: الخلق: التقدير والترتيب لا الإنشاء والاختراع، ويقرب أن يكون هذا إجماعاً من المفسرين وفسره الجلال هنا بالتصوير لأنه من التقدير.

أقول: وذكر الجلال كغيره أنه كان يتخذ من الطين صورة خفاش فينفخ فيها فتحلها الحياة وتتحرك في يده. وقال بعضهم: بل تطير قليلاً ثم تسقط. قال الأستاذ الإمام: ولا حاجة إلى هذه التفصيلات، بل نقف عند لفظ الآية، وغاية ما يفهم منها أن الله تعالى جعل فيه هذا السر، ولكن لم يقل إنه خلق بالفعل، ولم يرد عن المعصوم أن شيئاً من ذلك رفع وقد جرت سنة الله تعالى أن تجري الآيات على أيدي الأنبياء عند كلب قومهم لها وجعل الإيمان موقوفاً عليها، فإن ك انوا سألوه شيئاً من ذلك فقد جاء به. وكذلك يقال في قوله: (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبيئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) فإن قصارى ما تدل عليه العبارة: أنه خص بذلك وأمر بأن يحتج به، والحكمة في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إقامة الحجة على منكري نبوته كما تقدم، وأما وقوع ذلك كله أو بعضه بالفعل فهو يتوقف على نقل يحتج به في مثل ذلك.

هذا ما قاله الأستاذ الإمام، ومن الغريب أن ابن جرير يروي عن ابن إسحق «أن عيسى صلوات الله عليه جلس يوماً مع غلمان من الكتاب فأخذ طيناً ثم قال: أجعل لكم من هذا الطين طائراً. قالوا: وتستطيع ذلك. قال: نعم بإذن ربي، ثم هبأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر فنفخ فيه، ثم قال: كن طائراً بإذن الله، فخرج يطير بين كفيه» فكأنه أخذ آية الله على رسالته ألعوبة للصبيان، والحاصل أنه ليس عندنا نقل صحيح بوقوع خلق الطير، بل ولا عند النصارى الذين يتناقلون وقوع سائر الآيات المذكورة في الآية إلا ما في إنجيل الصبا أو الطفولة من نحو ما قال ابن اسحق. وهو من الأناجيل غير القانونية عندهم. ولعل آية سورة المائدة أدنى إلى الدلالة على الوقوع من هذه الآية وهي: (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني، وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ

جئتهم بالبينات ٥-١١٠) فإن جعل ذلك كله متعلق النعمة يؤذن بوقوعه، إلا أن يقال: إن جعل هذه الآيات مما يجري على يديه عند طلبه منه والحاجة إلى تحديه به من أجل النعم وأعظمها ولكن هذا خلاف الظاهر.

ومقتضى مذهب الصوفية أن روحانية عيسى كانت غالبية على جثمانية أكثر من سائر الروحانيين، لأن أمه حملت به من الروح الذي تشمل لها بشراً سوياً، فكان تجرده من المادة الكثيفة للتصرف بسلطان الروح من قبيل الملكة الراسخة فيه، وبذلك كان إذا نفخ من روحه في صورة رطبة من الطين تحلها الحياة حتى تهتز وتتحرك، وإذا توجه بروحانيته إلى روح فارقت جسدها أمكنه أن يستحضرها ويعيد اتصالها ببدنها زمنياً ما، ولكن روحانيته البشرية لا تصل إلى درجة إحياء من مات فصار رميماً. ويؤيد ذلك ما ينقله النصارى من إحياء المسيح للموتى، فإنهم قالوا إنه أحيأ بنتاً قبل أن تُدفن، وأحيأ أليعازر قبل أن يبلى، ولم ينقل أنه أحيأ ميتاً كان رميماً. وأما إبراء الأكمه والأبرص بالقوة الروحانية فهو أقرب إلى ما يعهد الناس لا سيما بعد اعتقاد المريض. ويقول مجاهد: إن الأكمه من لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار، والمشهور أنه من وُلد أعمى. وأما الإخبار ببعض المغيبات فقد أوتيه كثيرون من الأنبياء وممن دون الأنبياء (إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) أي إن فيما ذكر لحجة لكم على صدق رسالتي إن كنتم مؤمنين بالله مصدقين بقدرته الكاملة، ومن مباحث اللفظ: أن قوله: (فأنفخ فيه) يعود إلى الطير أو إلى ما ذكر.

(ومصدقاً لما بين يدي من التوراة) أي أنه لم يأت ناسخاً للتوراة بل مصدقاً لها عاملاً بها، ولكنه نسخ بعض أحكامها كما قال: «ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم» فقد كان حرم على بني إسرائيل بعض الطيبات بظلمهم وكثرة سؤالهم فأحلها عيسى (وجئتكم بآية من ربكم) قال الأستاذ الإمام: أعاد ذكر الآية للفرقة بينما قبلها وما بعدها (فاتقوا الله وأطيعون. إن الله ربي وربكم فاعبدوه) أمرهم بتقوى الله وطاعته فيما جاء به عنه. وختم ذلك بالتوحيد والاعتراف بالعبودية. وقال في ذلك: (هذا صراط مستقيم) أي أقرب موصل إلى الله.

سورة آل عمران ٣: ٤٧

٤٧ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٨ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

وَالْإِنْجِيلَ ٤٩ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٠ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥١ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

تفسير الرازي الجزء الثامن صفحة ٥٣-٥٧

ثم قال تعالى (ومن الصالحين).

فإن قيل: كون عيسى كلمة من الله تعالى، وكونه (وجيهاً في الدنيا والآخرة) وكونه من المقربين عند الله تعالى، وكونه مكلماً للناس في المهد. وفي الكهولة كل واحد من هذه الصفات أعظم وأشرف من كونه صالحاً فلم ختم الله تعالى أوصاف عيسى بقوله (ومن الصالحين)؟

قلنا: إنه لا رتبة أعظم من كون المرء صالحاً لانه لا يكون كذلك إلا ويكون في جميع الأفعال والتروك مواظباً على النهج الأصلح، والطريق الأكمل، ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات في الدنيا والدين في أفعال القلوب، وفي أفعال الجوارح، فلما ذكر الله تعالى بعض التفاصيل أردفه بهذا الكلام الذي يدل على ارفع الدرجات.

قوله تعالى (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

قال المفسرون: إنها إنما قالت ذلك لأن التبشير به يقتضي التعجب مما وقع على خلاف العادة وقد قررنا مثله في قصة زكريا على السلام، وقوله (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) تقدم تفسيره في سورة البقرة.

أما قوله تعالى (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) ففيه مسألتان:

والأقرب عندي أن يُقال: المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة، ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، ومجموعهما هو المسمى بالحكمة. ثم بعد أن صار عالماً بالخط والكتابة، ومحيطاً بالعلوم

العقلية والشرعية، يعلمه التوراة، وإنما آخرّ تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة، لأن التوراة كتاب إلهي، وفيه أسرار عظيمة، والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث على أسرار الكتب الإلهية، ثم قال في المرتبة الرابعة والإنجيل، وإنما آخرّ ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلم الخط، ثم تعلم علوم الحق، ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عزمت درجته في العلم، فإذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتاباً آخر وأوقفه على أسراراه فذلك هو الغاية القصوى، والمرتبة العليا في العلم، والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية، والاطلاع على الحكم العلوية والسفلية، فهذا ما عندي في ترتيب هذه الألفاظ الأربعة.

ثم قال تعالى (ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم) وفيه مسائل: (المسألة الأولى) في هذه الآية وجوه (الأول) تقدير الآية: ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ونبعته رسولاً إلى بني إسرائيل قائلاً: أني قد جئتكم بآية من ربكم. والحذف حسن إذا لم يفيض إلى الاشتباه. (الثاني) قال الزجاج: الاختيار عندي أن تقديره: ويكلم الناس رسولاً، وإنما أضمرنا ذلك لقوله (أنني قد جئتكم). والمعنى: ويكلمهم رسولاً بأنني قد جئتكم. (الثالث) قال الأخفش: إن شئت جعلت الواو زائدة، والتقدير: ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة، والإنجيل رسولاً إلى بني إسرائيل، قائلاً: أني قد جئتكم بآية.

(المسألة الثانية) هذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان رسولاً إلى كل بني إسرائيل بخلاف قول بعض اليهود أنه كان مبعوثاً إلى قوم مخصوصين منهم. (المسألة الثالثة) المراد بالآية الجنس لا الفرد لأنه تعالى عدّد ههنا أنواعاً من الآيات، وهي إحياء الموتى، وإبرا الأكمه والأبرص، والإخبار عن المغيبات فكان المراد من قوله (قد جئتكم بآية من ربكم) الجنس لا الفرد.

ثم قال (إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله). اعلم أنه تعالى حكى ههنا خمسة أنواع من معجزات عيسى عليه السلام:

النوع الأول:

ما ذكره ههنا في هذه الآية وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) قرأ حمزة (أنني) بفتح الهمزة، وقرأ نافع بكسر الهمزة فمن فتح (أنني) فقد

جعلها بدلاً من آية كانه قال: وجئتكم بأني أخلق من الطين. ومن كسر فله وجهان (أحدهما) الاستئناف وقطع الكلام مما قبله (والثاني) أنه فسر الآية بقوله (أني أخلق لكم) ويجوز أن يفسر الجملة المتقدمة بما يكون على وجه الابتداء قال الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ثم فسر الموعود بقوله (لهم مغفرة) وقال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ثم فسر المثل بقوله (خلقه من تراب) وهذا الوجه أحسن لأنه في المعنى كقراءة من فتح (أني) على جعله بدلاً من آية.

(المسألة الثانية) (أخلق لكم من الطين) أي أقدر وأصور. وقد بينا في تفسير قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) إن الخلق هو التقدير، ولا بأس بأن نذكره ههنا أيضاً فنقول الذي يدل عليه القرآن والشعر والاستشهاد، أما القرآن فآيات (أحدها) قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) أي المقدرين. وذلك لأنه ثبت أن العبد لا يكون خالقاً بمعنى التكوين والإيداع فوجب تفسير كونه خالقاً بالتقدير والتسوية. (وثانيها) أن لفظ الخلق يطلق على الكذب. قال تعالى في سورة الشعراء (إن هذا إلا خلق الأولين) وفي العنكبوت (وتخلقون إفكا) وفي سورة ص (إن هذا إلا اختلاق) والكاذب إنما سمي خالقاً لأنه يقدر الكذب في خاطره ويصوره. (وثالثها) هذه الآية التي نحن في تفسيرها وهي قوله (أني أخلق لكم من الطين) أي أصور وأقدر وقال تعالى في المائدة (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير) وكل ذلك يدل على أن الخلق هو التصوير والتقدير. (ورابعها) قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) وقوله (خلق) إشارة إلى الماضي، فلو حملنا قوله (خلق) على الإيجاد والإبداع، لكان المعنى: أن كل ما في الأرض فهو تعالى قد أوجده في الزمان الماضي. وذلك باطل بالاتفاق، فاذن وجب حمل الخلق على التقدير حتى يصح الكلام، وهو أنه تعالى قدر في الماضي كل ما وجد الآن في الأرض.

إذا عرفت هذا فنقول (أني أخلق لكم من الطين) معناه: أصور وأقدر وقوله (كهيئة الطير) فإلهية الصورة المهيئة من قولهم هيأت الشيء إذ قدرته وقوله (فأنفخ فيه) أي في ذلك الطين المصور وقوله (فيكون طيراً بإذن الله) ففيه مسائل:

(المسألة الأولى) قرأ نافع (فكيون طائراً) بالألف على الواحد، والباقون (طيراً) على الجمع، وكذلك في المائدة والطير اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع.

يروى أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة، وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه وطالبوه

بخلق خفاش، فأخذ طيناً وصوره، ثم نفخ فيه، فإذا هو يطير بين السماء والأرض، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً، ثم اختلف الناس فقال قوم: إنه لم يخلق غير الخفاش، وكانت قراءة نافع عليه. وقال آخرون: إنه خلق أنواعاً من الطير وكانت قراءة الباقر عليه.

(المسألة الثانية) قال بعض المتكلمين: الآية تدل على أن الروح جسم رقيق كالريح، ولذلك وصفها بالفتح، ثم ههنا بحث، وهو أنه هل يجوز أن يقال: إنه تعالى أودع في نفس عيسى عليه السلام خاصية، بحيث متى نفخ في شيء كان نفحه فيه موجباً لصيرورة ذلك الشيء حياً. أو يقال: ليس الأمر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحياة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخة عيسى عليه السلام فيه على سبيل إظهار المعجزات، وهذا الثاني هو الحق لقوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) وحكى عن إبراهيم عليه السلام إنه قال في مناظرته مع الملك (ربي الذي يحيي ويميت) فلو حصل لغيره، هذه الصفة لبطل ذلك الاستدلال.

(المسألة الثالثة) القرآن دل على أنه عليه الصلاة والسلام إنما تولد من نفخ جبريل عليه السلام في مريم وجبريل صلى الله عليه وسلم رزح محض وروحاني محض فلا جرم كانت نفخة عيسى عليه السلام للحياة والروح.

(المسألة الرابعة) قوله (ياذن الله) مغناه بتكوين الله تعالى وتخليقه لقوله تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) أي إلا بأن يوجد الله الموت، وإنما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد إزالة للشبهة، وتنبهها على إني أعمل هذا التصور، فأما خلق الحياة فهو من الله تعالى على بسبيل إظهار المعجزات على يد الرسل.

وأما النوع الثاني والثالث والرابع من المعجزات

فهو قوله (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله).

ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن الأكمه هو الذي وُلد أعمى وقال الخليل وغيره هو الذي عمي بد أن كان بصيراً، وعن مجاهد هو الذي لا يبصر بالليل، ويقال: إنه لم يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير، وروى أنه عليه الصلاة والسلام ربما اجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى من أطاق منهم أتاؤه، ومن لم يطق أتاؤه عيسى عليه السلام، وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده، قال الكلبي: كان عيسى عليه السلام يحيي

الأموات بيا حي يا قيوم وأحيا عاذر، وكان صديقاً له، ودعا سام بن نوح من قبره، فخرج حياً، ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله، فنزل عن سريرته حياً، ورجع إلى أهله وولد له، وقوله (ياذن الله) رفع لتوهم من اعتقد فيه الإلهية.

وأما النوع الخامس

من المعجزات إخباره عن الغيوب فهو قلوه تعالى حكاية عنه (وأنبئكم بما تأكلوا وما تدخرون في بيوتكم) وفيه مسألتان:

(المسألة الاولى) في هذه الآية قولان (أحدهما) أنه عليه الصلاة والسلام كان من أول مرة يخبر عن الغيوب، روى السدي: أنه كان يلعب مع الصبيان، ثم يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم، وكان يخبر الصبي بأن أمك قد خبأت لك كذا فيرجع الصبي إلى أهله ويكي إلى أن يأخذ ذلك الشيء ثم قالوا لصبيانهم: لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت، فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم.

سورة آل عمران ٣: ٤٩

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٦٤-٣٦٥

يقول تعالى مخبراً عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام. إن الله يعلمه الكتاب والحكمة، الظاهر أن المراد بالكتاب ههنا الكتابة، والحكمة تقدم تفسيرها في سورة البقرة، والتوراة والإنجيل فالتوراة هو الكتاب الذي أنزل على موسى بن عمران والإنجيل الذي أنزل على عيسى بن مريم عليهما السلام. وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا وقوله (ورسولا إلى بني إسرائيل) قائلاً لهم (أني قد جئكم بآية من ربكم، أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً ياذن الله) وكذلك كان يفعل يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عياناً ياذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله (وأبرئ الأكمه) قيل إنه الذي يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً، وقيل بالعكس، وقيل الأعشى، وقيل الأعمش، وقيل هو الذي يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي (والأبرص) معروف (وأحي الموتى ياذن الله) قال كثير من العلماء بعث الله كل نبي من

الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار. وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء واصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمة والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد. وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله، وأو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وما ذاك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً، وقوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخر له في بيته لغد (إن في ذلك) أي في ذلك كله (لآية لكم) أي على صدقي فيما جئكم به (إن كنتم مؤمنين). ومصدقاً لما بين يدي من التوراة) أي مقررراً لها ومثبتاً (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال لم ينسخ منها شيئاً، وإنما حل عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال لم ينسخ منها شيئاً، وإنما حل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ وانكشف لهم عن الغطاء في ذلك كما قال في الآية الأخرى (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) والله أعلم. ثم قال (وجئتكم بآية من ربكم) أي بحجة ودلالة على صدقي فيما أقوله لكم (فاتقوا الله وأطيعون، إن الله ربي وربكم فاعبدوه) أي أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه (هذا صراط مستقيم).

سورة آل عمران ٣: ٤٩-٥١

تفسير الرازي الجزء الثامن صفحة ٥٨-٦٦

٤٩ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٠ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥١ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

فقالوا له. ليسوا في البيت، فقال: فمن في هذا البيت؟ قالو: خنازير قال عيسى عليه السلام: كذلك يكونون. فإذا هم خنازير.

(والقول الثاني) إن الإخبار عن الغيوب إنما ظهر وقت نزول المائدة، وذلك لأن القوم نهوا عن الإدخار، فكانوا يخزنون ويدخرون، فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بذلك.

(المسألة الثانية) الإخبار عن الغيوب على هذا الوجه معجزة، وذلك لأن المنجمين الذين يدعون استخراج الخبر لا يمكنهم ذلك إلا عن سؤال يتقدم ثم يستعينون عند ذلك بآلة ويتوصلون بها إلى معرفة أحوال الكواكب، ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيراً، فأما عن الغيب من غير استعانة بآلة، ولا تقدم مسألة لا يكون إلا بالوحي من الله تعالى.

ثم أنه عليه السلام ختم كلامه بقوله (إن ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين). والمعنى في الحمل على الصدق وعلى من افترى دلالة أصل المعجز على صدق المدعي، وهم البراهمة، فإن لا يكفيه ظهور هذه الآيات، أما من آمن بدلالة المعجز على الصدق لا يبقى له في هذه المعجزات كلام البتة.

قوله تعالى (وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥١ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ).

اعلم أنه عليه السلام لما بين بهذه المعجزات الباهرة كونه رسولاً من عند الله تعالى، بين بعد ذلك إنه بماذا أرسل وهو أمران (أحدهما) قوله (ومصدقاً لما بين يدي من التوراة).

وفيه مسألتان:

(المسألة الأولى) قد ذكرنا في قوله (ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية) أن تقديره وأبعثه رسولاً إلى بين إسرائيل قائلاً (أنني قد جئتكم بآية) فقوله (ومصدقاً) معطوف عليه والتقدير: وأبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل قائلاً (أنني قد جئتكم بآية)، وإني بعثت (مصدقاً لما بين يدي من التوراة) وإنما حسن حذف هذه الألفاظ لدلالة الكلام عليها.

(المسألة الثانية) أنه يجب على كل نبي أن يكون مصدقاً لجميع الأنبياء عليهم السلام، لأن الطريق إلى ثبوت نبوتهم هو المعجزة، فكل من حصل له المعجز، وجب الاعتراف بنبوته،

فلهذا قلنا بأن عيسى عليه السلام يجب أن يكون مصداقاً لموسى بالتوراة. ولعل من جملة الأغراض في بعثه عيسى عليه السلام إليهم تقرير التوراة وإزالة شبهات المنكرين وتحريفات الجاهلين.

(وأما المقصود الثاني) من بعثه عيسى عليه السلام وقوله (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم).

ثم قال (وجئتكم بآية من ربكم) وإنما أعاده لأن إخراج الإنسان عن المألوف المعتاد من قديم الزمان عسر فأعاد ذكر المعجزات ليصير كلامه ناجعاً في قلوبهم ومؤثراً في طباعهم. ثم خوّفهم فقال (فاتقوا الله وأطيعون) لأن طاعة الرسول من لوازم تقوى الله تعالى فبيّن أنه إذا لزمكم أن تتقوا الله لزمكم أن تطيعوني فيما أمركم به عن ربي. ثم إنه ختم كلامه بقوله (إن الله ربي وربكم) ومقصود إظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية لكيلا يتقولوا عليه الباطل فيقولون: إنه إله وابن إله لأن إقراره لله بالعبودية يمنع ما تدعيه جهال النصارى عليه، ثم قال (فاعبدوه) والمعنى: أنه تعالى لما كان رب الخلائق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه، ثم أكد ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم).

قوله تعالى (٥٢) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا
أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ٥٤ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ).

اعلم أنه تعالى لما حكى بشارة مريم بولد مثل عيسى واستقصى في بيان صفاته وشرح معجزاته وترك ههنا قصة ولادته، وقد ذكرها في سورة مريم على الاستقصاء، شرع في بيان أن عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات، وأظهر لهم تلك الدلائل فهم بماذا عاملوه فقال تعالى (فلما أحس عيسى منهم) وفي الآية مسائل:

(المسألة الأولى) الإحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة وههنا وجهان (أحدهما) أن يجري اللفظ على ظاهره، وهو إنهم تكلموا بالكفر، فأحس ذلك بإذنه (والثاني) أن نحمله

على التأويل، وهو أن المراد أنه عرف منهم إصرارهم على الكفر، وعزمهم على قتله، ولما كان ذلك العلم علماً لا شبهة فيه، مثل العلم الحاصل من الحواس، لاجرم عبر عن ذلك العلم بالإحساس.

(المسألة الثانية) اختلفوا في السبب الذي به ظهر كفرهم على وجوه (الأول) قال السدي: أنه تعالى لما بعثه رسولاً إلى بني إسرائيل جاءهم ودعاهم إلى دين الله فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم، وكان أمر عيسى عليه السلام في قومه كأمر محمد صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فكان مستضعفاً، وكان يختفي من بني إسرائيل كما اختفى النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، وفي منازل من آمن به لما أرادوا قتله، ثم إنه عليه الصلاة والسلام خرج مع أمه يسيحان في الأرض، فاتفق أنه نزل في قرية على رجل فأحس ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة ملك جبار فجاء ذلك الرجل يوماً حزيناً، فسأله عيسى عن السبب فقال: ملك هذه المدينة رجل جبار ومن عادته أنه جعل على كل رجل منا يوماً يطعمه ويسقيه هو وجنوده، وهذا اليوم نوبتي والأمر متعذر علي، فلما سمعت مريم عليها السلام ذلك، قالت: يا بني ادع الله ليكفي ذلك، فقال: يا أماه إن فعلت ذلك كان شر، فقالت: قد أحسن وأكرم ولا من إكرامه فقال عيسى عليه السلام: إذا قرب مجيء الملك فأملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني، فلما فعل ذلك، دعا الله تعالى فتحول ما في القدور طيبخاً، وما في الخوابي خمرأً، فلما جاءه الملك أكل وشرب وسأله من أين هذا لخمير؟ فتعلل الرجل في الجواب فلم يزل الملك يطالبه بذلك حتى أخبره بالواقعة فقال: إن من دعا الله حتى جعل الماء خمرأً إذا دعا أن يحيي الله تعالى ولدي لا بد وأن يجاب، وكان ابنه قد مات قبل ذلك بأيام، فدعا عيسى عليه السلام وطلب منه ذلك، فقال عيسى: لا نفعل، فإنه إن عاش كان شراً، فقال: ما أبالي ما كان إذا رأيته وإن أحييته تركتك على ما تفعل، فدعا الله عيسى، فعاش الغلام، فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح واقتتلوا، وصار أمر عيسى عليه السلام مشهوراً في الخلق، وقصد اليهود قتله، وأظهروا الطعن فيه والكفر به.

(والقول الثاني) إن اليهود كانوا عارفين بأنه هو المسيح المبشر به في التوراة، وأنه ينسخ دينهم، فكانوا من أول الأمر طاعنين فيه، طالبين قتله، فلما أظهر الدعوة اشتد غضبهم، وأخذوا في إيذائه وإيحاشه وطلبوا قتله.

(والقول الثالث) أن عيسى عليه السلام ظن من قومه الذين دعاهم إلى الإيمان أنهم لا

يؤمنون به وأن دعوته لا تنجح فيهم فأحب أن يمتحنهم ليتحقق ما ظنه بهم فقال لهم (من أنصاري إلى الله) فما أحاجه إلا الحواريون، فعند ذلك أحس بأن من سوى الحواريين كافرون مصرون على إنكار دينه وطلب قتله.

أما قوله تعالى (قال من أنصاري إلى الله) ففيه مسألتان:

(المسألة الأولى) في الآية اقوال (الأول) أن عيسى عليه السلام لما دعا بني إسرائيل إلى الدين، وتمردوا عليه فر منهم وأخذ يسبح في الأرض فمر بجماعة من صيادي السمك، وكان فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا ابنا زبدي وهم من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى عليه السلام: الآن تصيد السمك، فإن تبعثني صرت بحيث تصيد الناس حياة الأبد، فطلبوا منه المعجزة، وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء فما اصطاد شيئاً فأمره عيسى بإلقاء شبكته في الماء مرة أخرى، فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق منه، واستعانوا بأهل سفينة أخرى، وملؤا السفينتين، فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام.

(والقول الثاني) أن قوله (من أنصاري إلى الله) إنما كان في آخر أمره حين اجتمع اليهود عليه طلباً لقتله، ثم ههنا احتمالات (الاول) أن اليهود لما طلبوه القتل وكان هو في الهرب عنهم قال لأولئك الاثني عشر من الحواريين: أيكم يجب أن يكون رفيقي في الجنة على أن يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني؟

فأجابه إلى ذلك بعضهم وفيما تذكره النصارى في إنجيلهم: أن اليهود لما أخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبداً كان فيهم لرجل من الأبحار عظيم فرمى بأذنه، فقال له عيسى: حسبك ثم أخذ أذن العبد فردها إلى موضعها، فصارت كما كانت، والحاصل أن الغرض من طلب النصره إقدامهم على دفع الشر عنه.

(والاحتمال الثاني) أنه دعاهم إلى القتال مع القوم لقوله تعالى في سورة أخرى (فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين).

(المسألة الثانية) قوله (إلى الله) فيه وجوه (الأول) التقدير: من أنصاري حال ذهابي إلى الله أو جال التجائي إلى الله (والثاني) التقدير: من أنصاري إلى أن أبين أمر الله تعالى، وإلى أن أظهر دينه ويكون إلى ههنا غاية كأنه أراد من يثبت على نصرتي إلى أن تتم دعوتي، ويظهر أمر

الله تعالى (الثالث) قال الأكثرون من أهل اللغة إلى ههنا بمعنى مع قال تعالى (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أي معها، وقال صلى الله عليه وسلم «الذود إلى الذوبد إبل» أي مع الذود.

أما قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) ففيه مسائل:

(المسألة الأولى) ذكروا في لفظ (الحواري) وجوهاً (الأول) أن الحواري اسم موضوع لخاصة الرجل، وخالصته، ومنه يقال للدقيق حواري، لأنه هو الخالص منه، وقال صلى الله عليه وسلم للزبير «إنه ابن عمتي، وحواري من أمتي» والحواريات من النساء النقيات الألوان والجلود، فعلى هذا الحواريون هم صفة الأنبياء الذين خلصوا وأخلصوا في التصديق بهم وفي نصرتهم.

(القول الثاني) الحواري أصله من الحور، وهو شدة البياض، ومنه قيل للدقيق حواري، ومنه الأحور، والهور نقاء بياض العين، وحورت الثياب بيضتها، وعلى هذا القول اختلفوا في أن أولئك لم سموا بهذا الاسم. فقال سعيد بن جبير: لبياض ثيابهم، وقيل كانوا قصارين، يبيضون الثياب، وقيل لأن قلوبهم كانت نقية طاهرة من كل نفاق وريبة فسموا بذلك مدحاً لهم، وإشارة إلى نقاء قلوبهم، كالثوب الأبيض، وهذا كما يقال فلان نقي الجيب، طاهر الذيل، إذا كان بعيداً عن الأفعال الذميمة، وفلان دنس الثياب: إذا كان مقدماً على ما لا ينبغي.

(القول الثالث) قال الضحاك: مر عيسى عليه السلام بقوم من الذين كانوا يغسلون الثياب، فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا، والذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري، وهو القصار فعربت هذه اللفظة فصارت حواري، وقال مقاتل بن سليمان: الحواريون: هم القصارون، وإذا عرفت أصل هذا اللفظ فقد صار بعرف الاستعمال دليلاً على خواص الرجل وبطانته.

(المسألة الثانية) اختلفوا في أن هؤلاء الحواريون من كانوا؟

(فالقول الأول) إنه عليه السلام مر بهم وهم يصطادون السمك فقال لهم «تعالوا نصطاد الناس» قالوا: من أنت؟ قال «أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله» فطلبوا منه المعجز على ما قال فلما أظهر المعجز آمنوا به، فهم الحواريون.

(القول الثاني) قالوا: سلمته أمه إلى صباغ، فكان إذا أراد أن يعلمه شيئاً كان هو أعلم به منه وأراد الصباغ أن يغيب لبعض مهماته، فقال له: ههنا ثياب مختلفة، وقد علمت على كل

واحد علامة معينة، فاصبغها بتلك الألوان، بحيث يتم المقصود عند رجوعي، ثم غاب فطبخ عيسى عليه السلام جباً واحداً، وجعل الجميع فيه، وقال «كوني يا ذن الله كما أريد» فرجع الصباغ فأخبره بما فعل فقال: قد أفسدت علي الثياب، قال «قم فانظر» فكان يخرج ثوباً أحمر، وثوباً أخضر، وثوباً أصفر كما كان يريد، إلى أن أخرج الجميع على الألوان التي أرادها، فتعجب الحاضرون منه، وآمنوا به فهم الحواريون.

(القول الثالث) كانوا الحواريون اثني عشر رجلاً اتبعوا عيسى عليه السلام، وكانوا إذا قالوا: يا روح الله جعنا، فيضرب بيده إلى الأرض، فيخرج لكل واحد رغيفان، وإذا عطشوا قالوا يا روح الله: عطشنا، فيضرب بيده إلى الأرض، فيخرج الماء فيشربون، فقالوا: من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا، وإذا شئنا سقيتنا، وقد آمنا بك فقال «أفضل منكم من يعمل بيده، ويأكل من كسبه» فصاروا يغسلون الثياب بالكراء، فسموا حواريين.

(القول الرابع) أنهم كانوا ملوكاً قالوا وذلك أن واحداً من الملوك صنع طعاماً، وجمع الناس عليه، وكان عيسى عليه السلام على قصعة منها، فكانت القصعة لا تنقص، فذكروا هذه الواقعة لذاك الملك، فقال: تعرفونه، قالوا: نعم، فذهبوا بعيسى عليه السلام، قال: من أنت؟ قال: أنا عيسى بن مريم، قال فإني أترك ملكي وأتبعك فتبعه ذلك الملك مع أقاربه، فأولئك هم الحواريون قال القفال: ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك، وبعضهم من صيادي السمك، وبعضهم من القصارين، والكل سموا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى عليه السلام، وأعوانه، والمخلصين في محبته، وطاعته، وخدمته.

(المسألة الثالثة) المراد من قوله (نحن أنصار الله) أي نحن أنصار دين الله وأنصار أنبيائه، لأن نصرة الله تعالى في الحقيقة محال، فالمراد منه ما ذكرناه.

أما قوله (آمنا بالله) فهذا يجري مجرى ذكر العلة، والمعنى يجب علينا أن نكون من أنصار الله، لأجل أننا آمنا بالله، فإن الإيمان بالله يوجب نصرة دين الله، والذب عن أوليائه، والمحاربة مع أعدائه.

ثم قالوا (وأشهد بأننا مسلمون) وذلك لأن إشهدهم عيسى عليه السلام على أنفسهم، إشهد الله تعالى أيضاً، ثم فيه قولان (الأول) المراد وأشهد أنا منقادون لما تريده منا في نصرتك، والذب عنك، مستسلمون لأمر الله تعالى فيه (الثاني) أن ذلك إقرار منهم بأن دينهم الإسلام، وأنه دين كل الأنبياء صلوات الله عليهم.

واعلم أنهم لما أشهدوا عيسى عليه السلام على إيمانهم، وعلى إسلامهم تضرعوا إلى الله تعالى، وقالوا (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وذلك لأن القوم آمنوا بالله حين قالوا: في الآية المتقدمة (آمنا بالله) ثم آمنوا بكتب الله تعالى حيث قالوا (آمنا بما أنزلت) وآمنوا برسول الله حيث، قالوا (واتبعنا الرسول) فعند ذلك طلبوا الزلفة والثواب، فقالوا (فاكتبنا مع الشاهدين) وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين، ويفضل على درجته، لأنه هم المخصوصون بأداء الشهادة قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) (والثاني) وهو منقول أيضاً عن ابن عباس (اكتبنا مع الشاهدين) أي اكتبنا في زمرة الأنبياء لأن كل نبي شاهد لقومه قال الله تعالى (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين).

وقد أجاب الله تعالى دعاءهم وجعلهم أنبياء ورسلًا، فأحيوا الموتى، وصنعوا كل ما صنع عيسى عليه السلام.

(والقول الثالث) (اكتبنا مع الشاهدين) أي اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولأنبيائك بالتصديق، والمقصود من هذا أنهم لما أشهدوا عيسى عليه السلام على إسلام أنفسهم، حيث قالوا (واشهد بأنا مسلمون) فقد أشهدوا الله تعالى على ذلك تأكيداً للأمر، وتقوية له، وأيضاً طلبوا من الله مثل ثواب كل مؤمن شهد بالله بالتوحيد ولأنبيائه بالبنوة.

(القول الرابع) إن قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) إشارة إلى إن كتاب الأبرار إنما يكون في السموات مع الملائكة قال الله تعالى (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) فإذا كتب الله ذكرهم مع الشاهدين المؤمنين كان ذكرهم مشهوراً في الملأ الأعلى وعند الملائكة المقربين.

(القول الخامس) أنه تعالى قال (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) فجعل أولو العلم من الشاهدين، وقرن ذكرهم بذكر نفسه، وذلك درجة عظيمة، ومرتبة عالية، فقالوا (فاكتبنا مع الشاهدين) أي اجعلنا من تلك الفرقة الذين قرنت ذكره بذكره.

(والقول السادس) أن جبريل عليه السلام لما سأل محمداً صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال «أن تعبد الله كأنك تراه» وهذا غاية درجة العبد في الاشتغال بالعبودية، وهو أن يكون العبد في مقام الشهود، لا في مقام الغيبة، فهؤلاء القوم لما صاروا كاملين في درجة الاستدلال أرادوا الترقى من مقام الاستدلال إلى مقام الشهود والمكاشفة، فقالوا (فاكتبنا مع الشاهدين).

(القول السابع) إن كل من كان في مقام شهود الحق لم يبال بما يصل إليه من المشاق والآلام. فلما قبلوا من عيسى عليه السلام أن يكونوا ناصرين له، ذابن عنه، قالوا (فاكتبنا مع الشاهدين) أي اجعلنا ممن يكون في شهود جلالك، حتى نصير مستحقين لكل ما يصل إلينا من المشاق والمتاعب فحينئذ يسهل علينا الوفاء بما التزمناه من نصره رسولك ونبيك.

ثم قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) أصل المكر في اللغة، السعي بالفساد في خفية ومداجاة، قال الزجاج: يقال مكر الليل، وأمكر إذا أظلم، وقال الله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا) وقال (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يكرون) وقيل أصله من اجتماع الأمر وإحكامه، ومنه امرأة مكمورة، أي مجتمعة الخلق وإحكام الرأي يقال له الإجماع والجمع قال الله تعالى (فاجمعوا أمركم وشركاءكم) فلما كان المكر رأياً محكماً قوياً مصوناً عن جهات النقص والفتور، لا جرم سمي مكرًا.

(المسألة الثانية) أما مكرهم بعيسى عليه السلام، فهو أنهم هموا بقتله، وأما مكر الله تعالى بهم، ففيه وجوه (الأول) مكر الله تعالى بهم هو أنه رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وذلك أن يهودا ملك اليهود، أراد قتل عيسى عليه السلام، وكان جبريل عليه السلام، لا يفارقه ساعة، وهو معنى قوله (وأيدناه بروح القدس) فلما أرادوا ذلك أمره جبريل عليه السلام أن يدخل بيتا فيها روزنة، فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة، وكان قد ألقى شبهه على غيره، فأخذ وصلب ففرق الحاضرون ثلاث فرق، فرقة قالت: كان الله فينا فذهب، وأخرى قالت: كان ابن الله، والأخرى قالت: كان عبد الله ورسوله، فأكرمه بأن رفعه إلى السماء، وصار لكل فرقة جمع فظهرت الكافرتان على الفرقة المؤمنة إلى أن بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم، وفي الجملة، فالمراد من مكر الله بهم أن رفعه إلى السماء. وما مكنهم من إيصال الشر إليه.

(الوجه الثاني) أن الحواريون كانوا اثني عشر، وكانوا مجتمعين في بيت فنافق رجل منهم، ودل اليهود عليه، فالتقى الله شبهه عليه ورفع عيسى، فأخذوا ذلك المنافق الذي كان فيهم، وقتلوه وصلبوه على ظن أنه عيسى عليه السلام، فكان ذلك هو مكر الله بهم.

(الوجه الثالث) ذكر محمد بن إسحق أن اليهود عذبوا الحواريين بعد أن رفع عيسى عليه السلام، فشمسوه وعذبوهم، فلقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم، وكان ملك اليهود من

رعيته فقيل له إن رجلاً من بني إسرائيل ممن تحت أمرك كان يخبرهم أنه رسول الله، وأراهم إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فقتل، فقال: لو علمت ذلك لحت بينه وبينهم، ثم بعث إلى الحواريين، فانترعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام، فأخبروه فتابعهم على دينهم، وأنزل المصلوب فغيبه، وأخذ الخشبة فأكرمها وصانها، ثم غزا بني إسرائيل وقتل منهم خلقاً عظيماً ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم، وكان اسم هذا الملك طباريس، وهو صار نصرانياً، إلا أنه ما أظهر ذلك، ثم إنه جاء بعده ملك آخر، يقال له: مطليس، وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من أربعين سنة، فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجراً على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير إلى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح وألهم بقتله.

(القول الرابع) أن الله تعالى سلط عليهم ملك فارس حتى قتلهم، وسباهم، وهو قوله تعالى (ثم بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديداً) فهذا هو مكر الله تعالى بهم.

(القول الخامس) يحتمل أن يكون المراد أنهم مكروا في إخفاء أمره، وإبطال دينه ومكر الله بهم حيث أعلى دينه وأظهر شريعته وقهر بالذل والدناءة أعداءه وهم اليهود والله أعلم.

(المسألة الثالثة) المكر عبارة عن الاحتيال في إيصال الشر، والاحتيال على الله تعالى محال فصار لفظ المكر في حقه من التشابهات وذكروا في تأويله وجوهاً (أحدها) أنه تعالى سمى جزاء المكر بالمكر، كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وسمى جزاء المخادعة بالمخادعة، وجزاء الاستهزاء بالاستهزاء (والثاني) أن معاملة الله معهم كانت شبيهة بالمكر فسمى بذلك (الثالث) أن هذا اللفظ ليس من التشابهات، لأنه عبارة عن التدبير المحكم الكامل ثم اختص في العرف بالتدبير.

تفسير محمد عبده الجزء الثالث صفحة ٢٥٨-٢٦٢

قال الأستاذ الإمام: انتقل من البشارة بعيسى إلى ذكر خبره مع قومه وطوى ما بينهما من خبر ولادته ونشأته وبعثته مؤيداً بتلك الآيات، وهذا من إيجاز القرآن الذي انفرد به. فقد انطوى تحت قوله: (فلما أحس عيسى منهم الكفر) جميع ما دلت عليه البشارة وعلم أنه ولد وبعث ودعا وأيد دعوته كما سبقت البشارة، فأحس وشعر من قومه - وهم بنو إسرائيل - الكفر والعناد والمقاومة والقصد بالإيذاء. وفي هذا من العبرة والتسلية للنبي صلى الله عليه

وسلم ما فيه، وإن أكبر ما فيه الإعلام بأن الآيات الكونية وإن كثرت وعظمت ليست ملزمة بالإيمان ولا مفضية إليه حتماً. وإنما يكون الإيمان باستعداد المدعو إليه وحسن بيان الداعي، ولذلك كان من أمر عيسى عليه السلام أنه لما أحس من قومه الكفر (قال من أنصاري إلى الله) أي توجه إلى باحث عن أهل الاستعداد الذين ينصرونه في دعوته تاركين لأجلها كل ما يشغل عنها منخلعين عما كانوا فيه متحيزين ومنزوين إلى الله منصرفين إلى تأييد رسوله ونصره على خاذليه والكافرين بما جاء به (قال الحواريون نحن أنصار الله) أي أنصار دينه، وهذا القول يفيد الانخلاع والانفصال من التقاليد السابقة والأخذ بالتعليم الجديد، وبذل منتهى الاستطاعة فيت أبيده، فإن نصر الله لا يكون إلا بذلك.

والحواريون: أنصار المسيح، والنصر لا يستلزم القتال، فالعمل بالدين والدعوة إليه نصر له. قال الأستاذ الإمام: ولا نتكلم في عددهم لأن القرآن لم يعينه. أقول: ولعل لفظ «الحواري» مأخوذ من «الحواري» وهو لباب الدقيق وخالصه، لأنه من خيار القوم وصفوتهم، أو من «الحوار» وهو البياض، وفي حديث الصحيحين «كل نبي حوارى وحواريّ الزبير» ومن هنا قيل خاص بأنصار الأنبياء (آمنوا بالله وأشهد بأننا مسلمون) مخلصون له منقادون لأمره، وفي هذا دليل على أن الإسلام دين الله على لسان كل نبي وإن اختلفوا في بعض صورته وأشكاله وأحكامه وأعماله.

ومن مباحث اللفظ في الآية أن (أحسن) يستعمل في إدراك الحسي والمعنوي، فإن حقيقة الأساس أحسست منه مكرراً، وأحسست منه بمكر، وما أحسنا منه خيراً، وهل تحس من فلان بخير؟ والمكر من الأمور المعنية وإن كان يستنبط من الأعمال الحسية ويستدل عليه بها. وقال البيضاوي في الآية: «تحقق كفرهم عندهم تحقق ما يدرك بالحواس» وهو مبني على أن معنى أحس الشيء أدركه بإحدى حواسه. وإن إطلاقه على إدراك الأمور المعنوية مجاز شبه فيه المعقول بالمحسوس في الجلاء والوصول إلى درجة اليقين، على أن الكفر يعرف بالأقوال والأعمال المحسوسة.

(ومكروا ومكر الله) أي ومكر أولئك الذين أحس عيسى منهم الكفر به، فحاولوا قتله وأبطل الله مكرهم فلم ينجحوا فيه. وعبر عن ذلك بالمكر على طريق المشاكلة، كذا قال الجمهور، وأقرهم الأستاذ الإمام. ولكن ورد في سورة الأعراف إضافة المكر إلى الله تعالى من غير مقابلة بمكر الناس. قال: «أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ٧: ٩٩»

والمكر في الأصل: التدبير الخفي المفضي بالممكور به إلى ما لا يحتسب، ولما كان الغالب أن يكون ذلك في السوء لأن من يدبر للإنسان ما يسره وينفعه لا يكاد يحتاج إلى إخفاء تدبيره. غلب استعمال المكر في التدبير السيء وإن كان في المكر الحسن والسيء جميعاً قال تعالى (استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ٤٣:٣٥) ووجه الحاجة إلى المكر الحسن أن من الناس من إذا علم بما يدبر له من الخير أفسد على الفاعل تدبيره لجهله فيحتاج مربيه أو متولي شئونه إلى أن يحتال عليه ويمكر به ليوصله إلى ما لا يصح أن يعرفه قبل الوصول، إذ يوجد في الماكرين الأشرار والأخيار (والله خير الماكرين) فإن تدبيره الذي يخفى على عباده إنما يكون لإقامة سننه وإتمام حكمه وكلها خير في نفسها وإن قصر كثير من الناس في الاستفادة منها بجهلهم وسوء اختيارهم.

سورة آل عمران ٥٥:٣

تفسير الطبري الجزء الثالث صفحة ٢٨٩

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْفُضْ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قوله (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال: رفعه غياه غليه، توفيه إياه، وتطهيره من الذين كفروا.

حدثني المشي، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح أن كعب الأحمار، قال: ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم، إنما بعثه الله داعياً ومبشراً يدعو إليه وحده، فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه، شكاً ذلك إلى الله عز وجل، فأوحى الله إليه (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) وليس من رفعته عندي ميتاً، وإنني سأبعثك على الأعور الدجال، فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة، ثم أميتك ميتة الحي. قال كعب الأحمار: وذلك يصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «كيف تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى في آخرها؟».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: يا عيسى إني متوفيك: أي قابضك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) قال: متوفيك: قابضك، قال: ومتوفيك ورافعك واحد. قال: ولم يميت بعد حتى يقتل الدجال، وسيموت، وقرأ قول الله عز وجل (ويكلم الناس في المهد وكهلاً) قال: رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً، قال: وينزل كهلاً.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قول الله عز وجل (يا عيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)... الآية كلها، قال: رفعه الله إليه، فهو عنده في السماء.

وقال آخرون: معنى ذلك. إني متوفيك وفاة موت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني أنه قال: توفي الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه الله.

وقال آخرون: معنى ذلك: إذ قال الله يا عيسى، إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالى إياك إلى الدنيا، وقال: هذا من المقدم الذي معناه التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ، لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها» اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليهبطن الله عيسى ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يجد من يأخذه، وليسلكن الروحاء حاجاً أو معتمراً، أو يدين بهما جميعاً».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن قتادة عن عبد الرحمن ابن آدم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه خليفتي على أمتي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن شعره يقطر، وإن مل يصبه بلل بين ممصرتين، يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويفيض المال، ويقاتل الناس إلى الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها. ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع في الأرض الأمانة حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئب مع الغنم، وتلعب الغلمان بالحيات، لا يضر بعضهم بعضاً، فيثبت في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي المسلمون عليه ويدفنوه».

قال أبو جعفر: ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم، ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه، (الله الذي خلقكم ثم رزقكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء).

فتأويل الآية إذاً: قال الله لعيسى: يا عيسى إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا، فجحدوا نبوتك، وهذا الخبر وإن كان مخرجه مخرج خبر، فإن فيه من الله عز وجل احتجاجاً على الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من وفد نجران، بأن عيسى لم يقتل ولم يصلب، كما زعموا أنهم واليهود الذين أقروا بذلك، وادعوا على عيسى كذبة في دعواهم وزعمهم.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، ثم أخبرهم، يعني الوفد من نجران ورد عليهم فيما أخبروا هم واليهود بصلبه، كيف رفعه وطهره منهم، فقال: (إذ قال الله يا عيسى إني مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) وأما مطهرك من الذين كفروا، فإنه يعني منظفك، فمخلصك ممن كفر بك وجحد ما جئتهم به من الحق من اليهود وسائر الملل غيرها.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير (ومطهرك من الذين كفروا) قال: إذ هموا منك بما هموا.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن، في قوله (ومطهرك من الذين كفروا) قال: طهره من اليهود والنصارى والمجوس، ومن كفار قومه.

القول في تأويل قوله عز وجل (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة).

يعني بذلك جل ثناؤه: وجاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الإسلام وفطرته فوق الذين جحدوا نبوتك، وخالفوا بسبيلهم جميع أهل الملل، فكذبوا بما جئت به، وصدوا عن الإقرار به، فمصيرهم فوقهم ظاهرين عليهم.

كما حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) هم أهل الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسنته فلا يزالون ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا غسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) ثم ذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) ثم ذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) قال: ناصر من اتبعك على الإسلام على الذين كفروا إلى يوم القيامة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) أما الذين اتبعوك، فيقال: هم المؤمنون وليس هم الروم.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) قال: جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، قال: المسلمون من فوقهم، وجعلهم أعلى ممن ترك الإسلام إلى يوم القيامة.

وقال آخرون: ومعنى ذلك: وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله (ومطهرك من الذين

كفروا) قال الذين كفروا من بني إسرائيل (وجاعل الذين اتبعوك) قال: الذين آمنوا به من بني إسرائيل وغيرهم (فوق الذين كفروا) النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة، قال فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب هم في البلدان كلها مستذلون.

القول في تأويل قوله (ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما أنتم فيه تختلفون).

يعني بذلك جل ثناؤه: (ثم إليّ) ثم إلى الله أيها المختلفون في عيسى (مرجعكم) يعني مصيركم يوم القيامة (فأحكم بينكم) يقول: فأقضي حينئذ بين جميعكم في أمر عيسى بالحق فيما كنتم فيه تختلفون من أمره، وهذا من الكلام الذي صرف من الخبر عن الغائب إلى المخاطبة، وذلك أن قوله (ثم إليّ مرجعكم) إنما قصد به الخبر عن متبعي عيسى والكافرين به.

وتأويل الكلام: وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إليّ مرجع الفريقين الذين اتبعوك، والذين كفروا بك، فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، ولكن ردّ الكلام إلى الخطاب لسوق القول على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذي يخرج على وجه الحكاية، كما قال (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة).

تفسير الرازي الجزء الثامن صفحة ٦٧-٧٠

قوله تعالى (آل عمران ٥٥: ٣) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ

وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) في الآية مسائل:

(المسألة الأولى) العامل في (إذ) قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) أي وجد هذا

المكر إذ قال الله هذا القول وقيل التقدير: ذاك إذ قال الله.

(المسألة الثانية) اعترفوا بأن الله تعالى شرف عيسى في هذه الآية بصفات:

(الصفة الأولى) (إني متوفيك) ونظيره قوله تعالى حكاية عنه (فلما توفيتني كنت أنت

الرقيب عليهم) واختلف أهل التأويل في هاتين الآيتين على طريقتين: (أحدهما) إجراء الآية

على ظاهرها من غير تقديم، ولا تأخير فيها (والثاني) فرض التقديم والتأخير فيها، أما الطريق

الأول فبيان من وجوه (الأول) معنى قوله (إني متوفيك) أي متمم عمرك، فحينئذ أتوفاك، فلا

أتركهم حتى يقتلوك، بل أنا رافعك إلى سمائي ومقربك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا

من قتلك. وهذا تأويل حسن. (والثاني) (متوفيك) أي مميتك، وهو مروي عن ابن عباس،

ومحمد بن إسحق قالوا: والمقصود أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله، ثم إنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء. ثم اختلفوا على ثلاثة أوجه: (أحدها) قال وهب: توفي ثلاثة ساعات، ثم رفع (وثانيها) قال محمد ابن إسحاق: توفي سبع ساعات، ثم أحياه الله ورفع. (الثالث) قال الربيع بن أنس: أنه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء. قال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها).

(الوجه الرابع) في تأويل الآية أن الواو في قوله (ومتوفيك ورافعك إليّ) تفيد الترتيب فالآية تدل على أنه تعالى يفعل به هذه الأفعال، فأما كيف يفعل، ومتى يفعل، فالأمر فيه موقوف على الدليل، وقد ثبت الدليل أنه حي وورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه سينزل ويقتل الدجال» ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك.

(الوجه الخامس) في التأويل ما قاله أبو بكر الواسطي، وهو أن المراد (إني متوفيك) عن شهواتك وحظوظ نفسك، ثم قال (ورافعك إليّ) وذلك لأن من لم يصبر فانياً عما سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله، وايضاً فعيسى لما رفع إلى السماء صار حاله كحال الملائكة في زوال الشهوة، والغضب والأخلاق الذميمة.

(والوجه السادس) إن التوفي أخذ الشيء وافياً، ولما علم الله إن من الناس من يخطر بباله أن الذين رفعه الله هو روحه لا جسده ذكر هذا الكلام ليدل على أنه عليه الصلاة والسلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه وبجسده. ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (وما يضرونك من شيء).

(والوجه السابع) (إني متوفيك) أي أجعلك كالمتوفي لأنه إذا رفع إلى السماء وانقطع خبره واثره عن الأرض كان كالمتوفي، وإطلاق اسم الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصه وصفاته جائز حسن.

(الوجه الثامن) إن التوفي هو القبض يقال: وفاني فلان دراهمي وأوفاني وتوفيتها منه، كما يقال: سلم فلان دراهمي إليّ وتسلمتها منه. وقد يكون أيضاً توفي بمعنى استوفى، وعلى كلا الاحتمالين كان إخراجهم من الأرض وإصعاده إلى السماء توفياً له.

فإن قيل: قوله (إني متوفيك) يدل على حصول التوفي، وهو جنس تحته أنواع: بعضها بالموت وبعضها بالإصعاد إلى السماء فلما قال بعده (ورافعك إليّ) كان هذا تعييناً للنوع ولم يكن تكراراً.

من صفات عيسى قوله تعالى (ومطهرك من الذين كفروا) والمعنى مخرجك من بينهم ومفرق بينك وبينهم، وكما عظم شأنه بلفظ الرفع إليه أخبر عن معنى التخليص بلفظ التطهير، وكل ذلك يدل على المبالغة في إعلاؤه شأنه وتعظيم منصبه عند الله تعالى.

قوله (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذي كفروا إلى يوم القيامة) وجهان (الأول) أن المعنى: الذين اتبعوا دين عيسى يكونون فوق الذين كفروا به، وهم اليهود بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة، فيكون ذلك إخباراً عن ذل اليهود وإنهم يكونون مقهورين إلى يوم القيامة، فأما الذين اتبعوا المسيح عليه السلام فهم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله، وأما بعد الإسلام فهم المسلمون، وأما النصارى فهم وإن أظهروا من أنفسهم موافقته فهم يخالفونه أشد المخالفة من حيث أن صريح العقل يشهد أنه عليه السلام ما كان يرضى بشيء مما يقوله هؤلاء الجاهل. ومع ذلك فإننا نرى أن دولة النصارى في الدنيا أعظم وأقوى من أمر اليهود، فلا نرى في طرف من أطراف الدنيا ملكاً يهودياً ولا بلدة مملوءة من اليهود، بل يكونون أين كانوا بالذلة والمسكنة. وأما النصارى فأمرهم بخلاف ذلك (الثاني) أن المراد من هذه الفوقية الفوقية بالحجة والدليل.

أما قوله (ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) فالمعنى أنه تعالى بشر عيسى عليه السلام بأنه يعطيه في الدنيا تلك الخواص الشريفة، والدرجات الرفيعة العالية. وأما في القيامة فإنه يحكم بين المؤمنين به، وبين الجاحدين برسالته، وكيفية ذلك الحكم ما ذكره في الآية التي بعد هذه الآية (وبقي من مباحث هذه الآية موضع مشكل) وهو أن نص القرآن دل على أنه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره، على ما قال (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) والأخبار أيضاً واردة بذلك إلا أن الروايات اختلفت، فتارة يروى أن الله تعالى ألقى شبهه على بعض الأعداء الذين دلوا اليهود على مكانه حتى قتلوه وصلبوه، وتارة يروى أنه عليه السلام رغب بعض خواص أصحابه في أن يبقى شبهه حتى يقتل مكانه، وبالجملة فكيفما كان ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات:

(الإشكال الأول) إنا لو جوزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر لزم السفسطة، فإني إذا رأيت ولدي ثم رأيت ثانياً فحينئذ أجوز أن يكون هذا الذي رأيت ثانياً ليس بولدي، بل هو إنسان ألقى شبهه عليه. وحينئذ يرتفع الأمان على المحسوسات، وأيضاً لا صحابة الذين رأوا محمداً صلى الله عليه وسلم يأمرهم وينهاهم وجب أن لا يعرفوا أنه محمد لاحتقال أنه ألقى

شبهه على غيره، وذلك يقضي إلى سقوط الشرائع وأيضاً فمدار الأمر في الأخبار المتواترة على أن يكون المخبر الأول إنما أخبر عن المحسوس، فإذا جاز وقوع الغلط في المبصرات كان سقوط خبر المتواتر أولى، وبالجملة ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره إبطال النبوات بالكلية.

(والإشكال الثاني) وهو أن الله تعالى كان قد أمر جبريل عليه السلام بأن يكون معه في أكثر الأحوال، هكذا قاله المفسرون في تفسير قوله (إذ أيدتك بروح القدس). ثم إن طرف جناح واحد من أجنحة جبريل عليه السلام كان يكفي العالم من البشر، فكيف لم يكف في منع أولئك اليهود عنه؟ وأيضاً أنه عليه السلام لما كان قادراً على إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء وعلى إسقامهم وإلقاء الزمانة والفلج عليهم حتى يصيروا عاجزين عن التعرض له.

(والإشكال الثالث) إنه تعالى كان قادراً على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السماء، فما الفائدة في إلقاء شبهه على غيره، وهل فيه إلا إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة إليه.

(والإشكال الرابع) إنه إذا ألقى شبهه على غيره، ثم إنه رفع بعد ذلك إلى السماء، فالقوم اعتقدوا فيه أنه هو عيسى مع أنه ما كان عيسى، فهذا كان إلقاء لهم في الجهل والتلبيس، وهذا لا يليق بحكمة الله تعالى.

(والإشكال الخامس) أن النصارى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح عليه السلام، وغلوهم في أمرهم أخبروا أنهم شاهدوه مقتولاً مصلوباً. فلو أنكرنا ذلك كان طعناً فيما ثبت بالتواتر، والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ونبوة عيسى، بل في وجودهما، ووجود سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وكل ذلك باطل.

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٦٦-٣٦٧

(آل عمران ٥٥: ٣) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخُكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

اختلف المفسرون في قوله تعالى (إني متوفيك ورافعك إليّ) فقال قتادة وغيره. هذا من

المقدم والمؤخر تقديره إني رافعك إلي ومتوفيك يعني بعد ذلك. وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس. إني متوفيك أي مميتك. وقال محمد ابن إسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال. توفاه سبع ساعات ثم أحياه قال إسحاق بن بشر عن إدريس عن وهب: أماته الله ثلاثة ايام ثم بعثه ثم رفعه، قال مطر والوراق. إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير توفيه هو رفعه: وقال الأكثرون. المراد بالوفاة ههنا النوم كما قال تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) الآية. وقال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) الآية. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من النوم. «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا» الحديث وقال تعالى: (وبكفركم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم - إلى قوله - وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتي بيانه فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزية ولا يقبل الإسلام. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن أنه قال في قوله تعالى (إني متوفيك) يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه قال الحسن: قال رسول الله ﷺ لليهود: «إن عيسى لم يمت وأنه راجع إليكم قبل يوم القيامة» وقوله تعالى (ومطهرك من الذين كفروا) أي برفعي إياك إلى السماء (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) وهكذا وقع فإن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعاً بعده فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته. ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا هو الله وآخرون قالوا هو ثالث ثلاثة. وقد حكى الله مقالتهم في القرآن ورد على كل فريق فاستمروا على ذلك قريباً من ثلثمائة سنة ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل في دين النصرانية قيل حيلة ليفسده فإنه كان فيلسوفاً، وقيل جهلاً منه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة، وأحل في زمانه لحم الخنزير، وصلوا له إلى المشرق، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح دين قسطنطين إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر ألف معبد وبنى المدينة المنسوبة إليه واتبعه طائفة الملكية منهم وهم في هذا كله

قاهرون لليهود أيده الله عليهم لأنه أقرب إلى الحق منهم، وإن كان الجميع كفاراً عليهم لعائن الله، فلما بعث الله محمداً ﷺ فكان من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض، إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي العربي خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الإطلاق الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته مما قد حرفوا وبدلوا ثم لو لم يكن شيء من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق الذي لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة ولا يزال قائماً منصوراً ظاهراً على كل دين فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها واحتازوا جميع الممالك ودانت لهم جميع الدول وكسروا كسرى وقصروا قيصر وسلبوهما كنوزهما وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم آمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) الآية فلهذا لما كانوا هم المؤمنون بالمسيح حقاً سلبوا النصراني بلاد الشام وألجؤهم إلى الروم فلجئوا إلى مدينتهم القسطنطينية ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ويستفيئون ما فيها من الأموال، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جداً لم ير الناس مثلاً ولا يرون بعدها نظيرها، وقد جمعت في هذا جزءاً مفرداً، ولهذا قال تعالى (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه من النصراني عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخذ الأموال وإزال الأيدي عن الممالك وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق (وما لهم من الله من واق) (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) أي في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالجنان العاليات (والله لا يحب الظالمين).

ثم قال تعالى (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) أي هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره هو مما قاله تعالى وأوحاه إليك ونزله عليك

من اللوح المحفوظ فلا مزية فيه ولا شك كما قال تعالى في سورة مريم (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) وهنا قال تعالى.

سورة آل عمران ٥٩:٣

تفسير الطبري الجزء الثالث صفحة ٢٩٥

آل عمران ٥٩:٣ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

يعني جل ثناؤه: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فعل، فأخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران عندي كشبه آدم. الذي خلقت من تراب، ثم قلت له كن فكان، ومن غير فعل، ولا ذكر، ولا أنثى. يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير فعل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، فكان لحماً، يقول: وأمرني إذ أمرته أن يكون فكان، فكذلك خلقي عيسى أمرته أن يكون فكان.

وذكر أهل التأويل أن الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجاً لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) قال: نزلت في العاقب والسيد من أهل نجران، وهما نصرانيان. قال ابن جريج: بلغنا أن نصارى أهل نجران قدم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم، فيهم السيد والعاقب، وهما يومئذ سيدا أهل نجران، فقالوا: يا محمد فيم تشتم صاحبنا؟ قال: من صاحبكما؟ قالوا: عيسى ابن مريم، تزعم أنه عبد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فعضبوا وقالوا: إن كنت صادقاً، فأرنا عبداً يحيي الموتى، ويرى الأكمه، ويخلق من الطين كهية الطير، فينفخ فيه، الآية... لكنه الله، فسكت حتى أتاه جبريل: فقال: يا محمد (لقد

كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)... الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جبريل إنهم سألوني أن أخبرهم بمثل عيسى؟ قال جبريل: مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، فلما أصبحوا عادوا، فقرأ عليهم الآيات.

فإن قال قائل: فكيف قال: كمثل آدم خلقه، وآدم معرفة، والمعارف لا توصل؟ قيل: إن قوله (خلقه من تراب) غير صلة لآدم، وإنما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه وكيف كان.

وأما قوله (ثم قال له كن فيكون) فإنما قال: فيكون، وقد ابتداء الخبر عن خلق آدم، وذلك خبر عن أمر قد تقضى، وقد أخرج الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى، فقال جل ثناءه: (خلقه من تراب ثم قال له كن) لأنه بمعنى الإعلام من الله نبيه، أن تكوينه الأشياء بقوله: (كن) ثم قال فيكون خبر مبتدأ، وقد تنهى الخبر عن أمر آدم عند قوله: كن.

فتأويل الكلام إذاً إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم. خلقه من تراب، ثم قال له كن، واعلم يا محمد أن ما قال له ربك: كن. فهو كائن، فلما كان في قوله (كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ) دلالة على أن الكلام يراد به إعلام نبي الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل، ولا أول، ولا عنصر استغنى بدلالة الكلام على المعنى، وقيل: فيكون، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى، وقد قال بعض أهل العربية: فيكون رفع على الابتداء ومعناه: كن فكان. فكأنه قال: فإذا هو كائن.

تفسير بن كثير صفحة ٣٦٧-٣٧١

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

يقول جل وعلا (إن مثل عيسى عند الله) في قدرة الله حيث خلقه من غير أب (كمثل آدم) حيث خلقه من غير أب ولا أم بل (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى، وإن جاز ادعاء النبوة في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواه في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب جل جلاله أراد أن ت يظهر قدرته لخلق آدم من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم

(ولنجعله آية للناس) وقال ههنا الحق من ربك فلا تكن من الممترين) أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال. ثم قال تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أنيباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءكم وأبناءكم ونساءكم ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أي نحضرهم في حال المباهلة (ثم نبتهل) أي نلتعن (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) أي منا ومنك.

وقد روى البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جداً، ولنذكره فإن فيه فوائد كثيرة وفيه غرابة وفيه مناسبة لهذا المقام قال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ أبو سعيد ومحمد بن موسى بن الفضل قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس - وكان نصرانياً فأسلم - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان «باسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب. من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران أسلم. فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب. أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتُم فالجزية، فإن أبيتُم فقد أذنتك بحرب والسلام» فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فطع به وذعره ذعراً شديداً وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان، ولم يكن أحد يدعي إذا نزلت معضلة قبله لا الأيهم ولا السيد والا العاقب فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن به أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لي في أمر النبوة رأي، ولو أن في أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي واجتهدت لك. فقال الأسقف: تنح فاجلس. فأتى شرحبيل فجلس ناحية فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذي أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل، فقال له الأسقف، تنح فاجلس، فتنحى عبد الله فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله. فأمره الأسقف فتنحى فجلس ناحية فلما اجتمع الرأي منهم على

تلك المقالة جميعاً، أمر الاسقف بالناقوس فضربه ورفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله. وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفي ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الرأي فيه فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجبار بن فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حلاً لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه فلم يرد عليهم وتصدوا لكلامه نهائياً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيئين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهائياً فأعيانا أن يكلمنا. فما الرأي منكما؟ أترون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه. ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم ثم قال: «والذي يعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم» ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسئلة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه؟ فقال رسول الله ﷺ «ما عندي فيه شيء يومي هذا. فاقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى» فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم - إلى قوله - الكاذبين) فأبوا أن يقرؤا بذلك. فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة. فقال شرحبيل لصاحبيه: لقد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي، وإنني والله أرى أمراً ثقيلاً والله لئن كان هذا الرجل مبعوثاً فكنا أول الرعب طعنًا في عينيه ورداً عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبنا بجائحة وإنا لأدنى العرب منهم جواراً. ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلا عناء لا

يبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك، فقال له صاحبه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: أرى أن أحكمه فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً فقالا له: أنت وذاك قال: فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال له: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك فقال «وما هو» فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمت يصنعه أحد من بني آدم قبله، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة يقول الله تعالى فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقته ولكنه هو عيسى ومريم - تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً - وفي كل ذلك من قولهم: قد نزل القرآن فلما كلمه الجيران قال لهما رسول صلى لاله عليهما وسلم «أسلما» قالا قد أسلمنا قال «إنكما لم تسلما فأسلما» قالا: بل قد أسلمنا قبلك. قال: «كذبتما بمنعكما من الإسلام ادعائكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير» قالا: فمن أبوه يا محمد فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمره صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها. ثم تكلم ابن إسحق على تفسيرها إلى أن قال: فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بمأمر به من ملاعنتهم إن ردوا إلى ذلك فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أننفعل فيما دعوتنا غليه. ثم انصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب، وكان ذار رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبى مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم. ولقد علمتم أنه ما لا عن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضا، قال: محمد بن جعفر، فقال رسول الله ﷺ «اثنوني العشيبة أبعث معكم القوي الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجراً. فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت أطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: «اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما تختلفوا فيه» قال عمر، فذهب بها أبو عبيدة

رضي الله عنه. وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج، أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ فذكر نحوه إلا أنه قال في الأشراف كانوا اثني عشر، وذكر بقية بأطول من هذا السياق وزايدات آخر.

وقال البخاري: حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالوا: إنا نعظيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال: «لأبعثن معك رجلاً أميناً حق أمين» فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «قم يا أبا عبيدة بن الجراح». فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا أمين هذه الأمة».

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ٣٧٨-٣٧٩

ثم قال تعالى (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) يعني القرآن (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب) أي من الصحف والوحي (والأسباط) وهم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل - وهو يعقوب - الاثني عشر (وما أوتي موسى وعيسى) يعني بذلك التوراة والإنجيل (والنبيون من ربهم) وهذا يعم جميع الأنبياء جملة (لا تفرق بين أحد منهم) يعني بل تؤمن بجميعهم (ونحن له مسلمون) فالؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل، وبكل كتاب أنزل لا يكفرون بشيء من ذلك بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله، وبكل نبي بعثه الله.

سورة النساء ٤: ١٥٧

النساء ٤: ١٥٧ - ١٥٩ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ

عَلِمَ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٨ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ١٥٩ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا.

تفسير الرازي الجزء العاشر صفحة ٩٩-١٠١

قال تعالى (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)

واعلم أنه تعالى لما حكى عن اليهود أنهم زعموا أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فالله تعالى كذبهم في هذه الدعوى وقال (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) وفي الآية سؤالان: (السؤال الثاني) إنه إن جاز أن يقال: أن الله تعالى يلقي شبه إنسان على إنسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة. فإننا إذا رأينا زيدا فلعله ليس بزيد ولكنه ألقى شبه زيد عليه. وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والملك، وثوقاً به، وأيضاً يفضي إلى القدح في التواتر لأن خبر التواتر إنما يفيد للعلم بشرط انتهائه في الآخرة على المحسوس. فإذا جوزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات توجه الطعن في التواتر، وذلك يوجب القدم في جميع الشرائع. وليس لمجيب أن يجيب عنه بأن ذلك مختص بزمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأننا نقول: لو صح ما ذكرتم فذاك إنما يعرف بالدليل والبرهان، فمن لم يعلم ذلك الدليل وذلك البرهان وجب أن لا يقطع بشيء من المحسوسات ووجب أن لا يعتمد على شيء من الأخبار المتواترة. وأيضاً ففي زماننا أن أنسدت المعجزات فطريق الكرامات مفتوح. وحينئذ يعود الاحتمال المذكور في جميع الأزمنة: وبالجمله ففتح هذا الباب يوجب الطعن في التواتر، والطعن فيه يوجب الطعن في نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهذا فرع يوجب الطعن في الأصول فكان مردوداً.

والجواب: قال كثير من المتكلمين: إن اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله تعالى إلى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم، فأخذوا إنساناً وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه المسيح، والناس ما كانوا يعرفون المسيح إلا بالاسم لأنه كان قليلاً المخالطة بالناس، وبهذا الطريق زال السؤال، لا يقال: إن النصارى ينقلون عن أسلافهم أنهم شاهدوه مقتولاً، لأننا نقول: إن تواتر النصارى ينتهي إلى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب.

(والطريق الثاني) أنه تعالى ألقى شبهه على إنسان آخر ثم فيه وجوه: الأول: أن اليهود لما

علموا أنه حاضر في البيت الفلاني مع أصحابه أمر يهوذا رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له طيطايوس أن يدخل على عيسى عليه السلام ويخرجه ليقتله، فلما دخل عليه أخرج الله عيسى عليه السلام من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى فظنوه هو فصلبوه وقتلوه. الثاني: وكلوا بعيسى رجلاً يحرسه وصعد عيسى عليه السلام في الجبل ورفع إلى السماء، وألقى الله شبهه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست بعيسى. الثالث: أن اليهود لما هموا بأخذه وكان مع عيسى عشرة من أصحابه فقال لهم: من يشتري الجنة بأن يلقي عليه شبيهي؟ فقال واحد منهم أنا، فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرج وقتل. ورفع الله عيسى عليه السلام. الرابع: كان رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى عليه السلام. وكان منافقاً فذهب إلى اليهود ودلهم عليه، فلما دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله شبهه عليه فقتل وصلب. وهذه الوجوه متعارضة متدافعة والله أعلم بحقائق الأمور.

ثم قال تعالى (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ) وفيه مسألتان:

(المسألة الأولى) اعلم أن في قوله (وإن الذين اختلفوا فيه) قولين: الأول: أنهم هم النصارى وذلك لأنهم بأسرهم متفقون على أن اليهود قتلوه، إلا أن كبار فرق النصارى ثلاثة: النسطورية، والملكانية واليعقوبية.

أما النسطورية فقد زعموا أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وأكثر الحكماء يرون ما يقرب من هذا القول، قالوا: لأنه ثبت أن الإنسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو إما جسم شريف مناسب في هذا البدن، وإما جوهر روحاني مجرد في ذاته وهو مدبر في هذا البدن، فالقتل إنما ورد على هذا الهيكل. وأما النفس التي هي في الحقيقة عيسى عليه السلام فالقتل ما ورد عليه، لا يقال: فكل إنسان كذلك فما الوجه لهذا التخصيص؟ لأننا نقول: إن نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الإشراق بالأنوار الإلهية عظيمة القرب من أرواح الملائكة. والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تأملها بسبب القتل وتخريب البدن، ثم أنها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص إلى فسحة السموات وأنوار عالم الجلال فيعظم بهجتها وسعادتها هناك، ومعلوم أن هذه الأحوال غير حاصلة لكل الناس بل هي غير حاصلة من مبدأ خلقة آدم عليه السلام إلى قيام القيامة إلا لأشخاص قليلين. فهذا هو الفائدة في تخصيص عيسى عليه السلام بهذه الحالة.

وأما الملكانية فقالوا: القتل والصلب وصلاً إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا بالمباشرة.

وقالت اليعقوبية: القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين، فهذا هو شرح مذاهب النصارى في هذا الباب، وهو المراد من قوله (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه).

(والقول الثاني) أن المراد بالذين اختلفوا هم اليهود، وفيه وجهان: الأول: أنهم لما قتلوا الشخص المشبه كان الشبه قد ألقى على وجهه ولم يلقى على شبه عيسى عليه السلام، فلما قتلوه ونظروا إلى بدنه قالوا: الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره. الثاني: قال السدي: إن اليهود حبسوا عيسى مع عشرة من الحواريين في بيت، فدخل عليه رجل من اليهود ليخرجه ويقتله، فألقى الله شبه عيسى عليه ورفع إلى السماء، فأخذوا ذلك الرجل وقتلوه على أنه عيسى عليه السلام.

وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٨ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ

ثم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟ فذلك اختلافاهم فيه.

(المسألة الثانية) احتج نفاة القياس بهذه الآية وقالوا: العلم بالقياس اتباع للظن. واتباع الظن مذموم في كتاب الله بدليل أنه إنما ذكره في معرض الذم، ألا ترى أنه تعالى وصف اليهود والنصارى ههنا في معرض الذم بهذا فقال (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) وقال في سورة الأنعام في مذمة الكفار (إن يتبعون إلا الظن وإن هم لا يخرصون) وقال في آية أخرى (وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً) وكل ذلك يدل على أن اتباع الظن مذموم.

والجواب: لا نسلم أن العمل بالقياس اتباع الظن. فإن الدليل القاطع لما دل على العمل بالقياس كان الحكم المستفاد من القياس معلوماً لا مظنوناً. وهذا الكلام له غور وفيه بحث.

ثم قال تعالى (وما تقوله يقيناً بل رفعه الله إليه).

واعلم أن هذا اللفظ يحتمل وجهين: أحدهما: يقين عدم القتل، والآخر يقين عدم الفعل، فعلى التقدير الأول يكون المعنى: أنه تعالى أخبر أنهم شاكون في أنه هل قتلوه أم لا. ثم أخبر محمداً بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوه، وعلى التقدير الثاني يكون المعنى أنهم شاكون في أنه

هل قتلوه؟ ثم أكد ذلك بأنهم قتلوا ذلك الشخص الذي قتلوه لا على يقين أنه عيسى عليه السلام، بل حين ما قتلوه كانوا شاكين في أنه هل هو عيسى أم لا، والاحتمال الأول أولى لأنه تعالى قال بعده (بل رفعه الله إليه) وهذا الكلام إنما يصح إذا تقدم القطع واليقين بعدم القتل. أما قوله (بل رفعه الله إليه) ففيه مسائل:

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ثابت بهذه الآية، ونظير هذه الآية قوله في آل عمران (إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا) واعلم أنه تعالى لما ذكر عقيب ما شرح أنه وصل إلى عيسى أنواع كثيرة من البلاء والمحنة أنه رفعه إليه دل على أن رفعه إليه أعظم في باب الثواب من الجنة ومن كل فيها من الملمات الجسمانية. وهذه الآية تفتح عليك باب معرفة السعادات الروحانية.

ثم قال تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً)

واعلم أنه تعالى لما ذكر فضائح اليهود وقبائح أفعالهم وشرح أنهم قصدوا قتل عيسى عليه السلام وبين أنه ما حصل لهم ذلك المقصود، وأنه حصل لعيسى أعظم المناصب وأجل المراتب بين تعالى أن هؤلاء اليهود الذين كانوا مبالغين في عداوته لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلى بعد أن يؤمن به فقال (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته).

واعلم أن كلمة «إن» بمعنى «ما» النافية كقوله (وإن منكم إلا واردها) فصار التقدير: وما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به، ثم إنا نرى أكثر اليهود يموتون ولا يؤمنون بعيسى عليه السلام.

والجواب من وجهين. الأول: ما روى عن شهر بن حوشب قال: قال الحجاج إني ما قرأتها إلا وفي نفسي منه شيء. يعني هذه الآية فإني أضرب عنق اليهودي ولا أسمع منه ذلك. فقلت: إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره. وقالوا يا عدو الله أذاك عيسى نبياً فكذبت به. فيقول آمنت أنه عبد الله، وتقول للنصراني: أذاك عيسى نبياً فرعمت أنه هو الله وابن الله.

سورة النساء ٤: ١٥٩

١٥٩ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا.

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ١٨:١٩

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ) يعني بعيسى (قَبْلَ مَوْتِهِ) يعني: قبل موت عيسى، يوجه ذلك إلى أن جميعهم صلى الله عليه وسلم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علي. عن أبي رجاء، عن الحسن في قوله (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال: موت عيسى والله إنه الآن لحي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال: قبل موت عيسى إذا نزل آمنت به الأديان كلها.

حدثني المشي. قال: ثنا عبد الله بن صالح. قال: ثنى معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالوا: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال: لا تخرج نفسه، حتى يؤمن بعيسى، وإن غرق، أو تردى من حائط. أو أي ميتة كانت.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان. قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال: لا يموت أحد من اليهود حتى يشهد أن عيسى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثني المشي. قال: ثنا إسحاق. قال: ثنا يعلى، عن جوير في قوله (لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال: في قراءة أبي: قبل موتهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال، لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن

بمحمد صلى الله عليه وسلم بحكم أهل الإيمان في الموارثة، والصلاة عليه، وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة، فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته، لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار أو البالغون منهم من أهل الأسلام، إن كان له ولد صغير، أو بالغ مسلم. وإن لم يكن له لولد صغير، ولا بالغ مسلم، كان ميراثه مصروفاً، حيث يصرف مال المسلم. يموت ولا وراث له. وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره. لأن من مات مؤمناً بعيسى، فقد مات مؤمناً بمحمد وبجميع الرسل وذلك أن عيسى صلوات الله عليه جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين. فالمصدق بعيسى والمؤمن به، مصدق بمحمد، وبجميع أنبياء الله ورسله، كما أن المؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء الله ورسله فغير جائز أن يكون مؤمناً بعيسى من كان مؤمناً بمحمد مكذباً.

فإن ظنّ ظان أن معنى إيمان اليهودي بعيسى، الذي ذكره الله في قوله (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) إنما هو إقراره بأنه الله نبي مبعوث دون تصديقه بجميع ما أتى به من عند الله. فقد ظنّ خطأ، وذلك أنه غير جائز أن يكون منسوباً إلى الإقرار بنبوة نبي، من كان له مكذباً في بعض ما جاء به من وحي الله وتنزيله، بل غير جائز أن يكون منسوباً إلى الإقرار بنبوة أحد من أنبياء الله لأن الأنبياء جاءت الأمم بتصديق جميع أنبياء الله ورسله، فالمكذب بعض أنبياء الله فيما أتى به أمته عند الله مكذب جميع أنبياء الله فيما دعوا إليه من دين عباد الله، وإذا كان ذلك كذلك، كان في إجماع الجميع من أهل الإسلام، على أن كل كتابي مات قبل إقراره بمحمد صلوات الله عليه، وما جاء به من عند الله، محكوم له بحكم المسئلة التي كان عليها أيام حياته. غير منقول شيء من أحكامه في نفسه وماله وولده، صغارهم وكبارهم بموته. عما كان عليه في حياته دل الدليل عن أن معنى قول الله (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) إنما معناه: إلا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وأن ذلك في خاص من أهل الكتاب، ومعنى به أهل زمان منهم دون أهل كل الأزمنة التي كانت بعد عيسى، وأن ذلك كائن عند نزوله.

وأما الذي قال: عنى بقوله (لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) ليؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي، فمما لا وجه له مفهوم، لأنه مع فساده من الوجد الذي دللنا على فساد قول من قال: عنى به: ليؤمن بعيسى قبل موت الكتابي يزيده فساد، أنه لم يجر لمحمد عليه الصلاة والسلام في الآيات التي قبل ذلك ذكر. فيجوز صرف الهاء التي في قوله (لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ) إلى أنها

من ذكره، وإنما قوله (لِيُؤْمِنَ بِهِ) في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود. فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره. إلا بحجة يجب التسليم لها. من دلالة ظاهرة للتنزيل. أو خبر عن الرسول تقوم به حجة. فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد. فتأويل الآية إذ كان الأمر على ما وصفت: وما من أهل الكتاب إلا من ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وحذف من بعد إلا لدلالة الكلام عينه. فاستغنى بدلالته عن إظهاره كسائر ما قد تقدم من أمثاله التي قد أتينا على البيان عنها.

القول فيتأويل قوله (ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً):

يعني بذلك جل ثناؤه (ويوم القيامة يكون) عيسى على أهل الكتاب (شهيداً) يعني: شاهداً عليهم بتكذيب من كذبهم منه. وتصديق من صدقه منهم فيما اتاهم به من عند الله، وبإبلاغه رسالة ربه.

كالذي حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين: قال ثنى حجاج. قال: قال ابن جريج (ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) أنه قد أبلغهم ما أرسله به إليهم.

حدثنا بشر بن معاذ. قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) يقول: يكون عليهم شهيداً يوم القيامة، على أنه قد بلغ رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه.

سورة النساء ٤: ١٧١

النساء ٤: ١٧١ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٣٤-٣٥

يعني جل ثناءه بقوله (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) : ما المسيح ايها الغالون في دينهم من أهل الكتاب بابن الله كما تزعمون، ولكنه عيسى بن مريم دون غيرها من الخلق، لا نسب له غير ذلك، ثم نعتة الله جل ثناءه بنعته. ووصفه بصفته، فقال: هو رسول الله أرسله الله بالحق

إلى من أرسله إليه من خلقه، وأصل المسيح: الممسوح، صرف من مفعول إلى فاعل. وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب، وقيل: مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين، كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه، فيطهر منه، ولذلك قال مجاهد: ومن قال مثل قوله: المسيح: الصديق. وقد زعم بعض الناس أن أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية مشيحا فعربت فقليل المسيح، كما عرب سائر أسماء الأنبياء التي في القرآن مثل إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى.

قال أبو جعفر: وليس ما مثل به من ذلك للمسيح بنظير، وذلك أن إسماعيل وإسحاق وما أشبه ذلك، أسماء لا صفات، والمسيح صفة، وغير جائز أن تخاطب العرب وغيرها من أجناس الخلق في صفة شيء إلا بمثل ما يفهم عن مخاطبها. ولو كان المسيح من غير كلام العرب، ولم تكن العرب تعقل معناه ما خوطبت به. وقد أتينا من البيان عن نظائر ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية عن إعادته. وأما المسيح الدجال، فإنه أيضاً بمعنى الممسوح العين، صرف من مفعول إلى فاعل. فمعنى المسيح في عيسى صلى الله عليه وسلم: الممسوح البدن من الأدناس والآثام. ومعنى المسيح في الدجال: الممسوح العين اليمنى أو اليسرى كالذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك.

وأما قوله (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) فإنه يعني بالكلمة: الرسالة التي أمر الله ملائكته أن تأتي مريم بها، بشارة من الله لها التي ذكر الله جل ثنائه في قوله (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) يعني: برسالة منه، وبشارة من عنده. وقد قال قتادة في ذلك، ما حدثنا به الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) قال: هو قوله: كن فكان، وقد بينا اختلاف المختلفين من أهل الإسلام في ذلك فيما مضى. بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله (ألقاها إلى مريم) يعني: أعلمها بها وأخبرها، كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة، بمعنى أخبرتك بها، وكلمتك بها.

أما قوله (وَرُوحٌ مِنْهُ) فإن أهل العلم اختلفوا في تأويله. فقال بعضهم: معنى قوله (وَرُوحٌ مِنْهُ) : ونفخة منه، لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم بأمر الله إياه بذلك، فنسب إلى أنه روح من الله، لأنه بأمره كان، قال: وإنما سمي النفخ روحاً لأنها ريح تخرج من الروح. وقالوا: يعني بقوله: أحيها بروحك: أي أحيها بنفختك.

وقال بعضهم: يعني بقوله (وَرُوحٌ مِنْهُ): أنه كان إنساناً بإحياء الله له بقوله: كن، قالوا: وإنما معنى قوله (وَرُوحٌ مِنْهُ): وحياة منه، بمعنى: إحياء الله إياه بتكوينه.

وقال بعضهم: معنى قوله (وَرُوحٌ مِنْهُ) ورحمة منه كما قال ثناؤه في موضع آخر (وأيدهم بروح منه) قال: ومعناه في هذا الموضع: ورحمة منه، قال: فجعل الله عيسى رحمة منه على من اتبعه وآمن به وصدقه، لأنه هداهم إلى سبيل الرشاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: وروح من الله خلقها فصورها، ثم أرسلها إلى مريم، فدخلت في فيها فصيرها الله تعالى روح عيسى عليه السلام.

القول في تأويل قوله (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ):

يعني بقوله جل ثناؤه (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) فصدوقا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وربوبيته، وأنه لا ولد له، وصدقوا رسله فيما جاءوكم به من عند الله، وفيما أخبرتكم به أن الله واحد لا شريك له، ولا صاحبة له. ولا ولد له (وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ) يعني: ولا تقولوا ثلاثة، ورفعت الثلاثة بمحذوف دل عليها لظاهر، وهو هم. ومعنى الكلام: ولا تقولوا هم ثلاثة. وإنما جاز ذلك، لأن القول حكاية. والعرب تفعل ذلك في الحكاية. ومنه قول الله (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه. ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم، ثم قال لهم جل ثناؤه متوعداً لهم في قولهم العظيم الذي قالوا في الله: انتهوا أيها القائلون: الله ثالث ثلاثة. عما تقولون من الزور والشرك بالله، فإن الانتهاء عن ذلك خير لكم من قبله، لما لكم عند الله من العقاب العاجل لكم على قيلكم ذلك، إن أقمت عليه، ولم تنبوا إلى الحق الذي أمرتكم بالإجابة إليه، والآجل في معادكم.

القول في تأويل قوله (إِنَّمَا إِلَهُ الْإِلَهِ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)

يعني بقوله (إِنَّمَا إِلَهُ الْإِلَهِ وَاحِدٌ): ما الله أيها القائلون: الله ثالث ثلاثة كما تقولون. لأن من كان له ولد فليس ياله، وكذلك من كان له صاحبة، فغير جائز أن يكون له معبوداً، ولكن الله الذي له الألوهة والعبادة، إله واحد معبود. لا ولد له، ولا والد. ولا صاحبة ولا شريك، ثم نزه جل ثناؤه نفسه وعظمها، ورفعها عما قال فيه أعداؤه الكفرة به. فقال: (سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) يقول: علا الله. وجل وعز وتعظم وتنزه عن أن يكون له ولد أو صاحبة، ثم أخبر جل ثناءه عباده أن عيسى وأمه ومن في السموات ومن في الأرض، عبيده وملكه وخلقته، وأنه رازقهم

وخالقهم. وأنهم أهل حاجة وفاقة إليه. احتجاجاً منه بذلك على من ادعى أن المسيح ابنه، وأنه لو كان ابنه كما قالوا لم يكن ذا حاجة إليه. ولا كان له عبداً مملوكاً، فقال (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) يعني: لله ما في السموات وما في الأرض من الأشياء كلها، ملكاً وخلقاً. وهو يرزقهم ويقوتهم ويدبرهم. فكيف يكون المسيح ابناً لله، وهو في الأرض أو في السموات، غير خارج من أن يكون في بعض الأماكن.

وقوله (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) يقول: وحسب ما في السموات وما في الأرض بالله قيماً ومدبراً ورازقاً من الحاجة معه إلى غيره.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

تفسير الزمخشري الجزء الأول صفحة ٥٨٤

(ثلاثة) فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم أقنوم الأب وأقنوم روح القدس. وأنهم يريدون بأقنوم الأب الذات وأقنوم الابن العلم وأقنوم روح القدس الحياة، فتقديره الله ثلاثة وإلا فتقديره الآلهة ثلاثة، والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، وأن المسيح ولد الله من مريم، ألا ترى إلى قوله - أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله - وقالت النصارى المسيح ابن الله، والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم. ويدل عليه قوله - إنما المسيح عيسى ابن مريم - فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتها، وأن اتصاله بالله تعالى من حيث إنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسداً حياً من غير أب - فنفي أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء، وقوله سبحانه - أن يكون له ولد - وحكاية الله أوثق من حكاية غيره. ومعنى (سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) سبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد وقرأ الحسن أن يكون بكسر الهمزة ورفع النون: أي سبحانه ما يكون له ولد، على أن الكلام جملتان (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) بيان لتنزهه عما نسب إليه: يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه، على أن الجزء إنما يصح في الأجسام -٢٣٢-

وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض - وكفى بالله وكيلاً - يكل إليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة، ومن نكفت الدمع إذا نحيت عن خدك بإصبعك.

تفسير الرازي الجزء العاشر صفحة ١١٥-١١٨

وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ

فاعلم إنا فسرنا «الكلمة» في قوله تعالى (إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح) والمعنى أنه وجد بكلمة الله وأمره من غيره واسطة ولا نطفة كما قال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وأما قوله (وَرُوحٌ مِنْهُ) ففيه وجوه: الأول: أنه جرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح، فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وإنما تكون من نفخة جبريل عليه السلام لا جرم وصف بأنه روح، والمراد من قوله (منه) التشريف والتفضيل كما يقال: هذه نعمة من الله، والمراد كون تلك النعمة كاملة شريفة. الثاني: أنه كان سبباً لحياة الخلق في أديانهم. ومن كان كذلك وصف بأنه روح. قال تعالى في صفة القرآن (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) الثالث: وروح منه أي رحمة منه، قيل في تفسير قوله تعالى (وأيدهم بروح منه) أي برحمة منه، وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا رحمة مهداة» فلما كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث أنه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم لا جرم سمى روحاً منه. الرابع: أن الروح هو النفخ في كلام العرب، فإن الروح والريح متقاربان، فالروح عبارة عن نفخة جبريل وقوله (منه) يعني أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه فهو منه، وهذا كقوله (فنفخنا فيها من روحنا) الخامس: قوله (روح) أدخل التنكير في لفظ (روح) وذلك يفيد التعظيم، فكان المعنى: وروح من الأرواح الشريفة القدسية العالية، وقوله (منه) إضافة لذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم.

ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسله) أي أن عيسى من رسل الله فآمنوا به كإيمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه إلهاً.

ثم قال (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم) وفيه مسألتان:

(المسألة الأولى) المعنى: ولا تقولوا إن الله سبحانه واحد بالجواهر ثلاثة بالأقانيم.

واعلم أن مذهب النصارى مجبول جداً، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة. إلا أنهم وإن سموه صفات فهي في الحقيقة ذوات. بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسها. وإلا لما جوزوا عليها أن تحل في الغير وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى. فهم وإن كانوا يسمونها بالصفات إلا أنهم في الحقيقة يثبتون ذوات متعددة قائمة بأنفسها. وذلك محض الكفر، فلهذا المعنى قال تعالى (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا) فأما إن حملنا الثلاثة على أنهم يثبتون صفات ثلاثة، فهذا لا يمكن إنكاره، وكيف لا نقول ذلك وإنا نقول: هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام العالم الحي القادر المريد. ونفهم من كل واحد من هذه الألفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر ولا معنى لتعدد الصفات إلا ذلك، فلو كان القول بتعدد الصفات كفراً لزم رد جميع القرآن، ولزم رد العقل من حيث أنا نعلم بالضرورة أن المفهوم من كونه تعالى عالماً غير المفهوم من كونه تعالى قادراً أو حياً.

قال الزجاج: ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة، وذلك لأن القرآن يدل على أن النصارى يقولون: إن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة. والدليل عليه قوله تعالى (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) الثالث: قال الفراء ولا تقولوا هم ثلاثة كقوله (سيقولون ثلاثة) وذلك لأن ذكر عيسى ومريم مع الله تعالى بهذه العبارة يوهم كونهما إلهين، وبالجملة فلا نرى مذهباً في الدنيا أشد ركافة وبعداً عن العقل من مذهب النصارى.

ثم قال تعالى (انتهوا خيراً لكم) وقد ذكرنا وجه انتصابه عند قوله (فآمنوا خيراً لكم)

ثم أكد التوحيد بقوله: (إنما الله إله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد بقوله (سبحانه أن يكون له ولد) ودلائل تنزيه الله عن الولد قد ذكرناها في سورة آل عمران وفي سورة مريم على الاستقصاء. وقرأ الحسن: إن يكون، بكسر الهمزة من «أن» ورفع النون من يكون، أي سبحانه ما يكون له ولد وعلى هذا التقدير فالكلام جملتان.

ثم قال تعالى (له ما في السموات وما في الأرض)

واعلم أنه سبحانه في كل موضع نزه نفسه عن الولد ذكر كونه ملكاً ومالكاً لما في السموات وما في الأرض، فقال في مريم (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) والمعنى: من كان مالكاً لكل السموات والأرض ولكل ما فيها كان مالكاً لعيسى ولمريم
-٢٣٤-

لأنهما كانا في السموات وفي الأرض: وما كانا أعظم من غيرهما في الذات والصفات. وإذا كان مالكا لما هو أعظم منهما فبأن يكون مالكا لهما أولى. وإذا كانا مملوكين له فكيف يعقل مع هذا توهم كونهما له ولداً وزوجة؟

ثم قال (وكفي بالله وكيلاً) والمعنى أن الله سبحانه كاف في تدبير المخلوقات وفي حفظ المحدثات، فلا حاجة معه إلى القول بإثبات إله آخر. وهو إشارة إلى ما يذكره المتكلمون من أنه سبحانه لما كان عاملاً بجميع المعلومات قادراً على كل المقدورات كان كافياً في الإلهية. ولو فرضنا إلهاً آخر معه لكان معطلاً لا فائدة فيه. وذلك نقص، والنقص لا يكون إلهاً.

تفسير ابن كثير الجزء الأول صفحة ٥٨٩-٥٩١

النساء ١٧١: ٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية. وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم قال زعم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري كذلك ولفظه «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» وقال علي بن المديني هذا حديث صحيح منسند، وهكذا رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة عن الزهري به ولفظه «فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله ﷺ «أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهويكم الشيطان

أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» تفرد به من هذا الوجه. وقوله تعالى (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولداً تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته فلا إله إلا هو ولا رب سواه ولهذا قال (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له كن فكان، ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، فكان عيسى بإذنه عز وجل، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق لله عز وجل. ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه. لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان، والروح التي أرسل بها جبريل. قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل: وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) وقال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون). وقال تعالى (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) إلى آخر السورة، وقال تعالى إخباراً عن المسيح (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) الآية وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) هو كقوله (كن فيكون). وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت شاذ بن يحيى يقول في قول الله (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) قال ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى فهذا احسن مما ادعاه ابن جرير في قوله (ألقاها إلى مريم) أي أعلمها بها كما زعمه في قوله (إذ قالت الملائكة يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه) أي يعلمك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام. وقال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد حدثنا الاوزاعي حدثني عمر بن هانئ حدثنا جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان في العمل» وقال الوليد فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن

هاني عن جنادة زاد «من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء» وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جبار به، ومن وجه آخر عن الأوزاعي به فقله في الآية والحديث «وروح منه» كقله (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) أي من خلقه ومن عنده وليست من للتبويض كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتابعة بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى، وقد قال مجاهد في قوله (وروح منه) أي ورسول منه وقال غيره ومحبة منه، والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة. وقوله (فآمنوا بالله ورسوله) أي فصدقوا بأن الله واحداً لا ولد له ولا صاحبة، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله ولهذا قال تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهذه الآية والتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) وكما قال في آخر السورة المذكورة (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني الآية وقال في أولها (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) الآية والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فمنهم من يعتقد إلهاً، ومنهم من يع تقده شريكاً ومنهم من يعتقد ولدأ وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة. ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولاً. ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بترك الاسكندرية في حدود سنة أربعمئة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم، وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة، وأنهم اختلفوا عليه اختلافاً لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أزيد من الفين أسقفاً فكانوا أحزاباً كثيرة كل خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة ومائة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص. فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفر وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفاً داهية، ومحق ما عداها من الأقوال وأنظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتباً وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقيونها الولدان من الصغار ليعتقدوها ويعمدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم الملكانية. ثم إنهم اجتمعوا مجمعاً ثانياً فحدث فيهم اليعقوبية، ثم مجمعاً ثالثاً فحدث فيهم النسطورية. وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح، ويختلفون في

كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحدا أو ما اتحدا أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى. ونحن نكفر الثلاثة ولهذا قال تعالى (انتهوا خيراً لكم) أي يكن خيراً لكم (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد) أي تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً (له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً) أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيهما عبيده وهم تحت تديره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد كما قال في الآية الأخرى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً - إلى قوله - فرداً).

تفسير محمد عبده الجزء السادس صفحة ٦٧-٨٠

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

هذه الآيات نزلت في محاجة النصارى خصاصة بعد محاجة اليهود وإقامة الحجة عليهم، وقد علت اليهود فيتحتشرون عيسى وإهانته والكفر به، ففرضوا كل التفريط. فغلت النصارى في تعظيمه وتقدسيه فأفراطوا كل الإفراط. فلما دحض تعالى شبهات أولئك قفى بدحض شبهات هؤلاء. فقال عز من قائل: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) فتجاوزوا الحدود التي حدها الله لكم. فإن الزيادة في الدين كالتقص منه. كلاهما مخرج له عن وضعه (وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) أي الثابت المتحقق في نفسه. إما بنص ديني متواتر وإما ببرهان عقلي قاطع. وليس لكم على مزاعمكم في المسيح شيء منهما (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ) إلى بني إسرائيل أمرهم بأن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً. وأن يرجعوا عن الإيمان بالجبت والطاغوت. وعن اتباع الهوى وعبادة المال. وإيثار شهوات الأرض على ملكوت السماء، وزهدهم في الحياة الدنيا. وحثهم على حق التقوى. وبشرهم بالنبي الخاتم الذي يبين لهم كل شيء. ويقيمهم على صراط الاعتدال. ويهديهم إلى الجمع بين حقوق الأرواح وحقوق الأجساد (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) أي وهو تحقيق كلمته التي ألقاها إلى أمه مريم ومصدقها.

والمراد كلمة التكوين أو البشارة. فإنه لما أرسل إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام، بشرها بأنه مأمور بأن يهب لها غلاماً زكياً، فاستنكرت أن يكون لها ولد وهي عذراء لم تتزوج، فقال لها: «كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ٣: ٤٧) فكلمة (كن) هي الكلمة الدالة على التكوين بمحض قدرة الله تعالى عند إرادته خلق الشيء وإيجاده، وقد خلق المسيح بهذه الكلمة. وفي تفسيرها وجوه أخرى سبقت في الجزء الثالث من التفسير (ص ٢٥٠ من هذه الطبعة) والإلقاء يستعمل في المعاني والكلام كما يستعمل في المتاع. قال تعالى: (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون. والقول إلى الله يومئذ السلم ١٦: ٨٦، ٨٧) ومعناه الطرح والنبد. فلما عبر الله عن التكوين أو البشارة بالكلمة أحسن التعبير بقوله: (وكلمته ألقاها إلى مريم) أي أوصلها إليها وبلغها إياها.

وأما قوله: (وروح منه) ففيه وجهان (أحدهما) أن معناه أن مؤيد بروح منه تعالى. ويوضحه قوله فيه: (وأيدناه بروح القدس ٢: ٢٥٣) وقال في صفات المؤمنين الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كان من ذوي القربى: (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ٥٨: ٢٢) (وثانيهما) أن معناه أنه خلق بنفخ من روح الله وهو جبريل عليه السلام، ويوضحه قوله تعالى في أمه: (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ٢١: ٩١) وقال تعالى فيها: (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ١٩: ١٧) كما قال في خلق الإنسان بعد ذكر بدئه من طين: (تم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ٣٢: ٨، ٩) وقال بعضهم: إن المراد بالروح هنا النفخ، أي نفخ الملك بأمر الله في مريم، فإنه استعمل بمعنى النفخ والنفس الذي ينفخ. كما قال ذو الرامة في إضرام النار:

فقلت له ارفعها إليك وأحيها بروحك واجعلها لها فيئة قدرا

والروح الذي يحيا به الإنسان مأخوذ من اسم الريح (وأصل الريح روح بالكسر فقلبت الواو ياء لتناسب الكسرة، وجمعه أرواح وأصل هذه رواح بالكسر) كما أن اسم النفس بسكون الفاء من النفس بفتحها.

ويجوز أن يراد بقوله تعالى: (وروح منه) الأمران معاً، أي أنه خلق بنفخ الملك المعبر عنه بالروح وبروح القدس في أمه نفخاً كان كالتلقيح الذي يحصل باقتران الزوجية، وكان مؤيداً بهذا الروح مدة حياته ولذلك غلبت عليه الروحانية، وظهرت آيات الله فيه ومن الطفولية

وزمن الرجولية (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ٥: ١١٠) فلما كان كذلك أطلق عليه أنه (روح) كأنه هو عين ذلك الملك الذي جعله الله سبب ولادته وأيده به مدة حياته. كما يقال: «رجل عدل» على سبيل المبالغة والمراد ذو عدل. وقال بعض المفسرين: إن المراد بالروح هنا الرحمة كقوله تعالى في المؤمنين: (وأيدهم بروح منه ٥٨: ٢٢) ويقويه قوله تعالى فيه: (ولنجعله آية للناس ورحمة منا ١٩: ٢١) ويمكن إدخال هذا المعنى في الوجه الأول لأنه من فروعه. والمعنى الجامع أن الروح ما به الحياة. والحياة قسمان: حسية ومعنوية. فالأولى ما به يشعر الإنسان ويدرك ويتفكر ويتذكر. والثانية ما به يكون رحيماً حكيماً فاضلاً محباً محبوباً نافعاً للخلق، وقد سمى الله الوحي روحاً فقال الحاتم رسله: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ٤٢: ٥٢) وقال: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ١٦: ٢) وكلا المعنيين متحقق في عيسى عليه السلام على وجه الكمال. فلهذا جوزنا الوجهين في المسألة.

وآية الله تعالى في خلق عيسى بكلمته، وجعله بشراً سوياً بما نفخ فيه من روحه كآيته في خلق آدم بكلمته وما نفخ فيه من روحه. إذ كان خلق كل منهما بغير السنة العامة في خلق الناس من ذكر وأنثى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ٣: ٥٩).

وقد علم مما قرناه أن قوله: (منه) متعلق بمحذوف صفة لـ (روح) أي وروح كائنة منه. وزعم بعض النصارى أن «من» للتبويض وأن عيسى جزء من الله. بمعنى أنه ابنه، ونقل المفسرون أن طبيباً نصرانياً للرشيدي ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى، وتلا هذه الآية، فقرأ له الواقدي قوله تعالى: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ٤٥: ١٣) وقال: يلزم إذاً أن تكون جميع هذه الأشياء أجزاء منه تبارك وتعالى. فانقطع النصراني وأسلم ففرح الرشيدي بإسلامه ووصل الواقدي بصلة فاخرة.

أما أناجيل النصارى وكتبهم فقد استعملت لفظ الروح في معان مختلفة فيما يتعلق بالمسيح وفي غير ما يتعلق به. فمن ذلك قول متى: (١٨: ١) أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس) وفي الفصل الأول من إنجيل لوقا تفصيل لظهور الملك جبريل لها وتبشيرها بإياها بولد

ومحاورتهما في ذلك. ومنها أنها سألته عن كيفية ذلك فقال لها: (٣٥) الروح القدس يحل عليك) فروح القدس ليس هو الله، ومن يؤيده الله به لا يكون إلهاً. ففي هذا الفصل نفسه من إنجيل لوقا أن (أليصابات) أم يحيى امتلأت من الروح القدس (٤١) وبذلك حملت يحيى وكانت عاقراً - وإن زكريا أباه امتلأ من الروح القدس (٦٧). وفي الفصل الثاني منه ما نصه «٢٥) وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه ٢٦ وكان قد أوحى إليه بروح القدس» وهذا الاستعمال كثير عندهم لا حاجة لإضافة الوقت بكثرة إيراد الشواهد فيه. وإنما نقول: إن الروح القدس عندهم وعندنا واحد، وهو ملك من ملائكة الله الذين لا يحصى عددهم غيره تعالى، والقدس الطهر، ويذكر في مقابلة في الأناجيل الروح النجس أي الشيطان، فجعلوه إلهاً كما فعل الوثنيون من قبل.

وجملة القول إن هذه الأناجيل تدل على ما ذكرناه آنفاً من كون عيسى خلق بواسطة روح القدس، وأن يحيى تُخلق كذلك وكان خلقه آية من وجه آخر. إذ كان أبوه شيخاً كبيراً وأمه عاقراً، ولكن الواسطة والسبب واحد، وهو الملك المسمى بروح القدس. أيدهم الله به نساء ورجالاً عليهم السلام، فمن الحماقة أن يقول قائل مع هذا إن قوله تعالى (وروح منه) يفيد أنه جزء من الله تعالى جل شأنه عن التركيب والتجزؤ والحلول والاتحاد بخلقه. بل يقولون: إن تلاميذ المسيح أنفسهم كانوا مؤيدين بروح القدس. حتى من طرده المسيح ولعنه منهم وسماه شيطاناً وقد أيد به من كان دونهم أيضاً.

علمنا أن مؤلفي الأناجيل يستعملون كلمة روح القدس استعمالاً يدل على أنه ملك من خلق الله، ولكن يوحنا قد انفرد بعبارات يمكن إرجاعها إلى استعمال غيره. ويمكن تحريفها للاستدلال بها على شيء آخر كما فعلوا، فهم يقولون: إن الروح ينبثق من الآب وإنه عين الآب. ويستدلون على ذلك بقول يوحنا حكاية عن المسيح (٢٦: ١٥) ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي) أصل الانبثاق أن يكسر الماء ما أمامه من سد على الشط ويفيض على ما وراءه وفي قراءة أخرى في ترجمة البروتستانت «يخرج» فمن هذه الكلمة استنبطوا عقيدة وثنية تنقضها نصوص كثيرة في الأناجيل.

وهذه الجملة خبر عن شيء يكون في المستقبل (وفرق بين ينبثق من عنده وبين البثق منه على أن هذه لا تدل على ما زعموا أيضاً) وهي بشارة من المسيح ممن يرسله الله تعالى بعده

الذي عبروا عنه هنا بالمعزي. وكلمة المعزي ترجمة للبارقليط وهي كلمة يونانية معناها (محمد أو أحمد) وتقرأ بالاستقامة والإمالة فلا يحتاج في تحريفها عن المعنى الذي قلناه إن معنى المعزي الذي قالوه إلا إلى لي اللسان بها لياً قليلاً. وقد ترجمت في إنجيل برنابا بمحمد فكانت هذه الترجمة موضع الاستغراب عند كثير من الناس ظانين أن برنابا نقل عن المسيح أنه نطق بكلمة محمد العربية، والظاهر أنه نطق بترجمتها. ومن عادة أهل الكتاب ترجمة الأعلام والألقاب. على أن «روح الحق» من جملة أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم، كما ترى في اسمائه المسرودة في دلائل الخيرات. وقد بين يوحنا في الفصل السادس عشر من إنجيله تفصيلاً عن المسيح عليه السلام لبشارته بالبارقليط. منه أنه خير لهم أن يذهب هو من الدنيا، لأنه إذا لم يذهب لا يأتي البارقليط. وأنه حتى جاء بيكت العالم على الخطيئة وعلى البر والحساب (الدينونة) وفسر الخطيئة بعدم الإيمان به أي المسيح. ومنه أنه هو أي المسيح لا يستطيع أن يقول لهم كل شيء لعدم استعدادهم وعدم طاقتهم الاحتمال. قال: (١٣) وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كما ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية ١٤ ذاك يمجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) ولم يجيء بعد المسيح أحد من عند الله وبخ الناس وبكتهم على عدم الإيمان بالسّميح وعلى طعن بعضهم فيه وفي أمه. وعلى غلو طائفة فيهما وجعلهما إلهين مع الله، وعلم الناس كل شيء من أمور العقائد والآداب والفضائل والاحكام الشخصية والمدنية. وأخبر بالأمور المستقلة - لم يجيء أحد بكل هذا إلا روح الحق محمد صلى الله عليه وسلم. وهو منبثق من الله. أي مرسل منه لإحياء الناس. كما يرسل الله الغيث لإحياء الأرض. وفي الحديث انه شبه بعثته بالغيث الذي تأخذ منه كل أرض بحسب استعدادها، فإذا كان عبارة يوحنا تدل على أن روح الحق الذي بشر به المسيح وأنه يأتي بعده تدل للفظ الانبثاق على ما قالوا. فليجعلوا محمداً صلى الله عليه وسلم هو الأقنوم الثالث أو أقنوماً رابعاً. وينتقلوا من التثليث إلى الترييع. لا، لا أقول لهم أصروا على هذا التأويل والتضليل، بل أقول لهم ما قاله الله عز وجل: (لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) إلى قوله تعالى:

(فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) إلخ. أي فإذا كان الأمر كذلك، وهو المعقول الذي لا تحتمل غيره النقول. فآمنوا بالله إيماناً يليق به. وهو أنه واحد أحد. فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، تنزه عن صفات الحوادث، ونسبتها إليه واحدة، وهي أنها مخلوقة وهو

الخالق. ومملوكة وهو المالك. وأن هذه الأرض في مجموع ملكه أقل من حبة رمل بالنسبة إلى الياوس منها، ومن نقطة ماء بالنسبة إلى بحارها وأنهارها. فمن الجهل الفاضح أن يجعل له ند وكفاء فيها. أو يقال إنه حل أو اتحد بشيء منها، وآمنوا برسله كلهم كما يليق بهم. وهو أنهم عبيد له خصهم بضرب من العلم والهداية (الوحي) ليعلموا الناس كيف يوحّدون ربهم ويعدّونه وبشكرونه، وكيف يزكون أنفسهم، ويصلحون ذات بينهم - ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة الآب والابن وروح القدس. أو: الله ثلاثة أقانيم كل منها عين الآخر، فكل منها إله كامل. ومجموعها إله واحد. فتسفّوها أنفسكم بترك التوحيد الخالص الذي هو ملة إبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام. والقول بالتثليث الذي هو عقيدة الوثنيين الطعام. ثم تدعوا الجمع بين التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وهو تناقض تحيله العقول ولا تقبله الأفهام. (انتهوا خيراً لكم) أي انتهوا عن هذا القول الذي ابتدعه في دين الأنبياء تقليداً لأبائكم الوثنيين الأغبياء. يكن هذا الانتهاء خيراً لكم، أو انتهوا عنه وانتحلوا قولاً آخر خيراً لكم منه. وهو قول جميع النبيين والمرسلين بتوحيده وتنزيهه. حتى المسيح الذي سمّيته إلهاً فإن مما لا تزالون تحفظون عنه قوله في إنجيل يوحنا. (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته).

(إنما الله إله واحد) ليس له أجزاء ولا أقانيم. ولا هو مركب ولا متحد بشيء من المخلوقات (سبحانه أن يكون له ولد) أي تنزهه وتقدس عن أن يكون له ولد كما تقولون في المسيح إنه ابنه وإله هو عينه. فإنه تبارك وتعالى ليس له جنس فيكون له منه زوج يقترن بها فتلد له ابناً. والنكته في اختيار لفظ الولد في الرد عليهم. على لفظ الابن الذي يعبرون به. هي بيان أنهم إذا كانوا يريدون الابن الحقيقي الذي يفهم من هذا اللفظ لا بد أن يكون ولداً أي مولوداً من تلقيح أبيه لأمه وهذا محال على الله تعالى. وإن أرادوا أنه ابن مجازاً لا حقيقة كما أطلق في كتب العهد العتيق والعهد الجديد على إسرائيل وداود وعلى صانعي السلام وغيرهم من الأخيار، فلا يكون له دخل في الألوهية، ولا يعد من باب الخصوصية.

(له ما في السموات وما في الأرض) أي ليس له ولد خاص مولود منه يصح أن يسمى ابنه حقيقة، بل له كل ما في السموات والأرض - والمسيح من جملتها - خلق كل ذلك خلقاً. وكل ذي عقل منها وإدراك يفتخر بأن يكون له عبداً (إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً ٩٣: ١٩) لا فرق بين من خلقه ابتداء من غير أب ولا أم كالملائكة وآدم.

ومن خلق من أصل واحد كحواء وعيسى، ومن خلق من الزوجين الذكر والأنثى. كلهم بالنسبة إليه تعالى سواء. عبيد له من خلقه محتاجون دائماً إلى فضله. وهو يتصرف فيهم كما يشاء. (وكفي بالله وكيلاً) أي به الكفاية لمن عرفه وعرف سننه في خلقه إذا وكلوا إليه أمورهم. ولم يحاولوا الخروج عن سننه وشرائعه بسوء اختيارهم.

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب الجزء الثاني صفحة ٦٠٧-٦١٧

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

هذا الدرس جولة مع النصارى من أهل الكتاب، كما كان الدرس الماضي جولة مع اليهود. منهم وهؤلاء وهؤلاء من أهل الكتاب الموجه إليهم هذا الخطاب.

وفي الدرس الماضي أنصف القرآن عيسى ابن مريم وأمه الطاهرة من افتراءات اليهود، وأنصف العقيدة الصحيحة في حكاية صلب المسيح - عليه السلام - وأنصف الحق نفسه من يهود، وأفاعيل يهود، وعنت يهود!

وفي هذا الدرس يتجه السياق إلى إنصاف الحق والعقيدة، وإنصاف عيسى ابن مريم كذلك من غلو النصارى في شأن المسيح - عليه السلام - ومن الأساطير الوثنية التي تسربت إلى النصرانية السمحة من شتى الأقوام وشتى الملل، التي احتكت بها النصرانية، سواء في ذلك أساطير الإغريق والرومان، وأساطير قدماء المصريين، وأساطير الهنود!

ولقد تولى القرآن الكريم تصحيح عقائد أهل الكتاب التي جاء فوجدها مليئة بالتحريفات مشحونة بالأساطير، كما تولى تصحيح عقائد المشركين، المتخلفة من بقايا الحنيفية دين إبراهيم - عليه السلام - في الجزيرة العربية ومن ركام فوقها من أساطير البشر وترهات الجاهلية!

والقضية التي يعرض لها السياق في هذه الآيات، هي قضية «التثليث» وما تتضمنه من أسطورة «بنوة المسيح» لتقرير وحدانية الله سبحانه على الوجه المستقيم الصحيح.

ولقد جاء الإسلام والعقيدة التي يعتنقها النصارى - على اختلاف المذاهب - هي عقيدة

أن الإله واحد في أقانيم ثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس. والمسيح هو «الابن».. ثم تختلف المذاهب بعد ذلك في المسيح. هل هو ذو طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية؟ أم هل هو ذو طبيعة واحدة لاهوتية فقط. وهل هو ذو مشيئة واحدة مع اختلاف الطبيعتين؟ وهل هو قديم كالآب أو مخلوق.. إلى آخر ما تفرقت به المذاهب، وقامت عليه الاضطهادات بين الفرق المختلفة.. (وسياأتي شيء من تفصيل هذا الإجمال في مناسبته في سياق سورة المائدة).

والثابت من تتبع التاريخي لأطوار العقيدة النصرانية، أن عقيدة التثليث، وكذلك عقيدة بنوة المسيح لله - سبحانه - (ومثلها عقيدة ألوهية أمه مريم، ودخولها في التثليثات المتعددة الأشكال) كلها لم تصاحب النصرانية الأولى. إنما دخلت إليها على فترات متفاوتة التاريخ، مع الوثنيين الذين دخلوا النصرانية، وهم لا يראوا بعد من التصورات الوثنية والآلهة المتعددة.. والتثليث بالذات يغلب أن يكون مقتبساً من الديانات المصرية القديمة، من تثليث «أوزيريس وإيزيس، وحوريس» والتثليثات المتعددة في هذه الديانة..

وقد ظل النصارى الموحدون يقاومون الاضطهادات التي أنزلها بهم الأباطرة الرومان، والمجامع المقدسة الموالية للدولة (الملوكانيون) إلى ما بعد القرن السادس الميلادي على الرغم من كل ما لاقوه من اضطهاد وتغرب وتشرد بعيداً عن أيدي السلطات الرومانية!

وما تزال فكرة «التثليث» تصدم عقول المثقفين من النصارى، فيحاول رجال الكنيسة أن يجعلوها مقبولة لهم بشتى الطرق، ومن بينها الإحالة إلى مجهولات لا ينكشف سرها للبشر إلا يوم ينكشف الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض!

«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا».

فهو الغلو إذن وتجاوز الحد والحق، هو ما يدعو أهل الكتاب هؤلاء إلى أن يقولوا على الله غير الحق، فيزعموا له ولداً - سبحانه - كما يزعمون أن الله الواحد ثلاثة..

وقد تطورت عندهم فكرة البنوة، وفكرة التثليث، حسب رقي التفكير وانحطاطه. ولكنهم قد اضطروا أمام الاشمئزاز الفطري من نسبة الولد لله، والذي تزيده الثقافة العقلية، أن يفسروا

البنوة بأنها ليست عن ولادة كولدادة البشر. ولكن عن «المحبة» بين الآب والابن. وأن يفسروا الإله والواحد في ثلاثة.. بأنها «صفات» لله سبحانه في «حالات» مختلفة.. وإن كانوا ما يزالون غير قادرين على إدخال هذه التصورات المتناقضة إلى الإدراك البشري. فهم يحيلونها إلى معميات غيبية لا تكشف إلا بانكشاف حجاب السماوات والأرض..

والله - سبحانه - تعالى عن الشركة، وتعالى عن المشابهة. ومقتضى كونه خالقاً يستتبع.. بذاته .. أن يكون غير الخلق. وما يملك إدراك أن يتصور إلا هذا التغير بين الخالق والخلق. والمالك والملك.. وإلى هذا النص القرآني:

«إنما الله إله واحد، سبحانه! أن يكون له ولد؟ له ما في السموات وما في الأرض..».

وإذا كان مولد عيسى - عليه السلام - من غير أب عجباً في عرف البشر، خارقاً لما ألفوه، فهذا العجب إنما تنشئه مخالفة المألوف. والمألوف للبشر ليس هو كل الموجود. والقوانين الكونية التي يعرفونها ليست هي كل سنة الله. والله يخلق السنة ويجربها، ويصرفها حسب مشيئته. ولا حد لمشيئته.

والله - سبحانه يقول - وقوله الحق - في المسيح:

«إنما المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه».. فهو على وجه القصد والتحديد:

«رسول الله»..

شأنه في هذا شأن بقية الرسل. شأن نوح وإبراهيم وموسى ومحمد، وبقية الرهط الكريم من عباد الله المختارين للرسالة على مدار الزمان..

«وكلمته ألقاها إلى مريم»

وأقرب تفسير لهذه العبارة، أنه سبحانه، خلق عيسى بالأمر الكوني المباشر، الذي يقول عنه في مواضع شتى من القرآن: إنه «كن.. فيكون».. فلقد ألقى هذه الكلمة إلى مريم فخلق في عيسى في بطنها من غير نطفة أب - كما هو المألوف في حياة البشر غير آدم - والكلمة التي تخلق كل شيء من العدم، لا عجب في أن تخلق عيسى - عليه السلام - في بطن مريم من النفخة التي يعبر عنها بقوله:

«وروح منه»..

وقد نفخ الله في طينة آدم من قبل من روحه. فكان «إنساناً».. كما يقول الله تعالى: «إذ

قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين».. وكذلك قال في قصة عيسى: «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا».. فالأمر له سابقة.. والروح هنا هو الروح هناك.. ولم يقل أحد من أهل الكتاب - وهم يؤمنون بقصة آدم والنفخة فيه من روح الله - إن آدم إله، ولا أقنوم من أقانيم الإله. كما قالوا عن عيسى، مع تشابه الحال - من حيث قضية الروح والنفخة ومن حيث الحلقة كذلك. بل إن آدم خلق من غير آب وأم: وعيسى خلق مع وجود أم.. وكذلك قال الله: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون»..

إن الذي وهبت لآدم.. من غير أبوين.. حياة إنسانية متميزة عن حياة سائر الخلائق بنفخة من روحه، لهو الذي وهب عيسى.. من غير أب.. هذه الحياة الإنسانية كذلك.. وهذا الكلام البسيط الواضح أولى من تلك الأساطير التي لا تنتهي عن ألوهية المسيح، لمجرد أنه جاء من غير أب. وأن ألوهية الأقانيم الثلاثة كذلك!.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً: «فآمنوا بالله ورسله. ولا تقولوا: ثلاثة. انتهوا خيراً لكم»..

وهذه الدعوة للإيمان بالله ورسله - ومن بينهم عيسى بوصفه رسولاً، ومحمد بوصفه خاتم النبيين - والانتهاء عن تلك الدعاوى والأساطير، تجيء في وقتها المناسب بعد هذا البيان الكاشف والتقرير المريح..

«إنما الله إله واحد»..

فالعقل لا يتصور خالقاً يشبه مخلوقاته، ولا ثلاثة في واحد. ولا واحداً في ثلاثة:

«سبحانه أن يكون له ولد»..

سورة المائدة ٤٦:٥

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ٦٤-٦٥

المائدة ٤٦:٥ وَقَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ.

يقول تعالى (وقفينا) أي اتبعنا على آثارهم يعني أنبياء بني إسرائيل (بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة) أي مؤمناً بها حاكماً بما فيها (وآتيناها الإنجيل فيه هدى ونور) أي يهدي

إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات (وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ) أي متبعاً لها غير مخالف لما فيها إلا في القليل مما بين لني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه كما قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لني إسرائيل (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة وقوله تعالى (وَهَدَىٰ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) أي وجعلنا الإنجيل هدى يهتدي به وموعظة أي زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم للمتقين أي لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه. وقوله تعالى (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) قرئ وليحكم أهل الإنجيل بالنصب على أن اللام لام كي أي وآتيناه الإنجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم وقرئ وليحكم بالجزم على أن اللام لام الأمر أي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه ومما فيه البشارة ببعثه محمد والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد كما قال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) الآية وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة) إلى قوله (المفلحون) ولهذا قال ههنا (ومم لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن طاعة ربهم المائلون إلى الباطل التاركون للحق وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى وهو ظاهر من السياق.

تفسير محمد عبده الجزء السادس صفحة ٣٢٨-٣٣٨

المائدة ٥: ٤٦ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ.

(وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ) أي وبعثنا عيسى ابن مريم بعد أولئك النبيين الذين كانوا يحكمون بالتوراة متبعاً أثرهم جرياً على سننهم، مصداقاً للتوراة التي تقدمته بقوله وعمله أو بحاله. (وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) أي أعطيناه الإنجيل مشتملاً على هدى من الضلال في العقائد والأعمال. كالتوحيد النفي للوثنية التي هي مصدر الخرافات والأباطيل، ونور يبصر به طالب الحق طريقه الموصل إليه من الدلائل والأمثال، والفضائل والآداب، ومصدقاً للتوراة التي تقدمته، أي مشتملاً على النص بتصديق التوراة. وهذا غير تصديق المسيح لها بقوله وعمله أو

حاله. وصفه بمثل ما وصف به التوراة. وبكونه مصداقاً لها، ثم زاد في وصفه عطفاً على تلك الأحوال فجعله نفسه هدى من وجه آخر وموعظة للمتقين، ولعله ما انفرد به من المسائل الروحية، والمواعظ الأدبية، وزلزلة ذلك الجمود الإسرائيلي المادي، وزعزعة ذلك الغرور الذي كان الكتبة والفريسيون من اليهود مفتونين به. وخص هذا النوع بالمتقين، لأنهم هم الذين ينتفعون به إذ لا يفوتهم شيء من الكتاب لحرصهم عليه. وعنايتهم به. والحكمة في هذا النوع من الهدى والموعظة، فقه أسرار الشريعة ومعرفة حكمتها والمقصد منها. والعلم بأن وراء تلك التوراة وهذا الإنجيل هداية أتم وأكمل. وديناً أعم وأشمل، وهو الذي يجيء به النبي الأخير (البارقليط) الأعظم، ولولا زلزال الإنجيل في جملته لتلك التقاليد وزعزعته لذلك الغرور، وأنس الناس بما حفظ من تعاليمه عدة قرون، لما انتشر الإسلام بين أهل الكتاب في سورية ومصر وبين النهرين بتلك السرعة.

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب الجزء الثاني صفحة ٧٣٦-٦٥٣

المائدة ٥:٦٠ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ.

فقد أتى عيسى ابن مريم الإنجيل، ليكون منهج حياة، وشريعة حكم.. ولم يتضمن الإنجيل في ذاته تشريعاً إلا تعديلات طفيفة في شريعة التوراة. وقد جاء مصداقاً لما بين يديه من التوراة، فاعتمد شريعتها - فيما عدا هذه التعديلات الطفيفة.. وجعل الله فيه هدى ونوراً وهدى وموعظة.. ولكن لمن؟.. «للمتقين». فالمتقون هم الذين يجدون في كتب الله الهدى والنور والموعظة، وهم الذين تفتح قلوبهم لما في هذه الكتب من الهدى والنور.. أما القلوب الجاسية الغليظة الصلدة، فلا تبلغ إليها الموعظة، ولا تجد في الكلمات معانيها، ولا تجد في التوجيهات روحها، ولا تجد في العقيدة مذاقها، ولا تنتفع من هذا الهدى ومن هذا النور بهداية ولا معرفة ولا تستجيب.. إن النور موجود، ولكن لا تدركه إلا البصيرة المفتوحة، وإن الهدى موجود، ولكن لا تدركه إلا الروح المستشرقة، وإن الموعظة موجودة، ولكن لا يلتقطها إلا القلب الواعي.

وقد جعل الله في الإنجيل هدى ونوراً وموعظة للمتقين، وجعله منهج حياة وشريعة حكم

لأهل الإنجيل.. أي انه خاص بهم، فليس رسالة عامة للبشر - شأنه في هذا شأن التوراة وشأن كل كتاب وكل رسالة وكل رسول، قبل هذا الدين الأخير - ولكن ما طابق من شريعته - التي هي شريعة التوراة - حكم القرآن فهو من شريعة القرآن. كما مر بنا في شريعة القصاص.

وأهل الإنجيل كانوا إذن مطالبين أن يتحاكموا إلى الشريعة التي أقرها وصدقها الإنجيل من شريعة التوراة:

«وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه».

فالقاعدة هي الحكم بما أنزل الله دون سواه. وهم اليهود كذلك لن يكونوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل - قبل الإسلام - وما أنزل إليهم من ربهم - بعد الإسلام - فكله شريعة واحدة، هم ملزمون بها، وشريعة الله الأخيرة هي الشريعة المعتمدة:

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون».

سورة المائدة ٤٧:٥

تفسير الطبري الجزء الرابع صفحة ٢٦٤

سورة المائدة ٤٧:٥ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.

اختلفت القراء في قراءة قوله (وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ) وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور. ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وكى يحكم أهله بما فيه من حكم الله.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) قال: ومن لم يحكم من أهل الإنجيل أيضاً بذلك. فأولئك هم الفاسقون. قال: الكاذبون بهذا، قال: وقال ابن زيد: كل شيء في القرآن إلا قليلاً فاسق فهو كاذب، وقرأ قول الله (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) قال: الفاسق ههنا: كاذب، وقد بينا معنى الفسق بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

تفسير الرازي الجزء العاشر صفحة ٩-١٠

وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

إنه تعالى وصف الإنجيل بصفات خمسة فقال (فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) وفيه مباحثات ثلاثة: أحدها: ما الفرق بين هذه الصفات الخمسة: وثانيها: لم ذكر الهدى مرتين؟ وثالثها: لم خصصه بكونه موعظة للمتقين؟ (الجواب عن الأول) إن الإنجيل هدى بمعنى إنه اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه. وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى، وأما كونه نوراً، فالمراد به كونه بياناً للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكليف. وأما كونه مصدقاً لما بين يديه، فيمكن حمله على كونه مبشراً بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبمقدمه. وأما كونه هدى مرة أخرى فلأن اشتماله على البشارة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم لاهتداء الناس إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان أشد وجوه المنازعة بين المسلمين احتياجاً إلى البيان والتقرير، وأما كونه موعظة فلاشتمال الإنجيل على النصائح والموعظ والزواجر البليغة المتأكدة، وإنما خصها بالمتقين لأنهم هم الذين ينتفعون بها، كما في قوله (هدى للمتقين).

فإن قيل: كيف جاز أن يؤمر بالحكم بما في الإنجيل بعد نزول القرآن؟

قلنا: الجواب عنه من وجوه: الأول: أن المراد ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول الأصم، والثاني: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، مما لم يصر منسوخاً بالقرآن، والثالث: المراد من قوله (وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ) زجرهم عن تحريف ما في الإنجيل وتغييره مثل ما فعله اليهود من إخفاء أحكام التوراة، فالمعنى بقوله (وليحكم) أي وليقر أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذي أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل.

ثم قال تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) واختلف المفسرون، فمنهم من جعل هذه الثلاثة، أعني قوله (الكافرون الظالمون الفاسقون) صفات لموصوف واحد. قال القفال: وليس في أفراد كل واحد من هذه الثلاثة بلفظ ما يوجب القبح في

المعنى، بل هو كما يقال: من أطاع الله فهو المؤمن، من أطاع الله فهو البر، من أطاع الله فهو المتقي، لأن كل ذلك صفات مختلفة حاصلة لموصوف واحد. وقال آخرون: الأول في الجاحد، والثاني والثالث في المقر التارك. وقال الأصم: الأول والثاني في اليهود، والثالث في النصارى.

سورة المائدة ٧٨:٥

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٣١٧ و ٣١٨

المائدة ٧٨:٥ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء النصارى الذين وصف تعالى ذكره صفتهم. لا تغلوا، فتقولوا في المسيح غير الحق، ولا تقولوا فيه ما قالت اليهود الذين قد لعنهم الله على لسان أنبيائه ورسله داود وعيسى ابن مريم، وكان لعن الله إياهم على ألسنتهم.

كالذي حدثني محمد به سعد، قال: ثنى أبي، قال: عني عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) قال: لعنوا بكل لسان، لعنوا على عهد موسى في التوراة، ولعنوا على عهد داود في الزبور، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل، ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن.

حدثني المشنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) يقول: لعنوا في الإنجيل على لسان عيسى بن مريم، ولعنوا في الزبور على لسان داود.

حدثنا بان وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) قال: خالطوهم بعد النهي في تجارتهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، فهم ملعونون على لسان داود وعيسى بن مريم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن حصين، عن مجاهد (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) قال: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى، فصاروا خنازير.

حدثنا القاسم، قال ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بكل لسان، لعنوا على عهد موسى في التوراة، وعلى عهد داود في الزبور، وعلى عهد عيسى في الإنجيل، ولعنوا على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن.

قال ابن جريج، وقال آخرون: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ) على عهده، فلعنوا بدعوته، قال: مر داود على نفر منهم وهم في بيت، فقال من في البيت؟ قالوا: خنازير، قال: اللهم اجعلهم خنازير، فكانوا خنازير، ثم أصابتهم لعنته، ودعا عليهم عيسى فقال: اللهم العن من افتري عليّ وعلى أمتي، واجعلهم قردة خاسئين.

حدثنا بر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)... الآية، لعنهم الله على لسان داود في زمانه، فجعلهم قردة خاسئين، وفي الإنجيل على لسان عيسى، فجعلهم خنازير.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا أبو محصن حصين بن تميم، عن مصير، يعني ابن عبد الرحمن، عن أبي مالك، قال (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ) قال: مسخوا على لسان داود قردة وعلى لسان عيسى خنازير.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن العلاء بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن مرة، عن سالم الأفطس، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعزيراً، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشرابه، فلما رأى ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، ثم قال: والذين نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر. ولتأخذن على يدي المسيء، ولا تواطئونه على الخواطر، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، وليلعنكم كما لعنهم».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكيم بن بشير بن سليمان، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي،

عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: لما فشا المنكر في بني إسرائيل، جعل الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله، ثم لا يمنعه ذلك أن يؤاكله ويشاربه، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ثم أنزل فيهم كتاباً (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس وقال: كلا والذي نفسي بيده حتى تأطروا الظالم على الحق أطراً».

حدثنا علي بن سهل الرملي، قال: ثنا المومل بن إسماعيل، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا علي بن بذيمة عن أبي عبيدة، أظنه عن مسروق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن بني إسرائيل لما ظهر منهم المنكر جعل الرجل يرى أخاه وجاره وصاحبه على المنكر فينهاه، ثم لا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه ونديمه، فضرب الله قلوب بعضهم على بعض، ولعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)... إلى (فاسقون)، قال عبد الله: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فاستوى جالساً، فغضب وقال: لا والله حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطوره على الحق أطراً».

فتأويل الكلام إذن: لعن الله الذين كفروا من اليهود بالله على لسان داود وعيسى بن مريم، ولعن والله آبائهم على لسان داود وعيسى بن مريم، بما عصوا الله، فخالفوه أمره، وكانوا يعتدون، يقول: وكانوا يتجاوزون حدوده.

تفسير الرازي الجزء العاشر صفحة ٦٣-٦٦

المائدة ٧٨:٥ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ)

قال أكثر المفسرين: يعني أصحاب السبت، وأصحاب المائدة. أما أصحاب السبت فهو أن قوم داود، وهم أهل «أيلة» لما اعتدوا في السبت بأخذ الحيتان على ما ذكر الله تعالى هذه القصة في سورة الأعراف قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة، وأما أصحاب المائدة فإنهم لما أكلوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي. قال بعض

العلماء: أن اليهود كانوا يفتخرون بأننا من أولاد الأنبياء، فذكر الله تعالى هذه الآية لتدل على أنهم ملعونون على ألسنة الأنبياء. وقيل: أن داود وعيسى عليهما السلام بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولعنا من يكذبه، وهو قول الأصم.

ثم قال تعالى (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) والمعنى أن ذلك اللعن كان بسبب أنهم يعصون ويبالغون في ذلك العصيان.

سورة المائدة ٥: ١١٠-١١٨

تفسير الزمخشري الجزء الأول صفحة ٦٥٣-٦٥٩

المائدة ٥: ١١٠ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ .

المائدة ٥: ١١٢-١١٥ إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١١٣ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ١١٤ , قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١١٥ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ .

المائدة ٥: ١١٦-١١٨ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ

عَلَامُ الْغُيُوبِ ١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٨ إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ١١٤-١١٥

المائدة ١١٠: ٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ .

يذكر تعالى ما من به على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام مما أجراه على يديه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات فقال (اذكر نعمتي عليك) أي في خلقي إياك من أم بلا ذكر، وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء. (وعلى والدتك) حيث جعلتك لها برهاناً على براءتها مما نسبته الظالمون والجاهلون إليها من الفاحشة. (إذ أيدتك بروح القدس) وهو جبريل عليه السلام، وجعلتك نبياً داعياً إلى الله في صغرك وكبرك، فأنطقتك في المهدي صغيراً فشهدت ببراءة أمك من كل عيب، واعترفت لي بالعبودية، وأخرت عن رسالتي إياك ودعوت إلى عبادتي. ولهذا قال (تكلم الناس في المهدي وكهلاً) أي تدعو إلى الله الناس في صغرك وكبرك وضمن تكلم تدعو لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب وقوله (وإذ علمتك الكتاب والحكمة) أي الخط والفهم (والتوراة) وهي المنزلة على موسى بن عمران الكليم وقد يرد لفظ التوراة في الحديث ويراد به ما هو أعم من ذلك وقوله (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني) أي تصوره وتشكله على هيئة الطائر بإذني لك في ذلك، فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني. أي فتنفخ في تلك الصورة التي شكلتها بإذني لك في ذلك فتكون طيراً ذا روح تطير بإذن الله وخلقها.

وقوله تعالى (وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني) قد تقدم الكلام عليه في سورة آل عمران بما أغنى عن إعادته وقوله (وإذ تخرج الموتى بإذني) أي تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته وإرادته ومشيئته. وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا محمد بن طلحة يعني ابن مصرف عن أبي بشر عن أبي الهذيل فقال. كان عيسى بن مريم عليه السلام إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى (تبارك الذي بيده الملك) وفي الثانية (ألم تنزل) السجدة. فإذا فرغ منهما مدح الله واثنى عليه ثم دعا بشبعة أسماء يا قديم يا خفي يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد يا صمد. وكان إذا أصابته شديدة دعا بسبعة آخر: يا حي يا قيوم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والإكرام يا نور السموات والأرض وما بينهما ورب العرش العظيم يا رب وهذا أثر عظيم جداً. وقوله تعالى (وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) أي واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم ورفعتك إليّ وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد رفعه إلى السماء أو يكون هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة وهذا من أسرار الغيوب التي اطلع عليها نبيه محمد ﷺ.

تفسير في ظلال القرآن سيد قطب الجزء الثالث صفحة ٦٩-٧٨

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ .

فأما سائر الرسل - غير عيسى عليه السلام - فقد صدق بهم من صدق، وقد كفر بهم من كفر، ولقد انتهى أمرهم بهذا الجواب الكامل الشامل، الذي يدع العلم كله لله، ويدع الأمر

كله بين يديه. سبحانه.. فما يزيد السياق شيئاً في هذا المشهد عنهم.. إنما يلتفت بالخطاب إلى عيسى ابن مريم وحده، لأن عيسى ابن مريم هو الذي فتن قومه فيه، وهو الذي غام الجو حوله بالشبهات، وهو الذي خاض ناس في الأوهام والأساطير حول ذاته، وحول صفاته وحول نشأته ومنتهاه.

يلتفت الخطاب إلى عيسى ابن مريم - على الملأ ممن ألوهه وعبدوه وصاغوا حوله وحول أمه - مريم - التهاويل.. يلتفت إليه يذكره نعمة الله عليه وعلى والدته، ويستعرض المعجزات التي آتاها الله إياه ليصدق برسالته، فكذبه من كذبه منهم أشد التكذيب وأقبحه، وفتن به وبالآيات التي جاءت معه من فتن، وألوهه مع الله من أجل هذه الآيات، وهي كلها من صنع الله الذي خلقه وارسله وايده بالمعجزات:

«إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ .
١١١ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»

إنها المواجهة بما كان من نعم الله على عيسى ابن مريم وأمه.. من تأييده بروح القدس في مهده، وهو يكلم الناس في غير موعد الكلام، ويبرئ أمه من الشبهة التي آثرتها ولادته على غير مثال، ثم وهو يكلمهم في الكهولة يدعوهم إلى الله.. روح القدس جبريل - عليه السلام - يؤيده هنا وهناك. ومن تعليمه الكتاب والحكمة، وقد جاء إلى هذه الأرض لا يعلم شيئاً فعلمه الكتابة وعلمه كيف يحسن تصريف الأمور، كما علمه التوراة التي جاء فوجدها في بني إسرائيل، والإنجيل الذي آتاه إياه مصداقاً لما بين يديه من التوراة. ثم من إتيانه خارق المعجزات التي لا يقدر عليها بشر إلا بإذن الله. فإذا هو يصور من الطين كهية الطير بإذن الله، فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله - لا ندري كيف لأننا لا ندري إلى اليوم كيف خلق الله الحياة، وكيف يث الحياة في الأحياء - وإذا هو يبرئ المولود أعمى - بإذن الله - حيث لا

يعرف الطب كيف يرد إليه البصر - ولكن الله الذي يهب البصر أصلاً قادر على أن يفتح عينيه للنور - ويرى الأبرص بإذن الله، لا بدواء - والدواء وسيلة لتحقيق إذن الله في الشفاء، وصاحب الإذن قادر على تغيير الوسيلة، وعلى تحقيق الغاية بلا وسيلة - وإذا هو يحي الموتى بإذن الله - وواهب الحياة أول مرة قادر على رجوعها حين يشاء - ثم يذكره بنعمة الله عليه في حمايته من بني إسرائيل إذ جاءهم بهذه البيّنات كلها فكذبوه وزعموا أن معجزاته هذه الخارقة سحر مبین! ذلك أنهم لم يستطيعوا إنكار وقوعها - وقد شهدتها الألوف - ولم يريدوا التسليم بدلالاتها عناداً وكبراً.. حمايته منهم فلم يقتلوه - كما أرادوا ولم يصلبوه. بل توفاه الله ورفعاه إليه.. كذلك يذكره بنعمة الله عليه في إلهام الحواريين أن يؤمنوا بالله وبرسوله، فإذا هم ملبون مستسلمون، يشهدونه على إيمانهم وإسلامهم أنفسهم كاملة لله:

« وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »..

إنها النعم التي آتاها الله عيسى ابن مريم، لتكون له شهادة وبينة. فإذا كثرة من أتباعه تتخذ منها مادة للزيع، وتصوغ منها وحولها الأضاليل - فهذا هو ذا عيسى يواجه بها على مشهد من الملأ الأعلى، ومن الناس جميعاً، ومنهم قومه الغالون فيه.. ها هو ذا يواجه بها لسمع قومه ويروا، وليكون الخزي أوجع وأفضح على مشهد من العالمين!

ويستطرد السياق في معرض النعم على عيسى ابن مريم وأمه، إلى شيء من نعمة الله على قومه، ومن معجزاته التي أيده الله بها وشهدها وشهد بها الحواريون:

« إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ١١٣ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ١١٤ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١١٥ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ »

ويكشف لنا هذا الحوار عن طبيعة قوم عيسى.. المستخلص منهم وهم الحواريون.. فإذا بينهم وبين أصحاب رسولنا - صلى الله عليه وسلم - فرق بعيد..

إنهم الحواريون الذين ألهمهم الله الإيمان به وبرسوله عيسى. فآمنوا. وأشهدوا عيسى على إسلامهم.. ومع هذا فهم بعد ما رأوا من معجزات عيسى ما رأوا، يطلبون خارقة جديدة. تطمئن بها نفوسهم. ويعلمون منها أنه صدقهم. ويشهدون بها له لمن وراءهم.

فأما أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فلم يطلبوا منه خارقة واحدة بعد إسلامهم.. لقد آمنت قلوبهم واطمأنت منذ أن خالطتها بشاشة الإيمان. ولقد صدقوا رسولهم فلم يعودوا يطلبون على صدقه بعد ذلك البرهان. ولقد شهدوا له بلا معجزة إلا هذا القرآن..

هذا هو الفارق الكبير بين حواربي عيسى عليه السلام - وحواريي محمد - صلى الله عليه وسلم - ذلك مستوى، وهذا مستوى.. وهؤلاء مسلمون وأولئك مسلمون.. وهؤلاء مقبولون عند الله وهؤلاء مقبولون.. ولكن تبقى المستويات متباعدة كما أرادها الله..

وقصة المائدة - كما أوردها القرآن الكريم - لم ترد في كتب النصارى. ولم تذكر في هذه الأنجيل التي كتبت متأخرة بعد عيسى - عليه السلام - بفترة طويلة، لا يؤمن معها على الحقيقة التي تنزلت من عند الله. وهذه الأنجيل ليست إلا رواية بعض القديسين عن قصة عيسى - عليه السلام - وليست هي ما أنزله الله عليه وسماه الإنجيل الذي آتاه..

ولكن ورد في هذه الأنجيل خبر عن المائدة في صورة أخرى: فورد في إنجيل متى في نهاية الإصحاح الخامس عشر.

«وَأَمَّا يَسُوعُ فَدَعَا تَلَامِيذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي أَشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ، لِأَنَّ الْآنَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِيَ وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَلَسْتُ أَرِيدُ أَنْ أَضْرِفَهُمْ صَائِمِينَ لئَلَّا يُخَوِّرُوا فِي الطَّرِيقِ». فَقَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ: «مِنْ أَيْنَ لَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ خُبْزٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ، حَتَّى يُشْبِعَ جَمْعًا هَذَا عَدَدُهُ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟» فَقَالُوا: «سَبْعَةٌ وَقَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ». فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَكَيُّوا عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتِ السَّمَكِ، وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى تَلَامِيذَهُ، وَالتَّلَامِيذُ أَعْطَوْا الْجَمْعَ. فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسْرِ سَبْعَةَ سِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ، وَالْأَكْلُونَ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ رَجُلٍ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ»... ورد مثل هذه الرواية في سائر الأنجيل..

«إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ»..

لقد كان الحواريون - وهم تلاميذ المسيح وأقرب أصحابه إليه وأعرفهم به - يعترفون أنه بشر.. ابن مريم .. وينادونه بما يعرفونه عنه حق المعرفة. وكانوا يعرفون أنه ليس رباً وإنما عبد محبوب لله. وأنه ليس ابن الله، إنما هو ابن مريم ومن عبيد الله، وكانوا يعرفون كذلك أن ربه هو الذي يصنع تلك المعجزات الخوارق على يديه، وليس هو الذي يصنعها من عند نفسه بقدرته الخاصة.. لذلك حين طلبوا إليه، أن تنزل عليهم مائدة من السماء، لم يطلبوها منه، فهم يعرفون أنه بذاته لا يقدر على هذه الخارقة. وإنما سألوه:

«يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟»..

واختلفت التأويلات في قولهم: «هل يستطيع ربك».. كيف سألوه بهذا الصيغة بعد إيمانهم بالله وإشهاد عيسى - عليه السلام - على إسلامهم له. وقيل: إن معنى يستطيع ليس (يقدر) ولكن المقصود هو لازم الاستطاعة، وهو أن ينزلها عليهم. وقيل: إن معناها: هل يستجيب لك إذا طلبت. وقرئت: «هل يستطيع ربك». بمعنى هل تملك أنت أن تدعو ربك لينزل علينا مائدة من السماء..

وعلى أية حال فقد رد عليهم عيسى - عليه السلام - محذراً إياهم من طلب هذه الخارقة.. لأن المؤمنين لا يطلبون الخوارق، ولا يقترحون على الله.

«قال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين»..

ولكن الحواريين كرروا الطلب، معلنين عن علته وأسبابه وما رجىون من ورائه:

«قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ»

فهم يريدون أن يأكلوا من هذا الطعام الفريد الذي لا نظير له عند أهل الأرض. وتطمئن قلوبهم برؤية هذه الخارقة وهي تتحقق أمام أعينهم، ويستيقنوا أن عيسى عليه السلام قد صدقهم، ثم يكونوا شهوداً لدى بقية قومهم على وقوع هذه المعجزة.

وكلها أسباب كما قلنا تصور م ستوة معيناً دون مستوى أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو لاء طراز آخر بالموازنة مع هذا الطراز!

عندئذ اتجه عيسى - عليه السلام - إلى ربه يدعو:

«قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»..

وفي دعاء عيسى - ابن مريم - كما يكرر السياق القرآني هذه النسبة - أدب العبد المجتبي مع إلهه ومعرفته بربه. فهو يناديه: يا الله. يا ربنا. إنني أدعوك أن تنزل علينا مائدة من السماء، تعمنا بالخير والفرحة كالعيد، فتكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا، وأن هذا من رزقك فارزقنا وأنت خير الرازقين.. فهو إذن يعرف أنه عبد، وأن الله ربه. وهذا الاعتراف يعرض على مشهد من العالمين في مواجهة قومه، يوم المشهد العظيم!

واستجاب الله دعاء عبده الصالح عيسى ابن مريم، ولكن بالجد اللائق بجلاله سبحانه.. لقد طلبوا خارقة.. واستجاب الله. على أن يعذب من يكفر منهم بعد هذه الخارقة عذاباً شديداً بالغاً في شدته لا يعذبه أحداً من العالمين:

«قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ»..

فهذا هو الجد اللائق بجلال الله، حتى لا يصبح طلب الخوارق تسلية ولهواً. وحتى لا يمضي الذين يكفرون بعد البرهان المفحم دون جزاء رادع!

وقد مضت سنة الله من قبل بهلاك من يكذبون بالرسل بعد المعجزة.. فأما هنا فإن النص يحتمل أن يكون هذا العذاب في الدنيا، أو أن يكون في الآخرة.

ويسكت السياق بعد وعد الله وتهديده. ليمضي إلى القضية الأساسية.. قضية الألوهية والربوبية..

وهي القضية الواضحة في الدرس كله. فلنعد إلى المشهد العظيم فهو ما يزال معروضاً على أنظار العالمين. لنعد إليه فنسمع استجواباً مباشراً في هذه المرة في مسألة الألوهية المدعاة لعيسى ابن مريم وأمه. استجواباً يوجه إلى عيسى - عليه السلام - في مواجهة الذين عبدوه. ليسمعوه وهو يتبرأ إلى ربه في دهش وفزع من هذه الكبيرة التي افتروها عليه وهو منها بريء:

«وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ ١١٧ مَا

قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا
دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
١١٨ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

وإن الله - سبحانه - ليعلم ماذا قال عيسى للناس. ولكنه الاستجواب الهائل الرهيب في
اليوم العظيم المرهوب. الاستجواب الذي يقصد به إلى غير المسؤول، ولكن في صورته هذه
وفي الإجابة عليه ما يزيد من بشاعة موقف المؤلهين لهذا العبد الصالح الكريم..

إنها الكبيرة التي لا يطيق بشر عادي أن يقذف بها.. أن يدعي الألوهية وهو يعلم أنه عبد..
فكيف برسول من أولى العزم؟ كيف بعيسى ابن مريم، وقد أسلف الله له هذه النعم كلها بعد
ما اصطفاه بالرسالة وقبل ما اصطفاه؟ كيف به يواجه استجواباً عن ادعاء الألوهية، وهو العبد
الصالح المستقيم؟

من أجل ذلك كان الجواب الواجب الراجف الخاشع المنيب.. يبدأ بالتسبيح والتنزيه:
«قال سبحانه!»

ويسرع إلى التبرؤ المطلق من أن يكون من شأنه هذا القول أصلاً:
«ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق»..

ويستشهد بذات الله سبحانه على براءته، مع التصاغر أمام الله وبيان خصائص عبوديته
وخصائص ألوهية ربه:

« إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ »..

وعندئذ فقط، وبعد هذه التسيحة الطويلة يجرؤ على الإثبات والتقرير فيما قاله وفيما لم
يقله، فيثبت أنه لم يقل لهم إلا أن يعلن عبوديته وعبوديتهم لله ويدعوهم إلى عبادته:

« مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ »

ثم يخلي يده منهم بعد وفاته.. وظاهر النصوص القرآنية يفيد أن الله - سبحانه - قد توفي
عيسى ابن مريم ثم رفعه إليه. وبعض الآثار تفيد أنه حي عند الله. وليس هنالك - فيما أرى -
أي تعارض يثير أي استشكال بين أن يكون الله قد توفاه من حياة الأرض، وأن يكون حياً

عنده. فالشهداء كذلك يموتون في الأرض وهم أحياء عند الله. أما صورة حياتهم عنده فنحن لا ندري لها كيفاً. وكذلك صورة حياة عيسى - عليه السلام - وهو هنا يقول لربه: إني لا أدري ماذا كان منهم بعد وفاتي.

« وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »..

وينتهي إلى التفويض المطلق في أمرهم، مع تقرير عبوديتهم لله وحده. وتقرير قوة الله على المغفرة لهم أو عذابهم، وحكمته فيما يقسم لهم من جزاء سواء كان هو المغفرة أو العذاب:

« إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »..

فيا لله للعبد الصالح في موقفه الرهيب!

وأين أولئك الذين أطلقوا هذه الفرية الكبيرة، التي يتبرأ منها العبد الطاهر البريء ذلك التبرؤ الواجب، ويتنهل من أجلها إلى ربه هذا الابتغال المنيب؟

تفسير الرازي الجزء العاشر صفحة ١٢٨-١٢٩

المائدة ١١٢: ٥ إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

السلام بهذا الكلام، يدل على أن نعم الله في حقه كانت عظيمة. فحسن ذكره عند تعديد النعم للوجه الذي ذكرناه.

وثانها: قوله تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِثِينَ أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي) وقد تقدم تفسير الوحي. فمن قال إنهم كانوا أنبياء قال ذلك الوحي هو الوحي الذي يوحى إلى الأنبياء. ومن قال إنهم ما كانوا أنبياء قال المراد بذلك الوحي الإلهام والإلقاء في القلب كما في قوله تعالى. (الوجه الخامس) لعل المراد بالرب: هو جبريل عليه السلام، لأنه كان يريه ويخصه بأنواع

١١٣ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ١١٤ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ

تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١١٥ قَالَ
اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً
مِنَ الْعَالَمِينَ.

الإعانة، ولذلك قال تعالى: في أول الآية (إذ أيدتك بروح القدس) يعني أنك تدعي أنه يريك ويخصك بأنواع الكرامة، فهل يقدر على إنزال مائدة من السماء عليك.

(والوجه السادس) أنه ليس المقصود من هذا السؤال كونهم شاكين فيه بل المقصود تقرير أن ذلك في غاية الظهور كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على إشباع هذا ويكون غرضه منه أن ذلك أمر جلي واضح، لا يجوز لعاقل أن يشك فيه، فكذا ههنا.

روى أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفاً، ثم قال (اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا) فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عليه السلام وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة، وقال لهم ليقيم أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها. فقال شمعون رأس الحواريين: أنت أولى بذلك، فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل: وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشوية بلا شوك ولا فلوس تسيل دسماً. وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث. وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد، فقال شمعون: يا روح الله: أمن طعام الدنيا أمن طعام الآخرة؟ فقال: ليس منها ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية. كلوا ما سألتهم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله. فقال الحواريون: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى، فقال يا سمكة أحي ياذن الله فاضطربت، ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية، ثم طارت المائدة ثم عصوا من بعدها. فمسخوا قردة وخنازير.

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ١١٥-١١٦

١١٢ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ
السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ١١٣ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ

قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ١١٤, قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١١٥ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها فأنزل الله آية باهرة وحجة قاطعة وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين فالله أعلم فقوله تعالى (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ) وهم أتباع عيسى عليه السلام (يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) أي هل تستطيع أن تسأل ربك (أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ) والمائدة هي الخوان عليه طعام وذكر بعضهم أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقيرهم فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم فتأتون منها ويتقون بها على العباد (قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أي فأجابهم المسيح عليه السلام قائلاً لهم اتقوا الله ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة لكن وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين (قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا) أي نحن محتاجون إلى الأكل منها (وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا) إذا شاهدنا نزولها رزقاً لنا من السماء (وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا) أي ونزداد إيماناً بك وعلماً برسالتك (وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ) أي نشهد أنها آية من عند الله ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا) قال السدي أي نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومنبعدا وقال سفيان الثوري يعني يوماً نصلي فيه وقال قتادة أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم وعن سلمان الفارسي عظة لنا ولمن بعدنا وقيل كافية لأولنا وآخرنا (وَآيَةً مِنْكَ) أي دليلاً تنصبه على قدرتك على الأشياء وعلى إجابتك لدعوتي فيصدقوني فيما أبلغه عنك (وَأَرْزُقْنَا) أي من عندم رزقاً هنيئاً بلا كلفة ولا تعب (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ) أي فمن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها (فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) أي من عالمي زمانكم كقوله تعالى (ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد

العذاب) وكقوله (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وقد روى ابن جرير من طريق عوف الأعرابي عن أبي المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو قال إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون.

تفسير الرازي الجزء ١٢

المائدة ١١٦:٥ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)

وفيه مسائل:

(المسألة الثانية) في قوله (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) سؤالان: أحدهما: أن الاستفهام كيف يليق بعلام الغيوب. وثانيهما: أنه كان عالماً بأن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك فلم خاطبه به؟ فإن قلتم الغرض منه توبيخ النصارى وتقريعهم فنقول: إن أحداً من النصارى لم يذهب إلى القول بإلهية عيسى ومريم مع القول بنفي إلهية الله تعالى فكيف يجوز أن ينسب هذا القول إليهم مع أن أحداً منهم لم يقل به.

والجواب: عن السؤال الأول أنه استفهام على سبيل الإنكار.

والجواب: عن السؤال الثاني أن الإله هو الخالق والنصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى عليه السلام ومريم والله تعالى ما خلقها البتة وإذا كان كذلك فالنصارى قد قالوا أن خالق تلك المعجزات هو عيسى ومريم، والله تعالى ليس خالقها فصح أنهم أثبتوا في حق بعض الأشياء كون عيسى ومريم إلهين له مع أن الله تعالى ليس إلهاً له فصح بهذا التأويل هذه الحكاية والرواية.

ثم قال تعالى (قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) أما قوله (سبحانك) فقد فسرناه في قوله (سبحانك لا علم لنا).

واعلم أن الله تعالى لما سأل عيسى أنك هل قلت كذا لم يقل عيسى بأني قلت أو ما قلت بل قال ما يكون لي بحق، وهذا ليس بحق ينتج أنه ما يكون لي أن أقول هذا الكلام ولما بين أنه ليس له أن يقول هذا الكلام شرع في بيان أنه هل وقع هذا القول منه أم لا فلم يقل بأني ما قلت هذا الكلام لأن هذا يجري مجرى دعوى الطهارة والنزاهة، والمقام مقام الخضوع والتواضع، ولم يقل بأني قلته بل فوض ذلك إلى علمه المحيط بالكل.

فقال (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ) وهذا مبالغة في الأدب وفي إظهار الذل والمسكنة في حضرة الجلال وتفويض الأمور بالكلية إلى الحق سبحانه.

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ١١٩-١٢١

المائدة ١١٦: ٥ - ١١٨ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٨ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

هذا أيضاً مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله (يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد هكذا قاله قتادة وغيره. ومعنى قوله (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ) الآية التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلى الله وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر والله أعلم أن ذلك كائن يوم القيامة ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رءوس الأشهاد يوم القيامة وقد روى بذلك حديث مرفوع رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله مولى عمر بن العزيز وكان ثقة قال سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة

دعي بالأنبياء وأممهم ثم يدعي بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقر بها فيقول (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) الآية ثم يقول (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) فينكر أن يكون قال ذلك فيؤتى بالنصارى فيسئلون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك قال فيطول شعر عيسى عليه السلام فيأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده فيجاثيهم بين يدي الله عز وجل مقدار ألف عام حتى ترفع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطلق بهم إلى النار» وهذا حديث غريب عزيز.

وقوله (سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ) هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن طاوس عن أبي هريرة قال يلقي عيسى حجته ولقاء الله تعالى في قوله (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال أبو هريرة عن النبي ﷺ فلقيه الله (سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ) إلى آخر الآية وقد رواه الثوري عن معمر عن ابن طاوس عن طاوس بنحوه وقوله (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) أي إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب فإنه لا يخفى عليك شيء فما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته ولهذا قال (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) بإبلاغه (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) أي ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله (وَكَُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ) أي كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة قال انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى المغيرة بن النعمان فأملى على سفيان وأنا معه فلما قام انتسخت من سفيان فحدثنا قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا (كما بدأنا أول خلق نعيده) وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهمذات الشمال فأقول: أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح (وَكَُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى

كُلُّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فيقال إن هؤلاء لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقهم» ورواه البخاري عند هذه الآية عن أبي الوليد عن شعبة وعن محمد بن كثير عن سفيان الثوري كلاهما عن المغيرة بن النعمان به.

وقوله (إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله عز وجل فإنه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذه الآية لها شأن عظيم ونباً عجيب وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددها.

تفسير محمد عبده الجزء السابع صفحة ٢١٨-٢٣٦

المائدة ٥: ١١٦ - ١١٨ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٨ إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ). والمعنى اذكر أيها الرسول للناس يوم يجمع الله الرسل. فيسألهم جميعاً عما أجابتهم به أمهم، إذ يقول لعيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إلخ، وإذ يقول له بعد ذلك: أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ أي يسأله: أقالوا هذا القول بأمر منك أم هم، افتروه وابتدعوه من عند أنفسهم؟

إن هذه العبادة التي يوجهها النصارى إلى مريم والدة المسيح (عليها السلام) منها ما هو صلاة ذات دعاء وثناء واستغاثة واستشفاع. ومنها صيام ينسب إليها، ويسمى باسمها، وكل ذلك يقرن بالخضوع والخشوع لذكرها ولصورها وتمثيلها، واعتقاد السلطة الغيبية لها التي

يمكنها بها في اعتقادهم أن تنفع وتضر في الدنيا والآخرة بنفسها أو بوساطة ابنها، وقد صرحوا بوجوب العبادة لها، ولكن لا نعرف عن فرقة من فرقهم إطلاق كلمة (إله) عليها. بل يسمونها (والدة الإله) ويصرح بعض فرقهم بأن ذلك حقيقة لا مجاز، والقرآن يقول هنا إنهم اتخذوها وابنها إلهين، والاتخاذ غير التسمية، فهو يصدق بالعبادة وهو واقعة قطعاً، وبين في آية أخرى أنهم قالوا: (إن الله هو المسيح ابن مريم ١٧:٥، ٧٢) وذلك معنى آخر. وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى في أهل الكتاب: (واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ٣١:٩) أنهم اتبعوهم فيما يحلون ويحرمون لا أنهم سموهم أرباباً.

قلنا أن عسى عليه السلام بدا جوابه بتنزيه الله عز وجل عن أن يكون معه إله، فأثبت بهذا أنه على علم يقيني ضروري بأن الله تعالى منزّه في ذاته وصفاته عن أن يشارك في ألوهيته، وانتقل من هذا إلى تبرئة نفسه العالمة بالحق عن قول ما ليس له بحق، فقال: (مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) أي ليس من شأني ولا مما يصح وقوعه مني أن أقول قولاً ليس لي أدنى حق أن أقوله، لأنك أيدتني بالعصمة من مثل هذا الباطل. (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) فهذا قول يتضمن إنكار أن يكون أمرهم باتخاذهم وأمه إلهين وإثبات ضده، أي ما قلت لهم في شأن الإيمان وأصل الدين وأساسه الذي ييني عليه غيره ولا يعتد بغيره دونه، إلا ما أمرتني بالتزامه اعتقاداً وتبليغاً وهو الأمر بعبادتك وحدك مع التصريح بأنك ربي وربهم، وأني عبد من عبادك مثلهم، أي إلا أنك خصصتني بالرسالة إليهم. فقله: (أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ) تفسير للمأمور به، وإنما قال: (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) ولم يقل: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به، أدباً مع الله تعالى ومرعاة لما ورد في السؤال (أأنت قلت).

(وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ) أي وكنت قائماً عليهم أراقبهم وأشهد على ما يقولون ويفعلون فأقر الحق وأنكر الباطل مدة دوام وجودي بينهم (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أي فلما توفيتني إليك كنت أنت المراقب لهم وحدك إذ انتهت مدة رسالتي فيهم ومراقبتي لهم وشهادتي عليهم، فلا أشهد على ما وقع منهم وأنا لست فيهم، وأنت شهيد عليهم وشهيد بيني وبينهم، بما أنك شهيد على كل شيء في ملكك، وأنت أكبر شهادة ممن تجعلهم شهداء من خلقك (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ١٩:٦).

وفي أناجيلهم من بقايا التوحيد الذي أمرهم به ما رواه يوحنا في إنجيله عنه وهو قوله عليه

السلام (٣: ١٧) وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته) وفي إنجيل برنابا من تجريد التوحيد والاستدلال عليه بالآيات البينات ما هو جدير بأن يكون وحياً صحيحاً من الله تعالى إلى رسوله عيسى عليه الصلاة والسلام.

ولما كان المراد من السؤال الذي أجيب عنه بهذا الجواب هو إقامة الحجة التي يظهر بها عدل الله تعالى يوم القيامة فيما يجزي به من اتخذ عيسى وأمه إلهين وغيرهم من قومه فوض عليه السلام أمر الجزاء إليه تعالى بحسب ما تقتضيه شهادته تعالى وصفاته فقال: (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أي إن تعذب أولئك الناس الذين أرسلتني إليهم فبلغتهم ما أمرتني به من توحيدك وعبادتك وحدك، فضل من ضل منهم، وقالوا ما لم اقله لهم، واهتدى من اهتدى منهم فلم يعبدوا معك أحداً من دونك فإنهم عبادك وأنت ربهم الأولى والأحق بأمرهم ولست أنا ولا غيري من الخلق بأرحم بهم، ولا بأعلم بحالهم، وإنما تجزيهم بحسب علمك بظواهرهم وبواطنهم، فأنت أعلم بالمؤمن الموحد، والمشارك المثلث، والطائع الصالح، والعاصي الفاسق، والمقر للكفر والفسق والمكر لهما، وأنت عالم الغيب والشهادة تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، ولا تظلم أحداً مثقال ذرة. فالمراد إذا إن تعذب فإنما تعذب من يستحق التعذيب منهم. ولا يمنع إرادة هذا المعنى إطلاق الضمير الراجع إلى جملتهم، فإنه ضمير الجنس الذي يصدق بعض الأفراد وهو لم يرد بصيغة من صيغ العموم ولذلك أطلقه في المقابل، وهو قوله: (وإن تغفر لهم) إلخ. أي وإن تغفر فإنما تغفر لمن يتسحق المغفرة منهم فإنك أنت العزيز، أي القوي الغالب على أمره الحكيم في جميع تصرفه وصنعه، فيضع كل حكم وجزاء وفعل في موضعه وهو أعلم بموضع العدل، وموضع الرحمة والفضل.

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ١٣٩

سورة المائدة ١١٧: ٥ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٨ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول عيسى. يقول: ما قلت لهم إلا الذي أمرتني به من القول أن أقوله لهم، وهو أن قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيداً، يقول:

وكنت على ما يفعلونه، وأنا بين أظهرهم شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم، فلما توفيتني، يقول: فلما قبضتني إليك (كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني، لأنني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه، وأنا بين أظهرهم.

وفي هذا تبيان أن الله تعالى إنما عرفه أفعال القوم ومقاتلتهم بعدما قبضه إليه وتوفاه بقوله (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ... وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول: وأنت تشهد على كل شيء. لأنه لا يخفى عليك شيء، وأما أنا فإنما شهدت بعض الأشياء، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت.

تفسير الرازي الجزء العاشر صفحة ١٣٥-١٣٦

سورة المائدة ١١٧: ٥ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٨ إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

ثم قال تعالى (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) وفيه مسألتان:

(المسألة الأولى) المفسرون ذكروا فيه عبارات تعلم ما أخفى ولا أعلم ما تخفي وقيل: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك، وقيل: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل: تعلم ما كان مني في الدنيا ولا أعلم ما كان منك في الآخرة. وقيل: تعلم ما أقول وأفعل، ولا أعلم ما تقول وتفعل.

(المسألة الثانية) تمسكت المجسمة بهذه الآية وقالوا: النفس هو الشخص وذلك يقتضي كونه تعالى جسماً.

والجواب على وجهين: الأول: أن النفس عبارة عن الذات، يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد، والثاني: أن المراد تعلم معلومي ولا أعلم معلومك. ولكنه ذكر هذا الكلام على طريق المطابقة والمشكلة وهو من فصيح الكلام.

ثم قال تعالى (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) وهذا تأكيد للجملتين المتقدمتين أعني قوله (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) وقوله (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ).

ثم قال تعالى حكاية عن عيسى (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)
أن مفسرة والمفسر هو الهاء في به الراجع إلى القول المأمور به والمعنى ما قلت لهم إلا قولاً
أمرتني به وذلك القول هو أن أقول لهم: اعبدوا الله ربي وربكم. واعلم أنه كان الأصل أن
يقال: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به إلا أنه وضع القول موضع الأمر، نزولاً على موجب الأدب
الحسن، لئلا يجعل نفسه وربه أمرين معاً، ودل على الأصل بذكر أن المفسرة.

ثم قال تعالى (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ) أي كنت أشهد على ما يفعلون ما
دمت مقيماً فيهم.

(فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي) والمراد منه، وفاة الرفع إلى السماء، من قوله (إني متوفيك ورافعك إلي).

(كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) قال الزجاج: الحافظ عليهم المراقب لأحوالهم.

(وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يعني أنت الشهيد لي حين كنت فيهم (وأنت الشهيد
عليهم) بعد مفارقتي لهم، فالشاهد الشاهد ويجوز حمله على الرؤية، ويجوز حمله على
العالم، ويجوز حمله على الكلام بمعنى الشهادة فالشاهد من أسماء الصفات الحقيقية على
جميع التقديرات.

ثم قال تعالى (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) معنى الآية ظاهر، وفيه سؤال: وهو أنه كيف جاز لعيسى عليه السلام أن
يقول (وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ) والله لا يغفر الشرك.

والجواب عنه من وجوه: الأول: أنه تعالى لما قال لعيسى عليه السلام (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) علم أن قوماً من النصارى حكوا هذا الكلام عنه، والحاكي
لهذا الكفر عنه لا يكون كافراً بل يكون مذنباً حيث كذب في هذه الحكاية وغفران الذنب
جائز، فلهذا المعنى طلب المغفرة من الله تعالى، والثاني: أنه يجوز على مذهبنا من الله تعالى أن
يدخل الكفار الجنة وأن يدخل الزهاد والعباد النار، لأن الملك ملكه ولا اعتراض لأحد عليه،
فذكر عيسى هذا الكلام، ومقصوده منه تفويض الأمور كلها إلى الله، وترك التعرض
والاعتراض بالكلية، ولذلك ختم الكلام بقوله (فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يعني أنت قادر على
ما تريد، حكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك، فمن أنا والخوض في أحوال الربوبية،

وقوله أن الله لا يغفر الشرك فنقول: أن غفرانه جائز عندنا، وعند جمهور البصريين من المعتزلة قالوا: لأن العقاب حق الله على المذنب وفي إسقاطه على الله مضرة، فوجب أن يكون حسناً بل دل الدليل السمعي في شرعنا على أنه لا يقع، فلعل هذا الدليل السمعي ما كان موجوداً في شرع عيسى عليه السلام.

(المسألة الثانية) احتج بعض الأصحاب بهذه الآية على شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم في حق الفساق قالوا: لأن قول عيسى عليه السلام (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) ليس في حق أهل الثواب لأن التعذيب لا يليق بهم، وليس أيضاً في حق الكفار لأن قوله (وإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) لا يليق بهم فدل على أن ذلك ليس إلا في حق الفساق من أهل الإيمان. وإذا ثبت شفاعة الفساق في حق عيسى عليه السلام ثبت في حق محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى لأنه لا قائل بالفصل.

(المسألة الثالثة) روى الواحدي رحمه الله أن في مصحف عبدالله (وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم) سمعت شيخي ووالدي رحمه الله يقول (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ههنا أولى من الغفور الرحيم. لأن كونه غفوراً رحيماً يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة لكل محتاج، وأما العزة والحكمة فهما لا يوجبان المغفرة، فإن كونه عزيزاً يقتضي أنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنه لا اعتراض عليه لأحد. فإذا كان عزيزاً متعالياً عن جميع جهات الاستحقاق، ثم حكم بالمغفرة كان الكرم ههنا أتم مما إذا كان كونه غفوراً رحيماً يوجب المغفرة والرحمة، فكانت عبارته رحمه الله أن يقول: عز عن الكل. ثم حكم بالرحمة فكان هذا أكمل. وقال قوم آخرون: أنه لو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم، أشعر ذلك بكونه شافعاً لهم. فلما قال (فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) دل ذلك على أن غرضه تفويض الأمر بالكلية إلى الله تعالى، وترك التعرض لهذا الباب من جميع الوجوه.

تفسير سورة الأنعام ٦: ٨٥

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٢٦١

يقول تعالى ذكره: وهدينا لمثل الذين هدينا له نوحاً من الهدى والرشاد من ذريته زكريا بن أزن ابن بركيا، ويحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حرقيا، وإلياس.

واختلفوا في إلياس، فكان ابن إسحاق يقول: هو إلياس بن يسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون ابن عمران ابن أخي موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم. وكان غيره يقول: هو إدريس. وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن عبيدة بن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود، قال: إدريس: هو إلياس، وإسرائيل: هو يعقوب، وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون: إدريس جد نوح ملك بن متوشلخ بن أخنوخ، وأخنوخ: هو إدريس بن يرد بن مهلائيل. وكذلك روى عن وهب بن منبه.

والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب، وذلك أن الله تعالى نسب إلياس في هذه الآية إلى نوح وجعله من ذريته، ونوح: ابن إدريس عند أهل العلم، فمحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته.

وقوله (كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ) يقول: من ذكرناه من هؤلاء الذين سمينا من الصالحين، يعني زكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس صلى الله عليهم.

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ١٥٤-١٥٥

الأنعام ٨٤: ٨٥ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٥ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ.

أن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فإنه لا أب له. قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل ابن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا علي بن عابس عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي حرب بن أبي الأسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم تجده في كتاب الله - وقد قرأته من أوله إلى آخره، فلم أجده؟ قال أليس تقرأ سورة

الأنعام (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) حتى بلغ (وَيَحْيَى وَعِيسَى) قال بلى. قال أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال صدقت. فلهاذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فأما إذا اعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فإنه يختص.

سورة مريم ١٩: ٣٠-٣٤

تفسير الزمخشري الجزء الثاني صفحة ٥٠٨-٥٠٩

مريم ١٩: ٣٠-٣٤ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا
٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

أنطقه الله أولاً بأنه عبد الله رداً لقول النصارى، و (الْكِتَابَ) هو الإنجيل. واختلفوا في نبوته فقيل أعطيتها في طفوليته أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً نظراً في ظاهر الآية. (مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعاً حيث كنت عن أبي نهيك جعل ذاته براً لفرط بره أو نصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلفني لأن أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ) قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل، فكان من فعل الرجل كذا، والمعنى: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ. والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود، وإنما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير وساطة أب تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمي العشب بالسماء والشحم بالنداء. ويحتمل إذا أريد بقول الحق عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل، وأن يكون بمعنى الثبات والصدق، ويعضده قوله - الذي فيه يمترون - أي أمره حق يقين وهم فيه شاكون (يَمْتَرُونَ) يشكون، والمرية الشك، أو يمارون يتلاحقون. قالت اليهود: ساحر كذاب، وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة. وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب. عن أبي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون. كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه، إذ من المحال غير المستقيم

أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد، ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئاً من الأجناس كلها أوجده بكن كان منزهاً من شبه الحيوان الوالد، والقول ههنا مجاز ومعناه إن إرادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف، فشبه ذلك بأمر الأمر المطاع إذا ود على الأمور الممثل.

تفسير الرازي الجزء واحد وعشرين صفحة ٢٠٩-٢١٧

مريم ٣٠: ١٩-٣٤ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا
٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

قوله تعالى (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)

اعلم أنه وصف نفسه بصفات تسع: (الصفة الأولى) قوله (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) وفيه فوائد
(الفائدة الأولى) أن الكلام منه في ذلك الوقت كان سبباً للوهم الذي ذهبت إليه النصرى،
فلا جرم أول ما تكلم إنما تكلم بما يرفع ذلك الوهم فقال (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) وكان ذلك الكلام وإن
كان موهماً من حيث إنه صدر عنه في تلك الحالة، ولكن ذلك الوهم يزول ولا يبقى من
حيث أنه تنصيص على العبودية. (الفائدة الثانية) أنه لما أقر بالعبودية فإن كان صادقاً في مقاله
فقد حصل الغرض، وإن كان كاذباً لم تكن القوة قوة إلهية بل قوة شيطانية فعلى التقديرين
يبتل كونه إلهاً. (الفائدة الثالثة) أن الذين اشتدت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنما هونفي تهمة
الزنا عن مريم عليها السلام، ثم إن عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وإنما نص على إثبات
عبودية نفسه، كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن الأم، فلهذا أول
ما تكلم إنما تكلم بها. (الفائدة الرابعة) وهي أن التكلم بإزالة هذه التهمة عن الله تعالى يفيد
إزالة التهمة عن الأم، لأن الله سبحانه لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة
العظيمة. وأما التكلم بإزالة التهمة عن الأم لا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى، فكان الاشتغال
بذلك أولى فهذا مجموع ما في هذا اللفظ من الفوائد، واعلم أن مذهب النصرى متخبط

جداً، وقد اتفقوا على أنه سبحانه ليس بجسم ولا متحيز، ومع ذلك فأننا نذكر تقسيماً حاصراً ييطل مذهبهم على جميع الوجوه، فنقول: إما أن يعتقدوا كونه متحيزاً أو لا. فإن اعتقدوا كونه متحيزاً أبطلنا قولهم بإقامة الدلالة على حدوث الأجسام، وحينئذ ييطل كل ما فرعوا عليه. وإن اعتقدوا أنه ليس بمتحيز، فحينئذ ييطل ما يقوله بعضهم من أن الكلمة اختلطت بالناسوت اختلاط الماء بالخمر وامتزاج النار بالفحم، لأن ذلك لا يعقل إلا في الأجسام. فإذا لم يكن جسماً استحال ذلك. ثم نقول للناس قولان: في الإنسان منهم من قال إنه هو هذه البنية أو جسم موجود في داخلها، ومنهم من يقول إنه جوهر مجرد عن الجسمية والحلول في الأجسام، فنقول هؤلاء النصارى، إما أن يعتقدوا أن الله أو صفة من صفاته اتحد ببدن المسيح أو بنفسه أو يعتقدوا أن الله أو صفة من صفاته حل في بدن المسيح أو في نفسه، أو يقولوا لا نقول بالاتحاد ولا بالحلول ولكن نقول إنه تعالى أعطاه القدرة على خلق الأجسام والحياة والقدرة وكان لهذا السبب إلهاً، أو لا يقولوا بشيء من ذلك، ولكن قالوا إنه على سبيل التشريف اتخذه ابناً كما اتخذ إبراهيم على سبيل التشريف خليلاً فهذه هي الوجوه المعقولة في هذا الباب، والكل باطل، أما القول الأول بالاتحاد فهو باطل قطعاً، لأن الشيئين إذا اتحدا فهما حال الاتحاد، إما أن يكونا موجودين أو معدومين، أو يكون أحدهما موجوداً والآخر معدوماً، فإن كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فالاتحاد باطل. وإن عدما وحصل ثالث فهو أيضاً لا يكون اتحاداً بل يكون قولاً بعدم ذينك الشيئين. وحصول شيء ثالث، وإن بقي أحدهما وعدم الآخر، فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالوجود لأنه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود. فظهر من هذا البرهان الباهر أن الاتحاد محال. وأما الحلول فلنا فيه مقامان: (الأول) أن التصديق مسبوق بالتصور، فلا بد من البحث عن ماهية الحلول حتى يمكننا أن نعلم أنه هل يصح على الله تعالى أو لا يصح. وذكرنا للحلول تفسيرات ثلاثة: (أحدها) كون الشيء في غيره، ككون ماء الورد في الورد، والدهن في السمس، والنار في الفحم. واعلم أن هذا باطل، لأن هذا إنما يصح لو كان الله تعالى جسماً، وهم وافقونا على أنه ليس بجسم. (وثانيها) حصوله في الشيء على مثال حصول اللون في الجسم، فنقول المعقول من هذه التبعية حصول اللون في ذلك الحيز تبعاً لحصول محله فيه، وهذا أيضاً إنما يُعقل في حق الأجسام لا في حق الله تعالى. (ثالثها) حصوله في الشيء على مثال حصول الصفات الإضافية للذوات. فنقول هذا أيضاً باطل، لأن المعقول من هذه التبعية الاحتياج. فلو كان الله تعالى في شيء بهذا

المعنى لكان محتاجاً، فكان ممكناً، فكان مفتقراً إلى المؤثر، وذلك محال. وإذا ثبت أنه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن إثباته في حق الله تعالى امتنع إثباته. (المقام الثاني) احتج الأصحاب على نفي الحلول مطلقاً بأن قالوا لو حل محل، إما مع وجوب أن يحل أو مع جواز أن يحل والقسمان باطلان، فالقول بالحلول باطل، وإنما قلنا إنه لا يجوز أن يحل مع وجوب أن يحل لأن ذلك يقتضي إما حدوث الله تعالى أو قدم المحل وكلاهما باطلان، لأننا دللنا على أن الله قديم. وعلى أن الجسم محدث، ولأنه لو حل مع وجوب أن يحل لكان محتاجاً إلى المحل والمحتاج إلى الغير ممكن لذاته لا يكون واجباً لذاته، وإنما قلنا إنه لا يجوز أن يحل مع جواز أن يحل، لأنه لما كانت ذاته واجبة الوجود لذاتها وحلوله في المحل أمر جائز، والموصوف بالوجوب غير ما هو موصوف بالجواز، فيلزم أن يكون حلوله في المحل أمراً زائداً على ذاته وذلك محال لوجهين (أحدهما) أن حلوله في المحل لو كان زائداً على ذاته لكان حلول ذلك الزائد في محله زائداً على ذاته أو لزم التسلسل وهو محال (والثاني) أن حلوله في ذلك لما كان زائداً على ذاته فإذا حل في محل وجب أن يحل فيه صفة محدثة، وذلك محال لأنه لو كان قابلاً للحوادث لكانت تلك القابلية من لوازم ذاته، وكانت حاصلة أولاً، وذلك محال لان وجود الحوادث في الأزل محال، فحصول قابليتها وجب أن يكون ممتنع الحصول فإن قيل لم لا يجوز أن يحل مع وجوب أن يحل لأنه يلزم، إما حدوث الحال أو قدم المحل قلنا لا نسلم وجوب أحد الأمرين، ولم لا يجوز أن يقال إن ذاته تقتضي الحلول بشرط وجود المحل ففي الأزل ما وجد المحل فلم يوجد شرط هذا الوجوب فلا جرم لم يجب الحلول، وفيما لا يزال حصل هذا الشرط فلا جرم وجب سلمنا أنه يلزم، إما حدوث الحال أو قدم المحل فلم لا يجوز. قوله إنا دللنا على حدوث الأجسام، قلنا لم لا يجوز أن يكون محله ليس بجسم ولكنه يكون عقلاً أو نفساً أو هيوالي على ما يثبت بعضهم، ودليلكم على حدوث الأجسام لا يقبل حدوث هذه الأشياء، قوله ثانياً لو حل مع وجود أن يحل لكان محتاجاً إلى المحل، قلنا لا نسلم وجوب أحد الأمرين بل ههنا احتمالان آخران (أحدهما) أن العلة وإن امتنع انفكاكها عن المعلول لكنها لا تكون محتاجة إلى المعلول فلم لا يجوز أن يقال إن ذاته غنية عن ذلك المحل ولكن ذاته توجب حلول نفسها في ذلك المعلول فيكون وجوب حلولها في ذلك المحل من احتياجها إلى المعلول (الثاني) أن يقال إنه في ذاته يكون غنياً عن المحل وعن الحلول، إلا أن المحل يوجب لذاته صفة الحلول، فالمفتقر إلى المحل صفة من صفاته وهي حلوله في ذلك المحل فأما ذاته فلا

ولا يلزم من افتقار صفة من صفاته الإضافية إلى الغير افتقار ذاته إلى الغير وذلك لأن جميع الصفات الإضافية الحاصلة له مثل كونه أولاً وآخراً ومقارناً ومؤثراً ومعلوماً ومذكوراً مما لا يتحقق إلا عند حصول التحيز، وكيف لا والإضافات لا بد في تحققها من أمرين، سلمنا ذلك، فلم لا يجوز أن يحل مع جواز أن يحل. قوله يلزم أن يكون حلوله فيه زائداً عليه، ويلزم التسلسل، قلنا حلوله في المحل لما كان جائزاً كان حلوله في المحل زائداً عليه، أما كون ذلك الحلول حالاً في المحل أمر واجب فلا يلزم أن يكون حلول الحلول زائداً عليه فلا ينتهي إلى ذاته، وكيف كان فيلزم صحة كونه مؤثراً في الأزل فكل ما ذكرتموه في المؤثرية فنحن نذكره في القابلية، والجواب أنا نقرر هذه الدلالة على وجه آخر بحيث تسقط عنها هذه الأسئلة، فنقول ذاته، إما أنت كون كافية اقتضاء هذا الحلول أو لا تكون كافية في ذلك فإن كان الأول استحال توقف ذلك الاقتضاء على حصول شرط فيعود ما قلنا إنه يلزم إما قدم المحل أو حدوث المحل. وإن كان الثاني كان كونه مقتضياً لذلك الحلول أمراً زائداً على ذاته حادثاً فيه فعلى التقديرات كلها يلزم أن يكون في الأزل قابلاً لها وهو محال على ما بيناه، وأما المعارضة بالقدرة فغير واردة لأنه تعالى لذاته قادر على الإيجاد في الأزل فهو قادر على الإيجاد فيما لا يزال فهنا أيضاً لو كانت ذاته قابلة للحوادث لكانت في الأزل قابلة لها فحينئذ يلزم المحال المذكور. هذا تمام القول في هذه الأدلة ولنا في إبطال قول النصارى وجوه آخر (أحدها) أنهم وافقونا على أن ذاته سبحانه وتعالى لم تحل في ناسوت عيسى عليه السلام بل قالوا الكلمة حلت فيه، والمراد من الكلمة العلم. فنقول: العلم لما حل في عيسى ففي تلك الحالة إما أن يقال إنه بقي في ذات الله تعالى أو ما بقي فيها فإن كان الأول لزم حصول الصفة الواحدة في محلين. وذلك غير معقول ولأنه لو جاز أن يقال العلم الحاصل في ذات عيسى عليه السلام هو العلم الحاصل في ذات الله تعالى بعينه، فلم لا يجوز في حق كل واحد ذلك حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد هو العلم الحاصل لذات الله تعالى، وإن كان الثاني لزم أن يقال إن الله تعالى لم يبق عالماً بعد حلول علمه في عيسى عليه السلام وذلك مما لا يقوله عاقل (وثانيها) مناظرة جرت بيني وبين بعض النصارى، فقلت له هل تسلم أن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول أم لا؟ فإن أنكرت لزمك أن لا يكون الله تعالى قديماً لأن دليل وجوده هو العالم فإذا لزم من عدم الدليل عدم المدلول لزم من عدم العالم في الأزل عدم الصانع في الأزل، وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول لزم من عدم العالم في الأزل عدم الصانع في

الأزل، وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فنقول إذا جوزت اتحاد كلمة الله تعالى بعيسى أو حلولها فيه، فكيف عرفت أن كلمة الله تعالى ما دخلت في زيد وعمر؟ بل كيف أنها ما حلت في هذه الهرة وفي هذا الكلب؟ فقال لي إن هذا السؤال لا يليق بك لأننا إنما أثبتنا ذلك الاتحاد أو الحلول بناء على ما ظهر على يد عيسى عليه السلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فإذا لم نجد شيئاً من ذلك ظهر على يد غيره فكيف نثبت الاتحاد أو الحلول؟ فقلت له: إني عرفت من هذا الكلام أنك ما عرفت أول الكلام، لأنك سلمت لي أن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول. فإذا كان هذا الحلول غير ممتنع في الجملة، فأكثر ما في الباب أنه وجد ما يدل على حصوله في حق عيسى عليه السلام، ولم يوجد ذلك الدليل في حق زيد وعمر، ولكن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول، فلا يلزم من عدم ظهور هذه الخوارق على يد زيد وعمر وعلى السنور والكلب عدم ذلك الحلول. فثبت أنك مهما جوزت القول بالاتحاد والحلول لزمك تجويز حصول ذلك الاتحاد وذلك الحلول في حق كل واحد، بل في حق كل حيوان ونبات. ولا شك أن المذهب الذي يسوق قائله إلى مثل هذا القول الركيك يكون باطلاً قطعاً. ثم قلت له: وكيف دل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص على ما قلت؟ أليس أن انقلاب العصا ثعباناً أبعد من انقلاب الميت حياً. فإذا ظهر ذلك على يد موسى عليه السلام ولم يدل على إلهيته فبأن لا يدل هذا على آلهية عيسى أولى. (وثالثها) أنا نقول دلالة أحوال عيسى على العبودية أقوى من الدنيا والاحتراز عن أهلها حتى قالت النصارى إن اليهود قتلوه ومن كان في الضعف هكذا فكيف تليق به الربوبية (ورابعها) المسيح إما أن يكون قديماً أو محدثاً والقول بقدمه باطل لأننا نعلم بالضرورة أنه ولد وكان طفلاً ثم صار شاباً وكان يأكل ويشرب ويعرض له ما يعرض لسائر البشر، وإن كان محدثاً كان مخلوقاً ولا معنى للعبودية إلا ذلك، فإن قيل المعنى بإلهيته أنه حلت صفة الآلهية فيه، قلنا هب أنه كان كذلك لكن الحال هو صفة الإله والمسيح هو المحل والمحل محدث خلوق فما هو المسيح (إلا) عبد محدث فكيف يمكن وصفه بالإلهية (وخامسها) أن الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد فإن كان الله ولد فلا بد وأن يكون من جنسه فاذن قد اشتركا من بعض الوجوه، فإن لم يتميز أحدهما عن الآخر بأمر ما فكل واحد منهما هو الآخر، وإن حصل الامتياز فما به الامتياز غير ما به الاشتراك، فيلزم وقوع التركيب في ذات الله وكل مركب ممكن، فالواجب ممكن هذا خلف محال هذا كله على الاتحاد والحلول (أما الاحتمال الثالث) وهو أن يقال معنى كونه إلهاً أنه

سبحانه خص نفسه أو بدنه بالقدرة على خلق الأجسام والتصرف في هذا العالم فهذا أيضاً باطل لأن النصارى حكوا عنه الضعف والعجز وأن اليهود قتلوه ولو كان قادراً على خلق الأجسام لما قدروا على قتله بل كان هو يقتلهم ويخلق لنفسه عسكرياً يذبون عنه (وأما الاحتمال الرابع) وهو أنه اتخذه أباً لنفسه على سبيل التشريف فهذا قد قال به قوم من النصارة وبه ثبت صدق ما حكاه الله تعالى عنه أنه قال إن يعبد الله (الصفة الثانية) قوله تعالى (آتاني الكتاب) وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) اختلف الناس فيه فالجمهور على أنه قال هذا الكلام حال صغره وقال أبو القاسم البلخي إنه إنما قال ذلك حين كان كالمراهق الذي يفهم وإن لم يبلغ حد التكليف أما الأولون فلهم قولاه (أحدهما) أن النبي لا يكون إلا كاملاً والصغير ناقص الحلقة بحيث يعد هذا التحدي من الصغير منفراً بل هو في التنفير أعظم من أن يكون امرأة (وثانيها) أنه لو كان نبياً في هذا الصغر لكان كمال عقله مقدماً على ادعائه للنبوذة إذ النبي لا بد وأن يكون كامل العقل لكن كمال عقله في ذلك الوقت لوجب أن يشتغل ببيان الأحكام، وتعريف الشرائع ولو وقع ذلك لاشتهر ولنقل فحيث لم يحصل ذلك علمنا أنه ما كان نبياً في ذلك الوقت. أجاب الأولون عن الكلام الأول بأن كون الصبي ناقصاً ليس لذاته بل الأمر يرجع إلى صغر جسمه ونقصان فهمه، فإذا أزال الله تعالى هذه الأشياء لم تحصل النفرة بل تكون الرغبة إلى الاستماع قوله وهو على هذه الصفة أتم وأكمل. وعن الكلام الثاني لم لا يجوز أن يقال إكمال عقله وإن حصل مقدماً على دعواه إلا أنه معجزة لذكرياً عليه السلام، أو يقال إنه إرهاب لنبوته أو كرامة لمريم عليها السلام وعندنا الإرهاب والكرامات جائزة، وعن الكلام الثالث لم لا يجوز أن يقال مجرد بعثته إليهم من غير بيان شيء من الشرائع والأحكام جائز ثم بعد البلوغ أخذ في شرح تلك الأحكام. فثبت بهذا أنه لا امتناع في كونه نبياً في ذلك الوقت وقوله (آتاني الكتاب) يدل على كونه نبياً في ذلك الوقت فوجب إجراؤه على ظاهره بخلاف ما قاله عكرمة، أما قول أبي القاسم البلخي فبعيد وذلك لأن الحاجة إلى كلام عيسى عليه السلام إنما كانت عند وقوع التهمة على مريم عليها السلام.

(المسألة الثانية) اختلفوا في ذلك الكتاب فقال بعضهم هو التوراة لأن الألف واللام في

الكتاب تنصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو التوراة، وقال أبو مسلم المراد هو الإنجيل لأن الألف واللام ههنا للجنس أي آتاني من هذا الجنس، وقال قوم المراد هو التوراة والإنجيل لأن الألف واللام تفيد الاستغراق.

(المسألة الثالثة) اختلفوا في أنه متى آتاه الكتاب ومتى جعله نبياً لأن قوله (آتاني الكتاب وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) يدل على أن ذلك كان قد حصل من قبل إما ملاصقاً لذلك الكلام أو متقدماً عيه بأزمان، والظاهر أنه من قبل أن كلمهم آتاه الله الكتاب وجعله نبياً وأمره بالصلاة والزكاة وأن يدعو إلى الله تعالى وإلى دينه وإلى ما خص به من الشريعة فقبل هذا الوحي نزل عليه وهو في بطن أمه وقيل لما انفصل من الأم آتاه الله الكتاب والنبوة وأنه تكلم مع أمه وأخبرها بحاله وأخبرها بأنه يكلمهم بما يدل على براءة حالها فلهذا أشارت إليه بالكلام (الصفة الثالثة) قوله (وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) قال بعضهم أخبر أنه نبي ولكنه ما كان رسولاً لأنه في ذلك الوقت ما جاء بالشرعية ومعنى كونه نبياً أنه رفيع القدر على الدرجة وهذا بضعيف لأن النبي في عرف الشرع هو الذي خصه الله بالنبوة وبالرسالة خصوصاً إذا قرن إليه ذكر الشرع وهو قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة (الصفة الرابعة) قوله (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) فلقائل أن يقول كيف جعله مباركاً والناس كانوا قبله على الملة الصحيحة فلما جاء صار بعضهم يهوداً وبعضهم نصارى قائلين بالتثليث ولم يبق على الحق إلا القليل، والجواب ذكروا في تفسير المبارك وجوهاً (أحدها) أن البركة في اللغة هي الثبات واصله من برك البعير فمعناه جعلني ثابتاً على دين الله مستقراً عليه (وثانيها) أنه إنما كان مباركاً لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق فإن ضلوا فمن قبل أنفسهم لا من قبله وروى الحسن عن النبي ﷺ قال أسلمت أم عيسى عليها السلام بعيسى إلى الكتاب فقالت للمعلم أدفعه إليك على أن لا تضربه فقال له المعلم أكتب فقال أي شيء أكتب، فقال أكتب أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري ما أبجد؟ فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني إن كنت لا تدري فاسألني فأنا أعلمك الألف من آلاء الله والبا من بهاء الله والجيم من جمال الله والدا من أداء الحق إلى الله (وثالثها) البركة الزيادة والعلو فكأنه قال جعلني في جميع الاحوال غالباً مفلحاً منجحاً لأنني ما دمت أبقى في الدنيا أكون على الغير مستعلياً بالحجة فإذا جاء الوقت المعلوم يكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء (ورابعها) مبارك على الناس بحيث يحصل بسبب دعائي إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، عن قتادة أنه رآه امرأة وهو يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص فقال

طوبى لبطن حملك وثدي أَرْضَعْتَ به، فقال عيسى عليه السلام مجيباً لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقيماً. أما قوله (أَيَّنَ مَا كُنْتُ) فهو يدل على أن حاله لم يتغير كما قيل إنه عاد إلى حال الصغر وزوال التكليف (الصفة الخامسة) قوله (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) فإن قيل كيف أمر بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلاً صغيراً والقلم مرفوع عنه على ما قاله عَلَيْهِ السَّلَامُ «رَفَعَ الْقَلَمَ عَنْ ثَلَاثٍ عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ» الحديث وجوابه من وجهين (الأول) أن قوله (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل بعد البلوغ فلعل المراد أنه تعالى أوصاه بهما وبأدائهما في الوقت المعين له وهو وقت البلوغ (الثاني) لعل الله تعالى لما انفصل عيسى عن أمه صيره بالغاً عاقلاً تام الأعضاء والخلقة وتحقيقه قوله تعالى (إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ) فكما أنه تعالى خلق آدم تاماً كاملاً دفعةً فكذا القول في عيسى عليه السلام، وهذا القول الثاني أقرب إلى الظاهر لقوله (مَا دُمْتُ حَيًّا) فإنه يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته ولكن لقائل أن يقول لو كان الأمر كذلك لكان القوم حين رأوه فقد رأوه شخصاً كامل الأعضاء تام الخلقة وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجباً فكان ينبغي أن لا يعجبوا فلعل الأولى أن يقال إنه تعالى جعله مع صغر جثته قوي التركيب كامل العقل بحيث كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة والآية دالة على أن تكليفه لم يتغير حين كان في الأرض وحين رفع إلى السماء وحين ينزل مرة أخرى (الصفة السادسة) قوله تعالى (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) أي جعلني برّاً بوالدتي وهذا يدل على قولنا إن فعل العبد مخلوق لله تعالى لأن الآية تدل على أن كونه برّاً إنما حصل بجعل الله وخلقه وحمله على اللطاف عدول عن الظاهر ثم قوله إشارة إلى تنزيه أمه عن الزنا إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأموراً بتعظيمها قال صاحب الكشف جعل ذاته برّاً لفرط بره ونصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلفني لأن أوصاني بالصلاة وكلفني بها واحد (الصفة السابعة) قوله (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيماً) وهذا أيضاً يدل على قولنا لأنه لما بين أنه جعله برّاً وما جعله جباراً فهذا إنما يحسن لو أن الله تعالى جعل غيره جباراً وغير بار بأمه، فإن الله تعالى لو فعل ذلك بكل أحد لم يكن لعيسى عليه السلام مزيد تخصيص بذلك، ومعلوم أنه عليه السلام إنما ذكر ذلك في معرض التخصيص (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً) أي ما جعلني متكبراً بل أنا خاضع لأنني متواضع لها ولو كنت جباراً لكنت عاصياً شقيماً. وروى أن عيسى عليه السلام قال قلبي لين وأنا صغير في نفسي وعن بعض العلماء لا تجد العاق إلا جباراً وتلا (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي)

وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً) ولا تُجد سيء الملكة إلا مختلاً فخوراً وقرأ (وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختلاً فخوراً) (الصفة الثامنة) هي قوله (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) قال بعضهم لام التعريف في السلام منصرف إلى ما تقدم في قصتي يحيى عليه السلام من قوله (وسلام عليه) أي السلام الموجه إليه في المواطن الثلاثة موجه إلي أيضاً وقال صاحب الكشف الصحيح أن يكون هذا التعريف تعويضاً باللعن على من اتهم مريم بالزنا وتحقيقه أن اللام للاستغراق فإذا قال (والسلام علي) فكأنه قال وكل السلام علي وعلى أتباعي فلم يبق للأعداء إلا اللعن ونظيره قول موسى عليه السلام (والسلام على من اتبع الهدى) بمعنى أن العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام لالجاج والعناد ويليق به مثل هذا التعريض.

(المسألة الثانية) روى بعضهم عن عيسى عليه السلام أنه قال ليحيى أنت خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي وأجاب الحسن فقال إن تسليمه على نفسه بتسليم الله عليه.

(المسألة الثالثة) قال القاضي السلام عبارة عما يحصل به الأمان ومنه السلامة في النعم وزوال الآفات فكأنه سأل ربه وطلب منه ما أخبر الله تعالى أنه فعله بيحيى، ولا بد في الأنبياء من أن يكونوا مستجابي الدعوة وأعظم أحوال الإنسان احتياجاً إلى السلامة هي هذه الأحوال الثلاثة وهي يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث فجميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى طلبها ليكون مصوناً عن الآفات والمخافات في كل الأحوال، واعلم أن اليهود والنصارى ينكرون أن عيسى عليه السلام تكلم في زمان الطفولية واحتجوا عليه بأن هذا من الوقائع العجيبة التي تتوافر الدواعي على نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولو كان ذلك لعرفه النصارى لا سيما وهم من أشد الناس بحثاً عن أحواله وأشد الناس غلواً فيه حتى زعموا كونه إلهاً ولا شك أن الكلام في الطفولية من المناقب العظيمة والفضائل التامة فلما لم تعرفه النصارى مع شدة الحب وكمال البحث عن أحواله علمنا أنه لم يوجد ولأن اليهود أظهروا عداوته حال ما أظهر ادعاء النبوة فلو أنه عليه السلام تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة لكانت عداوتهم معه أشد ولكن قصدهم قتله أعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا أنه ما تكلم، أما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على أنه تكلم فإنه لولا كلامه الذي دلهم على براءة أمه من الزنا لما تركوا إقامة الحد على الزنا عليها ففي تركهم لذلك

دلالة على أنه عليه السلام تكلم في المهد وأجابوا عن الشبهة الأولى بأنه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثاني لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله.

قوله تعالى (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) قرأ عاصم وابن عامر (قَوْلَ الْحَقِّ) بالنصب وعن ابن مسعود (قال الحق) (وقال الله) وعن الحسن (قول الحق) بضم القاف وكذلك في الأنعام قوله (الحق) والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب، أما ارتفاعه فعلى أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف، وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله أو على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة كقولك هو عند الله الحق لا الباطل والله أعلم.

(المسألة الثانية) لا شبهة أن المراد بقوله (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) الإشارة إلى ما تقدم وهو قوله (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ) أي ذلك الموصوف بهذا الصفات هو عيسى ابن مريم وفي قوله (عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) إشارة إلى أنه ولد هذه المرأة وابنها لا أنه ابن الله، فأما (قوله الحق) ففيه وجوه: (أحدها) وهو أن نفس عيسى عليه السلام هو قول الحق، وذلك لأن الحق هو اسم الله، فلا فرق بين أن نقول عيسى كلمة الله وبين أن نقول عيسى قول الحق (وثانيها) أن يكون المراد (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ) إلا أنك أضفت الموصوف إلى الصفة فهو كقوله (إن هذا لهو حق اليقين) وفائدة قولك (القول الحق) تأكيد ما ذكرت أولاً من كون عيسى عليه السلام ابناً لمريم. (وثالثها) أن يكون قول الحق خبراً لمبتدأ محذوف، كأنه قيل: ذلك عيسى ابن مريم، ووصفنا له هو قول الحق، فكأنه تعالى وصفه أولاً ثم ذكر أن هذا الموصوف هو عيسى ابن مريم، ثم ذكر أن هذا الوصف أجمع هو قول الحق، على معنى أنه ثابت لا يجوز أن يبطل كما بطل ما يقع منهم من المرية، ويكون في معنى إن هذا (لهو الحق اليقين). فأما امتراءهم في عيسى عليه السلام فالمذاهب التي حكيها من قول اليهود والنصارى وقد تقدم ذكر ذلك في سورة آل عمران وروي أن عيسى عليه السلام لما رفع حضر أربعة من أكابرهم وعلمائهم فقبل

للاول ما تقول في عيسى؟ فقال هو إله والله إله وأمه إله، فتابعه على ذلك ناس وهم الإسرائيلية، وقيل للرابع ما تقول؟ في عيسى؟ فقال هو عبد الله ورسوله وهو المؤمن المسلم، وقال: أما تعلمون أن عسى كان يطعم وينام وأن الله تعالى لا يجوز عليه ذلك؟ فخصمهم.

تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة ١٢١-١٢٢

مريم ١٩: ٣٠-٣٤ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

قال إني عبد الله، أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله (آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة قال نوف البطالي لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديه فنزع الثدي من فمه واتكأ على جنبه الأيسر وقال (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا - إلى قوله - مَا دُمْتُ حَيًّا) وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناتي رفع أصبعه السبابة فوق منكبه وهو يقول (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) الآية، وقال عكرمة (آتَانِيَ الْكِتَابَ) أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن المصفي حدثنا يحيى بن سعيد هو العطار عن عبد العزيز بن زياد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان عيسى بن مريم قد درس التوراة وأحكمها وهو في بطن أمه فذلك قوله (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) يحيى بن سعيد العطار الحمصي متروك وقوله (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) قال مجاهد وعمر بن قيس والثوري وجعلني معلماً للخير وفي رواية عن مجاهد نفاعاً وقال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس الخزومي سمعت وهيب بن الورد مولى بني مخزوم قال لقي عالم عالم هو فوقه في العلم فقال له يرحمك الله ما الذي أعلن من عملي؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه دين الله الذي بعث به أنباء إلى عبادته، وقد أجمع الفقهاء على قول الله (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) وقيل ما بركته؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان وقوله (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) كقوله تعالى لمحمد ﷺ (واعبد ربك حتى

يَا تَيْكَ الْيَقِينَ). وقال عبد الرحمن بن القاسم عن ما لك بن أنس في قوله (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) قال أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت. ما أثبتها لأهل القدر. وقوله (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) أي وأمرني ببر والدتي ذكره بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيراً ما يقرن بي الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) وقال (أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير) وقوله (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) أي ولم يجعلني جباراً متكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك: قال سفيان الثوري الجبار الشقي الذي قتل على الغضب، وقال بعض السلف لا تجد أحداً عاقاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقياً ثم قرأ (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) قال ولا تجد سيء الملكة إلا وجدته مختلاً فخوراً ثم قرأ (وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختلاً فخوراً)، وقال قتادة ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحي الموتى ويرى الأكمه والأبرص في آيات سلطة الله عليهن وأذن له فيهم فقالت طوبى للبطن الذي حملك وطوبى للثدي الذي أرضعت به فقال نبي الله عيسى عليه السلام يجيئها طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقياً وقوله (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) إثبات لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق من خلق الله يحيي ويميت ويبعث كسائر الخلائق ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه.

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذي قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام (قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) أي يختلف المبطلون والمحققون ممن آمن به وكفر به ولهذا قرأ الأكثرون قول الحق برفع قول وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر قول الحق، وعن ابن مسعود أنه قرأ ذلك عيسى بن مريم قال الحق والرفع أظهر إعراباً ويشهد له قوله تعالى (الحق من ربك فلا تكن من الممترين).

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء الخامس صفحة ٤٣٤-٤٣٥

مريم ٣٠: ١٩-٣٤ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

ولكن ها هي ذي الخارقة العجيبة تقع مرة أخرى:

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ
وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

وهكذا يعلن عيسى - عليه السلام - عبوديته لله. فليس هو ابنه كما تدعي فرقة. وليس هو إلهاً كما تدعي فرقة. وليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة.. ويعلن أن الله جعله نبياً، لا ولداً ولا شريكاً. وبارك فيه، وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته. والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته. فله إذن حياة محدودة ذات أمد. وهو يموت ويبعث. وقد قدر الله له السلام والأمان والطمأنينة يوم وُلد ويوم يموت ويوم يبعث حياً..

والنص صريح هنا في موت عيسى وبعثه. و هو لا يحتمل تأويلاً في هذه الحقيقة ولا جدالاً.

ولا يزيد السياق القرآني شيئاً على هذا المشهد. لا يقول: كيف استقبل القوم هذه الخارقة. ولا ماذا كان بعدها من أمر مريم وابنها العجيب. ولا متى كانت نبوته التي أشار إليها وهو يقول:

«آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا» .. ذلك أن حادث ميلاد عيسى هو المقصود في هذا الموضع. فحين يصل به السياق إلى ذلك المشهد الخارق يسدل الستار ليعقب بالغرض المقصود في أنسب موضع من السياق، بلهجة التقرير، وإيقاع التقرير:

«ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» ذلك عيسى ابن مريم، لا ما يقوله المؤلهون له أن المتهمون لأمه في مولده.. ذلك هو في حقيقته وذلك واقع نشأته. ذلك هو يقول قول الحق فيه يمترون ويشكون.

تفسير سورة الشورى ١٣:٤٢

تفسير ابن كثير الجزء الرابع صفحة ١٠٨

الشورى ١٣:٤٢ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.

فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهونوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم. ثم ذكر من بين ذلك من أولى العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) الآية والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون). وفي الحديث «نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله (لكل جعلنا منك شرعة ومنهاجاً) ولهذا قال تعالى ههنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أي وصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف وقوله عز وجل (اللله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) أي هو الذي قدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد، ولهذا قال تبارك وتعالى (وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد والمشاقة ثم قال عز وجل (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) أي لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعاً. وقوله جلت عظمته (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعني الجيل المتأخر

بعد القرن الأول المكذب للحق (في شك منه مريب) أي ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا براهان وهم في حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد.

تفسير سورة الزخرف ٤٣: ٦٣ و ٦٤

تفسير ابن كثير الجزء الرابع صفحة ١٣٣

الزخرف ٤٣: ٦٣ و ٦٤ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٦٤ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

(وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) أي بالنبوة (وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) قال ابن جرير يعني من الامور الدينية لا الدنيوية وهذا الذي قاله حسن جيد. وأولوه على أنه أراد جميع النفوس قال ابن جرير وإنما أراد نفسه فقط وعبر بالبعض عنها وهذا الذي قاله محتمل وقوله عز وجل (فَاتَّقُوا اللَّهَ) أي فما أمركم به (وَأَطِيعُوا) فميا جئتكم به (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أي أنا وأنتم عبيد له فقراء إليه مشتركون في عبادته وحده لا شريك له (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أي هذا الذي جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده.

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء السابع صفحة ٣٤٧-٣٤٨

الزخرف ٤٣: ٦٣ و ٦٤ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٦٤ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

فعيسى جاء قومه بالبينات الواضحات سواء من الخوراق التي أجراها الله على يديه، أو من الكلمات والتوجيهات إلى الطريق القويم. وقال لقومه: «قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ». ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وأمن الزلل والشطط أمنه للتفريط والتقصير، واطمأن إلى خطواته في الطريق على اتزان وعلى نور. وجاء ليبين لهم بعض الذي يختلفون فيه. وقد

اختلفوا في كثير من شريعة موسى - عليه السلام - وانقسموا فرقا وشيعا. ودعاهم إلى تقوى الله وإلى طاعته فيما جاءهم به من عند الله. وجهر بكلمة التوحيد خالصة لا مواربة فيها ولا لبس ولا غموض: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ).. ولم يقل: إنه إله، ولم يقل: إنه ابن الله. ولم يشتر من قريب أو بعيد إلى صلة له بربه غير صلة العبودية من جانبه والربوبية من جانب الله رب الجميع. وقال لهم: إن هذا صراط مستقيم لا التواء فيه ولا اعوجاج، ولا زلل فيه ولا ضلال. ولكن الذين جئوا من بعده اختلفوا أحزابا كما كان الدين من قبله مختلفين أحزابا.

تفسير الطبري الجزء الخامس والعشرون صفحة ٩١-٩٣

الزخرف ٤٣: ٦٣ و ٦٤ وَمَا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٦٤ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

يقول تعالى ذكره: وَمَا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ، يعني بالواضحات من الأدلة. وقيل: عني بالبينات: الإنجيل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) قال: النبوة.

وقد بينت معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد، وذكرت اختلاف المحدثين في تأويله. فأغنى ذلك عن إعادته.

وقوله (وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) يقول: ولأبين لكم معشر بني إسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) قال: من تبديل التوراة.

قالوا: الموت لا يعتلق بعض النفوس، وإنما المعنى: أو يعتلق النفوس حمامها، وليس لما قال هذا القائل كبير معنى، لأن عيسى إنما قال لهم (وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ)، لأنه قد

كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم، فقال لهم: آيين لكم بعض ذلك، وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم، فلذلك خص ما أخبرهم أنه بينه لهم. وأما قول لبيد: «أو يعتلق بعض النفوس فإنه إنما قال ذلك أيضاً كذلك، لأنه أراد: أو يعتلق نفسه حمامها، فنفسه من بين النفوس لا شك أنها بعض لا كل.

وقوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) يقول: فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته، وخافوه باجتنب معاصيه وأطيعوا فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره، وقبول نصيحتي لكم.

وقوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) يقول: إن الله الذي يستوجب علينا إفراجه بالآلوهية وإخلاص الطاعة له، ربي وربكم جميعاً، فاعبدوه وحده، لا تشركوا معه في عبادته شيئاً، فإنه لا يصلح، ولا ينبغي أن يعبد شيء سواه.

وقوله (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي، وإفراد الله بالآلوهة، هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره.

تفسير سورة الصف ٦:٦١

تفسير الطبري الجزء الثامن والعشرون صفحة ٨٧

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

يقول تعالى ذكره: واذكر أيضاً يا محمد (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) لقومه من بني إسرائيل (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ) التي أنزلت على موسى (وَمُبَشِّرًا) أبشركم (برسول من يأتي من بعدي اسمه أحمد).

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن عرباض بن سارية، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني عند الله مكتوب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدك في طينته، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، والرؤيا التي رأت أمي، وكذلك

أمهات النبيين، يرين أنها رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول: فلما جاءهم أحمد بالبينات، وهي الدلالات التي آتاه الله حججاً على نبوته، (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) يقول: ما أتى به غير أنني ساحر.

تفسير الرازي الجزء التاسع والعشرون صفحة ٣١٢-٣١٥

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

ثم قال تعالى (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ).

قوله (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ) أي اذكروا أنني رسول الله أرسلت إليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة ومصدقاً بالتوراة وبكتب الله وبأنبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ) يصدق بالتوراة على مصل تصديقي، فكأنه قيل له: ما اسمه؟ فقال اسمه أحمد، فقوله (يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) جملتان في موضع الجر لأنهما صفتان للنكرة التي هي رسول. وفي (بَعْدِي اسْمُهُ) قراءتان تحريك الياء بالفتح على الأصل، وهو الاختيار عند الخليلي وسيبويه في كل موضع تذهب فيه الياء لالتقاء ساكنين وإسكانها، كما في قوله تعالى (ولمن دخل بيته) فمن أسكن في قوله (مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ) حذف الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين، وهما الياء والسين من اسمه، قاله المبرد وأبو علي، وقوله تعالى (أحمد) يحتمل معنيين (أحدهما) المبالغة في الفاعل، يعني أنه أكثر حمداً لله من غيره (وثانيهما) المبالغة من المفعول، يعين أنه يُحمد بما فيه من الإخلاص والأخلاق الحسنة أكثر ما يُحمد غيره.

ولنذكر الآن بعض ما جاء به عيسى عليه السلام، بمقدم سيدنا محمد عليه السلام في الإنجيل في عدة مواضع (أولها) في الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا: «وأنا أطلب لكم إلى أبي حتى يمنحكم، ويعطيكم الفارقليط حتى يكون معكم إلى الأبد، والفارقليط هو روح الحق اليقين» هذا لفظ الإنجيل المنقول إلى العربي، وذكر في الأصحاح الخامس عشر هذا

اللفظ «وأما الفارقليط روح القدس يرسله أبي باسمي، ويعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء، وهو يذكركم ما قلت لكم» ثم ذكر بعد ذلك بقليل «وإني قد خبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى إذا كان ذلك تؤمنون»، (وثانيها) ذكر في الأصحاح السادس عشر هكذا «ولكن أقول لكم الآن حقاً يقيناً انطلاقي عنكم خير لكم، فإن لم أنطلق عنكم إلى أبي لم يأتكم الفارقليط، وإن انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء هو يفيد أهل العالم، ويدينهم ويمنحهم ويوقفهم على الخطيئة والبر والدين» (وثالثها) ذكر بعد ذلك بقليل هكذا «فإن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم، ولكن لا تقدرون على قبوله والاحتفاظ له، ولكن إذا جاء روح الحق إليكم يلهمكم ويؤيدكم بجميع الحق، لأنه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه» هذا ما في الإنجيل، فإن قيل المراد بفارقليط إذا جاء يرشدكم إلى الحق ويعلمهم الشريعة، هو عيسى يجيء بعد الصلب؟ نقول ذكر الحواريون في آخر الإنجيل أن عيسى لما جاء بعد الصلب ما ذكر شيئاً من الشريعة، وما علمهم شيئاً من الأحكام، وما لبث عندهم إلا لحظة، وما تكلم إلا قليلاً، مثل أنه قال «أنا المسيح فلا تظنوني ميتاً، بل أنا ناج عند الله ناظر إليكم، وإني ما أوحى بعد ذلك إليكم» فهذا تمام الكلام، وقوله تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) قيل هو عيسى، وقيل هو محمد، ويدل على أن الذي جاءهم بالبينات جاءهم بالمعجزات والبينات التي تبين أن الذي جاء به إنما جاء به من عند الله، وقوله تعالى (هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) أي ساحر مبين.

تفسير ابن كثير الجزء الرابع صفحة ٣٥٩-٣٦١

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ.

وقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) يعني التوراة قد بشرت في وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي الملكي أحمد. فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بين إسرائيل وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، وما أحسن ما أورد البخاري

الحديث الذي قال فيه حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري قال أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب» ورواه مسلم من حديث الزهير به نحوه.

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال «أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقضى ونبي الرحمة والتوبة والمالحة» ورواه مسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به، وقد قال الله تعالى «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية، وقال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعه وينصره. وقا لمحمد بن إسماعيل حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من ارض الشام» وهذا إسناد جيد وروى له شواهد من وجوه أخر فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين»، وقال أحمد أيضاً حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان ابن عامر قال سمعت أبا أمامة قال: قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك. قال «دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام» وقال أحمد أيضاً حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن

رواحه وعثمان بن مظعون وأبو موسى فاتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فأين هم قالوا: هم في أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا تسجد للملك. قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك. قال إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم، قال ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه. قال نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يتعرضها ولد، قال فرفع عوداً من الأرض ثم قال يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بداراً وزعم أن البين صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته، وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذ بعث، وكان ما اشتهر الامر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الأرض قال «دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أُمِّي التي رأت» أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك، والإرهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه. وقوله تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) قال ابن جريج وابن جرير (فلما جاءهم) أحمد أي المبشر به في الأعصار المتقدمة المنوه بذكره في القرون السالفة ولما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون (هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ).

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء الثامن صفحة ٨١-٨٣

الصف ٦١:٦ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ

ثم جاء عيسى ابن مريم. جاء يقول لبني إسرائيل:

«يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ»..

فلم يقل لهم: إنه الله، ولا إنه ابن الله، ولا إنه أقنوم من أقانيم الله.

«صَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ»..

في هذه الصيغة التي تصور حلقات الرسالة المترابطة، يسلم بعضها إلى بعض، وهي متماسكة في حقيقتها، واحدة في اتجاهها، ممتدة من السماء إلى الأرض، وحلقة بعد حلقة في السلسلة الطويلة المتصلة.. وهي الصورة اللائقة بعمل الله ومنهجه. فهو منهج واحد في أصله، متعدد في صوره، وفق استعداد البشرية وحاجاتها وطاقاتها، ووفق تجاربها ورصيدها من المعرفة حتى تبلغ مرحلة الرشد العقلي والشعوري، فتجيء الحلقة الأخيرة في الصورة الأخيرة كاملة شاملة، تخاطب العقل الراشد، في ضوء تلك التجارب، وتطلق هذا العقل يعمل في حدوده، داخل نطاق المنهج المرسوم للإنسان في جملته، المتفق مع طاقاته واستعداداته.

وبشارة المسيح بأحمد ثابتة بهذا النص، سواء تضمنت الأناجيل المتداولة هذه البشارة أم لم تتضمنها. فثابت أن الطريقة التي كتبت بها هذه الأناجيل والظروف التي احاطت بها لا تجعلها هي المرجع في هذا الشأن.

وقد قرئ القرآن على اليهود والنصارى في الجزيرة العربية وفيه: «النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل».. وأقر بعض الملخصين من علمائهم الذين أسلموا كعبد الله ابن سلام بهذه الحقيقة، التي كانوا يتواصون بتكتمها!

كما أنه ثابت من الروايات التاريخية أن اليهود كانوا ينتظرون مبعث نبي قد أظلمهم زمانه، وكذلك بعض الموحدين المنعزلين من أحبار النصارى في الجزيرة العربية. ولكن اليهود كانوا يريدونه منهم. فلما شاء الله أن يكون من الفرع الآخر من ذرية إبراهيم، كرهوا هذا وحاربوه!

وعلى أية حال فالنص القرآني بذاته هو الفيصل في مثل هذه الأخبار. وهو القول الأخير..
ويبدو أن الآيات التالية في السورة جاءت على الأكثر بصدد استقبال بني إسرائيل -
اليهود والنصارى - للنبي الذي بشرت به كتبهم. والتنديد بهذا الاستقبال، وكيدهم للدين
الجديد الذي قدر الله أن يظهره على الدين كله، وأن يكون هو الدين الأخير!

تفسير صورة الصف ١٤:٦١

تفسير الطبري الجزء الثامن والعشرون صفحة ٩٠-٩١

الصف ١٤:٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَتَتْ طَائِفَةٌ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.

وقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته
عامة قراء المدينة والبصرة (كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ) بتنوين الأنصار: وقرأ ذلك عامة
قراء الكوفة بإضافة الأنصار إلى الله:

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتا معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ
القارئ فمصيب، ومعنى الكلام: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، كونوا أنصار الله، كما قال
عيسى ابن مريم للحواريين: من أنصار إلى الله، يعني من أنصاري منكم إلى نصره الله لي.
وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثني به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) قال: «قد كانت للأنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه.
وذكر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلاً من الأنصار، ذكر لنا أن بعضهم قال: هل
تدرون علام تباعون هذا الرجل؟ إنكم تباعون على محاربة العرب كلها أو يسلموا. ذكر لنا
أن رجلاً قال: يا نبي الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه. ولا
تشرکوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم، قالوا: فإذا فعلنا
ذلك فما لنا يا نبي الله؟ قال: لكم النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، ففعلوا، ففعل الله».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: تلا قتادة (كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً، فبايعوه عند العقبة، فنصروه وآووه حتى أظهر الله دينه، قالوا: ولم يستم حي من السماء اسماً لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: إن الحواريين كلهم من قريش: أبو بكر، وعمر، وعلي، وحمزة، وجعفر، وأبو عبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) قال: من يتبعني إلى الله؟

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ميسرة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، قال: سئل ابن عباس عن الحواريين، قال: سموا لبياض ثيابهم كانوا صيادي السمك.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله الحواريون: هم الغسالون بالنبطية، يقال للغسال: حواري، وقد تقدم بياننا في معنى الحواري بشواهد واختلاف المختلفين فيه قبل فيما مضى، فأغنى عن إعادته. وقوله (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) يقول: قالوا: نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحق، وقوله (فَأَمَنْتُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ) يقول جل ثناؤه: فأمنت طائفة من بني إسرائيل ببعسى، وكفرت طائفة منهم به: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «لما أراد الله أن يرفع إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء، قال: فقال: إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال: ثم قال: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟

قال: فقام شاب من أحدثهم سناً، قال: فقال أنا، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال أنا، قال: نعم أنت ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود، وأخذوا شبهه، فقتلوه وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، فتفرقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله، ثم رفعه إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة، فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فأمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد على دينهم دين الكفار، فأصبحوا طاهرين.

(فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ) يقول: فقوينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوهم، الذين كفروا منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لتصديقه إياهم، أن عيسى عبد الله ورسوله، وتكذبيه من قال هو إله، ومن قال: هو ابن الله تعالى ذكره، فأصبحوا ظاهرين، فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوهم الكافرين منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله الهلالي، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ) قال: قوينا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، عن إبراهيم (فَأَمَنْتُ طَائِفَةً مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ) قال: لما بعث الله محمداً، ونزل تصديق من آمن بعيسى، أصبحت حجة من آمن به ظاهرة.

قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، عن إبراهيم، في قوله (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) قال: أيدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فصدقهم، وأخبر بحجتهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) قال: أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم كلمة الله وروحه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) من آمن مع عيسى صلى الله عليه وسلم.

ابن مريم (من أسماء المسيح وصفاته)

يرد اللقب «ابن مريم» ٢٣ مرة

أولاً: ابن مريم وأسماء أخرى

ابن مريم

٢

٥٧:٤٣ ، ٥٠:٢٣

عيسى ابن مريم

١٣

٢٧:٥٧ ، ٧:٣٣ ، ٣٤:١٩ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ٧٨ ، ٤٦:٥ ، ٢٥٣ ، ٨٧:٢

١٤ ، ٦:٦١

المسيح ابن مريم

٥

٣١:٩ ، ٧٥ ، ٧٢ ، (x٢) ١٧:٥

المسيح عيسى ابن مريم

٣

١٧١ ، ١٥٧:٤ ، ٤٥:٣

ابن مريم رسول

٥

٦:٦١ ، ٧٥:٥ ، ١٧١ ، ١٥٧:٤ ، ٨٧:٢

ابن مريم من الرسل

٣

١٧١:٤ ، ٢٥٣ ، ٨٧:٢

ابن مريم من النبيين

١

٧:٣٣

ابن مريم كلمة الله وقول الحق

٣

٣٤:١٩ ، ١٧١:٤ ، ٤٥:٣

ابن مريم روح من الله

١

١٧١:٤

ابن مريم وجهه في الدنيا والآخرة

١

٤٥:٣

ابن مريم من المقربين

١

٤٥:٣

ثانياً: ابن مريم وعلاقته بالله

أيّده الله بروح القدس

١١٠:٥ ، ٢٥٣ ، ٨٧:٢

أذن الله بيناته

١١٠:٥ ، ٤٩:٣

علمه الله

١١٠:٥ ، ٤٨:٣

كلّمه الله

١١٦ ، ١١٠:٥

كلمة الله

٣٤:١٩ ، ١٧١:٤ ، ٤٥:٣

آية الله

٥٠:٢٣

نعمة الله عليه

١١٠:٥

ميثاق الله مع ابن مريم

٧:٣٣

طهره من كفر بني إسرائيل

(١١٠:٥، ٥٥:٣)

ليس الله ابن مريم

١٧:٥، ٧٢، ٢١:٩

ليس لله ولد

١٧١:٤

خلقه الله

(٥٩، ٤٧:٣)

ليس ابن مريم من الثالث

١٧١:٤

صلاة ابن مريم باسم اللهم

١١٤:٥

لا يعرف ما في الله

١١٦:٥

الله يقدر أن يهلكه

١٧:٥

ابن مريم رسول الله

(٢٥٣:٢)، ٦:٦١، ٧٥:٥، ١٧١، ١٥٧:٤، ٨٧:٢

١٣:٤٢

خضع ابن مريم لله

٧٢:٥، ١١٧، ٣١:٩

عبد الله

٣٠:١٩

ثالثاً: ابن مريم وأسفار الكتاب المقدس ورسالته

الكتاب

٤٨:٣، ١١٠:٥، ٣٠:١٩

التوراة

٤٨:٣، ٥٠، ٤٦:٥، ١١٠، ٦:٦١

الحكمة

٤٨:٣، ١١٠:٥

الإنجيل

٤٨:٣، ٤٦:٥، ١١٠، ٢٧:٥٧

١١٠:٥، ٤٦:٣

مصدقاً التوراة

٥٠:٣، ٤٦:٥، (٢ x) ٦١:٦

هدى

(٣:٣ و ٤) ٤٦:٥

نور

٤٦:٥

موعظة

٤٦:٥

عهد الله مع ابن مريم

١١٤:٥

عيد حول مائدة السماء

١١٤:٥

الصلاة باسم اللهم

١١٤:٥

٥٢، ٤٩: ٣

المشرع

٥٠: ٣

طالب الطاعة

٥٠: ٣

يدعو للإسلام

١١٧: ٥، ١٧١: ٤، ٥١: ٣

يحذر المشركين من النار

٧٢: ٥

يحرص حواريه للجهاد

١٤: ٦١، ٥٣: ٣

يلعن الكفار من اليهود

٧٨: ٥

مبشر باسم أحمد

٦: ٦١

هو كلمة الله وقول الحق

٣٤: ١٩، ١٧١: ٤، ٤٥: ٣

رابعاً: بينات ابن مريم

البيانات

٦:٦١ ، ١١٠:٥ ، ٢٥٣ ، ٨٧:٢

الآيات

٤٩:٣ (x٢) ، ٥٠ ، ١١٤:٥

تأييده بروح القدس

١١٠:٥ ، ٢٥٣ ، ٨٧:٢

تكلمه بعد ولادته

١١٠:٥ ، ٤٦:٣

خلق طير

١١٠:٥ ، ٤٩:٣

إبراء البرص والكمه

١١٠:٥ ، ٤٩:٣

إحياء الموتى

١١٠:٥ ، ٤٩:٣

إنزال المائدة من السماء

١١٥-١١٢:٥

١٤:٦١ ، ٢٧:٥٧

هو بذاته آية الله

(٢١:١٩)

خامساً: موت ابن مريم وصعوده

اضطهاده حتى قتله

٦:٦١ ، ٨٧:٢

ادعاء اليهود بقتله

١٥٧:٤

مكر الله لإلغاء صليبه

١١٧:٥ ، ٥٥ و ٥٤:٣٥

رفض قتله وصلبه

١٥٧:٤

تشبيهه مصلوباً

١٥٧:٤

الشك في قتله وصلبيه

١٥٧:٤

١٥٨:٤ ، ٥٥:٣

الإيمان به قبل موته

١٥٩:٤

سادساً: أتباع ابن مريم وأعدائه (المذكورين مع اسم ابن مريم)

الاختلاف بسبب

٢٥٣:٢ ، ١٥٧:٤ ، ٣٤:١٩

الكفر به

١٤:٦١ ، ٥٤ ، ٥٢:٣ ، ٧٨:٥

الإيمان بالله

٢٥٣:٢ ، ٥٢:٣ ، ١٤:٦١

أهل الكتاب

١٧١:٤

حواريه

١٤:٦١ ، ٥٢:٣

٥٢:٣ ، ١٤:٦١

هم مسلمون

٥٢:٣

مرتفعون فوق الكفرة

٥٥:٣

متّقون

٤٦:٥

فيهم رحمة ورأفه

٢٧:٥٧

البقرة ٢: ٨٧ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

البقرة ٢: ٢٥٣ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

آل عمران ٣: ٤٥-٥١ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٦ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ٤٧ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٨ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٩ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٠ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥١ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

النساء ٤: ١٥٧-١٥٩ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ

عَلِمَ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٨ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ١٥٩ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا .

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

المائدة ١٧:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

المائدة ٤٦:٥ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ.

المائدة ٧٢-٧٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ
ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ٧٤ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ٧٥
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

المائدة ٧٨:٥ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ.

المائدة ١١٢:٥ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا
مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

المائدة ١١٤:٥ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا
عِيدًا لَأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

المائدة ١١٦:٥ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ
قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ.

التوبة ٣١:٩ اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا
إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

مريم ٣٠:١٩-٣٤ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا
٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

المؤمنون ٥٠:٢٣ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

الأحزاب ٧:٣٣ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.

الزخرف ٥٧:٤٣ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ.

الحديد ٢٧:٥٧ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

الصف ١٤:٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.

ملاحظات عن ابن مريم

يستعمل القرآن التسمية «ابن مريم» نسبة إلى أمه. وينسبه إلى أمه تشریفاً له ولها. وليس في هذه النسبة أية إهانة أو تحقير لأن هذه الأم قد «اصطفاه الله على نساء العالمين» (آل عمران ٤٢:٣). وينسبه إلى أمه ليس لأنه مجهول الأب فتلك إهانة ينتفض لها القرآن بدعوته كلمة الله وروحه وقول الحق المنبثق من الله.

ورث القرآن هذا اللقب عن الإنجيل كما كان يسميه أهل الناصرة بعد وفاة أبيه بالتبني حسب مرقس ٣:٦: «أليس هذا هو النجار ابن مريم».

تفسير سورة البقرة ٢:٢٥٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٣:٤٥-٥١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤:١٥٧-١٥٩ و ١٧١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١٧:٥

تفسير الرازي الجزء العاشر صفحة ١٩٠-١٩١

المائدة ١٧:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

قوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) في الآية سؤال، وهو أن أحداً من النصارى لا يقول: إن الله هو المسيح بن مريم، فكيف حكى الله عنهم ذلك مع أنه لا يقولون به.

وجوابه: أن كثيراً من الحلولية يقولون: إن الله تعالى قد يحل في بدن إنسان معين. أو في روحه، وإذا كان كذلك فلا يبعد أن يقال: إن قوماً من النصارى ذهبوا إلى هذا القول، بل هذا أقرب مما يذهب إليه النصارى، وذلك لأنهم يقولون: إن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى عليه السلام، فأقنوم الكلمة إما أن يكون ذاتاً أو صفة، فإن كان ذاتاً فذات الله تعالى قد حلت في عيسى واتحدت بعيسى، فيكون عيسى هو الإله على هذا القول. وإن قلنا: إن الأقنوم عبارة عن الصفة، فانتقال الصفة يلزم خلو ذات الله عن العلم، ومن لم يكن عالماً لم يكن إلهاً. فحينئذ يكون الإله هو عيسى على قولهم، فثبت أن النصارى وإن كانوا لا يصرحون بهذا القول إلا أن حاصل مذهبهم ليس إلا ذلك:

ثم إنه سبحانه احتج على فساد هذا المذهب بقوله (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) وهذه جملة شرطية قدم فيها الجزاء على الشرط. والتفسير: إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأنه ومن في الأرض جميعاً، فمن الديني قدر على أن يدفعه عن مراده ومقدوره؟ وقوله (فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) أي فمن يملك من أفعال الله شيئاً. والملك هو القدرة، يعني فمن الذي يقدر على دفع شيء من أفعال الله تعالى

ومنه شيء من مراده؟ وقوله (وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) يعني ان عيسى مشاكل لمن في الأرض في الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وتغيير الصفات والأحوال. فلما سلمتم كونه تعالى خالقاً لكل مدبراً لكل، وجب أن يكون أيضاً خالقاً لعيسى.

ثم قال تعالى (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إنما قال (وَمَا بَيْنَهُمَا) بعد ذكر السموات والأرض. ولم يقل: بينهم لأنه ذهب بذلك مذهب الصنفين والنوعين.

ثم قال (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وفيه وجهان: الأول: يعني يخلق ما يشاء. فتارة يخلق الإنسان من الذكر والأنثى كما هو معتاد. وتارة لا من الأب والأم كما في خلق آدم عليه السلام، وتارة من الأم لا من الأب كما في حق عيسى عليه السلام، والثاني: يخلق ما يشاء، يعني أن عيسى إذا قدر صورة الطير من الطين فالله تعالى يخلق فيه اللحمية والحياة والقدرة معجزة لعيسى، وتارة يحيي الموتى ويرى الأكهم والأبرص معجزة له، ولا اعتراض على الله تعالى في شيء من أفعاله.

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ٣٤-٣٥

المائدة ١٧:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

يقول تعالى مخبراً وحاكياً بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح بن مريم وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه أنه هو الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) أي لو أراد ذلك فمن ذا الذي كان يمنعه منه أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ثم قال (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أي جميع الموجودات ملكه وخلقه وهو القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة: ثم قال تعالى راداً على اليهود والنصارى في كذبهم وافترائهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أي نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم نبوه وله بهم عناية وهو يحبنا ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل أنت ابني بكري فحلموا هذا على غير تأويله وحرفوه

وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم وقالوا هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم إني ذاهب إلى أبي وإيكم يعني ربي وربكم ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى عليه السلام وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده ولهذا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه. قال الله تعالى عليهم (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أي لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباؤه فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟ وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء أين تجد في القرن أن الحبيب لا يعذب حبيبه فلم يرد عليه فتلا عليه الصوفي هذه الآية (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) وهذا الذي قاله حسن وله شاهد في المسند للإمام أحمد حيث قال حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه لتلقى ولدها في النار قال فحفظهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال «لا والله ما لقي حبيبه في النار» تفرد به أحمد (بل أنتم بشر ممن خلق) أي لكم أسوة أمثالكم من بني آدم وهو سبحانه الحاكم في جميع عبادته (يعفو لم يشاء ويعذب من يشاء) أي هو فعال لما يريد ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) أي الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه (والله المصير) أي المرجع والمآب إليه فيحكم في عبادته بما يشاء وهو العادل الذي لا يجوز وروى محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال وأتى رسول الله ﷺ نعمان بن أصا وبحر بن عمر وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما نخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله فيهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) إلى آخر الآية رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ورويا أيضاً من طريق أسباط عن السدي في قول الله (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أما قولهم نحن أبناء الله فإنهم قالوا إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولدك بكري من الولد فيدخلهم النار فيكونون فيها أربعين ليلة حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد أن اخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل فأخرجوهم فذلك قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً

تفسير محمد عبده الجزء السادس صفحة ٢٥٣-٢٦٥

المائدة ١٧:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أقام الله الحجة على أهل الكتاب كافة، ثم بين ما كفر به النصارى خاصة. فقال: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) قال البيضاوي: «هم الذين قالوا بالاتحاد منهم، وقيل لم يصرح به أحد منهم، ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتاً، وقالوا: لا إله إلا واحد لهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحاً لجهلهم، وتفضيحاً لمعتقدهم» وذكر الفخر الرازي في تفسيره: أن هذا القول مبني على عقيدة الحلول والاتحاد، وأنه لازم مذهب النصارى ثلاث فرق: اليعقوبية، والملكانية، والنسطورية، واعلم أن أمثال الزمخشري والبيضاوي والرازي لا يعتد بما يعرفون عن النصارى فإنهم لم يقرأوا كتبهم ولم يناظروهم فيها وفي عقائدهم إلا قليلاً، وإنما يأخذون ما في كتب المسلمين عنهم قضايا مسلمة ومنها ما هو مشهور فيها من تفسير الآب والابن وروح القدس بأنها الوجود والعلم والحياة، فالقول بها لا ينافي وحدانية الخالق، وكان يقول مثل هذا بعض علماء النصارى لعلماء المسلمين، والظاهر أن بعض المتقدمين كان يعتقد هذا، كما أنه يوجد الآن في نصارى أوربة وغيرهم كثير من الموحدين الذين يعتقدون أن المسيح نبي رسول لا إله. ولعله لم يبق في النصارى من يقول بتلك الفلسفة، لأنهم في كل عصر يغيرون في دينهم ما شاءوا أن يغيروا في فلسفته وغير فلسفته، وكان أكبر تغيير حدث بعد هؤلاء المفسرين مذهب (البروتستانت) أي إصلاح النصرانية، حدث منذ أربعة قرون وصار هو السائد في أعظم الأمم مدنية وارتقاء كالولايات المتحدة وانكتلة وألمانية. نسف هذا المذهب أكثر التقاليد والخرافات النصرانية التي كانت قبله، ثم استبدل بها تقاليد أخرى فصار عدة مذاهب في الحقيقة، ومع هذا ترى هؤلاء المصلحين الذين زعموا أنهم أعادوا النصرانية إلى أصلها لم يستطيعوا أن يرجعوها إلى التوحيد الصحيح الذي هو دين المسيح وسائر أنبياء بني إسرائيل ورسل الله أجمعين، فهم لا يزالون يقولون بألوهية المسيح وبالتثليث ويعدون الموحّد غير مسيحي، كما يقول ذلك الفرقتان الكبيرتان الأخريان من فرق النصرانية

في هذا العصر - وهم الكاثوليك والأرثوذكس - فجميع فرق نصارى هذا العصر تقول: إن الله هو المسيح ابن مريم. وأن المسيح ابن مريم هو الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والظاهر أن النصارى القدماء لم يكونوا متفقين على هذه العقيدة كما قال مفسروننا.

قال (الدكتور بوست) في تاريخ الكتاب المقدس عند الكلام على لفظ الجلالة ما نصه: «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر: الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، فالآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن المفدي، وإلى روح القدس التطهير، غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال على السواء، أما مسألة التثليث فغير واضحة في العهد القديم كما هي في العهد الجديد. وقد أشير إلى هذا في (تك ص ١) حيث ذكر «الله» و«روح الله» إلخ (قابل مز ٣٣ ويو ١٠: ١٠ و ٣) والحكمة الإلهية المشخصة في (أم ص ٨) تقابل الكلمة في (يو ص ١) وربما تشير إلى الأقنوم الثاني. وتطلق نعوت القدير على كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة على حدته» انتهى بحروفه.

والحق أن العهد القديم - أي كتب الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح - ليس فيها شيء ظاهر ولا خفي في عقيدة التثليث لأنها عقيدة وثنية محضة. ومن أغرب التكلف تفسير «الحكمة» في أمثال سليمان بـ «الكلمة» بالمعنى الذي يريدونه وهو وهم لم يخطر في بال سليمان ولا المسيح عليهما السلام، وسترى أنهم قالوا: إن استعمال الكلمة بهذا المعنى لم يرد إلا في كلام يوحنا! وقد كان جميع أنبياء الله تعالى موحدين، أعداء للوثنية والوثنيين. وإنما يصح أن يُقال: أن الاوحد ظاهر جلي في العهد الجديد أيضاً، والتثليث فيه هو الخفي، فإن العقيدة التي يدعو إليها دعاة النصرانية، والعبارات التي يذكرونها في ألوهية المسيح والتثليث لا تفهم كلها من العهد الجديد، بل هنالك عبارات يتحكمون في تفسيرها وشرحها كما يهرون على خلاف شهير فيها بين متقدميهم ومتأخريهم.

والعمدة عندهم في هذه العقيدة أول عبارة من إنجيل يوحنا وهي: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، والله هو الكلمة» وقد أطلقوا لفظ الكلمة على المسيح فصار معنى الفقرة الثالثة من عبارة إنجيل يوحنا: والله هو المسيح ابن مريم. وهذا عين ما أسنده القرآن إليهم، فكيف يقول البيضاوي والرازي إنه أسند إليهم لازم مذهبهم؟!

قال بوست في قاموسه: «يقصد بالكلمة السيد المسيح، ولم ترد هذه اللفظة بهذا المعنى إلا في مؤلفات يوحنا (١:١-١٤ و ١٠:١ و رؤ ١٩:١٣) وقد استعمل الفيلسوف (فيلو) لفظة «الكلمة» غير أنه يقصد بها غير ما قصد يوحنا» اهـ.

أقول: قد بينا في تفسير (فنسوا خطأ مما ذكروا به) أنهم قالوا: إن يوحنا ما كتب إنجيله في آخر عمره إلا إجابة لاقتراح من ألحوا عليه بذلك للعلة التي ذكروها. فلولا هذا الاقتراح والإلحاح لما كتب، ولو لم يكتب لم تعرف هذه العقيدة - فثبت أن هذه العقيدة لم يذكرها المسيح نفسه في كلامه ولا دعا إليها أحد من تلاميذه الذين انتشروا في البلاد للدعوة إلى إنجيله، ولم يعرفها أحد إلا في العشر العاشر من القرن الأول الذي كتب فيه يوحنا إنجيله هذا، إن صح أن يوحنا الحوار هو الذي كتبه - ولن يصح - ولا يعقل أن يسكت المسيح وجميع تلاميذه عن هذه العقيدة إذا كانت هي أصل الدين كما تزعم النصارى، بل الذي تتوفر عليه الدواعي أن يقررها المسيح نفسه في كلامه، ويجعلها تلاميذه أول ما يدعون إليه ويكررونه في قوالهم ورسائلهم.

ولا يغرنك ما اشار إليه (بوست) من الشواهد عن رسالة يوحنا ورؤياه فتظن أن هنالك نصاً أو نصوصاً في إثبات هذه العقيدة كلا! إن الشاهد الذي عزاه إلى أول رسالته الأولى هو: «الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسْتُهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ» فكلمة الحياة لا تفيد هذه العقيدة إلا بتحكمهم. وأما الشاهد الذي عزاه إلى الرؤيا فهو: «١١ ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَيْضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ. ١٢ وَعَيْنَاهُ كَلْهَيْبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيَجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسْمٌ مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلَّا هُوَ. ١٣ وَهُوَ مُتَسَرِّبٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بَدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةُ اللَّهِ». ١٤ وَالْأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بَيْضٍ، لَا بَسِينَ بَرًّا أَيْضَ وَنَقِيًّا. ١٥ وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الْأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُم بِعَصَا مِنْ حَدِيدٍ» فأنت ترى أن هذه الأوصاف لا تنطبق على المسيح وإنما تنطبق على أخيه محمد عليهما الصلاة والسلام، فمن أسمائه الصادق والأمين وبالعدل كان يحكم ويحارب إلخ ولم يكن للمسيح شيء من هذه الصفات، لأنه لم يحكم ولم يحارب ولم يرع الأمم ولفظ «كلمة الله»، هنا لا يفيد معنى تلك العقيدة ولا يشير إليها لأن كل شيء وجد بكلمة الله وهي كلمة التكوين (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ٣٦:٨٢).

وأما الدليل على كون هذه العقيدة وثنية فهو يظهر لك جلياً فيما كتبناه في تفسير قوله تعالى من هذا الجزء: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) إلى قوله: (ولا تقولوا ثلاثة ٤: ١٧١) وذلك أن زعمهم «أن الله هو المسيح ابن مريم» جزء من عقيدة التثليث المأخوذة عن قدماء المصريين والبراهمة والبوذيين وغيرهم من وثني الشرق والغرب. وقد أوردنا هنالك من شواهد كتب التاريخ وآثار الأولين ما علم به قطعاً أن النصارى أخذوا هذه العقيدة عنهم. وسنعود إلى ذكرها عند تفسير قوله تعالى من هذه السورة: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ٥: ٧٣).

قال تعالى في تبكيت هؤلاء الناس ورد زعمهم:

(قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) أي قل أيها الرسول لهؤلاء النصارى المتجربين على مقام الألوهية بهذا الزعم الباطل: من يملك من أمر الله وإرادته شيئاً يدفع به الهلاك والإعدام عن المسيح وأمه وعن سائر أهل الأرض إن أراد عز وجل أن يهلكهم ويبيدهم؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتجهيل، أي إن المسيح وأمه من المخلوقات التي هي قابلة لطروء الهلاك والفناء عليها كسائر أهل الأرض. فإذا أراد الله أن يهلكهما ويهلك أهل الأرض جميعاً لا يوجد أحد يستطيع أن يرد إرادته، لأنه هو المالك لأمر الوجود كله، ولا يملك أحد من أمره شيئاً يستطيع به أن يصرفه عن عمل يريده، أو يحمله على أمر لا يريده، أو يستقل بعمل دونه. تقول العرب: ملك فلان على فلان أمره. إذا استولى عليه فصار لا يستطيع أن ينفذ أمراً ولا أن يفعل شيئاً إلا به أو بإذنه. قال ابن دريد في وصف الخمرة التي لم يكسر المزج حداثتها، ولم تبطل النار تأثيرها:

لم يملك الماء عليها أمرها ولم يدنسها الضرام المحتضى

وقوله تعالى: (فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) أبلغ من مثل هذا القول، لأنه نفى أن يملك أحد بعض أمره تعالى فضلاً عن ملك أمره كله. فصار المعنى أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يرد أمره أو يحوله عن إرادته بوجه ما ولو الدعاء والشفاعة، إذ لا يوجد أحد يستطيع أن يشفع عنده إلا بإذنه لمن ارتضاه، فالأمر في ذلك كله له وحده عز وجل ويدخل في عموم ذلك المسيح نفسه وغيره من الأنبياء، وكذا الملائكة عليهم السلام، فإذا كان المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الهلاك أو عن والدته كما أنه لا يستطيع غيره أن يدفعه عنه إذا أراد الله تعالى إنزاله به، فكيف يكون هو الله الذي بيده ملكوت كل شيء؟

ومن غريب تهافت هؤلاء الناس أنهم قالوا: إن شر نوع من أنواع الإهلاك وهو الصلب نزل بالمسيح - الذي هو الكلمة، والله هو الكلمة بزعمهم - ولم يستطع أن يدفعه من نفسه، وأنه استغاث بربه خائفاً وجلاً ضارعاً خاضعاً ليصرف عنه ذلك الكأس، فلم يجبه إلى ما طلب! وهم يكابرون أنفسهم في دفع هذا التهافت بمثل قولهم: إنه كمان له طبيعتان ومشيعتان، اثنتان منهما إلهيتان واثنتان بشريتان، وليت شعري إذا كان هذا ممكناً فهل يمكن معه أن يجهل المسيح بطبيعته البشرية طبيعته الإلهية فيعرض عليها قولهم عنه في إنجيل متى (٢٧: ٤٦ إلهي إلهي، لماذا تَرَكْتَنِي؟) ويستندها غير عالم بما يمكن وما لا يمكن لها بمثل ما قالوه عنه في إنجيل متى (٢٦: ٣٩ ٣٩ ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أُمَكَنْ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ» ٤٠ ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلَامِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَاماً، فَقَالَ لِبَطْرُسَ: «أَهَكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِيَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ ٤١ اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِكَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ» ٤٢ فَمَضَى أَيْضاً ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمَكَّنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ إِلَّا أَنْ أَشْرَبَهَا فَلْتَكُنْ مَشِيعَتُكَ» وهذا أعظم حجة عليهم مصدقة لحجة القرآن، فإن مشيئة الله لا يردّها شيء.

ثم إن الطبيعة البشرية هي التي خاطبت البشر، فإذا كان هذا شأنها لا يقبل قولها ولا يوثق بتعليمها، فكيف تجعل مع الطبيعة الأخرى شيئاً واحداً، يسمى رباً وإلهاً ويعبد؟ والناس ما رأوا إلا الطبيعة البشرية، ولا عرفوا غيرها ولا سمعوا إلا كلامها ولا رأوا إلا أفعالها! والنكته في عطف (من في الأرض جميعاً) على المسيح وأمه التذكير بأنهما من جنس البشر الذين في الأرض، وما جاز على أحد المثليين جاز على الآخر. وأنجيلهم تعترف بأن المسيح كان غيره في الشؤون البشرية كما سيأتي في تفسير (ما المسيح ابن مريم إلا رسول ٥: ٧٥) الآية.

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) الظاهر أن هذه الجملة حالية، أي فمن يملك من الله شيئاً إن أراد إهلاك المسيح وأمه وأهل الأرض قاطبة، والحال أنه هو صاحب الملك المطلق والتصرف الاستقلالي الكامل في السموات والأرض وما بينهما، أي ما بين هذين العالمين العلوي والسفلي بالنسبة إليكم!

وهذا الملك والتصرف مما تتصرف به النصارى، ولكنهم زعموا أن صاحب هذا الملك العظيم والتصرف المطلق والكمال الأعلى قد عرض له بعد خلق آدم - الذي ندم وتأسف من

كل قلبه أن خلقه - أمر عظيم، وهو أن آدم عصاه فاقضى عدله أن يعذبه، واقتضت رحمته ألا يعذبه، فوقع التناقض والتعارض بين مقتضى صفاته فلم يجد لذلك مخرجاً يجمع به بين مقتضى العدل والرحمة، إلا أن يحل في بطن امرأة من ذرية آدم ويتكون جنيناً فيه فتلده إنساناً كاملاً وإلهاً كاملاً! ثم يعرض نفسه لشر قتلة لعن صاحبها على لسان رسله وهي الصلب، فداء لآدم وذريته، وجميعاً بين عدله بتعذيب واحد منهم هو وحدة البريء من الذنب ورحمة الآخرين إن آمنوا بهذه العقيدة ولو بغير عقل، ثم إنه لم يتم له هذا الجمع من الناس بمثل ما عذبه به وبغير ذلك ومنهم المؤمنون في الآخرة. على أنه عذب كثيراً من الناس بمثل ما عذبه به وبغير ذلك ومنهم المؤمنون بتلك العقيدة، فلماذا لم يكن تعذيبهم في الدنيا فداء لهم؟ وهل هذا هو الجمع بين العدل والرحمة؟!

ولما كانت شبهتهم على كون المسيح بشراً إلهاً، وإنساناً رباً، هي أنه خلق على غير السنة العامة في خلق البشر، وأنه عمل أعمالاً غريبة لا تصدر عن عامة البشر، قال تعالى في ردّ هذه الشبهة: (يخلق ما يشاء) أي لما كان له ملك السموات والأرض وما بينهما، كان من المعقول أن يكون خلقه للأشياء تابعاً لمشيئته، فقد يخلق بعض الأحياء من مادة لا توصف بذكورة ولا أنوثة كأصول أنواع الحيوان، ومنها أبو البشر عليه السلام، وقد يخلق بعضها من ذكر فقط أو أنثى فقط، وقد يخلق بعضها بين ذكر وأنثى. ولا يدل شكل الخلق ولا سببه ولا امتياز بعض المخلوقات - كالكهرباء - على بعض ألوهيتها أو حلول الإله الخالق فيها، بل هذا لا يعقل ولا يمكن. فامتياز الأرض على عطارده أو زحل بوجود الأحياء، فيها من البشر وغيرهم لا يعد دليلاً على كون الأرض إلهاً لذلك الكوكب الذي فضله بهذه المزية. كذلك سنة الله في خلق المسيح ومزايه لا تدل على كونه إلهاً أو رباً لمن لم توجد فيهم هذه المزايا، لأن المزايا في الخلق كلها بمشيئة الخالق، فلا يخرج بها المخلوق عن كونه مخلوقاً نسبته إلى خالقه كنسبة سائر المخلوقات إله تعالى، وأما الامتياز ببعض الأفعال الغريبة فهو معهود من البشر أيضاً، ونقل ذلك عن جميع الأمم والملل، وقد ادعت الأمم الوثنية لأصحابها الألوهية والربوبية، وأجمع الأنبياء من بني إسرائيل وغيرهم على توحيد الله تعالى وسموا تلك الغرائب بالآيات الإلهية، وقالوا: إن الله تعالى قد يؤيد بها أنبياءه ورسله، فلماذا خرجتم أيها النصارى عن سنة النبيين والمرسلين، واتبعتم سنة الوثنيين - كقدماء الهند والمصريين - الذين جعلوا غرابة خلق مقدسيهم وغرابة بعض أفعالهم. دليلاً على ألوهيتهم وربوبيتهم؟ (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فكل ما تعلق به

مشيئته ينفذ بقدرته، وإنما يعد بعض خلقه غريباً بالنسبة إلى علم البشر الناقص لا بالنسبة إليه تعالى. وكذلك غرابة بعض أفعالهم، وهي قد تكون عن علم كسبي يجهله غيرهم، أو قوة نفسية لم يبلغها سواهم، أو تأييد رباني لا صنع لهم فيه ولا تأثير.

تفسير المائدة ٤٦:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٧٢:٥

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٣١٢

المائدة ٧٢:٥-٧٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ٧٤ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧٥ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن بعض ما فتن به الإسرائيلون الذين أخبر عنهم أنهم حسبوا أن لا تكون فتنة، يقول تعالى ذكره: فكان مما ابتليتهم واختبرتهم به، فنقضوا فيه ميثاقى، وغيروا عهدي الذي كنت أخذته عليهم، بأن لا يعبدوا سواي، ولا يتخذوا رباً غيري، وأن يوحّدوني، وينتهوا إلى طاعتي عبدي عيسى بن مريم، فإني خلقتهم، وأجريت على يده نحو الذي أجريت علة يد كثير من رسلي، فقالوا: كفراً منهم: هو الله، وهذا قول اليعقوبية من النصارى، عليهم غضب الله، يقول الله تعالى ذكره: فلما اختبرتهم، وابتليتهم به أشركوا بي وقالوا الخلق من خلقي، وعبد مثلهم من عبيدي. وبشر نحوهم، معروف بنسه وأصله، مولود من البشر، يدعوهم إلى توحيدى، ويأمرهم بعبادتي وطاعتي. ويقر لهم بأني ربه وربهم، وينهاهم عن أن يشركوا بي شيئاً، هو إلههم جهلاً منهم الله، وكفراً به، ولا ينبغي لله أن يكون والداً ولا مولوداً.

ويعين قوله (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) يقول: اجعلوا العبادة

والتذلل للذي له يذل كل شيء، وله يخضع كل موجود، ربي وربكم، يقول: مالكي ومالككم. وسيدي وسيدكم. الذي خلقتني وإياكم (نَهْ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) أن يسكنها في الآخرة (وَمَا أَوَاهُ النَّارُ) يقول: ومرجعه ومكانه الذي يأوي إليه، ويصير في معاده، من جعل لله شريكاً في عبادته نار جهنم (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) يقول: وليس لمن فعل غير ما أباح الله له، وعبد غير الذي له عبادة الخلق (مِنْ أَنْصَارٍ) بنصرونه يوم القيامة من الله. فينقذونه منه إذا أورده جهنم.

تفسير الرازي الجزء العاشر صفحة ٥٩-٦١

المائدة ٥: ٧٢-٧٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٤ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧٥ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

قوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)

اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود شرع ههنا في الكلام مع النصارى فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وهذا هو قول اليعقوبية لأنهم يقولون: إن مريم ولدت إلهاً. ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حجل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى. ثم حكى تعالى عن المسيح أنه قال. وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لم يفرق بين نفسه وبين غيره في أن دلائل الحدوث ظاهرة عليه.

ثم قال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ومعناه ظاهر. واحتج اصحابنا على أن عقاب الفساق لا يكون مخلداً، قالوا: وذلك

لأنه تعالى جعل أعظم أنواع الوعيد والتهديد في حق المشركين هو أن الله حرم عليه الجنة وجعل مأواهم النار، وأنه ليس لهم ناصر ينصرهم ولا شافع يشفع لهم. فلو كان حال الفساق من المؤمنين كذلك لما بقي لتهديد المشركين على شركهم بهذا الوعيد فائدة.

ثم قال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) وفيه مسألتان:

(المسألة الأولى) «ثلاثة» كسرت بالإضافة، ولا يجوز نصبها لأن معناه: واحد ثلاثة. أما إذا قتل: رابع ثلاثة فهنا يجوز الجر والنصب، لأن معناه الذي صير الثلاثة أربعة بكونه فيهم.

(المسألة الثانية) في تفسير قول النصارى (ثالث ثلاثة) طريقان: الأول: قول بعض المفسرين، وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي غلهين من دون الله) فقوله (ثالث ثلاثة) أي أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة، والدليل على أن المراد ذلك قوله تعالى في الرد عليهم (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ) وعلى هذا التقدير ففي الآية من يقول: إن الله ثالث ثلاثة إذا لم يرد به ثالث ثلاثة آلهة، فإنه ما من شيئين إلا والله ثالثهما بالعلم، لقوله تعالى (ما يكون من نحوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم).

(والطريق الثاني) أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم أب، وابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد. كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنوا بالأب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة، وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمير. واختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد.

واعلم أن هذا معلوم البلطان ببيهة العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى.

ثم قال تعالى (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ) في «من» قولان: أحدهما: أنها صلة زائدة والتقدير: وما إله إلا إله واحد، والثاني: أنها تفيد معنى الاستغراق، والتقدير: وما في الوجود من هذه الحقيقة إلا فرد واحد.

ثم قال تعالى (وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال الزجاج: معناه: ليمسن الذين أقاموا على هذا الدين: لأن كثيراً منهم تابوا عن النصرانية.

قم قال تعالى (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال الفراء: هذا أمر في لفظ الاستفهام كقوله (فهل أنتم منتهون) في آية تحريم الخمر.

ثم قال تعالى (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها، فإن كان الله أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر على يد موسى. وإن كان خالقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) وفي تفسير ذلك وجوه: أحدها: أنها صدقت بآيات ربها وبكل ما أخبر عنه ولدها. قال تعالى في صفتها (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) وثانيها: أنه تعالى قال (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) فما كلمها جبريل وصدقته وقع عليها اسم الصديقة، وثالثها: أن المراد بكونها صديقة غاية بعدها عن المعاصي وشدة جدتها واجتهادها في إقامة مراسم العبودية، فإن الكامل في هذه الصفة يسمى صديقاً قال تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين).

ثم قال تعالى (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ)

واعلم أن المقصود من ذلك: الاستدلال على فساد قول النصارى، وبيان من وجوه: الأول: أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن، وكل من كان كذلك كان مخلوقاً لا إلهاً، والثاني: أنهما كانا محتاجين، لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة، والإله هو الذي يكون غنياً عن جميع الأشياء، فكيف يعقل أن يكون إلهاً. الثالث قال بعضهم: إن قوله (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) كناية عن الحدث لأن من أكل الطعام فإنه لا بد وأن يحدث، وهذا عندي ضعيف من وجوه: الأول: أنه ليس كل من أكل أحدث، فإن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون. الثاني: أن الأكل عبارة عن الحاجة إلى الطعام، وهذه الحاجة من أقوى الدلائل على أنه ليس بإله، فأى حاجة بنا إلى جعله كناية عن شيء آخر. الثالث: أن الإله هو القادر على الخلق والإيجاد، فلو كان إلهاً لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب، فلما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون إلهاً للعالمين، وبالجمله ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل.

ثم قال تعالى (انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) يقال: أفكه يافكه إفكا إذا صرفه، والإفك الكذب لأنه صرف عن الحق، وكل مصروف عن الشيء مأفوك عنه.

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ٨٠-٨٢

المائدة ٧٢:٥-٧٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ٧٤ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧٥ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

يقول تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية ممن قال منهم بأن المسيح هو الله. تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً. هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد الله ورسوله وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال إني عبد الله ولم يقل إني أنا الله ولا ابن الله، بل قال (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) إلى أن قال (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته آمراً لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له ولهذا قال تعالى (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ) أي فاعبد معه غيره (فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ) أي فقد أوجب له النار وحرّم عليه الجنة كما قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) وفي الصحيح أن النبي ﷺ بعث منادياً ينادي في الناس إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وفي لفظ مؤمنة وتقدم في أول سورة النساء عند قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به حديث يزيد بن بابنوس عن عائشة: الدواوين ثلاثة فذكر منهم ديواناً لا يغفره الله وهو الشرك بالله قال الله تعالى (مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) والحديث في مسند أحمد ولهذا قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني

إسرائيل (مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) أيوما له عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه وقوله (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن الهنجائي حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم حدثنا الفضل حدثني أبو صخر في قول الله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) قال هو قول اليهود عزيزاً ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة وهذا قول غريب في تفسير الآية أن المراد بذلك طائفتا اليهود والنصارى والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك قيل المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو أقنوم الأب واقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، قال ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية والعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة وقال السدي وغيره نزلت في جعل المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار قال السدي وهي كقوله تعالى في آخر السورة (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ) الآية وهذا القول هو الأظهر والله أعلم قال الله تعالى (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ) أي ليس متعدداً بل هو وحده لا شريك له غله جميع الكائنات وسائر الموجودات ثم قال تعالى متوعداً لهم ومتهدداً (وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ) أي من هذا الافتراء والكذب (لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي في الآخرة من الأغلال والنكال ثم قال (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه وحرمة بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك يدعوهم إلى التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه وقوله تعالى (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ) وقوله (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) أي مؤمنة به مصدقة له وهذا أعلى مقاماته فدل على أنها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحق ونبوة أم موسى ونبوة أم عيسى استدلالهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم وبقوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ) وهذا معنى النبوة والذي عليه الجمهور أن الله

لم يبعث نبياً إلا من الرجال قال الله تعالى (وما أرسلوا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى) وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك وقوله تعالى (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) أي احتياجات إلى التغذية به وإلى خروجه منهما فهما عبدان كسائر الناس وليسا بالهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة عليهم لعائن الله المتتابة إلى يوم القيامة ثم قال تعالى (أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الْآيَاتِ) أي نوضحها ونظهرها (ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) أي ثم أنظر هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون وبأي قول يتمسكون وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون.

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٣١٤

سورة المائدة ٧٥:٥ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

وهذا من الله تعالى ذكره احتجاجاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على فرق النصارى في قولهم في المسيح يقول مكذباً لليعقوبية في قيلهم: هو الله، والآخرين في قيلهم: هو ابن الله، ليس القول كما قال هؤلاء الكفرة في المسيح، ولكنه ابن مريم ولدته ولادة الأمهات أبناءهن، وذلك من صفة البشر، لا من صفى خالق البشر، وإنما هو لله رسول كسائر رسله الذين كانوا قبله فمضوا وخلوا، أجرى على يده ما شاء أن يجريه عليها من الآيات والعبر. حجة له على صدقه، وعلى أنه لله رسول إلى من أرسله إليه من خلقه، كما أجرى على أيدي من قبله من الرسل من الآيات والعبر، حجة لهم على حقيقة صدقهم في أنهم لله رسل (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) يقول تعالى ذكره: وأم المسيح صديقة، والصديقة: الفعيلة من الصدق، وكذلك قولهم فلان صديق: فعيل من الصدق، ومنه قوله تعالى ذكره (والصديقين كالشهداء) وقد قيل: إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه إنما قيل له الصديق لصدقه، وقد قيل: إنما سمي صديقاً لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في مسيره في لية واحدة إلى بيت المقدس من مكة وعوده إليها، وقوله (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه، أنهما كانا أهل

حاجة إلى ما يغذوهما. وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإن من كان كذلك، فغير كائن إلهاً، لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون إلا مربوباً لا رباً.

القول في تأويل قوله (أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ):

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد كيف نبين لهؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى الآيات، وهي الأدلة والأعلام والحجج على بطول ما يقولون في أنبياء الله، وفي فريتهم على الله، وادعائهم له ولدًا، وشهادتهم لبعض خلقه، بأنه لهم رب وإله، ثم لا يرتدعون عن كذبهم، وباطل قيلهم. ولا ينزجرون عن فريتهم على ربهم، وعظيم جهلهم، ومع ورود الحجج القاطعة عذرهم عليهم. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ثم انظر يا محمد أنى يؤفكون؟ يقول: ثم انظر مع تبيننا لهم آياتنا على بطول قولهم: أي وجه يصرفون عن بياننا الذي بينته لهم، وكيف عن الهدى الذي نهديهم إليه من الحق يضلون. والعرب تقول لكل مصروف عن شيء: هو مأفوك عنه، يقال: قد أفكت فلاناً عن كذا: أي صرفته عنه. فأنا أفكه أفكا، وهو مأفوك، وقد أفكت الأرض: إذا صرف عنها المطر.

تفسير سورة المائدة ٥: ٧٨ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٢ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٦ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة التوبة ٩: ٣١

تفسير محمد عبده الجزء العاشر صفحة ٣١٧

التوبة ٩: ٣١ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) هذا استئناف بين به مافي

قوله: (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) من الإجمال فإن أهل الكتاب لو أطلقوا لقب ابن الله على عزيز والمسيح إطلاقاً مجازياً، كما أطلق في كتبهم، ولم يضاهئوا به من قبلهم من الوثنيين لما كانوا به كفارق وإنما كانوا كفاراً بهذه الوثنية التي أشير إليها بهذه المضاهاة وبينها بهذه الآية.

الأخبار: جمع حبر - بفتح الحاء المهملة وكسرهما - وهو العالم من أهل الكتاب والرهبان: جمع راهب، ومعناه في اللغة الخائف، وهو عند النصارى المتبتل المنقطع للعبادة، والرهبانية في النصرانية بدعة، كما قال تعالى في سورة الحديد: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) (٢٧:٥٧) وكانت نيتهم فيها صالحة كما قال تعالى: (إلا ابتغاء رضوان الله) ذلك بأن الأصل فيها تأثير مواعظ المسيح عليه السلام في الزهد والإعراض عن لذات الدنيا، ثم صار أكثر منتحليها من الجاهلين والكسالى فكانت عبادتهم صورية أعقبتهم رياء وعجباً وغروراً بأنفسهم، وبتعظيم العامة لهم، ولذلك قال تعالى: (فما رعوها حق رعايتها) ولما صارت النصرانية ذات تقاليد منظمة في القرن الرابع وضع رؤسائهم نظم وقوانين للرهبانية ولمعيشتهم في الأديار. وصار لها عندهم فرق كثيرة يشكو بعض أحرارهم من مفاسدهم فيها. فكان ذلك مصداقاً لقوله تعالى في سلفهم المخلصين: (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وفي خلفهم المرائين (وكثير منهم فاسقون ٢٧:٥٧) وهذه الآية من تحرير القرآن للحقائق في المسائل الكبيرة بعبارة وجيزة هي الحق المفدي فيها. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرهبانية في الإسلام لما سنبينه في تفسير سورة الحديد.

والمعنى: اتخذ كل من اليهود والنصارى رؤساء الدين فيهم أرباباً. فاليهود اتخذوا أحبارهم وهم علماء الدين فيهم أرباباً، بما أعطوهم من حق التشريع فيهم وأطاعوهم فيه، والنصارى اتخذوا رهبانهم أي عبادهم الذين يخضع العوام لهم أرباباً كذلك، والأظهر أن يكون المراد من الأخبار والرهبان جملة رجال الدين في الفريقين أي من العلماء والعباد.

تفسير سورة مريم ١٩: ٣٠-٣٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المؤمنون ٢٣: ٥٠

تفسير الرازي الجزء الثالث والعشرون صفحة ١٠٢

المؤمنون ٢٣: ٥٠ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

اعلم أن ابن مريم هو عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية بأن خلقه من غير ذكر وأنطقه في المهد في الصغر وأجرى على يديه إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وأما مريم فقد جعلها الله تعالى آية لأنها حملته من غير ذكر. وقال الحسن تكلمت مريم في صغرها كما تكلم عيسى عليه السلام وهو قولها (هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) ولم تلقم ثدياً قط، قال القاضي إن ثبت ذلك فهو معجزة لذكرا عليه السلام لأنه لم تكن نبيه، قلنا القاضي إنما قال ذلك لأن عنده الإرهاص غير جائز وكرامات الأولياء غير جائزة وعندنا هما جائزان فلا حاجة إلى ما قال، والأقرب أنه جعلهما آية بنفس الولادة لأنه ولد من غير ذكر وولده من دون ذكر فاشتركا جميعاً في هذا الأمر العجيب الخارق للعادة والذي يدل على أن هذا التفسير أولى وجهان (أحدهما) أنه تعالى قال (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) لأن نفس الإعجاز ظهر فيهما لا أنه ظهر على يدهما وهذا أولى من أن يحمل على الآيات التي ظهرت على يده نحو إحياء الموتى وذلك لأن الولادة فيه وفيها آية فيهما وكذلك أن نطقاً في المهد وما عدا ذلك من الآيات ظهر علي يده لآية فيه (الثاني) أنه تعالى قال آية ولم يقل آيتين، وحمل هذا اللفظ على الأمر الذي لا يتم إلا بمجموعهما أولى وذلك هو أمر الولادة لا المعجزات التي كان عيسى عليه السلام مستقلاً بها.

أما قوله تعالى (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ) أي جعلنا مأواهما الربوة، والربوة والرباوة في رأيهما الحركات الثلاث وهي الأرض المرتفعة، ثم قال قتادة وأبو العالية هي إيلياء أرض بيت المقدس، وقال أبو هريرة رضي الله عنه إنها الرملة. وقال الكلبي وابن زيد هي بمصر، وقال الأكثرون إنها دمشق. وقال مقاتل والضحاك هي غوطة دمشق، والقرار المستقر من كل أرض مستوية مبسوطة، وعن قتادة ذات ثمار وماء، يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض. فبه سبحانه على كمال نعمه عليها بهذا اللفظ على اختصاره. ثم في المعين قولان: (أحدهما) أنه مفعول لأنه لظهوره يدرك بالعين من عانه إذا أدركه بعينه. وقال الفراء والزجاج إن شئت جعلته فعيلاً من الماعون ويكون أصله من المعن والماعون فاعول منه قال أبو علي والمعين السهل الذي ينقاد ولا يتعاصى والماعون ما سهل على

معطيه، ثم قالوا وسبب الإيواء أنها فرت بابنها عيسى إلى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة سنة، وإنما ذهب بهما ابن عمها يوسف ثم رجعت إلى أهلها بعد أن مات ملكهم، وههنا آخر القصص والله أعلم.

تفسير البيضاوي الجزء الرابع صفحة ٦٧

المؤمنون ٥٠: ٢٣ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام أنه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى. وقوله (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال الضحاك عن ابن عباس: الربوة المكان المرتفع من الأرض وهو أحسن ما يكون في النبات، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة. وقوله (ذَاتِ قَرَارٍ) يقول ذات خصب (وَمَعِينٍ) يعني ماء ظاهراً، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة. وقال مجاهد ربوة مستوية، وقال سعيد بن جبير (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) استوى الماء فيها، وقال مجاهد وقتادة (وَمَعِينٍ) الماء الجاري. ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة من أي أرض هي؟ فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ليس الربى إلا بمصر، والماء حين يسيل يكون الربى عليها القرى، ولولا الربى غرقت القرى. وروى عن وهب بن منبه نحو هذا وهو بعيد جداً. وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال هي دمشق، قال وروى عن عبد الله بن سلام والحسن وزيد بن أسلم وخالد بن معدان نحو ذلك. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال: أنهار دمشق. وقال ليث ابن أبي سليم عن مجاهد وآويناها إلى ربوة قال عيسى بن مريم وأمه حين أويا إلى غوطة دمشق وما حولها. وقال عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله بن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول: في قول الله تعالى (إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال هي الرملة من فلسطين. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفرياني حدثنا ثنا رواد بن الجراح حدثنا عباد بن عباد الخواص أبو عتبة حدثنا الشيباني عن ابن وعله عن كريب السحولي عن فرة الیهدي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل «إنك

تموت بالربوة» فمات بالرملة وهذا حديث غريب جداً وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (وَأَوَيَّنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال المعين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله تعالى (قد جعل ربك تحتك سرياً) وكذا قال الضحاك وقتادة إلى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت المقدس فهذا والله أعلم هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى، والقرآن يفسر بعضه بعضاً. وهذا أولى ما يفسر به ثم الاحاديث الصحيحة ثم الآثار.

(وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) بولادتها إياه من غير مسيس فالآية أمر واحد ضاف إليهما أو جعلنا ابن مريم وأمه آية بأن تكلم في المهد وظهرت منه معجزات أخر وأمه آية بأن ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها (وَأَوَيَّنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فإن قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر (ذَاتِ قَرَارٍ) مستقر من الأرض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها (وَمَعِينٍ) وماء معين ظاهر جار فاعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في الشيء أو من الماعون وهو المنفعة لأنه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه بعينه لأنه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان.

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء السادس صفحة ٣١-٣٢

المؤمنون ٢٣: ٥٠ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَأَوَيَّنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

وتختلف الروايات في تحديد الربوة المشار إليها في هذا النص.. أين هي؟ أكانت في مصر، أم في دمشق، أم في بيت المقدس.. وهي الأماكن التي ذهبت إليها مريم بابنها في طفولته وصباه - كما تذكر كتبهم - وليس المهم تحديد موضعها، إنما المقصود هو الإشارة إلى إيواء الله لهما في مكان طيب، وينضر فيه النبات، ويسيل فيه الماء، ويجدان فيه الرعاية والإيواء.

وعندما يثل إلى هذه الحلقة من سلسلة الرسائل، يتوجه بالخطاب إلى أمة الرسل، وكأنما هم متجمعون في صعيد واحد، في وقت واحد، فهذه الفوارق الزمانية والمكانية لا اعتبار لها أمام وحدة الحقيقة التي تربد بنبيهم جميعاً:

«يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً. إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمة

واحدة وأنا ربكم فاتقون».

إنه نداء الرسل ليمارسوا طبيعتهم البشرية التي ينكرها عليهم الغافلون: «كلوا من الطيبات».. فالأكل من مقتضيات البشرية عامة، أما الأكل من الطيبات خاصة فهو الذي يرفع هذه البشرية ويزكيها ويصلها بالملاء الأعلى.

ونداء لهم ليصلحوا في هذه الأرض: «واعملوا صالحاً».. فالعمل هو من مقتضيات البشرية كذلك. أما العمل الصالح فهو الذي يميز الصالحين المختارين، فيجعل لعملهم ضابطاً وهدفاً، وغاية موصولة بالملاء الأعلى.

وليس المطلوب من الرسول أن يتجرد من بشريته. إنما المطلوب أن يرتقي بهذه البشرية فيه إلى أفقها الكريم الوضئ، الذي أراده الله لها، وجعل الأنبياء رواداً لهذا الأفق ومثلاً أعلى. والله هو الذي يقدر عملهم بعد ذلك بميزانه الدقيق: «إني بما تعملون عليم».

وتتلاشى آماد الزمان، وأبعاد المكان، أمام وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسل. ووحدة الطبيعة التي تميزهم. ووحدة الخالق الذي أرسلهم. ووحدة الاتجاه الذي يتجهونه أجمعين: «وإن هذه أمتكم واحدة وأنا ربكم فاتقون»..

تفسير سورة الاحزاب ٧:٣٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الزخرف ٥٧:٤٣

تفسير الرازي الجزء السابع والعشرون صفحة ٢٢٠-٢٢١

سورة الزخرف ٥٧:٤٣ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ.

قوله تعالى (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ)

(المسألة الأولى) اعلم أنه تعالى ذكر أنواعاً كثيرة من كفرياتهم في هذه السورة وأجاب عنها بالوجوه الكثيرة (فأولها) قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءاً) (وثانيها) قوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) (وثالثها) قوله (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) (ورابعها) قوله (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (وخامسها) هذه الآية التي نحن الآن في تفسيرها، ولفظ الآية لا يدل إلا على أنه لما ضرب ابن مريم مثلاً لأخذ القوم يضجون ويرفعون أصواتهم، فأما أن ذلك المثل كيف كان، وفي أي شيء كان فاللفظ لا يدل عليه والمفسرون ذكروا فيه وجوهاً كلها محتملة (فالأول) أن الكفار لما سمعوا أن

النصارى يعبدون عيسى قالوا إذا عبدوا عيسى فآلهتنا خير من عيسى، وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يعبدون الملائكة (الثاني) روى أنه لما نزل قوله تعالى (إنكم ما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال عبد الله ابن الزبعي هذا خاصة لنا وآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ «بل لجميع الأمم» فقال خصمتك ورب الكعبة، ألسنت تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيراً وعلى أمه، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما واليهود يعبدون عزيزاً والملائكة يعبدون، فإذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي ﷺ وفرح القوم وضحكوا وضجوا، فأنزل الله تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنة أولئك عنها مبعدون) نزلت هذه الآية أيضاً والمعنى، ولما (ضرب) عبد الله بن الزبعي عيسى (ابن مريم مثلاً) وجادل رسول الله بعبادة النصارى إياه (إذا قومك) قريش (منه) أي من هذا المثل (يصدون) أي يرتفع لهم ضجيج وجلبة فرحاً وجدلاً وضحكاً بسبب ما رأوا من إسكات رسول الله فإنه قد جرت العادة بأن أحد الخصمين إذا انقطع أظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج.

تفسير ابن كثير الجزء الرابع صفحة ١٣٠-١٣٣

سورة الزخرف ٤٣: ٥٧ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ.

يقول تعالى مخبراً عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قال غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والسدي والضحاك يضحكون أي أعجبوا بذلك، وقال قتادة: يجزعون ويضحكون. وقال إبراهيم النخعي يعرضون، وكأن السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة حيث قال: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن ابن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر ابن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم (إنكم ما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) الآيات: ثم قال رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبعي التميمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعي أما والله لو

وجدته لخصمته، سلوا محمداً أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده، فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيزاً والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبيري ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته» فأنزل الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله، ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) الآيات ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يعبد من دون الله. وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله. ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْد أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمُ السَّاعَةِ) أي ما وضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام فكفى به دليلاً على علم الساعة (فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) وذكر ابن جرير من رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) قال يعني قريشاً لما قيل لهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إلى آخر الآيات فقالت له قريش فما ابن مريم؟ قال «ذاك عبد الله ورسوله» فقالوا والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم رباً فقال الله عز وجل (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون).

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى بن عقيل الأنصاري قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لقد علمت آية من القرآن ما سألتني عنها رجل قط ولا أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفتنوا لها فيسألوا عنها. قال ثم طفق يحدثنا فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها، فقلت:

أنا لها إذا راح غدا. فلما راح الغد قلت يا ابن عباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفتنوا لها، فقلت أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها. قال رضي الله عنه: نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش «يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير» وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أأنت تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً. فإن كنت صادقاً كان آلهتهم كما تقولون. فأنزل الله عز وجل (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قلت ما يصدون؟ قال يضحكون (وإنه لعلم الساعة) قال هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة. وقال ابن أبي حاتم، حدثنا محمد به يعقوب الدمشقي حدثنا آدم حدثنا شيبان عن عاصم ابن أبي النجود عن أبي أحمد مولى الأنصار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير» فقالوا له: أأنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالح فقد كان يعبد من دون الله؟ فأنزل الله عز وجل (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) قالت قريش إنما يريد محمد أن نعبد كما عبد قوم عيسى عليه السلام، ونحو هذا قال قتادة.

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء السابع صفحة ٣٤٣-٣٤٤

سورة الزخرف ٥٧:٤٣ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ

«ولما جاء عيسى بالبينات قال: قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه، فاتقوا الله وأطيعون. إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. فاختلف الأحزاب من بينهم، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم»..

ذكر ابن إسحاق في السيرة قال: جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني مع الوليد ابن المغيرة في المسجد، فجاء النضر ابن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعرض له النضر ابن الحارث، فكلمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أفحمه. ثم تلا عليه وعليهم «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون».. الآيات.. ثم قال رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - واقبل عبد الله ابن الزبيري التميمي حتى جلس. فقال الوليد ابن المغيرة له: والله ما قام النضر ابن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد! وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. قال عبد الله بن الزبيري: أما والله لو وجدته لخصمته. سلوا محمداً أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيزاً، والنصارى تعبد المسيح ابن مريم. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله ابن الزبيري ورأوا أنه قد احتج وخاصم. فذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده. فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته» فأنزل الله عز وجل. إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون.. أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله، ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنه يعبد من دون الله، وعجب الوليد ومن حضر من حجته وخصومته: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ).. أي يصدون عن أمرك بذلك..

وذكر صاحب الكشف في تفسيره: لما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قريش: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» امتنعوا من ذلك امتعاصاً شديداً. فقال عبد الله ابن الزبيري: يا محمد. أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال عليه السلام: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم» فقال: خصمتك ورب الكعبة! ألتستزع أن عيسى ابن مريم نبي، وتثني عليه خيراً وعلى أمه؟ وقد علمت أن النصارى يعبدونهما؟ وعزير يعبد؟ والملائكة يعبدون؟ فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم! ففرحوا وضحكوا. وسكت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى: «إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى» ونزلت هذه الآية. والمعنى: ولما ضرب عبد الله ابن الزبيري عيسى ابن مريم مثلاً، وجادل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعبادة النصارى إياه «إذا قومك» - قريش - من هذا المثل «يصدون» ترتفع لهم جلبية وضجيج، فرحاً وجذلاً وضحكاً بما سمعوا من إسكات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بجذله، كما يرتفع لفظ القوم ولجبهم إذا تعبوا بحجة ثم فتحت عليهم. وأما من قرأ «يصدون» بالضم فمن الصدود. أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه. وقيل: من الصديد وهو الجبة. وأنها لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما.

تفسير سورة الصف ٦:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الصف ١٤:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

المسيح (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد كلمة «المسيح» ١١ مرة

أولاً: كلمة المسيح وأسماءه الأخرى المتعلقة بهذا الاسم

المسيح	٣	١٧١:٤ ، ٧٢:٥ ، ٣٠:٩
المسيح عيسى وعيسى المسيح لن يرد الاسم «عيسى» والاسم «المسيح» معاً		
المسيح ابن مريم	٥	١٧:٥ (x٢) ، ٧٢ ، ٣١:٩
المسيح عيسى ابن مريم	٣	٤٥:٣ ، ١٥٧:٤ ، ١٧١
المسيح كلمة الله المتجسد	٢	٤٥:٣ ، ١٧١:٤
المسيح روح من الله	١	١٧١:٤
المسيح رسول الله	٣	١٥٧:٤ ، ١٧١ ، ٧٥:٥
المسيح عبد الله		١٧٢:٤
المسيح وجهه في الدنيا والآخرة		٤٥:٣
المسيح من المقربين		٤٥:٣

ثانياً: المسيح وعلاقته بالله

المسيح رب من دون الله	٣١:٩
الله هو المسيح	١٧:٥ ، ٧٢
المسيح ابن الله	٣٠:٩
ليس لله ولد	٣٠:٩ ، ١٧١:٤
رفض الثالوث	١٧١:٤
قدرة الله لهلاك المسيح	١٧:٥
الدعوى للإسلام	٣١:٩ ، ٧٢:٥ ، ١٧١:٤
التحذير بالنار	٧٢:٥

قاتلهم الله

٣٠:٩

ثالثاً: موت المسيح وصعوده إلى الله

١٥٧:٤	شهادة اليهود بقتل المسيح
١٥٧:٤	رفض قتل وصلب المسيح
١٥٧:٤	تشبيه المسيح بالمصلوب
١٥٧:٤	الاختلاف حول صلب المسيح
١٥٧:٤	عدم يقين قتل المسيح
١٥٩:٤	الإيمان به قبل موته
١٥٨:٤	صعود المسيح إلى الله

ال عمران ٤٥:٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

النساء ١٥٧-١٥٩ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٨ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٩ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. ١٧٢ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا.

المائدة ١٧:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

المائدة ٧٢:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٤ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ٧٥ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

التوبة ٣٠:٩ وَقَالَتِ الْيَهُودُ غُرَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. ٣١ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

ملاحظات وتفسير وأحاديث عن المسيح في القرآن

اسم سماوي إلهي أوحى به الله مباشرة، وعندما يوحى الله اسماً يعلّق عليه رسالة خاصة: فالاسم دليل الشخص، ومهما كان معنى هذا الاسم العجيب، فإنه يعني أن الله مسحه وأرسله رحمة وآية للعالمين.

لو فتشت القرآن كله لما وجدت سوى عيسى ابن مريم وحده، بين الأنبياء والمرسلين، قد انفرد باسم «المسيح» أي الممسوح. وانفراده به ميزة خُصّ بها دون سواه. وقد ذهب المفسرون في تفسير هذا الاسم الفخيم، المثقل بنبوات الأنبياء الأولين، مذاهب شتى. ولكن كلها تنطوي على عظمة شخصية المسيح، وعلى عظمة رسالته اللتين دلّ عليهما «اسم المسيح».

قال البيضاوي في تفسيره لآل عمران ٤٥:٣: «المسيح لقبه، وهو من الألقاب المشرفة كالصديق، وأصله بالعبرية «مشيحا» ومعناه المبارك. سمي كذلك: - لأنه مُسح بالبركة.

- أو مسح الأرض ولم يقم في موضع.

قال الرازي في تفسيره لآل عمران ٤٥:٣: «المسيح: هل هو اسم مشتق أو موضوع؟ أصله بالعبرية «مشيحا» فعربته العرب وغيّروا لفظه: وعلى هذا القول لا يكون له اشتقاق. والأكثر أن أنه مشتق موضوع:

- قال ابن عباس: سمي مسيحاً لأنه كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ من مرضه.

- قال أحمد بن يحيى: لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها في المدة القليلة.

- قال غيره: لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى.

- لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء ولا يمسح به غيرهم.

- لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن.

تفسير سورة آل عمران ٣: ٤٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤: ١٥٧-١٥٩ و ١٧١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤: ١٧١

تفسير الطبري الجزء السادس صفحة ٣٧

سورة النساء ٤: ١٧٢ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا.

يعني جل ثناؤه بقولن (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ): لن يأنف ولن يستكبر المسيح أن يكون عبداً لله يعني: من أن يكون عبداً لله.

كما حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ): لن يحتشم المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة. وأما قوله (وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) فإنه يعني: ولن يستنكف أيضاً من الإقرار لله بالعبودية، والإذعان له بذلك رسله المقربون الذين قربهم الله ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه.

وروى عن الضحاك أنه كان يقول في ذلك ما حدثني به جعفر بن محمد البزوري، قال: ثنا يعلى بن عبيد، عن الأجنح، قال: قلت للضحاك: ما المقربون؟ قال: أقربهم إلى السماء الثانية.

القول في تأويل قوله (وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) يعني جل ثناؤه بذلك: ومن يتعظم عن عبادة ربه. ويأنف من التذلل والخضوع له بالطاعة من الخلق كلهم، ويستكبر عن ذلك، فسيحشرهم إليه جميعاً، يقول: فسيبعثهم يوم القيامة جميعاً، فيجمعهم لموعدهم عنده.

تفسير سورة المائدة ٥: ١٧ و ٧٢-٧٥ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة التوبة ٣٠:٩-٣١

تفسير محمد عبده الجزء العاشر صفحة ٣١٧

التوبة ٣٠:٩ - ٣١ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. ٣١ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) إلخ نبدأ في تفسير هذه الآية بذكر شيء من تاريخ عزيز هذا ومكانته عند القوم، ثم بيان من سموه ابن الله من اليهود، ونقتفي على ذلك بذكر قول النصارى: المسيح ابن الله وتفنيد، ثم من قال بمثل هذا القول من الوثنيين القدماء وهو من معجزات القرآن: وقد تقدم هذا مفصلاً في تفسير سورتي النساء والمائدة.

عزيز هذا هو الذي يسميه أهل الكتاب (عزرا) والظاهر أن يهود العرب هم الذين صغروا بالصيغة العربية للتحييب وصرفوه وعنهم أخذ المسلمون، والتصرف في أسماء الأعلام المنقولة من لغة إلى أخرى معروف عند جميع الأمم، حتى إن اسم «يسوع» قلبته العرب فقالت «عيسى» وهو كما في أول الفصل السابع من السفر المعروف باسمه عزرا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا - وساق نسبه إلى العازار بن هارون (عليه السلام).

جاء في دائرة المعارف اليهودية الانكليزية (طبعة ١٩٠٣) أن عصر عزرا هو ربيع التاريخ الملى لليهودية الذي تفتحت فيه أزهاره وعبق شذا ورده. وأنه جدير بأن يكون هو نشر الشريعة (وفي الأصل عربية أو مركبة الشريعة) لو لم يكن جاء بها موسى (التلمود، ٢١ ب) فقد كانت نسيت ولكن عزرا أعادها أو أحيها، ولولا خطايا بني إسرائيل لاستطاعوا رؤية الآيات (المعجزات) كما رأوها في عهد موسى هـ. وذكر فيها أنه كتب الشريعة بالحروف الاشورية وكان يضع علامة على الكلمات التي يشك فيها - وأن مبدأ التاريخ اليهودي يرجع إلى عهده.

وقال الدكتور جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس: عزرا (عون) كاهن يهودي

وكتب شهير سكن بابل مدة ملك (أرتخششتا) الطويل الباع وفي السنة السابعة لملكه أباح لعزرا بأن يأخذ عدداً وافراً من الشعب إلى أورشليم نحو سنة ٤٥٧ ق م. (عزرا ص ٧) وكانت مدة السفر أربعة أشهر.

(ثم قال) وفي تقليد اليهود يشعل عزرا موضعاً مهماً يقابل بموضع موسى وإيليا ويقولون: إنه أسس المجمع الكبير، وأنه جمع أسفار الكتاب المقدس وأدخل الأحرف الكلدانية عوض العبرانية القديمة، وأنه ألف أسفار الأيام وعزرا ونحميا.

(ثم قال) ولغة سفر عزرا من ٢ ٤:٨-٦:١٩ كلدانية، وكذلك ص ٧:١-٢٧ وكان الشعب بعد رجوعهم من السبي يفهمون الكلدانية أكثر من العبرانية ا هـ.

واقول: إن المشهور عند مؤرخي الأمم حتى أهل الكتاب منهم أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام ووضعتها في تابوت العهد أو بجانبه (تث ٣١:٢٥، ٢٦) قد فقدت قبل عهد سليمان عليه السلام، فإنه لما فتح التابوت في عهده لم يوجد فيه غير اللوحين الذين كتبت فيهما الوصايا العشر كما تراه في سفر الملوك، وأن (عزرا) هذا هو الذي كتب التوراة وغيرها بعد السبي بالحروف الكلدانية واللغة الكلدانية الممزوجة ببقايا اللغة العبرية التي نسي اليهود معظمها. ويقول أهل الكتاب: إم (عزرا) كتبها كما كانت بوحى أو بإلهام من الله، وهذا ما لا يسلمه لهم غيرهم وعليه اعتراضات كثيرة مذكورة في مواضعها من الكتب الخاصة بهذا الشأن حتى من تأليفهم كذخيرة الألباب للكاثوليك وأصله فرنسي، وقد عقد الفصلين الحادي عشر والثاني عشر لذكر بعض الاعتراضات على كون الأسفار الخمسة لموسى، منها قوله:

(٧ - جاء في سفر عزرا ٤ ف ١٤ عد ٢١) أن جميع الأسفار المقدسة حرقت بالنار في عهد نبوخذ نصر حيث قال: «إن النار أبطلت شريعتك فلم يعد سبيل لأي امرئ أن يعرف ما صنعت» ا هـ. ويزاد على ذلك أن عزرا أعاد بوحى الروح القدس تأليف الأسفار المقدسة التي أبادتها النار وعرضه فيها كتبة خمسون معاصرون. ولذلك ترى ثرتوليانوس، والقديس إيريناوس، والقديس إيرونيموس، والقديس يوحنا الذهبي، والقديس باسيليوس وغيرهم يدعون عزرا مرمم الأسفار المقدسة المعروفة عند اليهود ا هـ.

ثم أجاب المؤلف عن هذا الاعتراض بأن السفر الرابع من سفر عزرا (كذا) ليس بقانوني، وإن نسخ الكتاب المقدس لم تكن كلها «محفوظة في الهيكل أو في أورشليم، وأن الآباء القديسين الذين استشهدوا بالمعترضون بأقوالهم إنما يؤخذ بتعليمهم لا برأيهم، قال «يستحيل أن

يكون رأيهم غير التعليمي غير مصيب، إلا أن الأظهر أنهم إذ سموا عزرا مرمم الأسفار المقدسة إنما أرادوا أن هذا النبي بعد السبي البابلي جمع كل ما تمكن من جمعه من نسخ الكتاب المقدس، وقابلها وجعل منها مجموعاً منقحاً عن الأغلاط التي كانت قد اندست فيه ا هـ. ونقول: إن هذه الأجوبة تأويل لأقوال القديسين المذكورين لا تدل عليه، ولا تسلم أن تعليمهم كان مخالفاً لرأيهم، واحتمالات ودعاوى في أصل المسألة، دليل عليها، إذ لم ينقل أحد أنه كان يوجد قبل عزرا كتاب اسمه الكتاب المقدس، ولا أن أسفار موسى كان يوجد منها نسخ متعددة، وفي التاريخ أن ما كتبه عزرا منها قد فقد أيضاً، وكان يوجد فيه الألوف من الألفاظ البابلية - وعبارات كان عزرا يشك فيها - وأغلاط كثيرة متفق عليها عند أهل الكتاب يتمحلون في الأجوبة عنها، فنسخة عزرا ليست عين الشريعة التي كان كتبها موسى قطعاً.

وقد جاء في ص ١٦٧ من الجزء الأول من إظهار الحق (طبعة الآستانة) بعد نقل نحو مما ذكر عن سفر عزرا وإحراق التوراة وجمع عزرا لها بإعانة روح القدس - ما نصه:

«وقال كليمنس يانوس: إن الكتب السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى ا هـ. وقال ترتولين: المشهور أن عزرا كتب مجموع الكتب بعد ما أغار أهل بابل بروشالم (?) ا هـ. وقال تهيوفلكت: إن الكتب الإلهية انعدمت رأساً فأوجدتها عزرا مرة أخرى بإلهام ا هـ. وقال جان ملنر كاتلك في الصفحة ١١٥ من كتابه الذي طبع في بلدة دربي سنة ١٨٤٣: «اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بخت نصر، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة أنتيوكس انتهى كلامه بقدر الحاجة ا هـ.

ثم أن صاحب إظهار الحق ذكر في بحث إثبات تحريف كتبهم (ص ٢٣٥-٣٩) ما في تواريخهم المقدسة (سفر الملوك وسفر الايام) من خبر ارتداد أكثر نبي إسرائيل من آخر مدة سليمان الذي كان أول من ارتد وعبد الأوثان وبنى لها المعابد بزعمهم. وولديه اللذين اقتسما ملكه فكان مملكتين، مملكة إسرائيل المؤلفة من عشرة أسباط، ومملكة يهوذا المؤلفة من السبطين الآخرين، وغلبة الوثنية وعبادة الأصنام عليهما معاً وإن كانت على الأولى أغلب. وامتد ذلك زهاء أربعة قرون لم يعد للمملكتين فيها حاجة إلى التوراة، إلى أن جلس (يوشيا) بن (آمون) على سرير السلطنة فتاب من الشرك وأراد إعادة دين موسى إلى الشعب، ولكنه لم يجد نسخة من التوراة إلى سبع عشرة سنة من ملكه، إذ ادعى حلقيا الكاهن في السنة الثامنة عشرة أنه

وجد نسخة من شريعة موسى في بيت الرب (ويقول صاحب قاموس الكتاب المقدس في هذه النسخة ربما كانت «سفر التثنية» وحده) ويدعون أن العمل جرى على تلك النسخة مدة الثلاثة عشرة سنة التي بقيت من ملكه، وقد ارتد من بعده من الملوك وسلط الله على أولهم ملك مصر، وعلى ثالثهم بخت نصر ولم نذكر نسخة الشريعة من بعده فلا يعلم أحد ما أصابها.

وأما ما كتبه عزرا فقد فُقد أيضاً في أثناء استيلاء أنطيوخس ملك سورية على أورشليم كما تقدم عنه وقد وضحه بقوله في (ص ٢٣٨ ج ١) فقال:

«لما كتب عزرا عليه السلام كتب العهد العتيق مرة أخرى على زعمهم وقعت حادثة أخرى جاء ذكرها في الباب الأول للمكاين هكذا».

«لما فتح أتيوكس ملك ملوك الأفرنج (كذا) أورشليم أحرق جميع نسخ العهد العتيق التي حصلت له من أي مكان بعدما قطعها، وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يقتل، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر، فكانني قتل كل من وجد عنده نسخة من كتب العهد العتيق أثبت أنه أدى رسماً من رسوم الشريعة وتعد تلك النسخة» انتهى ملخصاً.

وذكر أن هذه الحادثة كانت سنة ١٦١ ق. م، وامتدت إلى ثلاث سنين ونصف كما فصلت في تواريخهم وتاريخ يوسفوس. (قال) فانعدمت في هذه الحادثة جميع النسخ التي كتبها عزرا كما عرفت في الشاهد ١٦ من المقصد الأول من كلام جان ملنر كاتلك. ثم ذكر أنه في حادثة استيلاء الإمبراطور تيطس الرومي على أورشليم وبلاد اليهود أُلقت نسخ كثيرة كانت عندهم وذلك بعد المسيح كما بينه يوسفوس وغيره من المؤرخين.

نكتفي بهذا البيان هنا ولنا فيه غرضان: (أحدهما) أن جميع أهل الكتاب مدينون لعزير هذا في مستند دينهم وأصل كتبهم المقدسة عندهم. (وثانيهما) أن هذا المستند واهي البيان متداعي الأركان. وهذا هو الذي حققه علماء أوربة الأحرار، فقد جاء في ترجمته من دائرة المعارف البريطانية بعد ذكر ما في سفره وسفر نحemia من كتابته للشريعة. أنه جاء في روايات أخرى متأخرة عنها أنه لم يعد إليهم الشريعة التي أحرقت فقط، بل أعاد جميع الأسفار العبرية التي كانت أُلقت، وأعاد سبعين سفرًا غير قانونية (أبو كريف) ثم قال كاتب الترجمة فيها: وإذا كانت الأسطورة الخاصة بعزرا هذا قد كتبها من كتبها المؤرخين بأقلامهم من تلقاء

أنفسهم ولم يستندوا في شيء منها إلى كتاب آخر - فكتاب هذا العصر يرون أن اسطورة عزرا قد اختلقها أولئك الرواة اختلاقاً (انظر ص ١٤ ج ٩ من الطبعة الرابعة شعرة سنة ١٩٢٩).

وجملة القول: أن اليهود كانوا وما زالوا يقدسون عزيزاً هذا حتى إن بعضهم أطلق عليه لقب ابن الله ولا ندري أكان إطلاقه عليه بمعنى التكريم الذي أطلق على إسرائيل وداود وغيرهما أم بالمعنى الذي سيأتي قريباً عن فيلسوفهم (فيلو) وهو قريب من فلسفة وثني الهند التي هي أصل عقيدة النصارى. وقد اتفق المفسرون على أن إسناد هذا القول إليهم يراد به بعضهم لا كلهم، وهو مبني على القاعدة التي بينها في تفسير بعض آيات سورة البقرة التي تحكي عنهم أقوالاً وأفعالاً مسندة إليهم في جملتهم وهي مما صدر عن بعضهم، وهي أن المراد من هذا الأسلوب تقرير أن الأمة تعد متكافلة في شئونها العامة، وأن ما يفعله بعض الفرق أو الجماعات أن الزعماء منها يكون لها تأثير في جملتها، وأن المنكر الذي يفعله بعضهم إذا لم ينكره عليه جمهورهم ويزيلوه ويؤاخذون به كلهم، وبيننا في تفسير قوله تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ٨: ٢٥) أن من سنن الاجتماع البشري أن المصائب والرزايا التي تحل بالأمم بفشو المفاسد والرذائل فيها لا تختص الذين تلبسوا بتلك المفاسد وحدهم، كما أن الأوبئة التي تحدث بكثرة الأقدار في الشعب وغير ذلك من الإسراف في الشهوات تكون عامة أيضاً.

وأما الذين قالوا هذا القول من اليهود فهم بعض يهود المدينة، كالذين قال لله فيهم: «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ٥: ٦٤) الآية، والذين قال فيهم: (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ٣: ١٨١) رداً على قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ٢: ٢٤٥)؟ ويحتمل أن يكون قد سبقهم إليه غيرهم ولم ينقل إلينا.

روى ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وأبو أنس وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله؟ وإنما قالوا هو ابن الله من أجل أن عزيزاً كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله تعالى أن يعملوا، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق، وكان التابوت فيهم، فلما رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع عنهم التابوت وأنساهم

التوراة ونسخها من صدورهم (وذكر الراوي حكاية إسرائيلية قال في آخرها: إن عزيزاً صلى ودعا الله أن يرد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة فاستجاب له فصار يعلمهم إياها. ثم نزل التابوت عليهم فعرضوا عليه ما علمهم عزيز فوجدوه مثله).

فنحن نأخذ بما قاله ابن عباس رواية عمن جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقالوا ما قالوا، فإنه رواية عن شيء وقع في زمنه فأخبر عما رأى وسمع، وأما ما حكاها من سبب قولهم فما هو إلا رواية عن بعضهم كذبوا فيه عليه أو على من حدثه به، والظاهر أنه مما سمعه من كعب الأحبار إذ روى عنه كثيراً من الإسرائيليات، فقد أخرج أبو الشيخ عن كعب أنه قال: دعا عزيز ربه عز وجل أن يلقي التوراة كما أنزل على موسى عليه السلام في قلبه، فأنزلها الله تعالى عليه فبعد ذلك قالوا عزيز ابن الله.

وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور روايات أخرى إسرائيلية خرافية في هذا المعنى، منها ما رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس، وملخصه أن الله سلط بختنصر على بني إسرائيل فحرق التوراة وخرّب بيت المقدس وعزيز يومئذ غلام فلحق بالجبال يتعبد فيها. وأن الدنيا تشمت له في صورة امرأة فأخبرته بأنه سينبع في مصلاه عين ماء وتنبت فيه شجرة فإذا شرب من العين وأكل من الثمرة جاءه ملكان - (إلى أن قال) فجاء الملكان ومعهما قارورة فيها نور فأوجراه ما فيها فألهمه الله التوراة. وروى ابن أبي حاتم هذه الخرافة عن السدي بأطول مما روى عن ابن عباس، وما ذكرنا هذا إلا لنبين للناس أنه من شر الخرافات الإسرائيلية التي كان يغش الناس المسلمين بها كعب، الأحبار وأمثاله مما ليس في كتب اليهود، وقد راجت على أكثر المفسرين لعدم اطلاعهم على كتب العهد العتيق، ولا سيما سفر الأيام الثاني وسفري عزيزا ونحميا ولا على غيرها من كتبهم، ولا على تاريخ يوسيفوس اليهودي وغيره من التواريخ، دع كتب أحرار الإفرنج ومؤرخيهم مما لم يكن في زمنهم.

ومن المعلوم أن بعض النصارى الذين قالوا إن المسيح ابن الله كانوا من اليهود، وقد كان (فيلو) الفيلسوف اليهودي الإسكندري المعاصر للمسيح يقول: إن الله ابناً هو كلمته التي خلق بها الأشياء - فعلى هذا لا يبعد أن يكون بعض المتقدمين على عصر البعثة المحمدية قد قالوا إن عزيزاً ابن الله بهذا المعنى.

(وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) هذا القول كان يقوله القدماء منهم ويقصدون به معنى

مجازياً كالمحبوب والمكرم، ثم سرت إليهم فلسفة الهنود في (كرشنا) وغيرهم من قدماء

الوثنيين، ثم اتفقت عليه فرقهم المعروفة في هذه الأزمنة وعلى أنه حقيقة لا مجاز، وعلى أن (ابن الله) بمعنى (الله) وبمعنى (روح القدس) لأن هؤلاء الثلاثة عندهم واحد حقيقة لا مجازاً، هذا تعليم الكنائس الذي قرره المجامع الرسمية، بتأثير الثلاثة الفلسفة الرومية ولكن بعد المسيح وتلاميذه بثلاثة قرون، ويخالفه خلق كثير منهم أعظمهم شأنًا الموحدون والعقليون. والكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية لا تعتد بنصرانيتهم ولا بدينهم، وهاك خلاصة تاريخية في أطوار هذه العقيدة وهي ما في دائرة المعارف العربية للبيستاني، قال:

ثالث

كلمة تطلق عند النصارى على وجوه ثلاثة أقانيم معاً في اللاهوت تعرف (بالآب والابن والروح القدس) وهذا التعليم هو من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية وعموم البروتستانت إلا ما ندر، والذين يتمسكون بهذا التعليم يذهبون إلى أنه مطابق لنصوص الكتاب المقدس، وقد أضاف اللاهوتيون إليه شروحاً وإيضاحات اتخذوها من تعاليم المجامع القديمة وكتابات آباء الكنيسة العظام، وهي تبحث عن طريقة ولادة الأقنوم الثاني، وانبثاق الأقنوم الثالث، وما بين الأقانيم الثلاثة من النسبة وصفاتهم المميزة وألقابهم، ومع أن لفظة ثالث لا توجد في الكتاب المقدس، ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالث، قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تشير إلى وجود صورة جمعية في اللاهوت، ولكن إذ كان تلك الآيات قابلة لتفسير مختلفة كانت لا يؤتى بها كبرهان قاطع على تعليم الثالث، وبل كرموز إلى الوحي الواضح الصريح الذي يعتقدون أنه مذكور في العهد الجديد، وقد اقتبس منه مجموعان كبيران من الآيات كحجج لإثبات هذا التعليم (أحدهما) الآيات التي ذكر فيها الآب والابن والروح القدس معاً. (والآخر) التي ذكر فيها كل منهم على حدة، والتي تحتوي على نوع أخص صفاتهم ونسبة أحدهم إلى الآخر.

والجدال عن الأقانيم في اللاهوت ابتداءً في العصر الرسولي، وقد نشأ على الأكثر عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين، فإن ثيوفيلوس أسقف أنطاكية في القرن الثاني استعمل كلمة ثرياس باليونانية، ثم كان ترتليانوس أول من استعمل كلمة ترينيتاس المرادفة لها ومعناها الثالث، وفي الأيام السابقة للمجمع النيقاوي حصل جدال مستمر في هذا التعليم وعلى الخصوص في الشرق، وحكمت الكنيسة على كثير من الآراء بأنها أرائيكية ومن

جملتها آراء الأيونيين الذين كانوا يعتقدون أن المسيح إنسان محض، والسابيليين الذين كانوا يعتقدون أن الآب والابن والروح القدس إنما هي صور مختلفة أعلن بها الله نفسه للناس، والآريوسيين الذين كانوا يعتقدون أن الابن ليس أزلياً كالآب بل هو مخلوق منه قبل العالم ولذلك هو دون الآب وخاضع له، والمكدونيين الذين أنكروا كون الروح القدس أقنوماً.

وأما تعليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ للميلاد، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساويان للآب في وحدة اللاهوت، وأن الابن قد وُلد منذ الازل من الآب، وأن الروح القدس منبثق من الآب، ومجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩ حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً. وقد قبلت الكنيسة اللاتينية بأسرها هذه الزيادة وتمسكت بها، وأما الكنيسة اليونانية فمع أنها كانت في أول الأمر ساكتة لا تقاوم قد أقامت الحجة فيما بعد على تغيير القانون حاسبة ذلك بدعة.

وعبادة (ومن الابن أيضاً) لا تزال من جملة الموانع الكبرى للاتحاد بين الكنيسة اليونانية والكاثوليكية، وكتب اللوثريين والكنائس المصلحة أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية للثالوث على ما كان عليه من دون تغيير، ولكن قد ضاد ذلك منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف كالسوسينيانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم حاسبين ذلك مضاداً، للكتاب المقدس والعقل، وقد أطلق سويد نبرغ الثالث على أقنوم المسيح معلماً بثالوث ولكن لا ثالوث الأقانيم بل ثالوث الأقنوم، وكان يفهم بذلك أن ما هو إلهي في طبيعة المسيح هو الآب، وأن الإلهي الذي اتحد بناسوت المسيح هو الابن، وأن الإلهي الذي انبثق منه هو الروح القدس، وانتشار مذهب العقلين في الكنائس اللوثرية والمصلحة أضعف مدة من الزمان اعتقاد الثالوث بين عدد كبير من اللاهوتيين الجرمانيين.

وقد ذهب (كنت) إلى أن الآب والابن والروح القدس إنما تدل على ثلاث صفات أساسية في اللاهوت وهي القدرة والحكمة والمحبة، أو على ثلاثة فواعل عليا وهي الخلق والحفظ والضبط، وقد حاول كل من هيجن وشلنغ أن يجعلوا لتعليم الثالوث أساساً تخيلياً. وقد اقتدى بهما اللاهوتيون الجرمانيون المتأخرون، وحاولوا المحاماة عن تعليم الثالوث بطرق مبنية على أسس تخيلية ولاهوتية، وبعض اللاهوتيين الذين يعتمدون على الوحي لا يتمسكون بتعليم استقامة الرأي الكنائسية بالتدقيق كما هي مقررة في مجمعي نيقية والقسطنطينية المسكونيين، وقد قام محامون كثيرون في الأيام المتأخرة لعضد آراء السابيليين على الخصوص اهـ.

وأقول: قد حدثت في هذا العهد مذاهب جديدة في النصرانية في أوربة وأمريكا قرب بعضها كثيرون من إصلاح الإسلام لها، سيفضي هذا إلى رجوع السواد الأعظم إليه بعد تنظيم الدعاية الصحيحة له وتعميمها، ونحن نبين هذه الأطوار في المنار في أوقاتها، ونعود الآن إلى الرد على قولهم المسيح ابن الله لأن هذا آخر موضع له في التفسير فنقول:

كنا بينا في تفسير سورة المائدة (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ١٨:٥) أن لقب «ابن الله» أطلق في كتب اليهود والنصارى على آدم، كما تراه في نسب المسيح في آخر الفصل الثالث من إنجيل لوقا وهو: «ابن شيث بن آدم بن الله» وعلى يعقوب كما في الفصل الرابع من سفر الخروج: (٢٢:٤) هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر) وعلى أفرايم كما في سفر أرميا: (٩:٣١) لأنني صرت أباً وأفرايم هو بكري) وعلى داود: (من ٢٦:٨٩ هو يدعوني أبي أنت إلهي وصخرة خلاصي ٢٧ أنا أيضاً أجعله بكرًا أعلى من كل ملوك الأرض) وأنه أطلق أيضاً على الملائكة وعلى المؤمنين الصالحين وسمى الله أباً لهم في مواضع كثيرة من كتب العهدين، ويقابله إطلاق المسيح لقب «أولاد إبليس» على غير الصالحين وتسمية إبليس أباهم كما ترى في إنجيل يوحنا: (٨:١٤) أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّا لَمْ نُوَلَدْ مِنْ زِنًا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ». ٤٢ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي - إِلَى أَنْ قَالَ - أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا) وهنالك شواهد أخرى من استعمال كلمة ابن الله في الأفراد كسليمان عليه السلام وفي المؤمنين الصالحين وتسميتهم مولودين من الله تعالى وتسميته سبحانه أباً لهم.

وبينا أيضاً أن هذا الاستعمال مجازي قطعاً لا يحتمل المعنى الحقيقي بحال من الأحوال، ولكن النصارى قد خرجوا على قوانين العقل واللغات بجعل إطلاق لفظ «ابن الله» على المسيح وحده حقيقياً وعلى غيره مجازياً، ووعدنا بتوضيح ذلك في تفسير هذه الآية: (وقالت النصارى المسيح ابن الله) على أننا كنا قد بيناه ووضحناه قبل ذلك في تفسير: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ١٧١:٤) الآية

من سورة النساء. وكذا في مواضع من التفسير (المنار) ولعلنا ما وعدنا بإيضاحه إلا ونحن

ذاهلون عن هذا. وكثرة الكلام في المحال لا تزيده إلا غموضاً وإشكالاً، فالنصارى قد تحكموا في تفسير (ابن الله) وتفسير (الكلمة) وتفسير (روح القدس) وتفسير اسم الجلالة (الله) بما ينافي العقل ونصوص العهد القديم والعهد الجديد، فجعلوها متعارضة متناقضة. كل ذلك لإدخال عقيدة قدماء الوثنيين من الهنود والمصريين واليونان على دين أنبياء بني إسرائيل المبني على أساس التوحيد المطلق.

ولكننا نأتي بخلاصة أخرى في الموضوع نرجو أن تكون أوضح وأظهر مما سبق، وأدل على نوع من أنواع إعجاز القرآن، وهو تحديد الحقائق فيما اختلف فيه أهل الكتاب من أمر دينهم مما كان مجهولاً ولغيرهم من البشر، كما وعد الله عز وجل في آيات منه كاختلافهم في المسيح نفسه وفي معنى اسم الله وكلمته، وروحه أو روح القدس فنقول:

قال جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس:

(الله) اسم خالق جميع الكائنات والحاكم الأعظم على جميع العوالم والمعطي كل المواهب الحسنة، والله «روح غير محدود أزلي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته وعدله، وجودته وحقه» وهو يظهر لنا بطرق متنوعة وأحوال مختلفة في أعماله وتدبير عنايته (رو ١: ٢٠) ولا سيما في الكتب المقدسة حيث يتجلى غاية التجلي في شخصيته وأعمال ابنه الوحيد المخلص يسوع المسيح (ثم قال): (طبيعة الله) عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر (مت ٢٨: ١٩ و ٢ كو ١٣: ١٤) الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن (مز ٦: ٣٣ و كو ١: ١٦ و عب ١: ٢٠) وإلى الابن الفدى، وإلى الروح القدس التطهير غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء. أما مسألة التثليث فغير واضحة في العهد القديم كما هي في العهد الجديد، وقد أشير إلى هذا الأمر في تك ص ١ حيث ذكر «الله» و«روح الله» (قابل مز ٦: ٣٣ و يو ١: ٣) «والحكمة الإلهية المشخصة أم ص ٨ تقابل الكلمة» في (يو ص ١) وربما تشير إلى الأقنوم الثاني، وتطلق نعوت على كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة على حدته. (ثم قال):

(وحدة الله) ظاهرة في العهد القديم أكثر منها في العهد الجديد، والتثليث بين في العهد الجديد خفي في العهد القديم، والداعي الأعظم لهذا الأمر إنما هو إظهار لخطأ الشرك بالله ومنع

عبادة الأوثان التي كانت كثيرة الشيوخ في الأزمنة الأولى قديماً ففي تث ٦: ٤ يدعى الله «رباً واحداً» وكان يدعى «الإله الحي» تمييزاً له عن آلهة الوثنيين الكاذبة، والاعتقاد بأن الله واحد بين جداً في ديانة اليهود (ثم قال):

(ابن الله) - دا ٣١: ٢٥ ابن الآلهة - لقب من ألقاب الفادي لا يطلق على شخص آخر سواه إلا حيث يستفاد من القرينة أن المقصود بالملقب غير ابن الله الحقيقي، وقد تسمت الملائكة بني الله (أي ٣٨: ٧) وأطلق هذا الاسم على آدم (لو ٣: ٣٨) إذ أنه هو الشخص الأول المخلوق من الباري راساً. وقد تسمى المؤمنون أبناء الله (رو ٨: ١٤ و ٢ كو ٦: ١٨) وذلك لأنهم أعضاء في عائلة الله الروحية، وأما إذا أريد بهذا اللقب المسيح فيذكر مع التفخيم والعظمة حتى إن القارئ يعرف القصد بكل سهولة.

وهذا اللقب يدل على بيعة المسيح الإلهية، كما أن القول بأنه «ابن الإنسان» يدل على طبيعته البشرية، والمسيح هو ابن الله الأزلي والابن الوحيد (قابل يو ١٨:١ و ١٩:٥ - ٢٦ و ٣٨:٣٥ و ٢٧:١١ و ١٦:١٦ و ٣٧:٢١ و آيات أخرى غير هذه في الرسائل) وذلك إيماء لما هنالك من الألفة العظيمة، و العلاقة الشديدة الكائنة بينهما مما تفوق علاقته كل علاقة بشرية. وإشارة إلى أننا نحن أولاد ليس على سبيل البنوة التي للمسيح ربنا، بل من قبيل البنوة التي أنعم علينا بها بواسطة التبني والتجديد ا هـ. بحروفه.

أقول: إن ما لخصه صاحب هذا القاموس من عقيدة النصارى، هو أوضح ما تعرف به هذه العقيدة بالاختصار المتوخى في هذا القاموس، على غموضه وضعفه في نفسه، وما يذكرونه في عامة كتبهم قلما يفهم المراد منه لما في عباراتها من التعقيد اللفظي والمعنوي في موضوع غير معقول في نفسه. وفيما ذكره مؤاخذات كثيرة نذكر أهم يا يتعلق بموضوعنا هنا منها، ولذلك نغض الطرف عما قاله في بيان المراد من اسم الجلالة لأننا نقلناه تمهيداً لما بعده فنقول:

(١) ما ذكره فيما سماه «طبيعة الله» لا يدل عليه لفظ الاسم الكريم، ولا شيء من كتب الأنبياء في العهد القديم. ولا مما جاء عن متقدميهم في سفر التكوين. فثبت هذه الطبيعة المدعاة لم تكن معروفة عند أنبياء أهل الكتاب قبل النصرانية التقليدية وهي أصل الدين فيها، ونتيجة هذا أن هذه العقيدة متبدعة بعدهم وهم برآء منها.

(٢) إن ما أشار إليه من نص الإنجيل فيها لا يدل عليها، وهو ما في إنجيل متى من قوله في آخره رواية عن المسيح عليه السلام ١٩: ٢٨ «وَعَمَدُوهُمْ بِأَسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»

فهذا اللفظ لا يدل على أن هذه الأسماء الثلاثة عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر وأن كلا منها عين الآخر، وأنه يطلق عليه اسم (الله) الخالق لجميع الكائنات إلى آخر ما ذكره في معنى اسمه عز وجل، ولا على أنها تتقاسم الأعمال الإلهية على السواء كما ادعاه فيما سماه طبيعة الله.

وكذلك ما أشار إليه من رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس وهو قوله في آخرها (١٣: ١٤) نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ) على أننا نعتقد أن بولس هو واضع أساس الديانة النصرانية الحاضرة، وجاء فيها بما لم يؤثر عن المسيح عليه السلام ولا عن تلاميذه الحواريين رضي الله عنهم.

(٣) إن ما ذكر في كتب العهدين من استعمال ابن الله والروح القدس ينافي هذا المعنى ولا يتفق معه بوجه من الوجود كما بيناه في تفسيرنا عند ذكرها في الآيات من سورتي آل عمران والنساء. وقد أشرنا إلى أهمها آنفاً.

(٤) إن ما أشار إليه من عبارة المزمور (٦: ٣٣) ليس فيه أدنى إشارة إلى هذه الطبيعة المتبدعة في هذا التثليث وهذا نصها (بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةٍ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا) وهو يزعم هنا أن المراد بكلمة «الرب» المسيح، تفسيراً لها برأي يوحنا في أول إنجيله، وهذا المعنى للكلمة لم يكن معروفاً لداود عليه السلام ولا لغيره من أنبياء اليهود، بل هو معنى اخترعه الذي كتب إنجيل يوحنا، والمرجح عند بعض المحققين أنه أحد تلاميذ بولس. وكان الدكتور جورج بوست كتب هذا الشاهد هنا قبل أن يكتب تفسير «الكلمة» في قاموسه، وكأنه لما كتبه نسي ما كان كتبه هنا، فإنه قال في الجزء الثاني منه ما نصه: يقصد بالكلمة السيد يسوع المسيح، ولم ترد هذه الكلمة بهذا المعنى إلا في مؤلفات يوحنا هـ. فكيف فسر بها عبارة المزمور إذًا؟

وكذلك ما نقله عن رسالتي بولس إلى كولويسي وإلى العبرانيين لا يدل على ما ذكره ولو دل عليها لكان أحد دلائلنا على أن هذه العقيدة قد وضع بولس أساسها، إذ لم يعرفها أحد من أنبياء التوراة قبله عليه السلام ولا المسيح.

(٥) قوله: إن مسألة التثليث غير واضحة في العهد القديم، صوابه: غير موجودة فيه البتة لا بالنص ولا بالظاهر ولا بالفحوى والإشارة الواضحة. على أن هذه العقيدة عند النصارى هي أساس الدين أو ركنه الأعظم، فلو كانت عقيدة إلهية موحى بها إلى الأنبياء لصرحوا كلهم

بها تصريحاً لا يقبل التأويل كما صرحوا بالتوحيد الذي اعترف هو وغيره بأنه ظاهر (وبين جداً) في العهد القديم، وهاتان العقيدتان على أتم التناقض. وما ذكره من الإشارة إليها في أول سفر التكوين بذكر اسم الله ولفظ (روح الله) غير مسلم، فإنه لم يفهم ذلك منهما أحد من اليهود ولا غيرهم قبل ابتداء هذه العقيدة، ولا يجوز بل لا يعقل أن يكون أساس العقيدة في كتاب الله مبهماً لا يفهمه المخاطبون منه كما علمت آنفاً من استشهاد بالزمور (٦:٣٣) وهذان اللفظان موجودان في القرآن المجيد الذي يصرح بكفر القائلين بالتثليث.

(٦) ما ذكره في مسألة (وحدة الله) من سبب التصريح بتوحيد الله تعالى بأقوى النصوص في العهد القديم، وهو سد ذريعة الوثنية التي كانت كثيرة الشيوخ في الأزمنة الأولى وهو حجة عليه، فإن تلك الوثنية التي أراد الله تعالى سد ذرائعها بنصوص التوحيد القطعية لموسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام كان من أركانها عقيدة التثليث الهندية المصرية اليونانية، فما وقع فيه النصراني من الوثنية هو الذي أريد وقاية أتباع الأنبياء منه بتلك النصوص الإلهية في رسائل بولس وأناجيل تلاميذه وعدم تأويلهم لها بما يوافق توحيد جميع الأنبياء ونصوص التنزيه فيها وفي الإنجيل أيضاً.

(٧) إن استشهاد على «كلمة ابن الله» بما جاء في الفصل ٣ من سفر دانيال غريب جداً جداً، فإن عاداته في قاموسه أن يذكر بجانب كل كلمة تفسيراً لها وشاهداً عليها من كلام الله أو كلام الأنبياء، والعبارة التي ذكرها هنا هي كلمة ملك بابل نبوخذ نصر الوثني قالها في أحد الأفراد الذين ألقاهم في أتون النار ولم يحترقوا، وهي «ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة» فلينظر المسلمون أن لله ابناً حقيقياً؟ إنهم يحاولون إثبات هذا أو يريدونه بكلام الوثنيين في عقائدهم، ثم ينكرون أنهم وثنيون.

(٨) إنه حاول أن يفرق بين ما أمر المسيح به المؤمنين من خطابهم لله تعالى في الصلوات بقوله في أول الصلاة الربانية «أبانا الذي في السموات» إلخ وما في معناه كقوله «أبي وأبيكم» وبين روايتهم عنه في بعض المواضع من قوله «أبي» فهو يزعم تقليداً لرؤساء ملته أن إضافة الأب إلى ضمير المتكلم منه عليه السلام وإضافته إلى ضمير الجميع فيما أمرهم به من قول «أبانا» دليل على أن أبوته تعالى له حقيقية وأبوته للمؤمنين على سبيل التبني.

وهذا من أغرب ما يؤثر عنهم من التحكم والابتداع المخالف للغة وللعقل وللنقل الماثور عن الأنبياء، فأبوة الله الحقيقية لبعض البشر أو غيرهم من الخلق لا تعقل، وأبوة التبني تزوير يجلب

الله عنه كما ينتزه عن مجانسة الخلق بالأبوة الحقيقية، والأظهر في هذه الأبوة في كل موضع إن صح النقل أنها مجاز عن الرحمة والرأفة والتكريم، ولا ننكر أن حظ المسيح عليه السلام منها جدير بأن يكون أعلى من حظ يعقوب وإفرايم ودأوج وسليمان ممن أطلق عليهم هذا اللقب في أسفار العهد القديم، ومن الكفقر الصريح والطعن في تنزيه الله عز وجل عندنا وعند كل عاقل مستقل الفكر أن يقال: إن له سبحانه ابناً حقيقياً، وابناً بالتبني، أي أدياً، وهو عز وجل يقول في أبناء التبني الذي كان معهوداً عند العرب وأبطله بالإسلام: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ كُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ٣٣: ٤ و ٥).

وأما الفرق بين ضمير الجمع وضمير المفرد فيما نقلوه فسببه يعرفه العوام كالحواص، وهو أن الجمع للجماعة والمفرد للمفرد، ولو نقلوه عن المسيح عليه السلام أنه كان يقول في صلاته: «أبي الذي في السموات» لكان لهم شبهة في هذه التفرقة. على أنه معارض بقول الرب في داود (مز ٢٦: ٨٩ هو يدعوني أنت أبي) فإذا كانت إضافة لفظ أب إلى ضمير المفرد المتكلم تقتضي أن يكون المضاف إليه ابناً حقيقياً لله تعالى فقد كان هذا الفخر لداود قبل المسيح، وأن لإضافة ابن إلى ضمير الرب المفرد من الاختصاص ما يساوي بل يفوق إضافة لفظ الأب إلى ضمير العبد: وقد تقدم ما في سفر الخروج من قول الرب (٤: ٢٢ ابني بكري إسرائيل) ومثله قوله في سفر إرميا (٣١: ٩ إني صرت أباً لإسرائيل وإفرايم هو بكري) ووصف الأب الابن بكونه بكاراً له يقرب به من الحقيقة أو الاختصاص ما لا يقرب مثله بإضافة الابن اسم أبيه إلى ضمير نفسه، إذ من المعلوم أن المتبني يخاطب متبنيه ويخبر عنه بقوله «أبي» كالابن من الصلب، ولكن الرجل لا يصف من تبناه ولا يخبر عنه بقوله ابني البكر.

(٩) قوله: إن المؤمنين أعضاء في عائلة الله الروحية - ما أملاه عليه إلا أن عقله لا يفهم من لفظ «ابن الله وأبناء الله» إلا المعنى المجازي. ومقتضاه أن كل ما يعقل من نصوص العهد الجديد في إطلاق اللفظ على المسيح بكثرة أو نوع امتياز إنما يراد به أنه عليه السلام كان أفضل من غيره من أعضاء هذه العائلة الروحية المدعاة، والمسلمون لا ينكرون هذا الامتياز فإنهم

يفضلونه - عليه السلام - على أجداده إسرائيل وداود وغيرهما ممن أطلق عليه لقب «ابن الله» في العهد القديم بل يفضلونه على جميع الأنبياء ما عدا إبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١٠) إننا على بحثنا هذا في كلامه لإقامة الحجة على النصارى كلهم ننكر لفظ «عائلة الله» وأمثاله مما يخل بتنزيه الله رب العالمين عما تقتضيه من المجانسة، فهو عز وجل ليس له جنس مادي ولا روحي (ليس كمثله شيء ٤٢: ١١) و(سبحان ربك رب العزة عما يصفون ٣٧: ١٨٠) و(قل الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولو يولد. ولم يكن له كفواً أحد ١١٢: ١ - ٤).

وأما معنى «روح القدس» وبطلان ما زعموه من كونه والله فقد تقدم بيانه مفصلاً في تفسير آية: «وأيدناه بروح القدس ٨٧: ٢) وآية: (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ٤: ١٧١) المشار إليها فيما تقدم قريباً.

(١١) إنه من أجل عداوته للتوحيد، ولتنزيه الخالق عز وجل عن الجنس والولد والشريك، لم يذكر في صفاته عز وجل ما ورد في العهدين القديم والجديد، من تنزهه تعالى عن الند والنظير والشبيه، الذي يجب بحكم العقل أن تؤل لأجله أو تحمل عليه وتقيد به جميع النصوص الدالة على الشبيه، كما جعل المسلمون قوله عز وجل: (ليس كمثله شيء) وقوله: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون» أصل عقيدة التنزيه وقيدوا بها معاني الآيات الموهمة للتشبيه. وقد جاء في سفر الاستثناء من أسفار التوراة (٤: ١٢) فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسْطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلَامٍ، وَلَكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا. ١٥ فَاحْتَفِظُوا جِدًّا لِأَنْفُسِكُمْ. فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً مَا يَوْمَ كَلَّمَكُمُ الرَّبُّ فِي حُورَيْبٍ مِنْ وَسْطِ النَّارِ والعقلاء من اليهود يردون جميع العبارات التي ظاهرها التشبيه والأعضاء للرب تعالى إلى هذا النص النافي للتشبيه.

وقد جاء في إنجيل يوحنا الذي تفرد بأقوى الشبهات على التثليث ما يدل على التنزيه قال (١٨: ١) اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. إِلَّا ابْنُ الْوَحِيدِ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبَّرَ) وفي الرسالة الأولى ليوحنا (٤: ١٢) الله لم ينظره أحد) قط بل قال مثل ذلك أستاذه بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس، فإنه وصاه بحفظ الوصية إلى ظهور المسيح وقال عن هذا الظهور:

(١٥) الَّذِي سَيِّبْنَاهُ فِي أَوْقَاتِهِ الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ، مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ، ١٦ الَّذِي وَخَدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبَدِيَّةُ).

فتبين بما تقدم أن هذه عقيدة التثليث وألوهية المسيح المخالفة لحكم العقل، ليس لها أصل في كتب الأنبياء عليهم السلام لا قطعي ولا الظني، وأن شبهاتها في العهد الجديد ضعيفة ليست نصاً ولا ظاهرة فيها. على أن كتب العهد الجديد لا يوثق بها، فإن النصارى قد أضاعوا أكثر ما كتب من إنجيل المسيح في عصره ثم رفضت مجامعهم المسكونية الرسمية بعد دخول التعاليم الوثنية فيهم قبل الرومانيين أكثر ما وجد عندهم من الأناجيل التي كانت تعد بالعشرات، وقيل بالملئات، واعتمدت أربعاً منها ليس فيها إلا قليلاً مما رواه من أقوال المسيح وأفعاله، كما قال يوحنا في آخر إنجيله: «وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ. آمِينَ» ومن المعلوم بالبدهة أنه كان يقول عندما كان يفعل، فلم تكتب أقواله ولا أفعاله الكثيرة.

وقد تكرر في كتب العهد الجديد ومنها الأناجيل الاربعة ذكر إنجيل المسيح، وفي بعضها يسمى «إنجيل الله» ومن المعلوم بالبدهة أنه لا يراد بهذا الإنجيل أحد هذه التواريخ الأربعة التي تحدث عنه، وفي هذه الكتب أيضاً أنه كان يوجد أناجيل كاذبة وأناجيل محرفة ورسل كذبة. وقد فصلنا القول في مسألة إنجيل المسيح وهذه الأناجيل وأثبتنا عدم الثقة بها وأن مجموعها يثبت ما نطق به كتاب الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو أن النصارى كاليهود نسوا حظاً عظيماً مما ذكروا به وأنهم أوتوا نصيباً منه، وأنهم انتحلوا عقائد وثنية الهند وغيرهم من القدماء في الثالث (فراجع في ص ٢٣٩-٢٥٠ ج ٦ ط الهيئة).

قال الله تعالى (ذلك قولهم بأفواههم) أي ذلك الذي قالوه في عزير والمسيح هو قولهم الذي تلوكه ألسنتهم في أفواههم، ما أنزل به الله من سلطان، لا يتجاوز حركة اللسان، إذ ليس له مدلول في الوجود، ولا حقيقة في مدارك العقول، فهو كقوله تعالى (وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ١٨: ٤ و٥) وفي معناه قوله في التنبى: (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ٣٣: ٤) وقوله في أهل الإفك (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ

بِالْإِسْمِ تَكُونُ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ (١٥: ٢٤) فذكر الأفواه - وكذا الألسنة - مع العلم بها بالحسن لبيان ما ذكر، أي انه قول لا يعدوها ولا يتجاوزها إلى شيء في الوجود فهو كما يقول العوام: «كلام فارغ».

(يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) أي يشابهون ويحاكمون فيه قول الذين كفروا من قبلهم فقالوا هذا القول أو مثله، قيل: إن المراد بهم مشركو العرب الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله. وقيل: إن المراد سلفهم الذين قالوا هذا القول قبلهم، وهذا مبني على أن الكلام في اليهود والنصارى الذين كانوا في عصر نزول القرآن، وإذ لم يصل إلينا أن أحداً من سلف أولئك اليهود في بلاد العرب أو غيرها قالوا عزير ابن الله وإن كان غير بعيد في نفسه ولو كانت الآية نصاً فيه لجزمنا به لأنه عدم وصول نقل إلينا فيه لا يقتضي عدم وقوعه، والراجح المختار أن المراد بكل من اليهود والنصارى في الآية الجنس وهو يصدق بوقوع ذلك من بعضهم في أي عصر كان، والمختار في مضاهاتهم للذين كفروا من قبلهم بصدق في كل من وقع ذلك منهم والله أعلم بهم، وقد علمنا من تاريخ قدماء الوثنيين في الشرق والغرب أن عقيدة الابن الله، والحلول، والتثليث كانت معروفة عند البراهمة في الهند والبوذيين فيها وفي الصين واليابان وقدماء الفرس والمصريين واليونان والرومان، وقد بينا هذا في تفسير آية: (٤: ١٧١) التي تقدمت الإشارة إليها آنفاً وهذا البيان لهذه الحقيقة من معجزات القرآن، فإنه لم يكن يعرفها أحد من العرب ولا ممن حولهم، بل لم تظهر إلا في هذا الزمان. كما يقال مثل هذا فيما بينه من حقيقة أمر كتبهم وسيأتي بيانه قريباً في فصل خاص.

(قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) هذه الجملة تستعمل في اللسان العرب للتعجب، فهو المراد بها لا ظاهر معناها. قال في مجاز الأساس: وقاتله الله ما أفصحه هـ. وحكى النقاش أن أصل «قاتله الله» الدعاء، ثم كثر في استعمالهم حتى قالوه على التعجب في الخير والشر وهم لا يريدون الدعاء هـ. وفسره بعضهم بالدعاء على أن المراد به اللعنة أو الهلاك. والأول أظهر (أَنِّي يُؤْفَكُونَ) تقدم مثل هذه الجملة في الرد على قول الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثه من سورة المائدة إذ قال تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ٥: ٧٥) ومثله في سورة الأنعام بعد الاستدلال على الخالق عز وجل: (ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنِّي تُؤْفَكُونَ ٦: ٩٥) والإفك صرف الشيء عن وجهه (وبابه من وزن ضرب) ويقال: أفك بالبناء تستعمل في صرف العقل والنفس عن الحق

إلى الباطل ونحوه. والمعنى هنا: كيف يصرفون عن حقيقة التوحيد والتنزيه للخالق عز وجل، وهو الذي تجزم به العقول والذي بلغه عن الله تعالى كل رسول فهو جمع بين المعقول والمنقول، ويقولون هذا القول الذي لا يقبله عقل، ولم يصح به عن أنبياء الله ورسله نقل؟ فأين عزيز والمسيح من رب العالمين، الخالق لهذا الكون العظيم، الذي وصل من عجائب سعته إلى علم البشر القليل أن بعض شموسه لا يصل نورها إلى الأرض إلا بعد قطع الملايين من السنين النورية - فهل يليق بعقل من هذه الدواب التي تعيش على هذه الذرة الصغيرة منه (وهي الأرض) أن يجعل لخالقه كله ومدير أمره ولداً وعائلة من جنسه، وأن يرتقي به الغرور إلى أن يجعل واحداً منهم هو الخالق له والمدير لأمره، مع العلم بأنه ولد من امرأة وكان يأكل ويشرب ويتعب ويتألم الخ...؟! (وما قدروا لله حق قدره والأرض جميعاً ٣٩: ٦٧) و (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ٢١: ٢٦-٢٩).

وفي الآية من القراءات تنوين (عزيز) بناء على أنه عربي بما تصرف به العرب فجعلته بصيغة اسم التصغير، وأن (ابن الله) خبر عنه لا وصف له وهو المروي عن عاصم والكسائي ويعقوب، وقرأه الباقون بغير تنوين بناء على أنه اسم أعجمي فاجتمع فيه علتنا العلمية والعجمة. وفيه وجه آخر في الإعراب. وقرأ عاصم ومن أخذ عنه (يضاهون) بالهمز والباقون (يضاهون) من الناقص وهما لغتان.

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) هذا استئناف بين به ما في قوله: (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) من الإجمال فإن أهل الكتاب لو أطلقوا لقب ابن الله على عزيز والمسيح إطلاقاً مجازياً، كما أطلق في كتبهم، ولم يضاهئوا به من قبلهم من الوثنيين لما كانوا به كفارق وإنما كانوا كفاراً بهذه الوثنية التي أشير إليها بهذه المضاهاة وبينها بهذه الآية.

الأخبار: جمع حبر - بفتح الحاء المهملة وكسر ها - وهو العالم من أهل الكتاب والرهبان: جمع راهب، ومعناه في اللغة الخائف، وهو عند النصارى المتبتل المنقطع للعبادة، والرهبانية في النصرانية بدعة، كما قال تعالى في سورة الحديد: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ٥٧: ٢٧) وكانت نيتهم فيها صالحة كما قال تعالى: (إلا ابتغاء رضوان الله) ذلك بأن الأصل

فيها تأثير مواعظ المسيح عليه السلام في الزهد والإعراض عن لذات الدنيا، ثم صار أكثر منتحليها من الجاهلين والكسالى فكانت عبادتهم صورية أعقتهم رياء وعجباً وغروراً بأنفسهم، وبتعظيم العامة لهم، ولذلك قال تعالى: (فما رعوها حق رعايتها) ولما صارت النصرانية ذات تقاليد منظمة في القرن الرابع وضع رؤسائهم نظم وقوانين للرهبانية ولمعيشتهم في الأديار. وصار لها عندهم فرق كثيرة يشكو بعض أحرارهم من مفاسدهم فيها. فكان ذلك مصداقاً لقوله تعالى في سلفهم المخلصين: (فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وفي خلفهم المرائين (وكثير منهم فاسقون ٥٧: ٢٧) وهذه الآية من تحرير القرآن للحقائق في المسائل الكبيرة بعبارة وجيزة هي الحق المفدي فيها. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرهبانية في الإسلام لما سنبينه في تفسير سورة الحديد.

والمعنى: اتخذ كل من اليهود والنصارى رؤساء الدين فيهم أرباباً. فاليهود اتخذوا أحبارهم وهم علماء الدين فيهم أرباباً، بما أعطوهم من حق التشريع فيهم وأطاعوهم فيه، والنصارى اتخذوا رهبانهم أي عبادهم الذين يخضع العوام لهم أرباباً كذلك، والأظهر أن يكون المراد من الأبحار والرهبان جملة رجال الدين في الفريقين أي من العلماء والعباد.

رسول الله (من أسماء المسيح وصفاته)

يرد اللقب «رسول»

مختصاً بالمسيح ٨ مرات واضحاً

و ٤ مرات ضمناً

البقرة ٨٧:٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

آل عمران ٤٨:٣ و ٤٩ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٩ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

آل عمران ٥٢:٣ و ٥٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

النساء ١٥٧:٤ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

المائدة ٧٠:٥ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ.

المائدة ٧٥:٥ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

المائدة ١١٠:٥ و ١١١ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ١١١ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

الحجر ١٠:١٥ و ١١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ١١ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.

يس ٣٠:٣٦ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.

الذاريات ٥٢:٥١ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ.

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

ملاحظات عن عبارة رسول الله

وُلد المسيح بحسب القرآن وحده من دون الرسل أجمعين نبياً إذ نطق في المهد وقال: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ إِنِّي آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا» (سورة مريم ١٩: ٣٠). تنبأ في المهد وكهلاً (سورة آل عمران ٣: ٤٦)، وهذه ميزة انفرد بها على الرسل.

وقد استجمع الله فيه الوحي كله: «وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ» (سورة آل عمران ٣: ٤٨) وهذه ميزة أخرى انفرد بها على الرسل أجمعين. وكانت رسالته بالكلمة والقدرة والمعجزة، فرسالته صورة لسيرته، وسيرته مثال لرسالته. وهو في كليهما معجزة: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ» (سورة النساء ٤: ١٧١). وفي هذا الجمع ميزة خاصة به على المرسلين.

وميزه الله وفضله على العالمين والمرسلين أجمعين بتأييد روح القدس له في سيرته ورسالته: «وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (سورة البقرة ٢: ٨٧، سورة المائدة ٥: ١١٠). فكان المسيح رسولاً وكانت رسالته معجزة الرسالات فالمسيح رسول الله الفريد.

تفسير سورة آل عمران ٣: ٤٨ و ٤٩

تفسير ابن كثير الجزء الأول صفحة ٣٦٤-٣٦٥

آل عمران ٣: ٤٨ و ٤٩ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٩ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

يقول تعالى مخبراً عن تمام بشاراة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام. إن الله يعلمه

الكتاب والحكمة، الظاهر أن المراد بالكتاب ههنا الكتابة، والحكمة تقدم تفسيرها في سورة البقرة، والتوراة والإنجيل فالتوراة هو الكتاب الذي أنزل على موسى بن عمران، والإنجيل الذي أنزل على عيسى بن مريم عليهما السلام. وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا وقوله (وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قائلاً لهم (أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ) وكذلك كان يفعل يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عياناً بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله (وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ) قيل إنه الذي يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً، وقيل بالعكس، وقيل الأعشى، وقيل الأعمش، وقيل هو الذي يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي (وَالْأَبْرَصَ) معروف (وَأُخِيي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) قال كثير منا لعلماء بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار. وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأتبار وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد. وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وما ذاك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً، وقوله (وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخر له في بيته لغد (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي في ذلك كله (لَآيَةً لَّكُمْ) أي على صدقي فيما جئتكم به (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ومصدقاً لما بين يدي من التوراة) أي مقررأ لها ومثبتاً (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين. ومن العلماء من قال لم ينسخ منها شيئاً، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ وانكشف لهم عن الغطاء في ذلك كما قال في الآية الأخرى (ولأبين لكم بعض الذي

تختلفون فيه) والله أعلم. ثم قال (وجئتكم بآية من ربكم) أي بحجة ودلالة على صدقي فيما أقوله لكم (فاتقوا الله وأطيعون، إن الله ربي وربكم فاعبدوه) أي أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه (هذا صراط مستقيم).

تفسير الرازي الجزء الثامن صفحة ٥٨-٥٩

آل عمران ٤٨:٣ و ٤٩ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٩ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

فقالوا له. ليسوا في البيت فقال، فمن في هذا البيت؟ قالوا خنازير. قال عيسى عليه السلام: كذلك يكونون. فإذا هم خنازير.

(والقول الثاني) إن الإخبار عن الغيوب إنما ظهر وقت نزول المائدة، وذلك لأن القوم نهوا عن الإدخار، فكانوا يخزنون ويدخرون، فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بذلك.

(المسألة الثانية) الإخبار عن الغيوب على هذا الوجه معجزة، وذلك لأن المنجمين الذين يدعون استخراج الخبر لا يمكنهم إلا عن سؤال يتقدم ثم يستعينون عند ذلك بآلة ويتوصلون بها إلى معرفة أحوال الكواكب، ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيراً، فأما الإخبار عن الغيب من غير استعانة بآلة، ولا تقدم مسألة لا يكون إلا بالوحي من الله تعالى.

ثم إنه عليه السلام ختم كلامه بقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

والمعنى إن في هذه الخمسة لمعجزة قاهرة قوية دالة على صدق المدعي لكل من آمن بدلائل المعجزة في الحمل على الصدق وعلى من افترى دالة أصل المعجزة على صدق المدعى، وهم البراهمة، فإنه لا يكفيه ظهور هذه الآيات، أما من آمن بدلالة المعجز على الصدق لا يبقى له في هذه المعجزات كلام البتة.

تفسير سورة آل عمران ٥٢:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٥٣:٣

تفسير الرازي الجزء الثامن صفحة ٦٤-٦٥

٥٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

واعلم أنهم لما أشهدوا عيسى عليه السلام على إسلامهم تضرعوا إلى الله تعالى، وقالوا (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) وذلك لأن القوم آمنوا: بالله حين قالوا: في الآية المتقدمة (آمنا بالله) ثم آمنوا بكتب الله تعالى حيث قالوا (آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ) وآمنوا برسول الله حيث، قالوا (وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) فعند ذلك طلبوا الزلفة والثواب، فقالوا (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين، ويفضل على درجته، لأنهم هم المخصوصون بأداء الشهادة قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (والثاني) وهو منقول أيضاً عن ابن عباس (اَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أي اكتبنا في زمرة الأنبياء لأن كل نبي شاهد لقومه قال الله تعالى (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين).

وقد أجاب الله تعالى دعاءهم وجعلهم أنبياء ورسلًا، فأحيوا الموتى، وصنعوا كل ما صنع عيسى عليه السلام.

(والقول الثالث) (اَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أي اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولأنبيائك بالتصديق، والمقصود من هذا أنهم لما أشهدوا عيسى عليه السلام على إسلام أنفسهم، حيث قالوا (وأشهد بأننا مسلمون) فقد أشهدوا الله تعالى على ذلك تأكيداً للأمر، وتقوية له، وايضاً طلبوا من الله مثل ثواب كل مؤمن شهد لله بالتوحيد ولأنبيائه بالنبوة.

(القول الرابع) إن قوله (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) إشارة إلى أن كتاب الأبرار إنما يكون في السموات مع الملائكة قال الله تعالى (كلا إن كتاب الإبرار لفي عليين) فإذا كتب الله ذكرهم مع الشاهدين المؤمنين كان ذكرهم مشهوراً في الملأ الأعلى وعند الملائكة المقربين.

(القول الخامس) أنه تعالى قال (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) فجعل أولو العلم من الشاهدين، وقرن ذكرهم بذكر نفسه، وذلك درجة عظيمة، ومرتبة عالية، فقالوا (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أي أجعلنا من تلك الفرقة الذين قرنت ذكرهم بذكرك.

(القول السادس) أن جبريل عليه السلام لما سأل محمد صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال «أن تعبد الله كأنك تراه» وهذا غاية درجة العبد في الاشتغال بالعبودية، وهو أن يكون العبد في مقام الشهود، لا في مقام الغيبة، فهؤلاء القوم لما صاروا كاملين في درجة الاستدلال أرادوا الترقى من مقام الاستدلال، إلى مقام الشهود والمكاشفة، فقالوا (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ).

(القول السابع) إن كل من كان في مقام شهود الحق لم ييال بما يصل إليه من المشاق والآلام. فلما قبلوا من عيسى عليه السلام أن يكونوا ناصرين له، ذابن عنه، قالوا (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أي اجعلنا ممن يكون في شهود جلالك، حتى نصير مستحقين لكل ما يصل علينا من المشاق والمتاعب فحينئذ يسهل علينا الوفاء بما التزمناه من نصرة رسولك ونبيك.

تفسير سورة النساء ٤: ١٥٧ و ١٧١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ٧٥ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١١

تفسير الطبري الجزء السابع صفحة ١٢٨

١١١ وَإِذْ أُوحِثُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

يقول تعالى ذكره: واذكر أيضاً يا عيسى، إذ ألقيت إلى الخواريين وهم وزراء عيسى على دينه، وقد بينا معنى ذلك، ولم قيل لهم الخواريون فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله (وَإِذْ أُوحِثُ) وإن كانت متفقة المعاني، فقال بعضهم بما حدثني به محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وَإِذْ أُوحِثُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ) يقول قذفت في قلوبهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: ألهمتهم.

فتأويل الكلام إذن: وإذ ألقيت إلى الخواريين أن صدقوا بي وبرسولي عيسى. فقالوا: آمنا: أي صدقنا بما أمرتنا أن نؤمن يا ربنا، واشهد علينا بأننا مسلمون، يقول: واشهد علينا بأن خاضعون لك بالذلة سامعون، مطيعون لأمرك.

تفسير سورة الصف ٦١: ٦ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

رُسل الله (من أسماء المسيح وصفاته)

نخبة من ٢٩ آية عن رسل الله

٤ منها متعلقة بالمسيح مباشرة

والباقي ضمناً

سورة البقرة ٨٧:٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

البقرة ٩٨:٢ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ.

البقرة ٢٥٣:٢ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

آل عمران ١٤٤:٣ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ.

آل عمران ١٧٩:٣ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَاٰمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ.

النساء ١٣٦:٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.

النساء ١٥٠:٤ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا.

النساء ١٥٢:٤ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا.

النساء ١٦٤:٤ و ١٦٥ رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ١٦٥ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

المائدة ١٩:٥ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

المائدة ١٠٩:٥ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

هود ٥٩:١١ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ.

ملاحظة: يعني الرسل التي أرسلوا إلى قوم عاد (الطبري، ١٢: ٦١-٦٢)

هود ١١: ١٢٠ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ.

يوسف ١٢: ١١٠ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

إبراهيم ١٤: ٤٤ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ.

إبراهيم ١٤: ٤٧ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ.

النحل ١٦: ٣٥ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

المؤمنون ٢٣: ٥١ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٥٢ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ.

ص ٣٨: ١٤ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ.

ملاحظة: هذه الآية غير متعلقة بالمسيح مباشرة ولكن مبدئياً ومعنوياً.

غافر ٤١: ١٤ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.

الأحقاف ٤٦: ٣٥ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ.

أولو العزم: عطاء الخراساني: «نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد» (الطبري،

٣٧:٢٦)

ق ١٤:٥٠ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ.

ملاحظة: ليس هذا اللقب متعلق بالمسيح مباشرة لكن مبدئياً ومعنوياً.

الحديد ٢١:٥٧ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

الحديد ٢٥:٥٧ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ.

الحشر ٦:٥٩ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

المرسلات ١١:٧٧ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ.

تفسير سورة البقرة ٢: ٢٥٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤: ١٧١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١٩:٥

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ٣٥-٣٦

المائدة ١٩:٥ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

يقول تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد ارسل إليهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال على فترة من الرسل أي بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى بن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال أبو عثمان النهدي وقتادة في رواية عنه كانت ستمائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خسمائة وستون سنة وقال معمر عن بعض أصحابه خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى عليه السلام عن الشعبي أنه قال ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة والمشهور هو القول الأول وهو أنها ستمائة سنة ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة ولا منافاة بينهما فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية والآخر أراد قمرية وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً) أي قمرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب وكانت الفترة بين عيسى بن مريم وآخر أنبياء بين إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي» وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود أن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير الأديان وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به أتم

النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام حدثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حماد المجاشعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته «وإن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل مال نحلته عبادي حلال وإن خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإن الشياطين أتتهم فاضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من بين إسرائيل وقال إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأ نائماً ويقظاً، ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت يا رب إذن يثاغوا رأسي فيدعوه حبرة فقال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نعزك وأنفق عليهم فستنفق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسة أمثاله وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق متصدق ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قرى ومسلم ورجل عفيف فقير ذو عيال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا دين له والذين هم فيكم تبع أو تبعوا - شك يحيى - لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفي له طمع وإن دق الإخانة، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخيل أو الكذب والشنطير الفاحش ثم رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي من غير وجه عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير وفي رواية شعبة عن قتادة التصريح بسماع قتادة هذا الحديث من مطرف وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده أن قتادة لم يسمعه من مطرف وإنما سمعه من أربعة عنه ثم رواه هو عن روح عن عوف عن حكيم الأثرم عن الحسن قال حدثني مطرف عن عياض بن حماد فذكره ورواه النسائي من حديث غندر عن عوف الأعرابي به والمقصود من إيراد هذا الحديث قوله «وإن الله نظر إلى أهل الأرض كلهم حتى بعث الله محمداً ﷺ فهدى الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشرعة الغراء ولهذا قال تعالى (أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) أي لئلا تحتجوا وتقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيره ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر فقد جاءكم بشير ونذير يعني محمداً ﷺ (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال ابن جرير معناه إن يقادر على عقاب من عصاني وثواب من أطاعني.

كلمة الله (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد عبارة «كلمة» عن المسيح ٥ مرات

آل عمران ٣: ٣٩ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.

آل عمران ٣: ٤٥ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

آل عمران ٣: ٦٤ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

النساء ٤: ١٧١ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

الأعراف ٧: ١٥٨ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

ملاحظات وأحاديث وتفسير عن العبارة «كلمة الله» بنسبة المسيح

يعرّف القرآن المسيح بهذا الاسم الكريم، قبل ولادته في آل عمران ٣٩.

قال الرازي في تفسير لآل عمران ٣: ٤٥: «كلمة من الله: أي كتاب من الله، وهو قول

أبي عبيدة. واختيار الجمهور أن المراد (بكلمة الله) هو عيسى.

وقال ابن عباس: أن يحيى كان أكبر سناً من عيسى بستة أشهر. وكان يحيى أول من آمن وصدّق بأنه كلمة الله وروحه».

يقطع القرآن الطريق على كل تفسير منحرف لمعنى «كلمة منه» بعد إعلان ولادة المسيح في آل عمران ٤٥، بهذا البديل المرادف: «اسمه المسيح عيسى ابن مريم». فالملائكة تبشر مريم بشخص يولد منها اسمه كلمة الله وليس بمخلوق بل بشخص ينبثق منه.

وبعد ولادة المسيح يأتي محمد ويثبت بأنه «يؤمن بالله وكلمته» (سورة الأعراف ٧: ١٥٨) على قراءة ثابتة أجمع عليها أغلب المحدثين والمفسرين.

فقال الطبري: «عند قتادة والطبري آياته، عند مجاهد والسدي «عيسى بن مريم» على قراءة «كلمته» (٨٦: ٩-٨٧).

ويقول البضاوي: «وقرئ «كلمته» على إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى «هو عيسى بن مريم» (الخازن ٢: ٢٤٩).

والقرآن في التعريف الشامل الكامل للمسيح، يعرف به أنه «كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ» (سورة النساء ٤: ١٧١). فالقرآن يرادف بين (كلمة الله) وبين (روح منه). وبهذا الترادف يفسر اللقبان بعضهما بعض، ويمنعان من تهوّر المفسرين. فلقب روح الله يوضح أن الكلمة شخص لا مجرد كلام، وإن هذا الشخص «الكلمة» هو «روح الله» أو «روح من الله» وليس بشخص عادي فقط.

قال ابن العربي: «جمع الله بين الصورة والروح فكان نشأة تامة ظاهره بشر وباطنه ملك، فهو روح الله وكلمته» (الفتوحات المكية، ابن العربي ٢: ٣٤).

عن ابن عباس في تفسيره لآل عمران ٣: ٣٩: «وكانت أم يحيى تقول لمريم: اني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك» فذلك تصديقه بعيسى وسجوده في بطن أمه (الطبري ٣، ٢٥٩)

تفسير سورة آل عمران ٣: ٣٩ انظر (زكريا من أجداد المسيح)

تفسير سورة آل عمران ٣: ٤٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٣: ٦٤

تفسير ابن كثير الجزء الأول صفحة ٣٧١-٣٧٢

آل عمران ٣: ٦٤ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ) والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ثم وصفها بقوله (سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ثم فسرنا بقوله (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا) لا وثناً ولا صليلاً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ثم قال تعالى (وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) وقال ابن جريج: يعني يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله وقال عكرمة يسجد بعضنا لبعض (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) أي فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم. وقد ذكرنا في شرح البخاري عند روايته من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن أبي سفيان في قصته حين دخل على قيصر فسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ونعته وما يدعو إليه فأخبره بجميع ذلك على الجلية، مع أن أبا سفيان إذ ذاك كان مشركاً لم يسلم إلا بعد، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح كما هو مصرح به في الحديث، ولأنه لما سأله هل يغدر؟ قال: فقلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها قال ولم يمكني كلمة أزيد فيها شيئاً سوى هذه والغرض أنه قال ثم جيء بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من أتبع

الهدى أما بعد فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجره مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)»

وقد ذكر محمد بن إسحق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها
نزلت في وفد نجران وقال الزهري: هم أول من بذل الجزية ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد
الفتح فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل في جملة الكتاب وبين ما ذكره
محمد بن إسحق الزهري؟ والجواب من وجوه (أحدها) يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين مرة
قبل الحديبية ومرة بعد الفتح (الثاني) يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران إلى
هذه الآية وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك ويكون قول ابن إسحق إلى بضع وثمانين آية ليس
بمحفوظ لدلالة حديث أبي سفيان (الثالث) يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية وأن
الذي بذلوه مصالحة عن المباهلة لا على وجه الجزية بل يكون من باب المهادنة والمصالحة ووافق
نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك كما جاء فرض.

تفسير محمد عبده الجزء الثالث صفحة ٢٦٨-٢٧٢

سورة آل عمران ٣: ٦٤ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ
إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

إلى المباهلة لم يبق إلا أن يأمر نبيه بأن يدعوهم إلى الحق الواجب اتباعه في الغيمان، وذلك
قوله: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) الآية.

قال الأستاذ الإمام: الكلام من أول السورة في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والرد
على المنكرين، وقد ظهر بالدعوة إلى المباهلة انقطاع حجاج المكابرين، ودل نكولهم عنها على
أنهم ليسوا على يقين من اعتقادهم ألوهية المسيح. وفقد اليقين يتزلزل عندما يدعى إلى شيء
يخاف عاقبته، فلما نكلوا دعاهم إلى أمر آخر هو أصل الدين فيه طرف على آخر، وقد فسره
بقوله: (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) أقول:
المراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية، وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء، وفقد
كان إبراهيم موحداً صرفاً. وقد كان الأساس الأول لشريعة موسى قول الله له: «إن الرب

إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق، ومما في الأرض من تحت، ومما في المساء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن» وعلى هذا درج جميع أنبياء بين إسرائيل حتى المسيح عليه الصلاة والسلام، وهم لا يزالون ينقلون عنه في إنجيل يوحنا قوله (يو ١٧: ٣) «وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ إِلَهِ الْحَقِّقِيِّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» وغير ذلك من عبارات التوحيد، وكان يحتج على اليهود بعدم إقامتهم ناموس موسى (شريعته) وهو لم ينسخ من هذا الناموس إلا بعض الرسوم الظاهرة والتشديدات في المعاملة أما الوصايا العشر - ورأسها التوحيد والنهي عن الشرك - فلم ينسخ منها شيئاً.

قال الأستاذ الإمام: المعنى أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد، والتصرف فيه لإله واحد، وهو خالقه ومدبره وهو الذي يعرفنا على السنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ورفض الشبهات التي تعرض لها، حتى إذا سلمنا أن فيما جاءكم من نبأ المسيح شيئاً فيه لفظ ابن الله خرجناه جميعاً على وجه لا ينقض الأصل الثابت العام الذي اتفق عليه الأنبياء. فإن سلمنا أن المسيح قال إنه ابن الله، قلنا: هل فسر هذا القول بأنه إله يعبد؟ وهل دعا إلى عبادته وعبادة أمه أم كان يدعو إلى عبادة الله وحده؟ لا شك أنكم متفقون معنا على أنه كان يدعو إلى عبادة الله وحده والإخلاص له بالتصريح الذي لا يقبل التأويل. وأقول: إن كلامه عن نفسه كان أكثره من باب الكناية أو المجاز، بل كان بعضه من قبيل المعميات والألغاز، حتى إن تلاميذه لم يكونوا يفهموه إلا بعد تفسيره، ولقد كان هذا التفسير يتأخر أحياناً إلى أمد بعيد، ولفظ «ابن الله» أطلق في كتب العهد العتيق على إسرائيل وغيره فهو مجاز قطعاً، أما هذه النزعات الوثنية التي دخلت على الدين فقد دخلت بعده وليس لواضعيها سند من كلامه، وإنما يروجونها بأقيسة باطلة جرى عليها كثير من الوثنيين من قبل ومن بعد كقول مشركي العرب: (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ٣: ٣٩) وقولهم: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله ١٨: ١٠).

قلنا: إن الآية قررت وحدانية وحدانية الألوهية ووحداية البربوية، فأما وحدانية الألوهية فهي قوله: (ألا نعبد إلا الله) وأكده بقوله: (ولا نشرك به شيئاً) والإله هو المعبود الذي توله العقول في معرفته وتدعوه وتصمد إليه لاعتقادها أن السلطة الغيبية له وحده، وأما وحدانية الربوبية فهي قوله: (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) فالرب: هو السيد المربي الذي

يطاع فيما يأمر وينهي، والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحرير كما ورد في حديث عدي بن حاتم قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعتة يقرأ في سورة براءة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ٩: ٣١) فقلت له: يار رسول الله لم يكونوا يعبدونهم، فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمون، ويحلون ما حرم الله فيحلون»؟ فقلت: بلى. وسئل حذيفة رضي الله عنه عن الآية؟ فأجاب بمثل ذلك.

قال الأستاذ الإمام: كان اليهود موحدين ولكن كان عندهم شيء هو منبع شقائهم في كل حين، وهو اتباع رؤساء الدين فيما يقررونه وجعله بمنزلة الأحكام المنزلة من الله تعالى. وجرى النصارى على ذلك وزادوا مسألة غفران الخطايا، وهي مسألة تفاقم أمرها في بعض الأزمان حتى ابتلعت بها الكنائس أكثر أملاك الناس، ومن الغلو فيها ولدت مسألة البروتستانت إذ قاموا فقالوا: هلم بنا نترك هؤلاء الأرباب من دون الله ونأخذ الدين من كتابه لا نشرك معه في ذلك قول أحد.

قال تعالى: (فإن تولوا) وأعرضوا عن هذه الدعوة وأبوا إلا أن يعبدوا غير الله باتخاذ الشركاء الذين يسمونهم وسطاء وشفعاء واتخاذ الأرباب الذين يحلون لهم ويحرمون (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) نعبد الله وحده مخلصين له الدين لا ندعو سواه ولا نتوجه إلى غيره في طلب نفع ولا دفع ضرر، ولا نحل إلا ما أحله ولا نحرم إلا ما حرمه.

قال الأستاذ الإمام: الآية حجة على أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ بقول أحد ما لم يسنده إلى المعصوم. أقول: يعني في مسائل الدين البحتة والعبادات والحلال والحرام، أما المسائل الدنيوية كالقضاء والسياسة فهي مفوضة بأمر الله إلى أولى الأمر، وهم رجال الشورى من أهل الحل والعقد، فما يقررونه يجب على حكام المسلمين أن ينفذوه وعلى الرعية أن يقبلوه.

تفسير سورة النساء ٤: ١٧١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

قول الحق (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد هذه العبارة «قول الحق» عن المسيح

مرة واحدة واضحاً ومرة واحدة ضمناً

مريم ٣٤:١٩ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

الأنعام ٧٣:٦ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ.

ملاحظات عن عبارة قول الحق

لقب جديد للمسيح «قول الحق» انفرد به على سائر الأنبياء والمرسلين وقد ورد أيضاً في سورة الأنعام ٧٣:٦. وقد قيل لعيسى «كلمة الله وقول الحق» لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، والحق في العبارة ليس سوى اسم الله الأعظم.

تفسير سورة مريم ٣٤:١٩ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

روح الله (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد العبارة «روح منه» مرة واحدة

والعبارة «من روحنا» مرتين

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

الأنبياء ٩١:٢١ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.

التحریم ١٢:٦٦ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ.

ملاحظات وتفسير عن عبارة روح الله

يصف القرآن عيسى ابن مريم بأنه «روح منه» (سورة النساء ١٧١:٤).

يورد الطبري فيما يتعلق بمعنى «الروح» ثلاثة أقوال وهي: «نفخة منه» أو «حياة منه» (أي

الله) أو «جبريل» (الطبري ٣٥:٦-٣٦).

يقول البيضاوي في تفسيره للآية: «ذو روح صدر منه تعالى، لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له. وقيل: سمي روحاً لأنه كان يحيي الأموات والقلوب». فروح الله الذي ألقى إلى مريم في عيسى هو روح منه تعالى مباشرة، ودليل مصدره الإلهي الذاتي أنه قادر مثل الله على إحياء الأموات.

وفسره الرازي، مستجمعاً كل التفاسير: «بأنه كان سبباً لحياة الخلق في أديانهم».

تفسير سورة النساء ١٧١:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الأنبياء ٩١:٢١

تفسير الطبري الجزء السابع عشر صفحة ٨٤

الأنبياء ٩١:٢١ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً
لِلْعَالَمِينَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر التي أحصت فرجها، يعني مريم بنت عمران. ويعني بقوله (أَحْصَتْ) : حفظت، ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه.

واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناءه أنها أحصته. فقال بعضهم: عني بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة.

وقال آخرون: عني بذلك جيب درعها أنها منعت حبرئيل منه قبل أن تعلم أنه رسول ربها، وقبل أن تثبته معرفة. قالوا: والذي يدل على ذلك قوله (فَنَفَخْنَا فِيهَا) ويعقب ذلك قوله (وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا) قالوا: وكان معلوماً بذلك أن معنى الكلام: والتي أحصت جيبها (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا).

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك، قول من قال: أحصت فرجها من الفاحشة، لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه، والأظهر في ظاهر الكلام (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا) يقول: فنفخنا في جيب درعها من روحنا. وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله (فَنَفَخْنَا فِيهَا) في غير هذا الموضع. والاولى بالصواب من القول في ذلك فميا مضى بما أغنى عن إعادته في هذه الموضع.

وقوله (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) يقول: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما، ويتفكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء: وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين، لان معنى الكلام: جعلناهما علماً لنا وحجة، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله، وعلى عظيم قدرته، يقوم مقام الآخر إذا كان أمرهما في الدلالة على الله واحداً.

تفسير الرازي الجزء الثاني والعشرون صفحة ٢١٨

الأنبياء ٩١:٢١ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً
لِلْعَالَمِينَ.

(أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا) إحصاناً كلياً من الحلال والحرام جميعاً، كما قالت - ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا - فإن قلت: نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه قال الله تعالى - فإذا سويته ونفخت فيه من روحي (أي أحببته، وإذا ثبت ذلك كان قوله (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا) ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم. قلت: معناه نفخنا الروح في عيسى فيها: أي أحييناه في جوفها، ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان: أي نفخت في المزمار في بيته. قوله تعالى (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا) قال (إن قلت: نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه، وحيث يكون معناه فأحيينا مريم ويشكل إذ ذاك. قلت: معناه فنفسنا الروح في عيسى في مريم أي أحييناه في جوفها انتهى فاقدفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل - أن تكون الضمائر كلها راجعة إلى موسى، أما الأول فلا إشكال فيه، وأما التابوت إذا قذف في اليم وموسى فيه فقد قذف موسى في اليم، وكذلك الثالث، واختار غيره عود الضميرين وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لأنه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها. فإن قلت: هلا قيل آيتين كما قال - وجعلنا الليل والنهار آيتين - قلت: لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فعل.

تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة ١٩٤

الأنبياء ٩١:٢١ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً
لِلْعَالَمِينَ.

هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليه السلام مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام فيذكر أولاً قصة زكريا ثم يتبعها بقصة مريم لأن تلك مربوطه بهذه فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب، فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر. هكذا وقع في سورة آل عمران وفي سورة مريم. وها هنا ذكر قصة زكريا ثم اتبعها بقصة مريم بقوله (وَالَّتِي أَحْصَنْتَ

فَرْجَهَا) يعني مريم عليها السلام كما قال في سورة التحريم (وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) وقوله (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) أي دلالة على أن الله على كل شيء قدير، وأنه يخلق ما يشاء، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. وهذا كقوله (ولنجعله آية للناس) قال ابن حاتم حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثنا أبو عصام الضحاك بن مخلد عن شعيب يعني ابن بشير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (للعالمين) قال العلامي الجن والأنس.

تفسير في ظلال القرآن الجزء الخامس صفحة ٥٥٩-٥٦٠

الأنبياء ٩١:٢١ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.

أخيراً يذكر مريم بمناسبة ذكر ابنها عليه السلام:

«وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ»..

ولا يذكر هنا اسم مريم، لأن المقصود في سلسلة الأنبياء هو ابنها - عليه السلام - وقد جاءت هي تبعاً له في السياق. إنما يذكر صفتها المتعلقة بولدها: «وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا». أحصنته فصانته من كل مباشرة. والإحصان يطلق عادة على الزواج بالتبعية، لأن الزواج يحصن من الوقوع في الفاحشة. أما هنا فيذكر في معناه الأصيل، وهو الحفظ والصون من كل مباشرة شرعية أو غير شرعية. وذلك تنزيهاً لمريم عن كل ما رماها به اليهود مع يوسف النجار الذي كان معها في خدمة الهيكل. والذي تقول عنه الأناجيل المتداولة، إنه كان قد تزوجها ولكنه لم يدخل بها ولم يقربها.

لقد أحصنت فرجها «فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا» والنفخ هنا شائع لا يحدد موضعه كما في سورة التحريم - وقد سبق الحديث عن هذا الأمر في تفسير سورة مريم - ومحافظة على أن نعيش في ظلال النص الذي بين أيدينا فإننا لا نفصل ولا نطول، فنمضي مع النص إلى غايته:

«وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ»..

وهي آية غير مسبوقة ولا ملحوقة. آية فذة واحدة في تاريخ البشرية جميعاً. ذلك أن المثل الواحد من هذا النوع يكفي لتأمله البشرية في أجيالها جميعاً، وتدرك القدرة الطليقة التي تخلق النواميس، ولكنها لا تحتبس داخل النواميس.

تفسير سورة التحريم ١٢:٦٦ انظر (مريم من أجداد المسيح)

آية الله (من أسماء المسيح وصفاته)

يرد اللقب «آية الله» عن المسيح ٣ مرات

مريم ٢١:١٩ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.

الأنبياء ٩١:٢١ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.

المؤمنون ٥٠:٢٣ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

ملاحظات عن العبارة أن المسيح آية الله

المسيح بحسب القرآن «آية» البشرية وآية الدهور بسبب ولادته. وهذا شرف لم ينله إبراهيم خليل الله، ولم يحظ به موسى كلیم الله، ولم ينسب مطلقاً إلى محمد خاتم النبيين. كل البشر ولدوا بحسب ناموس الطبيعة البشرية، أما المسيح فوحده وُلد من أم عذراء لم يمسسها بشر. وهو آية في طفولته (سورة المؤمنون ٥٠:٢٣) وآية في رسالته (سورة البقرة ٨٧:٢ و٢٥٣). وهو آية في آخرته (سورة آل عمران ٥٥:٣) وهو آية في يوم الدين (سورة الزخرف ٤٣:٦١ وآل عمران ٤٥:٣) وهو آية في قداسته وكماله (سورة مريم ١٩:١٩). إنه «آية للعالمين».

تفسير سورة مريم ٢١:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

تفسير سورة الأنبياء ٩١:٢١ انظر (روح الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المؤمنون ٥٠:٢٣ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

زكي (من أسماء المسيح وصفاته) (طاهر بلا خطية)

ترد هذه الصفة مرة واحدة

مريم ١٩:١٩ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا.

ملاحظات وتفسير عن صفة المسيح بأنه زكياً

ينسب القرآن الخطيئة إلى كل الأنبياء إلى كافة البشر، لم يستثن منهم واحداً سوى عيسى ابن مريم، الذي لا يذكر له القرآن إثماً ولا علاقة بالإثم على الإطلاق، فهو لا ينسب إليه خطيئة أبداً. فقد وُلد على العصمة من الشيطان الرجيم. ويدعوه الوحي «بالغلام الزكي». يقول الجالان: «مزكى بالنبوة».

يقول البيضاوي: «طاهراً من الذنوب، أو نامياً على الخير أي مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح».

ويقول القاساني: «الله خاصة طهر جسمه عن الأقدار الطبيعية فإنه روح متجسد من بدن مثالي روحاني.. ونزه روحه وقده من التأثير بالهيئات الطبيعية والصفات البدنية لتأيده بروح القدس الذي هو على صورته» (شرح على نصوص الحكم، ٢٥٨-٢٥٩).

يقول الطبري: «الطاهر من الذنوب» (٦١:١٦)

قال ابن هريرة: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان، إلا ابن مريم وأمّه» (مسند الإمام أحمد، صحيح مسلم)

قتل ابن هريرة: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى ابن

مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب» (صحيح البخاري)

تفسير سورة مريم ١٩:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

رحمة من الله (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد هذه الصفة مرة واحدة

مريم ٢١:١٩ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.

ملاحظات وتفسير أن المسيح رحمة من الله

قال الزمخشري: «المراد «بالرحمة»، الشرائع والألطف التي نزلت معه».

ويقول البيضاوي أن المسيح وحده: «رحمة للعباد يهتدون بإرشاده».

وقد قال الرسول بولس: في المسيح ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس (تيطس ٢: ١١)

وتجلى لطف الله مخلصنا ومحبه للبشر، ورحمته (تيطس ٣: ٤-٥).

تفسير سورة مريم ٢١:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

عبد الله (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد عبارة «عبد الله» عن المسيح مرتين

وأيضاً العبارة «عبد» مرتين مرة واضحاً ومرة ضمناً

النساء ١٧٢:٤ لَنْ يَسْتَكْفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا.

مريم ٣٠:١٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.

مريم ٩٣:١٩ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا.

الزخرف ٥٩:٤٣ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

ملاحظات وتفسير أن المسيح عبد الله

«عبد الله» هذا هو اللقب الذي ينطق به عيسى منذ مولده، بحسب القرآن.

يقول ابن العربي: «فقال أني عبد الله فحكم على نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان، لأنه

لم يكن ثم، وإنما كان حق تجلى في صورة روح لما في القضية من الجبر الذي حكم في الطبيعة بهذا التكوين الخاص الغير المعتاد... ونسبته العنصرية في خلقه كان اقرب إلى ربه. فكان

أحدث عهد بعبوديته لربه» (ابن العربي، الفتوحات المكية ٤: ١٢٧).

ينسب الجلالان العبارة عبد في تفسيره لسورة مريم ٩٣:١٩ لعزرا وللمسيح. «ذلك

خاضعاً وذليلاً يوم القيامة منهم عزيز وعيسى».

في القرآن عبد الله، في التوراة عبد يهوه أي (عبد الله) في الإنجيل فتى الله أي (عبد الله).

مريم ٣٠:١٩ = إشعياء ٥٣ = أعمال ٢٦:٣.

تفسير سورة النساء ١٧٢:٤ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة مريم ٣٠:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

مَثَل آدَم (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد الكلمة «مثل» عن المسيح ٤ مرات

«مثل عيسى» مرة واحدة

«مثل آدم» مرة واحدة

وضرب ابن مريم مثلاً مرة واحدة

ومثل لبني إسرائيل مرة واحد

آل عمران ٥٩:٣ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

الزخرف ٥٩-٥٧:٤٣ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ٥٨ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٩ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

ملاحظات أن المسيح هو المثل من الله

لا يذكر القرآن غير المسيح مثلاً، فقد حقق المثل الأعلى في التقوى والفضيلة والقداسة: «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبِرًّا بَوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا» (سورة مريم ١٩:٣١ و٣٢).

يقول الطبري: «يفسر قتادة «مثلاً» بآية» (الطبري، ٨٩:٢٥)

تفسير سورة آل عمران ٥٩:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الزخرف ٥٧:٤٣ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

نبي (من أسماء المسيح وصفاته)

اخترنا ٥ آيات عن كلمة «نبي»

منها واحدة تختص بالمسيح واضحاً و٤ ضمناً

آل عمران ١٤٦:٣ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ.

الأنعام ١١٢:٦ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ.

مريم ٣٠:١٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.

الفرقان ٣١:٢٥ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنْ أَجْرَمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.

الزخرف ٦:٤٣ و ٧ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ٧ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.

ملاحظات وتفسير عن لقب المسيح بأنه النبي الفريد

وُلد المسيح نبياً بشهادته بحسب القرآن أنه نطق حال ولادته مريم ٣٠:١٩ فالفرقان يقول أنه وحده بين العالمين وُلد نبياً، ونطقه في مهده معجزة نبوته منذ مولده.

قال مجاهد: أن النبي وحده يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل (الطبري ٨٠:١٦)

قال البيضاوي: مفسراً آية مريم ٣٠ «أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً».

إن إبراهيم وموسى ومحمد وسائر الأنبياء صاروا أنبياء بعدما تخطوا الكهولة أما المسيح فوحده وُلد نبياً، واستنبأه الله طفلاً.

قال الشهرستاني: «جميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة، وهو (أي المسيح) قد أُوحي إليه إنطاقاً في المهد، وأُوحي إليه إبلاغاً عند الثلاثين».

النبيون والأنبياء (من أسماء المسيح وصفاته)

اخترنا ٢٦ آية عن النبيين والأنبياء

وتتعلق ٣ منها بالمسيح واضحاً والباقي ضمناً

البقرة ٢: ٦١ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ أَحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

البقرة ٢: ٩١ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ أَحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

البقرة ٢: ١٣٦ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

البقرة ٢: ١٧٧ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ.

البقرة ٢: ٢١٣ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

آل عمران ٣: ٢١ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

آل عمران ٣: ٨٠ و ٨١ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٨١ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

آل عمران ٣: ١١٢ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَفَقُّوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَتَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

آل عمران ٣: ١٨١ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.

النساء ٤: ٦٩ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا.

النساء ٤: ١٥٥ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا.

النساء ٤: ١٦٣ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا.

الإسراء ١٧: ٥٥ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا.

ملاحظة: يقول الطبري في تفسير هذه الآية: وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب

ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه (الطبري، ١٥: ١٠٣).

مريم ١٩: ٥٨ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا.

الأحزاب ٣٣: ٧ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.

الزمر ٣٩: ٦٩ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

ملاحظة وأحاديث عن الأنبياء

قال السيوطي في حديث صحيح قد حققه الألباني رواه أبو هريرة: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد».

وفي حديث آخر صحيح عن ابن سعد عن عطاء مرسلًا «إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا».

تفسير سورة البقرة ٢: ١٣٦ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤: ١٥٥

تفسير ابن كثير الجزء الأول صفحة ٥٧٣

النساء ٤: ١٥٥ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا.

وهذا من الذنوب التي ارتكبوها مما أوجب لعنتهم وإبعادهم عن الهدى وهو نقضهم المواثيق والعهود التي أخذت عليهم، وكفرهم بآيات الله، أي حججه وبراهينه، والمعجزات التي شاهدوها على يد الأنبياء عليهم السلام قوله: (وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ) وذلك لكثير إجرامهم واجترائهم على أنبياء الله فإنهم قتلوا جما غفيراً من الأنبياء عليهم السلام وقولهم (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة وغير واحد أي أوعية للعلم كقوله المشركون (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) الآية وقيل معناه أنهم ادعوا أن قلوبهم غلف للعلم أي أوعية للعلم قد حوته وحصلته، رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وقد تقدم نظيره في سورة البقرة قال الله تعالى (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) أي تمرنت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الإيمان.

في ظلال القرآن سيد قطب الجزء الثاني صفحة ٥٨٦

النساء ١٥٥:٤ فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا.

وعند قولهم: «قُلُوبُنَا غُلْفٌ».. وهي القولة التي كانوا يجيبون بها على دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم - إما تيئيساً له من إيمانهم واستجابتهم، وإما استهزاء بتوجيه الدعوة إليهم، وتبجحاً بالتكذيب وعدم الإصغاء، وإما هذا وذلك معاً.. عند قولهم هذا ينقطع السياق للرد عليهم:

«بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا»

فهي ليست مغلفة بطبعها. إنما هم كفرهم جر عليهم أن يطبع الله على قلوبهم، فإذا هي صلدة جامدة مغطاة لا تستشعر نداوة الإيمان ولا تتذوق حلاوته، فلا يقع منهم الإيمان، إلا قليلاً، ممن لم يستحق بفعله، أن يطبع الله على قلبه. أي أولئك الذين فتحوا قلوبهم للحق واستشفروه، فهداهم الله إليه ورزقهم إياه. وهم قلة قليلة من اليهود. كعبد الله ابن سلام، وثعلبة ابن سعيد، واسد ابن سعية، واسد ابن عبيد الله..

وبعد هذا الاستدراك والتعقيب، يعود السياق إلى تعداد الأسباب التي استحقوا عليها ما استحقوا من تحريم بعض الطيبات عليهم في الدنيا، ومن إعداد النار وتهيتها لهم، لتكون في انتظارهم في الآخرة!

من الصالحين (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد الصفة «من الصالحين» مرتين عن المسيح

آل عمران ٤٦:٣ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ.

الأنعام ٨٥:٦ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ.

ملاحظات وتفسير أن المسيح صالح

منذ حدثه يظهر المسيح عنوان التقوى والفضيلة والقداسة.

قال الرازي في تفسير آل عمران ٤٦:٣: «ولا رتبة أعظم من كون المرء صالحاً ومعلوم أن

ذلك يتناول جميع المقامات في الدنيا والدين، فلما ذكر بعض المقامات أردفه (المسيح) بهذا

الكلام الذي يدل على أرفع الدرجات».

تفسير سورة آل عمران ٤٦:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الأنعام ٨٥:٦ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

بَرّاً لأمّه (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد الصفة أنه «بَرّاً لأمّه» مرة واحدة

مريم ٣٢:١٩ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً.

ملاحظة أن المسيح بر بأمّه

ليس للمسيح سوى أمّه من صلات الدم، وهو «بَرّاً بها» وهذه الصفة تحوي واجبات الولد نحو والدته.

تفسير سورة مريم ٣٢:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

ليس جباراً شقيّاً (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد العبارة أنه «ليس جباراً شقيّاً» مرة واحدة عن المسيح

مريم ٣٢:١٩ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً.

تفسير عن المسيح أنه ليس جباراً شقيّاً

جاء في تفسير الطبري: يقول ولم يجعلني مستكبراً على الله فيما أمرني به ونهاني عنه شقيّاً ولكن ذلّني لطاعته وجعلني متواضعاً... كان عيسى يقول (عن قتادة) سلوني فإن قلبي ليس واني صغير في نفسي مما أعطاه الله من التواضع (الطبري، ١٦: ٨٢).

تفسير سورة مريم ٣٢:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

مبارك (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد الصفة «مبارك أينما كنت» مرة واحدة

مريم ٣١:١٩ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا.

ملاحظات وتفسير عن المسيح أنه مبارك

يشهد المسيح لنفسه في القرآن منذ مولده: «وجعلني مباركاً» فهو مبارك على الدوام، فبركة الله كلها تحلّ عليه.

يقول الطبري في تفسيره ثلاثة أقوال في معنى مباركاً وهي : نفاعاً (مجاهد). كانت بركته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. معلم الخير (الطبري، ١٦: ٨٠-٨١).

قال الزمخشري: «نفاعاً، وقيل معلماً للخير». فهو ليس بجبار، رجل حروب وغزوات، وليس بشقي يُرعب الناس، بل هو رجل الله رجل الصلاة والزكاة ما دام حياً.

يقول ابن العربي: «بسبب هذا الاسم الكريم «مبارك» فقد سماه الصوفيون «سيد الأولياء» و«خاتم الأولياء» (ابن العربي، الفتوحات المكية ٤: ٢١٥، ٢: ٥٥).

تفسير سورة مريم ٣١:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

السلام عليه (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد العبارة «السلام عليه» عن المسيح مرة واحدة

مريم ١٩: ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا.

ملاحظات وتفسير للعبارة السلام عليه بنسبة المسيح

سلام الله كله يحلّ على المسيح في المواقع الثلاثة ولادته وموته وبعثه وسيرافقه في سيرته ورسالته كلها. فالمسيح منذ مولده يتنبأ بلسانه عن آخرته، فهو وحده دون المرسلين أجمعين عرف مصيره منذ مولده. وهو الآن وحده دون العالمين والمرسلين، حي خالد في السماء عند الله، بينما هم أجمعون ينتظرون يوم الدين.

الفرق بين سلام المسيح وسلام يحيى أن الأول وهو المسيح قد سلم على نفسه دون واسطة، بينما الثاني احتاج إلى من يسلم عليه وهو الله، والفرق بين السلامين واضح، رب السلام وهو المسيح جاء ليلقي السلام إلى الجميع.

يقول الطبري: قوله «والسلام عليّ...» الأمانة من الله على من الشيطان وجنده يوم ولدت... يوم أموت من حول المطلع ويوم أبعث حياً يوم القيامة أن ينالني الفرع الذي ينال الناس بمعاينهم أهوال ذلك اليوم (الطبري، ١٦: ٨٢).

يقول الغزالي: «لقد فضلنا بعض النبيين على بعض. وقال: منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات. فكان عيسى من المفضلين، ولأدلاله سلم على نفسه فقال: «والسلام عليّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً...» (الغزالي، إحياء علوم الدين ٤: ١٩٣).

قال البيضاوي: «سلام عليه يوم وُلد: من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم، ويوم يموت: من عذاب القبر، ويوم يُبعث حياً: من عذاب النار وهول القيامة».

تفسير سورة مريم ١٩: ٣٣ انظر (مريم من أجداد المسيح)

وجيه (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد الصفة «وجيه في الدنيا والآخرة» مرة واحدة عن المسيح

آل عمران ٤٥:٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

ملاحظات وتفسير أن المسيح في القرآن وجيه

إن المسيح بشخصيته «وجه» الدنيا والآخرة.

قال الجلالان: «وجيهاً ذا وجه (في الدنيا) بالنبوة، (والآخرة) بالشفاعة والدرجات العلا»

قال البيضاوي في تفسيره للآية: «الوجهة في الدنيا النبوة، وفي الآخرة الشفاعة».

قال الزمخشري في تفسيره: «الوجهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة

الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة».

قال الزاري في تفسيره: «الوجهة في الدنيا النبوة أو استجابة دعائه أو براءته من العيوب

وفي الآخرة الشفاعة أو علو درجته ومنزله أو كثرة ثوابه».

بهذا الوصف يرفع المسيح فوق المخلوقين في الدنيا والآخرة، وجهاً وجهاً.

أخرج السيوطي في حديث صحيح وحققه الألباني عن أبي هريرة قال: «المقام المحمود

الشفاعة».

كتب الطبري عن ابن الزبير قال: وجيهاً في الدنيا والآخرة عند الله (الطبري، ٣: ٢٧١)

تفسير سورة آل عمران ٤٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

من المقربين (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد الصفة أنه «من المقربين» مرة واحدة عن المسيح

آل عمران ٤٥:٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

ملاحظات وتفسير عن أن المسيح من المقربين

رفع القرآن من منزلة المسيح، فجعله من المقربين، ولم يحض شخص آخر بهذه الدرجة بوضوح غيره.

يقول الطبري أن الآية تعني: أنه ممن يقربه الله يوم القيامة فيسكنه في جواره ويدنيه منه. قال الزمخشري والبيضاوي في تفسيرهما للآية، عن هذه القربى بين الله والمسيح: «إشارة إلى علو درجته في الجنة أو رفعه إلى السماء وصحبته للملائكة».

وقال الرازي في تفسيره لهذه الآية: «جعل ذلك كالمديح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم».

فالقربى من الله في الجنة تسمح بتفسير أنه شفيعاً ومستغفراً للمخلوقين. فالقرآن يشهد أن المسيح حي في السماء مقرباً من الله يشفع في العالمين.

تفسير سورة آل عمران ٤٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

علم للساعة (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد العبارة «علم الساعة» ٤ مرات

ومنها عن المسيح مرة واحدة

لقمان ٣٤:٣١ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

فُصِّلَتْ ٤٧:٤١ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا آذْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ.

الزخرف ٥٧:٤٣-٦١ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ٥٨ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٩ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٦٠ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ٦١ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلَّسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

الزخرف ٨٥:٤٣ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

ملاحظات وتفسير بأن المسيح «علم الساعة»

يسند القرآن إلى المسيح دوراً عظيماً في آخر العالم، ويوم الدين، لم ينسده إلى غيره.

قال الطبري: أن ابن عباس كان يقرأ «أنه لعلم للساعة» ويضيف الطبري نفسه: «معنى

الكلام وأن عيسى ظهوره علم يُعلم به مجيء الساعة لأن ظهوره من أشراتها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة». وعن مجاهد: قوله «إنه لعلم للساعة آية الساعة» (الطبري، ٩٠: ٢٥).

قال الزمخشري: «وإنه لَعَلِمَ للساعة أي شرط من أشراتها يُعَلِّمُ بها فسمي الشرط علماً لحوصل العُلم به.

وقراه ابن عباس «لَعَلِمَ» وهو العلامة. وقرئ «لِلْعَلَمِ».

وقرأ أبي «إنه لذكر للساعة» على تسمية ما يذكر به ذكراً كما سُمِّي ما يُعلم به علماً». قال الجلالان: «وإنه (عيسى) لَعَلِمَ للساعة (تُعَلِّمُ بنزوله). وقوله عن عيسى أنه «عَلِمَ» للساعة أي علامة يعرف دنوّها من مجيئه وظهوره ثانية».

قال الثعلبي في حديث عن النبي قال: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً» (عرائس المجالس ٤٠٣).

روي عن الشعبي قال: «لقي جبريل عيسى عليهما الصلاة والسلام. فقال له عيسى: متى الساعة؟ فانتفض جبريل في أجنحته وقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ثقلت في السماوات والأرض لا تأتاكم إلاّ بغتة» (الشعراني، مختصر تذكرة الإمام القرطبي، عرائس المجالس ٤٠٣).

تفسير سورة الزخرف ٤٣: ٥٧ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

شَهِيد (من أسماء المسيح وصفاته)

ترد الصفة أن المسيح «شَهِيد» على أهل الكتاب مرتين

النساء ١٥٩:٤ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا.

المائدة ١١٧:٥ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

تفسير بأن المسيح شَهِيد

كتب الطبري في تفسيره عن الآية ١٥٩:٤ «قبل موته» عن ابن عباس: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى (الطبري، ١٩:٦)

وقال الطبري بنفسه: إن ذلك في خاص من أهل الكتاب ومعنى به أهل زمان منهم دون أهل كل الأزمنة التي كانت بعد عيسى وأن ذلك كائن عند نزوله» (الطبري، ٢٢:٦).

تفسير سورة النساء ١٥٩:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٧:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

الجزء الثالث

علاقة المسيح بالله وروحه

أولاً: علاقة المسيح بالله

- ١ - رفض ألوهيته
- ٢ - الادعاء بأنه مخلوق غير مولود
- ٣ - الادعاء بأنه تحت تصرف الله
- ٤ - ألقاب غامضة للمسيح لها معاني مسيحية وإسلامية بنفس الوقت
- ٥ - أعمال الله للمسيح
- ٦ - أقوال الله الأربع للمسيح

ثانياً: علاقة المسيح بروح الله

أولاً: علاقة المسيح بالله

١ - رفض ألوهيته

١٦	١٧١:٤	رفض بنوته لله: (ليس لله ولد)
٣	١١٢:١-٤	لم يلد
١	٣٠:٩	ليس المسيح ابن الله
٣	١٧:٥ ، ٧٢ ، ٣١:٩	رفض ألوهيته (ليس الله هو المسيح)
١	١٧:٥	قدرة الله ليهلك المسيح
٢	١٧١:٤ ، ٧٣:٥	رفض الثالوث (ثلاثة)
١	١١٦:٥	منع اتخاذ إلهين بدون الله
٣	٦٤:٣ ، ٣١:٩	منع اتخاذ أربابٍ بدون الله

ليس لله ولدٌ (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد عبارة «ولد» أو «ولداً» لتفي فكرة «ولد الله» ١٦ مرة

البقرة ١١٦:٢ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُتُونَ.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

الأنعام ١٠١:٦ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

يونس ٦٨:١٠ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

الإسراء ١١١:١٧ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا.

الكهف ٤:١٨ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا.

مريم ٣٥:١٩ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

مريم ٨٨:١٩ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا.

مريم ٩١:١٩ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا.

مريم ٩٢:١٩ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا.

الأنبياء ٢٦:٢١ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ.

المؤمنون ٩١:٢٣ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ.

الفرقان ٢:٢٥ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا.

الزمر ٤:٣٩ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

الزخرف ٨١:٤٣ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ.

الجن ٣:٧٢ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا.

ملاحظات وتفسير عن رفض بنوة المسيح الجسدية في القرآن

من خلال استقراء الآيات التي تعبر عن موقف القرآن الصريح من أبوة الله. فإننا نجد يكفر القول بأن الله يكون أبا لأحد مخلوقاته، ولا يستبعد أبوة الله من ذاته فوق المخلوق، ولا أدل على ذلك حيث يقول: « لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » (سورة الزمر ٤:٣٩).

ينفي القرآن الولادة الجسدية من الله أو بنوة أي مخلوق من الله، ويرفض بنوة عيسى لأنه يعتبرها تناسلية جسدية، كأن الله اتخذ مريم صاحبة واستولدها عيسى. ولا يرفض القرآن البنوة الروحية الشرعية كما يعلنها الإنجيل.

وعند الرجوع إلى الإنجيل سنجد أن البنوة التي ينسبها إلى المسيح ليست مثل البنوة الجسدية التي ينفيها القرآن عنه، بل بنوة روحية، من جوهر الله.

ولا يفهم معظم المفسرين البنوة إلا من ذكر وأثنى، لأن ليس فيهم روح الله فلا يقدروا أن يفهموا الروحانيات.

يقول الطبري عن يونس ٦٨:١٠ «إن الذين ادعوا أن لله ولداً كانوا مشركي مكة»

(الطبري، ١٤٠:١١)

وروى الطبري في تفسيره عن آية الإسراء ١٧: ١١١ عن القرظي «أن اليهود والنصارى

قالوا أن الله اتخذ ولداً كذلك العرب الصابئون والمجوس» (الطبري، ١٥: ١٨٩)

وفي رواية عن آية مريم ١٩: ٨٨ كتب الطبري عن ابن زيد «هم الذين قالوا أن الله ثالث

ثلاثة هو وصاحبه وابنه وجعلوها إلهين معه» (الطبري، ١٦: ١٣١)

وكتب الطبري بتفسيره عن آية الكهف ١٨: ٤ «إن الذين قالوا بأن الله اتخذ ولداً هم

مشركو مكة الذين ادعوا أن الله اتخذ بنات» (الطبري، ١٥: ١٩٣).

وكتب النسفي عن آية الأنبياء ٢١: ٢٦ «نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله

فنزّه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنه بأنهم عباد. أي بل هم عبادهم مكرمون مشرفون مقربون وليسوا

بأولاد إذ العبودية تنافي الولادة» (النسفي، ٣: ٧٦)

وكتب النسفي عن آية المؤمنون ٢٣: ٩١ «لأنه منزّه عن النوع والجنس وولد الرجل من

جنسه ليس معه شريك في الألوهية (لو كان مع الله إله آخر) لانفرد كل واحد من الآلهة

بالذي خلقه فاستبد به ولتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر ولغلب بعضهم بعضاً كما ترون

حال ملوك الدنيا ممالكهم مميّزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغلب

فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء» (النسفي، ٣: ١٢٦)

وضح النسفي عن آية الفرقان ٢٥: ٢ «كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما

السلام» (النسفي، ٣: ١٥٨)

وكتب النسفي عن آية الزخرف ٤٣: ٨١ «فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى

طاعته والانقياد إليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل

الفرض والمراد نفي الولد وذلك أنه علق العبادة بكيونة الولد وهي محال في نفسها فكان

المعلق بها محالاً مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لأبدلنك بالدنيا

ناراً تلظى لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلهاً غيرك وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم

فأنا أول العابدين أي الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد

في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد

وقرى العبدین وقيل هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وبعد ووجد وروى أن النضر قال للملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أن صدقني فقال له الوليد ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمان ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له. ولد حمزة وعلي ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد» (النسفي، ١٢٥:٣).

تفسير سورة البقرة ١١٦:٢

تفسير الطبري الجزء الأول صفحة ٥٠٦

البقرة ١١٦:٢ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ.

يعني بقوله جل ثناؤه (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه. وقالوا معطوف على قوله (وسعى في خرابها).

وتأويل الآية: ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، وقالوا اتخذ الله ولداً وهم النصارى الذين زعموا أن عيسى ابن الله، فقال الله جل ثناؤه مكذباً قيلهم ما قالوا من ذلك ومنتهياً مما نحلوه. وأضافوا إليه بكذبهم وفريتهم سبحانه. يعني بها: تنزيه وتبريئاً من أن يكون له ولد، وعلاوا وارتفاعاً عن ذلك.

ثم أخبر جل ثناؤه أن له ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً، ومعنى ذلك: وكيف يكون المسيح لله ولداً. وهو لا يخلو إما أن يكون في بعض هذه الأماكن إما في السموات، وإما في الأرض، ولله ملك ما فيهما، ولو كان المسيح ابناً كما زعمتم لم يكن كسائر ما في السموات والأرض من خلقه وعبيده في ظهور آيات الصنعة فيه.

تفسير البيضاوي الجزء الأول صفحة ١٨٤-١٨٢

البقرة ١١٦:٢ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ.

(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود أو منع أو مفهوم

قوله تعالى ومن أظلم وقراً ابن عامر بغير واو (سُبْحَانَهُ) تنزيه له عن ذلك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء ألا ترى أن الأجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختياراً أو طبعاً (بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) رد لما قالوه واستدلال على فساد المعنى أنه تعالى خالق ما في السموات والأرض الذي من جملة الملائكة وعزير والمسيح (كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ) منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لأن من حق الولد أن يجانس والده وإنما جاء بما الذي لغير أولى العلم وقال قانتون على تغليب أولى العلم تحقيراً لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما فيهما ويجوز أن يراد كل من جعلوه ولداً له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاماً بعد إقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة أوجه واحتج بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه لأنه تعالى نفي الولد بإثبات الملك.

تفسير الرازي الجزء الرابع صفحة ٢٣-٢٤

البقرة ١١٦: ٢ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ.

اعلم أن هذا هو النوع العاشر من مقابح أفعال اليهود والنصارى والمشركين، واعلم أن الظاهر قوله تعالى (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً) أن يكون راجعاً لإلا قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) وقد ذكرنا أن منهم من تأوله على النصارى، ومنهم من تأوله على مشركي العرب، ونحن تأولناه على اليهود وكل هؤلاء أثبتوا الولد لله تعالى. لأن اليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، ومشركو العرب قالوا: الملائكة بنات الله فلا جرم صحت هذه الحكاية على جميع التقديرات، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في كعب بن الأشرف، وكعب بن أسد، ووهب بن يهودا فإنهم جعلوا عزيراً بن الله، أما قوله (سُبْحَانَهُ) فهو كلمة تنزيه ينزه بها نفسه عما قالوه، كما قال تعالى في موضع آخر (سبحانه ان يكون له ولد)

فمرة أظهره، ومرة اقتصر عليه لدلالة الكلام عليه، واحتج على هذا التنزيه بقوله (قل له ما في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ووجه الاستدلال بهذا على فساد مذهبهم من وجوه (الأول) أن كل ما سوى الموجود الواجب ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته محدث، وكل محدث فهو مخلوق لواجب الوجود، والمخلوق لا يكون ولداً، أما بيان أن ما سوى الموجود الواجب ممكن لذاته، فلأنه لو وجد موجدان واجبان لذاتهما لاشتركا في وجوب الوجود، ولامتاز كل واحد منهما عن الآخر بما به التعين، وما به المشاركة، غير ما به الممايزة، ويلزم تركيب كل واحد منهما من قيدين، وكل مركب فإنه مفتقر إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه من غيره، فكل مركب فهو مفتقر إلى غيره وكل متفقر إلى غيره فهو ممكن لذاته، فكل واحد من الموجودين الواجبين لذاتهما ممكن لذاته، وهذا خلف، ثم نقول: إن كان كل واحد من ذينك الجزئين واجباً عاد التقسيم المذكو فيه، ويقضي إلى كونه مركباً من اجزاء متناهية، وذلك محال، ومع تسليم أنه غير محال فالمقصود حالص، لأن كل كثرة فلا بد فيها من الواحد، فتلك الآحاد إن كانت واجبة لذواتها كانت مركبة على ما ثبت، فالبسيط مركب هذا خلف، وإن كانت ممكنة كان المركب المفتقر إليها أولى بالإمكان، فثبت بهذا البرهان أن كل ما عدا الموجود الواجب ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته فهو محتاج إلى المؤثر، وتأثير ذلك المؤثر فيه إما أن يكون حال عدمه أو حال وجوده فإن كان الأول فذلك الممكن محدث وإن كان الثاني فاحتياج ذلك الموجود إلى المؤثر إما أن يكون حال بقائه أو حال حدوثه والأول محال لأنه يقتضي إيجاد الوجود فتعين الثاني وذلك يقتضي كون ذلك الممكن محدثاً فثبت أن كل ما سوى الله محدث مسبوق بعدم وأن وجوده إنما حصل بخلق الله تعالى وإيجاده وإبداعه، فثبت أن كل ما سواه فهو عبده وملكه فيستحيل أن يكون شيء مما سواه ولداً له، وهذا البرهان إنما استفدناه من قوله (بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي له كل ما سواه على سبيل الملك والخلق والإيجاد والإبداع (والثاني) أن هذا الضي أضيف إليه بأنه ولده إما أن يكون قديماً أزلياً أو محدثاً، فإن كان أزلياً لم يكن حكمنا بجعل أحدهما ولداً والآخر والداً أولى من العكس، فيكون ذلك الحكم حكماً مجرداً من غير دليل وإن كان الولد حادثاً كان مخلوقاً لذلك القديم وعبداً له فلا يكون ولداً له (الثالث) أن الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد، فلو فرضنا له ولداً لكان مشاركاً له من بعض الوجود، وممتازاً عنه من وجه آخر، وذلك يقتضي كون كل واحد منهما مركباً ومحدثاً وذلك محال فإذا المجانسة ممتنعة فالولدية ممتنعة (الرابع) أن الولد

إنما يتسخذ للحاجة إليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته حال عجز الأب عن أمور نفسه، فعلى هذا إيجاد الولد إنما يصح عليه الفقر والعجز والحاجة، فإذا كان كل ذلك محال كان إيجاد الولد عليه سبحانه وتعالى محالاً، واعلم أنه تعالى حكى في مواضع كثيرة عن هؤلاء الذين يضيفون إليه الأولاد وقلهم، واحتج عليهم بهذه الحجة وهي أن كل من في السموات والأرض عبد له، وبأنه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وقال في مريم (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) وقال أيضاً في آخر هذه السورة (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا) فإن قيل: ما الحكمة في أنه تعالى استدل في هذه الآية بكونه مالكا لما في السموات والأرض. وفي سورة مريم بكونه مالكا لمن في السموات والأرض على ما قال (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا) قلنا: قوله تعالى في هذه السورة (بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أتم، لأن كلمة (ما) تتناول جميع الأشياء.

تفسير بن كثير الجزء الأول صفحة ١٦٠-١٦١

البقرة ١١٦: ٢ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِثُونَ.

اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على النصارى عليهم لعائن الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله فأكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم إن لله ولداً فقال تعالى (سُبْحَانَهُ) أي تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً (بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي ليس الأمر كما افتروه وإنما ملك السموات والأرض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيد له وملك له فكيف يكون له ولد منهم والولد إنما يكون متولداً من شيئين متناسبين وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له فكيف يكون له ولد؟ كما قال تعالى (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وقال تعالى (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ

وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُونَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) وقال تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبة فكيف يكون له منها ولد؟ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من البقرة: أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبي الحسين حدثنا نافع بن جبير هو ابن مطعم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «قال الله تعالى كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذبيه إياي فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقله إن لي ولداً فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً» انفرد به البخاري من هذا الوجه. وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل أخبرنا محمد بن إسماعيل الترمذي أخبرنا محمد بن إسحق بن محمد القروي أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى كذبي ابن آدم وما ينبغي له أن يكذبي وشتمني وما ينبغي له أن يشتمني، فأما تكذبيه إياي فقله لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته وأما شتمه إياي فقله: اتخذ الله ولداً. وأنا الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم» وقوله (كُلُّ لَه قَانِتُونَ) قال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال (قانتين) مصلين وقال عكرمة وأبو مالك (كُلُّ لَه قَانِتُونَ) مقرون له بالعبودية وقال سعيد بن جبير كل له قانتون يقول الإخلاص وقال الربيع بن أنس يقول (كُلُّ لَه قَانِتُونَ) أي قائم يوم القيامة، وقال السدي (كُلُّ لَه قَانِتُونَ) أي مطيعون يوم القيامة، وقال خصيف عن مجاهد (كُلُّ لَه قَانِتُونَ) قال مطيعون كن إنساناً فكان، وقال كن حماراً فكان، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كل له قانتون مطيعون قال طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره وهذا القول عن مجاهد وهو اختيار ابن جرير يجمع الأقوال كلها وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة إلى الله وهو شرعي وقدري كما قال تعالى (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ).

تفسير محمد عبده الجزء الأول والثاني صفحة ٣٥٩-٣٦٢

البقرة ١١٦:٢ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِثُونَ.

ثم عاد الكتاب إلى النسق السابق في تعداد مخازي أهل الكتاب والمشركون بعدما ذكر من وعيد من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ما ذكر، وبين أنه يعبد في كل مكان، فقال جل وعز: (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) فهذا عطف على قوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ١١١:٢) وقوله: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ١١٣:٢) الخ. وصح أن ينسب هذا إلى اليهود والنصارى والذين لا يعلمون جمعياً. وإلى فرقة واحدة منهم. ووجه العموم أن الله تعالى أخبرنا في مواضع من كتابه بأن اليهود قالت: عزير ابن الله، وأن النصارى قالت: المسيح ابن الله. وأن المشركين قالوا: إن الملائكة بنات الله. ولا فرق في الأحكام التي تسند إلى الأمم بين كونها صدرت من جميع أفراد الأمة أو صدرت من بعضهم فإن مثل هذا الإسناد منبئ بتكافل الأمم كما تقدم غير مرة. وقد نقل أن كلمة «عزير ابن الله» قالها بعض اليهود لا كلهم. وكذلك اعتقاد كون الملائكة بنات الله لم يكن عاماً في مشركي العرب، وإنما عرف عن بعضهم. ثم رد على مدعي اتخذوا الولد بقوله: (سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِثُونَ) نزه تعالى نفسه بكلمة (سُبْحَانَهُ) التي تفيد التنزيه، مع التعجب مما ينافيه، كأن الذي يعرفه تعالى لا ينبغي أن يصدر عنه مثل هذا القول الذي يشعر بأن له تعالى جنساً يماثله، فإن قائل ذلك لا يكون على علم بالله تعالى، وإنما يكون زاعماً فيه المزاعم وظاناً فيه الظنون، أي تنزيهاً له أن يكون له ولد كما زعم هؤلاء الجاهلون الظانون بالله غير الحق، فإنه لا جنس له فيكون له ولد منه، وهذا الولد الذي نسبوه إليه تعالى لا بد أن يكون من العالم العلوي وهو السماء، أو من العالم السفلي وهو الأرض، ولا يصلح شيء منهما أن يكون مجانساً له عز وجل، لأن جميع ما في السموات والأرض ملك له، قانت لعزته وجلاله. أي خاضع لقهره مسخر لمشيئته، فإذا كانوا سواء في كونهم مسخرين له بفطرتهم، منقادين لإرادته بطبيعتهم واستعدادهم، فلا معنى حينئذ لتخصيص واحد منهم بالانتساب إليه وجعله ولداً مجانساً له (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٣:١٩) نعم إن له سبحانه أن يختص من شاء بما شاء كما اختص الأنبياء بالوحي ولكن هذا التخصيص لا

يرتقي بالخلق إلى مرتبة الخالق، ولا يعرج بالموجود الممكن إلى درجة الوجود الواجب. وإنما يودع سبحانه في فطرة من شاء ما يؤهله لما شاء منه (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) وليست شبهة الذين اتخذوا بعض البشر آلهة بأمثل من شبهة الذين اتخذوا المسيح، وبين سائر الناس الذي عبدوه وقالوا: هو ابن الله أو هو الله.

وقد غلب في الملكية ما لا يعقل فقال: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ) الخ لأن المراد بتسخيرها له التسخير الطبيعي الذي لا يشترط فيه الاختيار، لا التسخير الشرعي المعبر عنه بالتكليف الذي يفعله الكاسب باختياره، ويستوي في التسخير الطبيعي العاقل وغيره، ولكنه في غير العاقل أظهر. ولما ذكر القنوت له تعالى جمعه بضمير العاقل فغلب فيه العقلاء، لأن من شأن القنوت أن يكون من العاقل الذي يشعر بموجبه ويفعله باختياره، وإن كان لغير العاقل قنوت يليق به. وجملة القول: أن الآية ناطقة بأن ما في السموات والأرض ملك لله تعالى ومسخر لإرادته ومشيئته لا فرق بين العاقل وغيره، فقد حكم على الجميع بالملكية وبالقنوت الذي يراد به التسخير وقبول تعلق الإرادة والقدرة، ولكنه عند ذكر الملك عبر عنه بالكلمة التي تستعمل غالباً في غير العاقل وهي كلمة (ما) لأن المعهود في ذوق اللغة وعرف أهلها أن الملك يتعلق بما لا يعقل، وعند ذكر القنوت عبر عنه بضمير العقلاء لأنه من أعمالهم. ومما يعهد منهم ويسند إليهم لغة وعرفاً. وهذا كما ترى من أدق التعبير وأطفه، وأعلى البيان وأشرفه.

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب الجزء الأول صفحة ١٤٢-١٤٤

البقرة ١١٦: ٢ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانُتُونَ.

بعد ذلك يستعرض السياق ظلال تصورهم لحقيقة الألوهية، وانحرافهم عن التوحيد الذي هو قاعدة دين الله، وأساس التصور الصحيح في كل رسالة. ويقرن تصورهم المنحرف إلى تصورات الجاهلية عن ذات الله - سبحانه - وصفاته. ويقرر التشابه بين قلوب المشركين من العرب وقلوب المشركين من أهل الكتاب، ويصحح للجميع انحرافهم إلى الشرك، ويوضح لهم قاعدة التصور الإيماني الصحيح:

«وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ» وهذه

المقولة الفاسدة: «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» .. ليست مقولة النصرى وحدهم في

المسيح، فهي كذلك مقولة اليهود في العزيز. كما كانت مقولة المشركين في

الملائكة. ولم تفصل هنا هذه المقولات، لأن السياق سياق إجمال للفرق الثلاثة

التي كانت تناهض الإسلام يومئذ في الجزيرة - ومن عجب أنها لا تزال هي

التي تناهضه اليوم تماماً، ممثلة في الصهيونية العالمية والصلبية العالمية، والشيوعية

العالمية، وهي أشد كفراً من المشركين في ذلك الحين! - ومن هذا الإدماج

تسقط دعوة اليهود والنصارى في أنهم وحدهم المهتدون، وها هم أولاء

يستون مع المشركين.

وقبل أن يمضي إلى الجوانب الفاسدة الأخرى منتصورهم لشأن الله - سبحانه - يبادر

بتنزيه الله عن هذا التصور، وبيان حقيقة الصلة بينه وبين خلقه جميعاً:

«سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ»..

هنا نصل إلى فكرة الإسلام التجريدية الكاملة عن الله سبحانه، وعن نوع العلاقة بين

الخالق وخلقته، وعن طريقة صدور الخلق عن الخالق، وهي أرفع وأوضح تصور عن هذه الحقائق

جميعاً.. لقد صدر الكون عن خالقه، عن طريق توجه الإرادة المطلقة القادرة: «كن فيكون»..

فتوجه الإرادة إلى خلق كائن ما كفيل وحده بوجود هذا الكائن، على الصورة المقدره له،

بدون وسيط من قوة أو مادة.. أما كيف تتصل هذه الإرادة التي لا نعرف كنهها، بذلك

الكائن المراد صدوره عنها، فذلك هو السر الذي لم يكشف للإدراك البشري عنه، لأن الطاقة

البشرية غير مهيأة لإدراكه. وهي غير مهيأة لإدراكه لأنه لا يلزمها في وظيفتها التي خلقت لها

وهي خلافة الأرض وعمارتها.. وبقدر ما وهب الله للإنسان من القدرة على كشف قوانين

الكون التي تفيد في مهمته، وسخر له الانتفاع بها، بقدر ما زوى عنه الأسرار الأخرى التي لا

علاقة لها بخلافته الكبيرة.. ولقد ضربت الفلسفات في عين لا منارة فيه، وهي تحاول كشف

هذه الأسرار، وتفترض فروضاً تنبع من الإدراك البشري الذي لم يهيأ لهذا المجال، ولم يزود

اصلاً بأدوات المعرفة في الارتياح. فتجيء هذه الفروض مضحكة في أرفع مستوياتها.

مضحكة إلى حد يحير الإنسان: كيف يصدر هذا عن «فيلسوف»! وما ذلك إلا أن أصحاب

هذه الفلسفات حاولوا أن يخرجوا بالإدراك البشري عن طبيعة خلخته، وأن يتجاوزوا به نطاقه المقدور له! فلم ينتهوا إلى شيء يطمأن إليه، بل لم يصلوا إلى شيء يمكن أن يحترمه من يرى التصور الإسلامي ويعيش في ظله. وعصم الإسلام أهله المؤمنين بحقيقة أن يضربوا في هذا التيه بلا دليل، وأن يحاولوا هذه المحاولة الفاشلة، الخاطئة المنهج ابتداء. فلما أن أراد بعض متفلسفتهم متأثرين بأصداء الفلسفة الإغريقية - على وجه خاص - أن يتناولوا إلى ذلك المرتقى، باءوا بالتعقيد والتخليط، كما باء أساتذهم الإغريق! ودسوا في التفكير الإسلامي ما ليس من طبيعته، وفي التصور الإسلامي ما ليس من حقيقته.. وذلك هو المصير المحتوم لكل محاولة للعقل البشري وراء مجاله، وفوق طبيعة خلخته وتكوينه..

والنظرية الإسلامية: أن الخلق غير الخالق. وأن الخالق ليس كمثله شيء.. ومن هنا تنتفي من التصور الإسلامي فكرة: «وحدة الوجود» على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح - أي بمعنى أن الوجود وخالقه وحدة واحدة - أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق، أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده.. أو على أي نحو من أنحاء التصور على هذا الأساس.. والوجود وحدة فينظر المسلم على معنى آخر: وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة، ووحدة ناموسه الذي يسير به، ووحدة تكوينه وتناسقه واتجاهه إلى ربه في عبادة وخشوع:

«بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ»..

فلا ضرورة لتصور أن له من بين ما في السماوات والأرض ولداً.. فالكل من خلقه بدرجة واحدة، وبأداة واحدة.

تفسير سورة النساء ٤: ١٧١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الأنعام ٦: ١٠١

تفسير الرازي الجزء الثالث عشر صفحة ١١٧-١١٩

الأنعام ٦: ١٠١ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

قوله تعالى (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

اعلم أنه تعالى لما بين فساد قول طوائف أهل الدنيا من المشركين. شرع في إقامة الدلائل على فساد قول من يثبت له الولد فقال (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) واعلم أن تفسير قوله (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) قد تقدم في سورة البقرة إلا أنا نشير ههنا إلى ما هو المقصود الأصلي من هذه الآية. فنقول: الإبداع عبارة عن تكوين الشيء من غير سبق مثال، ولذلك فإن من أتى في فن من الفنون بطريقة لم يسبقه غيره فيها، يقال: إنه أبداع فيه.

إذا عرفت هذا فنقول: إن الله تعالى سلم للنصارى أن عيسى حدث من غير أب ولا نطفة بل أنه إنما حدث ودخل في الوجود. لأن الله تعالى أخرجه إلى الوجود من غير سبق الأب. إذا عرفت هذا فنقول: المقصود من الآية أن يقال إنكم إما أن تريدوا بكونه ولداً لله تعالى أنه أحدثه على سبيل الإبداع من غير تقدم نطفة ووالد. وإما أن تريدوا بكونه ولد الله تعالى كما هو المؤلف المعهود من كون الإنسان ولداً لأبيه، وإما أن تريدوا بكونه ولداً لله مفهوماً ثالثاً مغايراً لهذين المفهومين.

أما الاحتمال الأول: فباطل، وذلك لأنه تعالى وإن كان يحدث الحوادث في مثل هذا العالم الأسفل بناء على أسباب معلومة ووسائط مخصوصة إلا أن النصارى يسلمون أن العالم الأسفل محدث، وإذا كان الأمر كذلك. لزمهم الاعتراف بأنه تعالى خلق السموات والأرض من غير سابقة مادة ولا مدة، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون إحداثه للسموات والأرض إبداعاً فلو لزم من مجرد كونه مبدعاً لأحداث عيسى عليه السلام كونه والداً له لزم من كونه مبدعاً للسموات والأرض كونه والداً لهما. ومعلوم أن ذلك باطل بالاتفاق، فثبت أن مجرد كونه مبدعاً لعيسى عليه السلام لا يقتضي كونه والداً له، فهذا هو المراد من قوله (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وإنما ذكر السموات والأرض فقط ولم يذكر ما فيهما لأن حدوث ما في السموات والأرض ليس على سبيل الإبداع، أما حدوث ذات السموات والأرض فقد كان على سبيل الإبداع، فكان المقصود من الإلزام حصلاً بذكر السموات والأرض. لا بذكر ما في السموات والأرض، فهذا إبطال الوجه الأول.

وأما الاحتمال الثاني: وهو أن يكون مراد القوم من الولادة هو الأمر المعتاد المعروف من الولادة في الحيوانات، فهذا أيضاً باطل ويدل عليه وجوه.

(الوجه الأول) أن تلك لا تصح إلا ممن كانت له صاحبة وشهوة، وينفصل عنه جزء

ويحتبس ذلك الجزء في باطن تلك الصاحبة، وهذه الأحوال إنما تثبت فب حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة، وكل ذلك على خالق العالم محال. وهذا هو المراد من قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة.

(والوجه الثاني) أن تحصيل الولد بهذا الطريق إنما يصح في حق من لا يكون قادراً على الخلق والإيجاد والتكوين دفعة واحدة فلما أراد الولد وعجز عن تكوينه دفعة واحدة عدل إلى تحصيله بالطريق المعتاد. أما من كان خالقاً لكل الممكنات قادراً على كل المحدثات، فإذا أراد إحداث شيء قال له كن فكيون، ومن كان هذا الذي ذكرنا صفته ونعته، امتنع منه أحداث شخص بطرق الولادة وهذا هو المراد من قوله (وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ).

(والوجه الثالث) وهو أن هذا الولد إما أن يكون قديماً أو محدثاً، لا جائز أن يكون قديماً لأن القديم يجب كونه واجب الوجود لذاته. وما كان واجب الوجود لذاته كان غنياً عن غيره فامتنع كونه ولداً لغيره. فبقي أنه لو كان ولداً لوجب كونه حادثاً فنقول إنه تعالى عالم بجميع المعلومات فأما أن يعلم أن له في تحصيل الولد كمالاً ونفعاً أو يعلم أنه ليس الأمر كذلك، وهذا ويجب كون ذلك الولد أزلياً وهو محال، وإن كان الثاني فقد ثبت أنه تعالى عالم بأنه ليس له في تحصيل الولد كمال حال ولا ازدياد مرتبة في الإلهية، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن لا يحدثه البتة في وقت من الأوقات، وهذا هو المراد من قوله (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وفيه وجه آخر وهو أن يقال الولد المعتاد إنما يحدث بقضاء الشهوة، وقضاء الشهوة يوجب اللذة، واللذة مطلوبة لذاتها، فلو صحت اللذة على الله تعالى مع أنها مطلوبة لذاتها، وجب أن يقال إنه لا وقت إلا وعلم الله بتحصيل تلك اللذة يدعوه إلى تحصيلها قبل ذلك الوقت لأنه تعالى عالماً بكل المعلومات وجب أن يكون هذا المعنى معلوماً، وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن يحصل تلك اللذة في الأزل، فلزم أن يكون هذا الولد أزلياً، وقد بينا أنه محال فثبت أن كونه تعالى عالماً بكل المعلومات مع كونه تعالى أزلياً يمنع من صحة الولد عليه، وهذا هو المراد من قوله (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فثبت بما ذكرنا أنه لا يمكن إثبات الولد لله تعالى بناء على هذين الاحتمالين المعلومين، فأما إثبات الولد لله تعالى بناء على احتمال ثالث فذلك باطل، لأنه غير متصور ولا مفهوم عند العقل، فكان القول بإثبات الولادة بناء على ذلك الاحتمال الذي هو غير متصور خوضاً في محض الجهالة وأنه باطل.

تفسير سورة مريم ٣٥:١٩

تفسير الرازي الجزء واحد وعشرين صفحة ٢١٧-٢١٨

مريم ٣٥:١٩ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

أما قوله (ما كان لله أن يتخذ من ولد) فهو يحتمل أمرين: (أحدهما) أن ثبوت الولد له محال فقولنا (ما كان لله أن يتخذ من ولد) كقوله ما كان لله أن يقول لأحد إنه ولدي لأن هذا الخبر كذب، والكذب لا يليق بحكمة الله تعالى وكماله. فقوله (ما كان لله أن يتخذ من ولد) كقولنا ما كان لله أن يظلم أي لا يليق ذلك بحكمته وكمال إلهيته، واحتج الجبائي بالآية بناء على هذا التفسير أنه ليس لله أن يفعل كل شيء لأنه تعالى صرح بأنه ليس له هذا الإيجاد، أي ليس له هذا الاختيار. وأجاب أصحابنا عنه بأنه الكذب محال على الله تعالى فلا جرم قال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أما قوله (سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) ففيه مسائل:

(المسألة الأولى) أنه تعالى لما قال سبحانه ثم قال عقيبه (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) كان كالحجة على تنزيهه عن الولد وبيان ذلك أن الذي يجعل ولداً لله، إما أن يكون قديماً أزلياً أو يكون حدثاً فإن كان أزلياً فهو محال لأنه لو كان واجباً لذاته لكان واجب الوجود أكثر من واحد. هذا خلف. وإن كان ممكناً لذاته كان مفتقراً في وجوده إلى الواجب لذاته غنياً لذاته فيكون الممكن محتاجاً لذاته فيكون عبداً له لأنه لا معنى للعبودية إلا ذلك، وأما إن كان الذي يجعل ولداً يكون محدثاً فيكون وجوده بعد عدمه بخلق ذلك القديم وإيجاه وهو المراد من قوله (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) فيكون عبداً له لا ولداً له فثبت أنه يستحيل أن يكون لله ولد.

(المسألة الثانية) احتج الأصحاب بقوله (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) على قدم كلام الله تعالى قالوا لأن الآية تدل على أنه تعالى إذا أراد إحداث شيء قال له، كن فيكون فلو كان قوله كن محدثاً لافتقر حدوثه إلى قول آخر ولزم التسلسل وهو محال، فثبت أن قول الله قديم لا محدث، واحتج المعتزلة بالآية على لحدوث كلام الله تعالى من وجوه: (أحدها) أنه

تعالى أدخل عليه كلمة إذا وهذه الكلمة دالة على الاستقبال فوجب أن لا يحصل القول إلا في الاستقبال (وثانيها) أن حرف الفاء للتعقيب والفاء في قوله (فإنما يقول له) يدل على تأخر ذلك القول عن ذلك القضاء والمتأخر عن غيره محدث (وثالثها) الفاء في قوله (فيكون) يدل على حصول ذلك الشيء عقيب ذلك القول من غير فصل فيكون قول الله متقدماً على حدوث الحادث تقدماً بلا فصل والمتقدم على المحدث تقدماً بلا فصل يكون محدثاً، فقول الله محدث. واعلم أن استدلال الفريقين ضعيف، أما استدلال الأصحاب فلأنه يقتضي أن يكون قوله (كن) قديماً وذلك باطل بالاتفاق، وأما استدلال المعتزلة فلأنه يقتضي أن يكون قول الله تعالى هو المركب من الحروف والأصوات وهو محدث وذلك لا نزاع فيه إنما المدعي قدم شيء آخر.

(المسألة الثالثة) من الناس من أجرى الآية على ظاهرها فزعم أنه تعالى إذا أحدث شيئاً قال له كن وهذا ضعيف لأنه، إما أن يقول له كن قبل حدوثه أو حال حدوثه. فإن كان الأول كان ذلك خطاباً مع المعدوم وهو عبث وإن كان الثاني فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والإرادة فأبي تأثير لقوله كن فيه، ومن الناس من زعم أن المراد من قوله (كن) هو التخليق والتكوين وذلك لأن القدرة على الشيء غير وتكوين الشيء غير فإن الله سبحانه قادر في الأزل وغير مكون في الأزل، ولأنه الآن قادر على عوالم سوى هذا العالم وغير مكون لها، والقادرية غير المكونية والتكوين ليس هو نفس المكون. لأننا نقول المكون إنما حدث لأن الله تعالى كونه فأوجده، فلو كان التكوين نفس المكون لكان قولنا المكون إنما وجد بتكوين الله تعالى نازلاً منزلة قولنا المكون إنما وجد نفسه وذلك محال، فثبت أن التكوين غير المكون فقوله (كن) إشارة إلى الصفة المسماة بالتكوين، وقال آخرون قوله (كن) عبارة عن نفاذ قدرة الله تعالى ومشيعته في الممكنات. فإن وقوعها بتلك القدرة والإرادة من غير امتناع واندفاع يجري مجرى العبد المطيع المسخر المنقاد لأوامر مولاه، فعبر الله تعالى عن ذلك المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة.

تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة ١٢٢

مریم ٣٥: ١٩ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبداً نبياً نزه نفسه المقدسة فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) أي عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علواً كبيراً (إذ قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) أي إذا أراد شيئاً فإنما يأمر به فيصير كما يشاء كما قال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين) وقوله (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أي ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال (فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي جئكم به عن الله صراط مستقيم أي قويم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه ضل وغوى. وقوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) أي اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضح حاله وأنه عنده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على أنه ولد زينة، وقالوا كلامه هذا سحر، وقالت طائفة أخرى إنما تكلم الله وقال آخرون بل هو ابن الله، وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد إليه المؤمنين، وقد روى نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف. قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) قال اجتمع بنو إسرائيل فاخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنان للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الإسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله. قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون. فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا فاقتتلوا وظهر على المسلمين، وذلك قول الله تعالى (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قال قتادة وهم الذين قال الله (فاختلف الأحزاب من بينهم) قال اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريباً من ذلك، وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا فاختلفوا في عيسى بن مريم عليه السلام اختلافاً متبايناً جداً فقالت كل شذمة فيه قولاً فمائة

تقول فيه قولاً آخر وخمسون تقول شيئاً آخر ومائة وستون تقول شيئاً ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلثمائة وثمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فمال إليهم الملك وكان فيلسوفاً فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الأمانة الكبيرة بل هي الخيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعاً كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيروه فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشر ألف كنيسة وبنت أمه هيلانة قمامة على المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله إلى السماء وقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله وافترى وزعم أن له ولداً ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلماً وثقة بقدرته عليهم فإنه الذي لا يجعل على من عصاه كما جاء في الصحيحين «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه ألم شديد) وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم» وقد قال الله تعالى (وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير) وقال تعالى (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) ولهذا قال ههنا (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أي يوم القيامة، وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من شهد أن لا إله إلا الله وحده له شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء الخامس صفحة ٤٣٥

مريم ٣٥:١٩ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

«ذلك عيسى ابن مريم. قول الحق الذي فيه يمترون. ما كان الله أن يتخذ من ولد. سبحانه. إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون. وإن الله ربي وربكم فاعبدوه. هذا صراط مستقيم.»
ذلك عيسى ابن مريم، لا ما يقوله المؤلهون له أو المتهمون لأمه في مولده.. ذلك في حقيقته

وذلك واقع نشأته. ذلك هو يقول قول الحق الذي فيه يمترون ويشكون. يقولها لسانه ويقولها الحال في قصته: «ما كان لله أن يتخذ من ولد» تعالى وتنزهه فليس من شأنه أن يتخذ ولداً. والولد إنما يتخذه الفانون للامتداد، ويتخذه الضعاف للنصرة. والله باق لا يخشى فناء، قادر لا يحتاج معيناً. والكائنات كلها توجد بكلمة كن. وإذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون.. فما يريد تحقيقه يحققه بتوجه الإرادة لا بالولد والمعين.. وينتهي ما يقوله عيسى - عليه السلام - ويقول له حاله بإعلان ربوبية الله له وللناس، ودعوته إلى عبادة الله الواحد بلا شريك: «وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم».. فلا يبقى بعد شهادة عيسى وشهادة قصته مجال للأوهام والأساطير.. وهذا هو المقصود بذلك التعقيب في لغة التقرير وإيقاع التقرير.

تفسير سورة مريم ١٩: ٨٨ و ٩١ و ٩٢

تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة ١٣٨-١٣٩

مريم ١٩: ٨٨ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا.

مريم ١٩: ٩١ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا.

مريم ١٩: ٩٢ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا.

لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام وذكر خلقه من مريم بلا أب، شرع في مقام الإنكار على من زعم أن له ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً، فقال (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا) أي في قولكم هذا (شيئاً إذا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك أي عظيماً، ويقال إذا بكسر الهمزة وفتحها ومع مدها أيضاً ثلاث لغات أشهرها الأول وقوله (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا) أي يكاد يكون ذلك عن سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم إعظاماً للرب وإجلالاً لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد ولا صاحبة له ولا كفاء له بل هو الأحد الصمد.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

قال ابن جرير حدثني علي حدثنا عبد الله حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا) قال إن

لشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله. وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمن قالها عند موته وجبت له الجنة» فقالوا يا رسول الله فمن قالها في صحته؟ قال «تلك أوجب وأوجب» ثم قال «والذي نفسي بيده لو جيء بالسموات والأرضين وما فيهم وما بينهم وما تحتهم فوضعن في كفة الميزان، ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن» هكذا رواه ابن جرير ويشهد له حديث البطاقة والله أعلم، وقال الضحاك «تكاد السموات يتفطرن منه» أي يتشققن فرقاً من عظمة الله، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وتنشق الأرض أي غضباً له عز وجل وتخر الجبال هدأً قال ابن عباس هدماً، وقال سعيد بن جبير هدأً ينكسر بعضها على بعض متتابعات، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد المقبري حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مسعر عن عون بن عبد الله قال إن الجبل لينادي الجبل باسمه يا فلان هل مر بك اليوم ذكر الله عز وجل؟ فيقول نعم ويستبشر، قال عون لهي للخير أسمع أفيسمعن الزور والباطل إذا قيل ولا يسمعن غيره ثم قرأ (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدَأً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا)، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أيضاً حدثنا المنذر بن شادان حدثنا هودة حدثنا عوف عن غالب بن عجرد حدثني رجل من أهل الشام في مسجد مني قال بلغني أن الله لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة - أو قال - كان لهم فيها منفعة ولم تزل الأرض والشجر بذلك حتى تكلم فجرة بني آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الرحمن ولداً فلما تكلموا بها اقشعرت الأرض وشاك الشجر. وقال كعب الأحبار غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن ال أعمش عن سعيد ابن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافهم ويدفع عنهم ويرزقهم» أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ «أنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم» وقوله (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) أي لا يصلح له ولا يليق به لجلاله وعظمته لأنه لا كفاء له من خلقه لأن جميع الخلائق عبيد له ولهذا قال (إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً. لقد أحصاهم وعدهم عدداً) أي قد علم عددهم

منذ خلقهم إلى يوم القيامة ذكرهم وأتاهم وصغيرهم وكبيرهم (وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) أي لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ولا يظلم أحداً.

تفسير في ظلال القرآن سيد قطب الجزء الخامس صفحة ٤٥٣-٤٥٥

مريم ١٩: ٨٨ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا.

مريم ١٩: ٩١ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا.

مريم ١٩: ٩٢ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا.

ثم يستطرد السياق مرة أخرى إلى مقولة منكرة من مقولات المشركين. ذلك حين يقول المشركون من العرب: الملائكة بنات الله. والمشركون من اليهود: عزيز ابن الله. والمشركون من النصارى: المسيح ابن الله.. فينتفض الكون كله لهذه القولة المنكرة التي تنكرها فطرته، وينفر منها ضميره:

« وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا »..

إن جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو: جو الغضب والغيرة والانتفاض! وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية، والمساس بقداسة الذات العلية، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عنما يغضب الإنسان للمساس بكرامته أو كرامة من يحبه ويوقره.

هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السماوات والأرض والجبال، والألفاظ بإيثاعها ترسم حركة الزلزلة والارتجاج.

وما تماد الكلمة النابية تنطلق: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا» حتى تنطلق كلمة التفضيع والتبشيع «لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا» ثم يهتر كل ساكن من حولهم ويرتج كل مستقر، ويغضب الكون

كله لبارئه. وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته، ونجافي ما وقر في ضميره وما استقر في كيانه، وتهز القاعدة التي قام عليها واطمأن إليها: «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا»..

تفسير سورة المؤمنون ٩١:٢٣

تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة ٢٥٤

المؤمنون ٩١:٢٣ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ.

ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) أي لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط ببعضه ببعض في غاية الكمال «ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت» ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع وهو أنه لو فرض صانعان فصاعداً فأراد واحد تحريك جسم والآخر أراد سكونه فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزاً ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد فيكون محالاً فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب ممكناً لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً، ولهذا قال تعالى (وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علواً كبيراً (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه (فتعالى عما يشركون) أي تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون.

تفسير سورة الزخرف ٤٣: ٨١

تفسير الرزاي الجزء السابع والعشرون صفحة ٢٢٨-٢٢٩

الزخرف ٤٣: ٨١ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ.

قوله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) قرأ حمزة والكسائي (وُلد) بضم الواو وإسكان اللام والباقون بفتحهما (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قرأ نافع (فَأَنَا) بفتحة طويلة على النون والباقون بلا تطويل.

(المسألة الثانية) اعلم أن الناس طنوا أن قوله (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) لو أجريناه على ظاهره فإنه يقتضي وقوع الشك في إثبات ولد الله تعالى. وذلك محال فلا جرم افتقروا إلى تأويل الآية. وعندي أنه ليس الأمر كذلك وليس في ظاهر اللفظ ما يوجب العدول عن الظاهر، وتقريره أن قوله (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قضية شرطية والقضية الشرطية مركبة من قضيتين خبريتين أدخل على إحداهما حرف الشرط وعلى الأخرى حرف الجزاء فحصل مجموعها قضية واحدة، ومثاله هذه الآية فإن قوله (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قضية مركبة من قضيتين: (إحداهما) قوله (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ)، (والثانية) (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) ثم أدخل حرف الشرط وهو لفظة إن على القضية الأولى وحرف الجزاء وهو الفاء على القضية الثانية فحصل من مجموعها قضية الأولى واحدة، وهو القضية الشرطية، إذا عرفت هذا فنقول القضية الشرطية لا تفيد إلا كون الشرط مستلزماً للجزاء، وليس فيها إشعار بكون الشرط حقاً أو باطلاً أو يكون الجزاء حقاً أو باطلاً، بل نقول وجزاء حق أو من شرط حق وجزاء باطل، فأما القسم الرابع وهو أن تكون القضية الشرطية الحقبة مركبة من شرط حق وجزاء باطل فهذا محال.

ولنبين أمثال هذه الأقسام الأربعة، فإذا قلنا إن كان الإنسان حيواناً فالإنسان جسم فهذه شريطة حقة وهي مركبة من قضيتين حقيقتين، إحداهما قولنا الإنسان حيوان، والثانية قولنا الإنسان جسم، وإذا قلنا إن كانت الخمسة زوجاً كانت منقسمة بمتساويين فهذه شرطية حقة لكنها مركبة من قولنا الخمسة زوج، ومن قولنا الخمسة منقسمة بمتساويين وهما باطلان، وكونهما باطلين لا يمنع من أن يكون استلزام أحدهما للآخر حقاً، وقد ذكرنا أن القضية الشرطية لا تفيد إلا مجرد الاستلزام. وإذا قلنا إن كان الإنسان حجراً فهو جسم، فهذا جسم،

فهذا أيضاً حق لكنها مركبة من شرط باطل وهو قولنا الإنسان حجر، ومن جزء حق وهو قولنا الإنسان جسم، وإنما جاز هذا لأن الباطل قد يكون بحيث يلزم من فرض وقوعه وقوع حق، فإننا فرضنا كون الإنسان حجراً وجب كونه جسماً فهذا شرط باطل يستلزم جزءاً حقاً.

(وأما القسم الرابع) وهو تركيب قضية شرطية حقة من شرط حق وجزاء باطل، فهذا محال، لأن هذا التركيب يلزم منه كون الحق مستلزماً للباطل وذلك محال بخلاف القسم الثالث فإنه يلزم منه كون الباطل مستلزماً للحق وذلك ليس بمحال، إذا عرفت هذا الأصل فلنرجع إلى الآية فنقول قوله (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) قضية شرطية حقة من شرط باطل ومن جزء باطل لأن قولنا كان الرحمن ولد باطل، وقولنا (أَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) لذلك الولد باطل أيضاً إلا أنا بينا أن كون كل واحد منهما باطلاً لا يمنع من أن يكون استلزام أحدهما للآخر حقاً كما ضربنا من المثال في قولنا إن كانت الخمسة زوجاً كانت منقسمة بمتساويين، فثبت أن هذا الكلام لا امتناع في إجرائه على ظاهره، ويكون المراد منه أنه إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لذلك الولد، فإن السلطان إذا كان له ولد فكما يجب على عبده أن يخدمه فكذلك يجب عليه أن يخدم ولده، وقد بينا أن هذا التركيب لا يدل على الاعتراف بإثبات ولد أم لا.

تفسير ابن كثير الجزء الرابع صفحة ١٣٥

الزخرف ٨١:٤٣ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ.

يقول تعالى (قل) يا محمد (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) أي لو فرض هذا لعبده على ذلك لأني عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرني به ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته. فلو فرض هذا لكان هذا. ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً، كما قال عز وجل (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) وقال بعض المفسرين في قوله تعالى (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) أي الأنفين، ومنه سفيان الثوري والبخاري حكاة فقال ويقال أول العابدين المجاحدين من عبد يبعد، وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب حدثني ابن أبي ذئب عن أبي قسيط عن بعجة بن بدر الجهني أن امرأة منهم دخلت على

زوجها وهو رجل منهم ايضاً فولدت له في ستة أشهر، فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بها أن ترحم، فدخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: إن الله تعالى يقول في كتابه (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقال عز وجل (وفصاله في عامين) قال فوالله ما عبد عثمان رضي الله عنه أن بعث إليها ترد قال يونس قال ابن وهب عبد استنكف وقال الشاعر:

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالماً
وهذا القول فيه نظر لأنه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره إن كان هذا فأنا ممتنع منه؟
هذا فيه نظر فليتأمل اللهم إلا أن يقال إن إن ليست شرطاً وإنما هي نافية كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ) يقول لم يكن للرحمن ولد فأنا أول اسلاهيدين وقال قتادة: هي كملة م ن كلام العرب (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) أي فأنا أول من عبده بأن لا ولد له، وأول من وحده، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم، وقال مجاهد (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) أي أول من عبده وحده وكذبكم، وقال البخاري (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) الأنفين وهما لغتان رجل عابد وعبد الأول أقرب على أنه شرط وجزاء ولكن هو ممتنع، وقال السدي (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) يقول: لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولداً ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم أن إنا نافية.

وَلَدَ إِلَهٍ (علاقة المسيح بالله وروحه)

تصدر الأفعال المشتقة من «وَلَدَ إِلَهٍ» ٣ مرات

الصفات ١٥٢:٣٧ وَلَدَ إِلَهٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

الإخلاص ١:١١٢-٤ قُلْ هُوَ إِلَهٌ أَحَدٌ ٢ إِلَهُ الصَّمَدُ ٣ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٤ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

تفسير عن العبارة «ولد الله»

يقول الطبري: «أن هذه السورة نزلت بشأن المشركي العرب أو اليهود» (الطبري،

٣٠:٣٤٢).

رفض اللقب أن المسيح

«ابن الله» (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد عبارة «ابن الله» مرتين ومنها مختصة بالمسيح مرة واحدة فقط

التوبة ٣٠:٩ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

تفسير سورة التوبة ٣٠:٩ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

الرفض أن الله هو المسيح (علاقة المسيح بالله وروحه)

يرد الفكر أن الله هو المسيح ٣ مرات

المائدة ١٧:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

المائدة ٧٢:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ.

التوبة ٣١:٩ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

ملاحظات وتفاسير حول العبارة أن الله هو المسيح

المسيح من ذاته السامية من ذات الله: «كلمته وروح منه» يصدر منه صدوراً، كما تصدر «الكلمة» من الذات الناطقة في حديثها النفسي. وبما أن الذات الناطقة في «كلمة الله» هي الله نفسه، فالمسيح كلمة الله هو قول الله في ذاته. فالمسيح بصفته عيسى ابن مريم إنسان كامل لكن المسيح بصفته «كلمة الله وروح منه» لأنه الكلمة الخالق، من ذات الله، الله نفسه.

قال البيضاوي مفسراً الآية ٧٢:٥: «هم الذين قالوا بالاتحاد منهم. وقيل: لم يصرح به أحد منهم! ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتاً، وقالوا لا إله إلا واحد، لزمهم أن يكون هو المسيح، فنسب إليه لازم قولهم».

تفسير سورة المائدة ١٧:٥ و٧٢ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة التوبة ٣١:٩ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

وقال الزمخشري عن الآية ٧٢:٥: «معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير.

قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك. وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم».

قال الجلالان عن الآية ٧٢:٥: «لقد كفروا حيث جعلوا ابن مريم إلهاً، وهم اليعقوبية، فرقة

من النصارى».

قال البيضاوي في تفسيره للآية ٧٢:٥: «هم الذين قالوا بالاتحاد منهم، وقيل لم يصرح به

أحد منهم بل حكى لسان حالهم».

قدرة الله ليهلك المسيح (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد هذه الفكرة مرة واحدة

المائدة ١٧:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

تفسير سورة المائدة ١٧:٥ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

ثلاثة (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «ثلاثة» عن الله مرتين

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

المائدة ٧٣:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

ملاحظات وتفسير عن وحدة الثالوث

الثلاثة بحسب القرآن مرفوضة من المسيحية مطلقاً. كتب الرازي عن إجماع المفسرين بقوله: «وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، وأن الذي يؤكد ذلك قوله: (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)؟ فقوله (ثالث ثلاثة) أي أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة. والدليل أن المراد قوله في الرد عليهم: «ما من إله إلا واحد».

ولا أحد من المسيحيين يقول بأن أم المسيح «ثالث ثلاثة»، بل وحدة الثالوث الأقدس هي: الله والكلمة والروح. والمسيحية بريئة من البدعة المذكورة في القرآن على الإطلاق.

قال الزمخشري مفسراً الآية ١٧١:٤: «إن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد، ثلاثة أقانيم، أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، وأنهم يريدون بأقنوم الآب الذات وبأقنوم الابن العلم. وبأقنوم الروح القدس الحياة: فتقديره (الله ثلاثة). وإلا فتقديره (الآلهة ثلاثة) والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن

منع اتخاذ إلهين من دون الله (علاقة المسيح بالله وروحه)

المسيح وَلَدُ الله من مريم». نقول للزمخشري المقالة الأولى (الله واحد في ثلاثة) هي حقاً مقالة المسيحيين، أما المقالة الثانية (الآلهة ثلاثة) فليست مقالتهم بل بدعة من بعض نصارى الحجاز الجهال لا يعرفها أحد غيرهم.

تفسير سورة النساء ١٧١:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٧٣:٥ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

منع اتخاذ إلهين من دون الله (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد هذه العبارة مرة واحدة فقط

المائدة ١١٦:٥ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

تفسير سورة المائدة ١١٦:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

منع اتخاذ أربابٍ بدون الله (علاقة المسيح بالله)

ترد هذه الفكرة مرتين

آل عمران ٦٤:٣ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

التوبة ٣١:٩ اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

تفسير سورة آل عمران ٦٤:٣ انظر (كلمة الله من أسماء المسيح وصفاته)

٢ – الإدعاء بأنّ عيسى مخلوق وغير مولود

ترد الفكرة بأن المسيح مخلوقاً ٧ مرات

١٢:٦٦ ، ٩١:٢١	٢	خلقه الله بنفخته
٣٥:١٩ ، ٥٩ ، ٤٧:٣ ، ١١٧:٢	٤	كن فيكون
٥٩:٣	١	مثل آدم(خلقه)

الادعاء بأن نفخة الله خلقت المسيح (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة ونفخنا فيها أو فيه مرتين بنسبة المسيح

الأنبياء ٩١:٢١ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.

التحریم ١٢:٦٦ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَائِنِينَ.

تفسير سورة الأنبياء ٩١:٢١ انظر (روح الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة التحريم ١٢:٦٦ انظر (مريم من أجداد المسيح)

ملاحظات وتفسير بأن نفخة الله هي التي سببت ولادة المسيح

أجمع معظم المفسرين أن جبريل لم يقيم مقام الرجل. بل كان واسطة المعجزة للحمل. فلم يقتصر دور الملاك سوى على البلاغ، إنما الله هو الذي ألقى روحه إلى مريم. وهكذا يظهر معنى قوله «ونفخنا فيها من روحنا».

قال الزمخشري في تفسيره للآية ٩١:٢١: «إن مريم ولدت من غير مسيس، وعيسى روح من الله ألقى إليها» مباشرة من الله ودون أي وسيط.

قال الجلالان في تفسيره للآية ٩١:٢١: «نفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل من بطنها مصوراً».

قال البيضاوي في تفسيره للآية ١٩:٢١: «فحملته بأن نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها».

كن فيكون (علاقة المسيح بالله وروحه)

(مخلوق غير مولود)

ترد هذه العبارة ٤ مرات عن المسيح

البقرة ١١٦:٢ و ١١٧ وقالوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ١١٧ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

آل عمران ٤٧:٣ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

آل عمران ٥٩:٣ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

مريم ٣٥:١٩ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

ملاحظات حول فكر الإسلام عن خلق المسيح

يقول الطبري في تفسير الآية ١١٦:٢ و ١١٧: «وكيف يكون المسيح لله ولداً وهو لا يخلو إما أن يكون في بعض هذه الأماكن إما في السموات وإما في الأرض، ولله ملك ما فيهما ولو كان المسيح ابناً كما زعمتم لم يكن كسائر ما في السموات والأرض من خلقه وعبيده في ظهور آيات الصنعة فيه» (الطبري، ١: ٥٠٧).

قال ابن العربي: «أما الإنسان فقد اختلف خلقه على أربعة أنواع من الخلق: فخلق آدم لا يشبه خلق حواء، وخلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم، وخلق عيسى عليه السلام لا يشبه خلق من ذكر...»

فآدم خُلِقَ من طين، وحواء من ضلع آدم، وعيسى من نفخ روح،

(وبنو آدم من ماء مهين. (ابن العربي، الفتوحات المكية، ١: ١٤٥-١٤٦)
تفسير سورة البقرة ٢: ١١٦ و ١١٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
تفسير سورة آل عمران ٣: ٤٧ و ٥٩ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
تفسير سورة مريم ١٩: ٣٥ انظر (ليس لله ولدٌ علاقة المسيح بالله وروحه)

مثل آدم (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد الكلمة «مثل عيسى» مرة واحدة

و«مثل آدم» مرة واحدة

آل عمران ٥٩:٣ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

ملاحظات حول الفكر أن المسيح مثل آدم

استعمل القرآن في جوابه بخصوص ولادة المسيح، الغريب بالأغرب: المسيح وُلد بدون أب وآدم كان بدون أب وأم. فكما أن مولد آدم لا يجعله إلهاً، كذلك مولد المسيح لا يجعله ابن الله، هذا هو منطق القرآن.

إن خلق آدم بدون أب ولا أم ليس معجزة. إذ المعجزة خرق العادة وخلق آدم بدءاً لناموس الطبيعة البشرية، ولا خرق فيه لهذا الناموس. أما مولد المسيح من أم بلا أب فهو خرق العادة وهو المعجزة عينها.

خلق آدم من طين، وحواء من ضلع، وأما المسيح فمن روح الله، فآدم وحواء. أخطئنا مراراً، بينما المسيح لم يخطئ البتة لأنه روح الله المتجسد، فلا مجال لتسويتهم. تفسير سورة آل عمران ٥٩:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

٣ - الادعاء بأن المسيح تحت تصرف الله

٥	ربي وربكم	٥١:٣ ، ٧٢:٥ ، ١١٧ ، ٣٦:١٩ ، ٦٤:٤٣
٢	عبد الله	١٧٢:٣ ، ٣٠:١٩
٨	رسول الله	٨٧:٢ ، ٤٩:٣ ، ٥٣ ، ١٥٧:٤ ، ١٧١ ، ٧٥:٥
		٦١:٦
١	نبي	٣٠:١٩
٣	عيسى خاضع لله	٥٢:٥ ، ١١٧ ، ٣١:٩
١	أوصاه الله	١٣:٤٢
١	صلاة عيسى باسم الله	١١٤:٥
١	صلاة عيسى باسم ربنا	١١٤:٥

ربي وربكم (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «ربي وربكم» ٥ مرات

آل عمران ٥١:٣ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

المائدة ٧٢:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ.

المائدة ١١٧:٥ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

مريم ٣٦:١٩ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

الزخرف ٦٤:٤٣ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

تفسير سورة آل عمران ٥١:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٧٢:٥ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٧:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة مريم ٣٦:١٩

تفسير الزمخشري الجزء الثاني صفحة ٥٠٩

مريم ٣٦:١٩ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

وقرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن، ومعناه: ولأنه ربي وربكم فاعبدوه كقوله - وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً - والأستار وأبو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حرف أبي: إن الله بالكسر بغير واو، وبأن الله: أي بسبب ذلك فاعبدوه (الأحزاب) اليهود والنصارى عن الكلبي، وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية.

تفسير الرازي الجزء واحد وعشرين صفحة ٢١٩-٢٢٠

مريم ١٩: ٣٦ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

اعلم أن قوله (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ) فيه مسائل:

(المسألة الأولى) قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح أن، ومعناه ولأنه ربي وربكم فاعبدوه، وقرأ الكوفيون وأبو عبيدة بالكسر على الابتداء، وفي حرف أبي (إن الله) بالكسر من غير واو أي بسبب ذلك فاعبدوه.

(المسألة الثانية) أنه لا يصح أن يقول الله (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ) فلا بد وأن يكون قائل هذا غير الله تعالى، وفيه قولان (الأول) التقدير فقل يا محمد إن الله ربي وربكم بعد إظهار البراهين الباهرة في أن عيسى هو عبد الله (الثاني) قال أبو مسلم الأصفهاني: الواو في وإن الله عطف على قول عيسى عليه السلام (إني عبد الله آتاني الكتاب) كأنه قال إني عبد الله وإنه ربي وربكم فاعبدوه، وقال وهب بن منبه عهد إليهم حين أخبرهم عن بعثه ومولده ونعته أن الله ربي وربكم أي كلنا عبيد الله تعالى.

(المسألة الثالثة) قوله (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) يدل على أن مدبر الناس ومصلح أمورهم هو الله تعالى على خلاف قول المنجمين إن مدبر الناس ومصلح أمورهم في السعادة والشقاوة هي الكواكب ويدل أيضاً على أن الإله واحد لأن لفظ الله اسم علم له سبحانه فلما قال (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) أي لا رب للمخلوقات سوى الله وتعالى ذلك يدل على التوحيد، أما قالوه (فَأَعْبُدُوهُ) فقد ثبت في أصول الفقه أن ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فهنا الأمر بالعبادة وقع مرتباً على أنه أنه تعالى إنما وصف الربوبية فدل على أنه إنما تلزمنا عبادته سبحانه لكونه رباً لنا، وذلك يدل على أنه تعالى إنما تجب عبادته لكونه منعماً على الخلائق بأصول النعم وفروعها، ولذلك فإن إبراهيم عليه السلام لما منع أباه من عبادة الأوثان قال (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) يعني أنها لم تكن منعمة على العباد لم تجز عبادتها، وبهذه الآية ثبت أن الله تعالى لما كان رباً ومربياً لعباده وجب عبادته، فقد ثبت طرداً وعكساً تعلق العبادة بكون المعبود منعماً، أما قوله (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يعني القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة صراط مستقيم وأنه سمي هذا القول بالصراط المستقيم تشبيهاً بالطريق لأنه المؤدي إلى الجنة.

عبد الله (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد عبارة «عبد الله» عن المسيح
مرتين واضحاً ومرة واحدة ضمناً

النساء ١٧٢:٤ لَنْ يَسْتَكْفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ
يَسْتَكْفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا.

مريم ٣٠:١٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.

مريم ٩٣:١٩ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَانِ عَبْدًا.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: عبد الله.

تفسير سورة النساء ١٧٢:٤ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة مريم ٣٠:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

رسول الله (علاقة المسيح بالله وروحه)

يرد اللقب «رسول»

مختصاً بالمسيح ٨ مرات واضحاً

و ٤ مرات ضمناً

البقرة ٨٧:٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

آل عمران ٤٨:٣ و ٤٩ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٩ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

آل عمران ٥٢:٣ و ٥٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

النساء ١٥٧:٤ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

المائدة ٧٠:٥ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ.

المائدة ٧٥:٥ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

المائدة ١١٠:٥ و ١١١ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ١١١ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

الحجر ١٠:١٥ و ١١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ١١ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.

يس ٣٠:٣٦ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.

الذاريات ٥٢:٥١ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ.

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: رسول الله.

تفسير سورة البقرة ٢:٨٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٣:٤٨ و ٩:٤ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤:١٥٧ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤:١٧١ انظر (مريم من أجداد المسيح)

تفسير سورة المائدة ٥:٧٥ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:١١١ انظر (رسول الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الصف ٦:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

نبي (علاقة المسيح بالله وروحه)

اخترنا ٥ آيات عن كلمة «نبي»

منها واحدة تختص بالمسيح واضحاً و ٤ ضمناً

آل عمران ١٤٦:٣ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ.

الأنعام ١١٢:٦ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ.

مريم ٣٠:١٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.

ملاحظة: قال مجاهد أن النبي وحده يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل (الطبري،

٨٠:١٦)

الفرقان ٣١:٢٥ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.

الزخرف ٦:٤٣ و ٧ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ٧ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: نبي.

تفسير سورة مريم ٣٠:١٩ انظر (مريم من أسماء المسيح وصفاته)

عيسى خاضع لله (علاقة المسيح بالله وروحه)

يرد الفكر أن المسيح خاضع

لله ثلاث مرات على الأقل

النساء ١٧٢:٤ لَنْ يَسْتَكْفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا.

المائدة ١١٧:٥ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

مريم ٣٠:١٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.

تفسير سورة النساء ١٧٢:٤ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٧:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة مريم ٣٠:١٩ انظر (مريم من أسماء المسيح وصفاته)

المسيح تحت وصية الله (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «وصينا به» مرة واحدة

الشورى ١٣:٤٢ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.

تفسير سورة الشورى ١٣:٤٢ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

اللهم ربنا (علاقة المسيح بالله وروحه)

يرد الاسم «اللهم ربنا» في صلاة المسيح مرة واحدة

المائدة ٥: ١١٤ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآزْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

ملاحظات عن العبارة اللهم ربنا

تدل العبارة «اللهم ربنا» على الأصل العبراني «إلوهيم» مع العلم أنّ الاسمين كليهما بأتيان بصيغة الجمع وليس بالمفرد، الأمر الذي يدل على وحدة الثالوث الأقدس، وترد العبارة اللهم في القرآن ست مرات. فالمسلم عندما يطلب الله بإلحاح يعرف أن اللهم هي المفتاح المفضل لاستجابة الصلاة.

٤ - ألقاب غامضة للمسيح

لها معاني مسيحية وإسلامية بنفس الوقت

المسيح (المسوح)	١١	توجد الآيات بأسماء المسيح تحت القسم الثاني
كلمة الله	٥	٣٩:٣ ، ٤٥ ، ٦٤ ، ١٧١:٤ ، ١٥٨:٧
روح الله	١	١٧١:٤
رحمة الله	١	٢١:١٩
آية الله	٣	٢١:١٩ ، ٩١:٢١ ، ٥٠:٢٣
من الصالحين	٢	٨٥:٦ ، ٤٦:٣
من المقربين	١	٤٥:٣
وجيه في الدنيا والآخرة	١	٤٥:٣
السلام عليه	١	٣٣:١٩

كلمة الله (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد عبارة «كلمة» عن المسيح ٥ مرات

آل عمران ٣: ٣٩ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْغُرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.

ملاحظة: عن ابن عباس: «وكانت أم يحيى تقول لمريم: اني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك» فذلك تصديقه بعيسى وسجوده في بطن أمه (الطبري، ٣: ٢٥٩)

آل عمران ٣: ٤٥ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

آل عمران ٣: ٦٤ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

النساء ٤: ١٧١ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

الأعراف ٧: ١٥٨ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: كلمة الله.

تفسير سورة آل عمران ٣: ٣٩ انظر زكريا (من أجداد المسيح)

تفسير سورة آل عمران ٣: ٤٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٣: ٦٤ انظر (كلمة الله، علاقة المسيح بالله وروحه)

تفسير سورة النساء ٤: ١٧١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الأعراف ٧: ١٥٨ انظر (رسول الله من أسماء المسيح وصفاته)

روح الله (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «روح منه» مرة واحدة

والعبارة «من روحنا» مرتين

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

ملاحظة: يورد الطبري فيما يتعلق بمعنى «الروح» ثلاثة أقوال وهي: «نفخة منه» أو «حياة منه» (أي الله) أو «جبريل» (الطبري، ٣٥:٦-٣٦).

الأنبياء ٩١:٢١ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.

التحریم ١٢:٦٦ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: روح الله.

تفسير سورة النساء ١٧١:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الأنبياء ٩١:٢١ انظر (روح الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة التحريم ١٢:٦٦ انظر (مريم من أجداد المسيح)

رحمة الرحمان الرحيم (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد هذه الصفة مرة واحدة

مریم ۲۱:۱۹ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: رحمة من الله.
تفسير سورة مریم ۲۱:۱۹ انظر (مریم من أجداد المسيح)

آية الله (علاقة المسيح بالله وروحه)

يرد اللقب «آية الله» عن المسيح ٣ مرات

مريم ٢١:١٩ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.

الأنبياء ٩١:٢١ وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.

المؤمنون ٥٠:٢٣ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: آية الله.

تفسير سورة مريم ٢١:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

تفسير سورة الأنبياء ٩١:٢١ انظر (روح الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المؤمنون ٥٠:٢٣ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

من الصالحين (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد الصفة «من الصالحين» مرتين عن المسيح

آل عمران ٤٦:٣ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ.

الأنعام ٨٥:٦ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: من الصالحين.

تفسير سورة آل عمران ٤٦:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الأنعام ٨٥:٦ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

من المقربين (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد الصفة أنه «من المقربين» مرة واحدة عن المسيح

آل عمران ٤٥:٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: من المقربين.

تفسير سورة آل عمران ٤٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

وجيه (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد الصفة «وجيه في الدنيا والآخرة» مرة واحدة عن المسيح

آل عمران ٤٥:٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٤٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: وجيهًا.

السلام عليه (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «السلام عليه» عن المسيح مرة واحدة

مريم ٣٣:١٩ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا.

تفسير سورة مريم ٣٣:١٩ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: السلام عليه.

٥ - أعمال الله للمسيح

ثلاثة آيات فقط يُكلم الله فيها المسيح

كَلَّمَهُ اللهُ	٣	٥٥:٣-٥٦، ١١٠:٥-١١١، ١١٦-
	١١٧	
عَلَّمَهُ الْكِتَابَ	٢	٤٨:٣، ١١٠:٥
مَنْحَ نِعْمَتِهِ الْخَاصَّةَ لَهُ	١	١١٠:٥
أَيَّدَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ	٣	٨٧:٢، ٢٥٣، ١١٠:٥
أَذِنَ اللهُ الْبَنَاتَ لِلْمَسِيحِ	٢	٤٩:٣، ١١٠:٥
أَخَذَ اللهُ مِنْهُ مِيثَاقاً عَلِيظاً	١	٧:٣٣
طَهَّرَهُ مِنْ كُفْرِ الْيَهُودِ	٢	٥٥:٣، ١١٠:٥
إِنِّي مَتَوَفِيكَ	٢	٥٥:٣، ١٧:٥
رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ	٢	٥٥:٣، ١٥٨:٤
جَعَلَهُ مَبَارَكاً أَيْنَمَا يَكُونُ	١	٣١:١٩

كَلَّمَ الله عيسى (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد أقوال الله للمسيح ٣ مرات ولأمة مرة واحدة

آل عمران ٤٥:٣-٤٦ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٦ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ.

آل عمران ٥٥:٣-٥٦ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٦ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ.

المائدة ١١٠:٥-١١١ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ١١١ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

المائدة ١١٦:٥-١١٧ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ

عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
وَكَنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

ملاحظات وتفسير حول حديث الله مع المسيح

فيما يتخذ الله بينه وبين أنبيائه الملائكة واسطة يوحي بهم إلى عبده، انفرد المسيح بين العالمين في التحدث مع الله مباشرة، فهو «كلمة الله» فلا حاجة له إلى من ينقل إليه كلام الله، وهو «روح الله» فلا حاجة له إلى من يسرّ إليه أسرار الله.
قال الرازي عن الآية ٥: ١١٠-١١١: «هي خاصية شريفة كانت حاصلة له، ولا حصلت لأحد من الأنبياء قبله ولا بعده».

تفسير سورة آل عمران ٣: ٤٥ و ٤٦ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
تفسير سورة المائدة ٥: ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
تفسير سورة المائدة ٥: ١١١ انظر (رسول الله من أسماء المسيح وصفاته)
تفسير سورة المائدة ٥: ١١٦-١١٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

الله علّمه الكتاب (علاقة المسيح بالله وروحه)

يرد هذا الفكر أن «الله علّمه» مرتين

آل عمران ٤٨:٣ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ.

ملاحظات وتفسير حول تعلم المسيح من الله مباشرة

تعلم المسيح من الله مباشرة منذ ولادته «الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل» (آل عمران ٤٨:٣).

قال الرازي عن الآية ٤٨:٣: «الكتاب جنس الكتب، وأما الحكمة فهي عبارة عن العلوم النظرية والعلوم العلمية، وخصّ التوراة والإنجيل بالذكر على سبيل التشريف، أو إشارة إلى الأسرار التي لا يطلع عليها أحد إلا أكابر الأنبياء».

لقد علم الله المسيح الوحي والتنزيل كله، ولا يقول ذلك بحق أحد المرسلين، وعلمه الوحي والتنزيل كله منذ مولده. فلا يُقال فيه: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» بل العلم كله. وربما تدل العبارة «الكتاب» على اللوح المحفوظ في السماء، الكتاب الأصيل الذي علمه الله المسيح، فعرف كل الغيب والأسرار والقضاء والقدر على كل إنسان. فالله علمه كل ما أوحى الله إلى أنبيائه. فلذلك اسمه كلمة الله المتجسد.

تفسير سورة المائدة ١١٠:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٤٨:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

نعمة الله الخاصة للمسيح (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد هذه العبارة «نعمتي عليك» مرة واحدة

المائدة ٥: ١١٠-١١١ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى
وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي
فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى
بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ١١١ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي
قَالُوا آمَنَّا وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١١ انظر (رسول الله من أسماء المسيح وصفاته)

ملاحظات حول نعم الله على المسيح

وصف القرآن عيسى ابن مريم بألقاب ترفعه فوق المرسلين، وسائر الأنبياء إلى صلة خاصة
شخصية مع الله.

لقد غمر القرآن المسيح بنعم سبع لم تتوفر لأحد، خصه بها وحده دون العالمين.

- أيده بالروح القدس - استنبأه طفلاً - علمه الكتاب

- خلقه الطير بإذنه - إبراء الأكمه والبرص بإذنه - إحياء الموتى - البيئات

مهما يكن من معنى هذه النعم الفريدة التي لا ينسبها القرآن لأحد من المرسلين والعالمين،

فهي تجعل المسيح وحده في صلة شخصية خاصة مع الله، ترفعه فوق صفة المخلوق.

تأييد المسيح بروح القدس (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد هذه العبارة «أيدناه بروح القدس» ٣ مرات

البقرة ٨٧:٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

البقرة ٢٥٣:٢ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

ملاحظات وتفسير حول عبارة وأيدناه بروح القدس

قال الطبري في تفسيره البقرة ٨٧:٢: «اختلف في تأويله: فقال بعضهم هو جبريل وقال آخرون الإنجيل وقال آخرون الاسم الذي كان عيسى به يحيي الموتى».

قال الزمخشري في تفسيره للآية: «روح القدس أي بالروح المقدسة، ووصفها (بالقدس) كما قال (وروح منه) فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة».

قال الرازي في تفسيره للآية ٨٧، ٢: «فيه ثلاثة أقوال، منها قول أبي مسلم: «أن روح

القدس الذي أيده به يجوز أن يكون الروح الطاهرة التي نفخها الله تعالى فيه وأبانه بها عن غيره ممن خلق من اجتماع نطفتي الذكر والأنثى» فمن معاني التعبير «أيدناه بروح القدس» أنه روح عيسى، وهي «روح الله» كما قال الحسن، «والاسم الأعظم الذي كان يُحيي به عيسى عليه السلام الموتى» كما قال ابن عباس. روح منه أدخل التنكير في لفظ (روح) ولذلك يفيد التعظيم، فكان المعنى: روح من الأرواح الشريفة المقدسة العالية. وقوله (منه) إضافة لذلك الروح إلى نفسه تعالى لأجل التشريف والتعظيم» وقال أيضاً «وكان روح القدس لا يفارقه ساعة، وهو معنى قوله وأيدناه بروح القدس».

قال البيضاوي عن الآية ٨٧:٢: «أراد به جبريل، أو روح عيسى ووصفها به لطهارته من مس الشيطان، أو لكرامته على الله تعالى ولذلك أضافها إلى نفسه تعالى، أو لأنه لم تضمنه الأصلاب ولا الأرحام الطوامث» وقال أيضاً: «فروح القدس هو روح الله الذي تكوّن منه عيسى، فليس روحاً إنسانية، إنما هي فرق الإنسان، بل فوق الملاك لأنها «روح القدس» أي الله «روح منه» أي صادرة منه تعالى».

وقال الجلالان عن الآية ٨٧:٢: «يسير معه حيث سار». وهذان القولان يدلان على أن التأييد بروح القدس كان في السيرة والرسالة والشخصية.

تفسير سورة البقرة ٨٧:٢ و ٢٥٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

أذن الله البيّنات للمسيح (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «بإذن الله أو بإذني» ٦ مرات

بخصوص المسيح ومعجزاته

آل عمران ٤٩:٣ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ.

تفسير سورة آل عمران ٤٩:٣ انظر (رسول الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٠:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

أخذ الله من عيسى ميثاقاً غليظاً (علاقة المسيح بالله

وروحه)

ترد هذه العبارة عن المسيح مرة واحدة

الأحزاب ٧:٣٣ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.

أخذ الله من عيسى ميثاقاً غليظاً (علاقة المسيح بالله وروحه)

تفسير سورة الأحزاب ٧:٣٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

طهر الله عيسى من كفر بعض اليهود (علاقة المسيح بالله وروحه)

يرد هذا الفكر مرتين على الأقل

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

تفسير سورة آل عمران ٥٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٠:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

توفاه الله (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد هذه الفكرة مرتين بخصوص المسيح

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

المائدة ٥: ١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن وفاة المسيح في قسم موت المسيح حسب
القرآن.

تفسير سورة آل عمران ٣: ٥٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

رفعه الله إليه (علاقة المسيح بالله وروحه)

يرد هذا الإثبات بنسبة المسيح مرتين

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتَوْفِكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

النساء ١٥٨:٤ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير في القسم المختص برفع المسيح إلى الله.
تفسير سورة آل عمران ٥٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
تفسير سورة النساء ١٥٨:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

جعلني مباركاً أينما كنت (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «مبارك» عن المسيح مرة واحدة

مريم ٣١:١٩ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: مبارك.
تفسير سورة مريم ٣١:١٩ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

٦ - أقوال الله الأربعة للمسيح أو لأُمّه (علاقة المسيح

بالله وروحه)

(الوحي للمسيح ومريم)

آل عمران ٤٥:٣ و ٤٦ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٦ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ.

آل عمران ٥٥:٣ و ٥٦ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْأَيْكَ وَرَأَيْتُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٦ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ.

المائدة ١١٠:٥ و ١١١ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ١١١ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ.

المائدة ١١٦:٥ و ١١٧ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ

عَلَامُ الْغُيُوبِ ١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
وَكَنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير حول حديث الله مع المسيح.

تفسير سورة آل عمران ٣: ٤٥ و ٤٦ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٣: ٥٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١١ انظر (رسول الله من أسماء المسيح وصفاته)

ثانياً: علاقة المسيح بروح الله

خطاب روح الله لمريم

نفخنا فيها

روح منه

أنفخ أو تنفخ

أيدناه بروح القدس

رحمة الرحمان الرحيم

كلمة الله

السؤال عن الروح وجواب محمد عليه

خطاب روح الله لمريم (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «روحنا» في العلاقة

مع المسيح مرة واحدة فقط

مريم ١٩: ٢٢-١٧ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٨ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ١٩ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ٢٠ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ٢١ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلْنَجْعَلْهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٢٢ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا.

تفسير سورة مريم ١٩: ٢٢-١٧ انظر (مريم من اجداد المسيح)

نفخنا فيها أو فيه (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «نفخنا فيها أو فيه» بخصوص المسيح مرتين

الأنبياء ٢١: ٩١ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.

التحريم ٦٦: ١٢ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِتِينَ..

ملاحظات وتفسير عن نفخ الله في مريم والمسيح

قال الجلالان: «نفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصوراً» (مريم

١٩: ٢٠).

قال البيضاوي: «فحملته بأن نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها».

قال الزمخشري في تفسيره (المؤمنون ٥١) «إن مريم ولدت من غير مسيس، وعيسى روح من الله ألقى إليها».

ملاحظة وتفسير للعبارة نفخنا فيها

لكن آية النساء ١٧٠ «وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» تفسر الغموض الذي في آية الأنبياء وآية التحريم. فالله ألقى مباشرة إلى مريم كلمته الذي هو روح منه تعالى، بدون واسطة. فيكون معنى قوله: «نفخنا فيها من روحنا» أي نفخ الله روحه أي كلمته في مريم، بدون واسطة جبريل.

تفسير سورة الأنبياء ٩١:٢١ انظر (روح الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة التحريم ١٢:٦٦ انظر (مريم من اجداد المسيح)

روح منه (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد هذه العبارة مرة واحدة بنسبة المسيح

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح: روح الله.

تفسير سورة النساء ١٧١:٤ انظر (مريم من اجداد المسيح)

أنفخ أو تنفخ (علاقة المسيح بالله وروحه) (نفخة المسيح الخالقة)

يرد هذا المعنى بنسبة المسيح مرتين

آل عمران ٤٩:٣ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير حول خلق الطير والنفخ فيه حسب أعمال المسيح في القرآن.

تفسير سورة آل عمران ٤٩:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٠:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

أيدناه بروح القدس (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «أيدناه بروح القدس» ٣ مرات

البقرة ٨٧:٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

البقرة ٢٥٣:٢ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير حول تأييد المسيح بروح القدس في قسم أعمال الله للمسيح.

تفسير سورة البقرة ٨٧:٢ و ٢٥٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٠:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

رحمة الرحمان الرحيم (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد العبارة «رحمة منا» مرة واحدة

مريم ٢١:١٩ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: رحمة من الله.

كلمة الله وقول الحق (علاقة المسيح بالله وروحه)

ترد هاتين العبارتين ٦ مرات

آل عمران ٣:٣٩ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْغُرَابِ أَنْ اللَّهَ يُشْرِكَ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.

آل عمران ٣:٤٥ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

آل عمران ٣:٦٤ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

النساء ٤:١٧١ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

الأنعام ٦:١١٥ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

مريم ٣٤:١٩ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

التعليق موجود في ملاحظات وتفسير عن أسماء المسيح في القرآن: كلمة الله.

تفسير سورة آل عمران ٣:٣٩ انظر (زكريا من اجداد المسيح)

تفسير سورة آل عمران ٣:٤٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٣:٦٤ انظر (كلمة الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤:١٧١ انظر (مريم من اجداد المسيح)

تفسير سورة مريم ١٩:٣٤ انظر (مريم من اجداد المسيح)

السؤال عن الروح (علاقة المسيح بالله وروحه)

وجواب محمد عليه

الإسراء ١٧:٨٥ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.

ملاحظات حول السؤال عن الروح

إزاء تعدد الاحتمالات المختلفة لمعنى الروح، اضطرب الناس وسألوا النبي عن الروح فقال: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» أي لا أدري.

الجزء الرابع

الكتب التي واجهها المسيح

ورسالته حسب القرآن

أولاً : أسماء الكتب والصحف من العهد القديم حسب القرآن

ثانياً : إنجيل المسيح حسب القرآن

ثالثاً : حكمة المسيح

رابعاً : أقوال المسيح الثمانية في القرآن

خامساً : أسرار المسيح وآثارها في القرآن

أولاً: أسماء الكتب والصحف

من العهد القديم

(التي واجهها المسيح حسب القرآن)

نخبة الآيات الدالة على أسماء الكتب المختلفة

الكتاب	٥٣:٢ ، ٨٧ ، ١٠١ ، ١٢١ ، ٢١٣ ، ٢٣:٣ ، ٤٨ ، ٧٨ ، ١٨٧ ، ٥٤:٤ ، ١٣٦ ، ١١٠:٥ ، ٩١:٦ ، ١١٤ ، ١٥٦-١٥٧ ، ٤٣:١٣ ، ١٩ : ٣٠
كتاب الله	٢٣:٣ ، ٤٤:٥ ، ١٠١:٢
الكتاب المنير	٢٥:٣٥ ، ١٨٤:٣
كتاب الأبرار	٢٨-١٨:٨٣
كتاب موسى	١٧:١١ ، ١٢:٤٦
الكتب	٣:٩٨ ، ٤٤:٣٤ ، ١٠٤:٢١
كتبه	١٢:٦٦ ، ١٣٦:٤ ، ٢٨٥:٢
التوراة	٣:٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٥ ، ٩٣ ، ٤٣:٥-٤٨ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١١٠ ، ١٥٧:٧ ، ١١١:٩ ، ٢٩:٤٨ ، ٥:٦٢ ، ٦:٦١
كلام الله	٧٥:٢
آيات الله	١١٣:٣
الفرقان (هنا التوراة)	٤٨:٢١ ، ٥٣:٢
الألواح	٢٢-٢١:٨٥ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٤:٧
صحف مكرمة	١٥-١٣:٨٠

١٩:٨٧	صحف إبراهيم
١٩:٨٧ ، ٣٦:٥٣	صحف موسى
١٨:٨٧ ، ١٣٣:٢٠	الصحف الأولى
١٠٥:٢١ ، ٥٥:١٧ ، ١٦٣:٤	الزبور
١٨٤:٣ ، ٤٤:١٦ ، ٢٥:٣٥ ، ٤٣:٥٤ ، ٥٢	الزبر
١٩٦:٢٦	
١٩٦:٢٦	زبر الأولين
١٠٥:٢١	الذكر
٦٣:٤٣ ، ١١٠:٥ ، ٤٨:٣	الحكمة
٥٩:٥ ، ٨٥:٣ ، ١٣٦:٢	ما أنزل
٧٩ ، ٤٨:٢٨ ، ٨٤:٣ ، ١٣٦:٢	ما أوتي
٣١:٣٥ ، ١١١:١٢ ، ٣٧:١٠	تصديق الذي بين يديه
	مصدقاً لما بين يديه أو لما معهم ومصدق الذي بين يديه
٨٩:٢ ، ١٠١ ، ٥٠:٣ ، ٤٦:٥ - ٤٨ ، ٩٢:٦	
٦:٦١ ، ٣١:٣٥	

الكتاب (الكتب التي واجهها المسيح)

نخبة من ١٦ آية عن اسم «الكتاب»
الذي يرد في القرآن حوالي ٢٥٠ مرة
وتدل هذه النخبة على التوراة والإنجيل

البقرة ٥٣:٢ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

البقرة ٨٧:٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

البقرة ١٠١:٢ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

البقرة ١٢١:٢ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

ملاحظة: وفي تفسير الطبري: قال بعضهم هم المؤمنون برسول الله قال وهب وإليه ذهب الطبري أن الآية تتصل باليهود (الطبري، ٥١٨:١)

البقرة ٢١٣:٢ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

آل عمران ٢٣:٣ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ.

آل عمران ٤٨:٣ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

يقول الطبري أن الكتاب يعني الخط والحكمة السنة التي نوحياها إليه والتوراة هي التي أنزلت على موسى والإنجيل إنجيل عيسى (الطبري، ٣: ٢٧٤).

آل عمران ١٨٧:٣ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ.

النساء ٤:٤ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا.

النساء ١٣٦:٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

الأنعام ٩١:٦ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ.

الأنعام ١١٤:٦ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.

الانعام ١٥٤:٦-١٥٧ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٥ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٥٦ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ١٥٧ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِاللَّهِ يَا إِلَهَ الْإِلَهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ.

الرعد ١٣:٤٣ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ.

مريم ١٩:٣٠ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.

تفسير سورة آل عمران ٣:٤٨ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة مريم ١٩:٣٠ انظر (مريم من أجداد المسيح)

كتاب الله (الكتب التي واجهها المسيح)

نقدم ثلاث آيات من الآيات

الدالة على كتاب الله

البقرة ١٠١:٢ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

آل عمران ٣:٢٣ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيًّا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ.

المائدة ٤٤:٥ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

تفسير سورة المائدة ٤٤:٥

تفسير محمد عبده الجزء السادس صفحة ٣٢٨-٣٣٠

المائدة ٤٤:٥ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

هذه الآيات من سياق التي قبلها والتي بعدها، والغرض منها بيان كون التوراة كانت هداية لنبي إسرائيل فأعرضوا عن العمل بها لما عرض لهم من الفساد، وبيان مثل ذلك في الإنجيل وأهله ثم الانتقال من ذلك إلى ما سيأتي من ذكر إنزال القرآن ومزيته وحكمة ذلك. ومنه يعلم أن العبرة بالاهتداء بالدين وأنه لا ينفع أهل الانتماء إليه إذا لم يقيموه، إذ لا يستفيدون من هدايته ونوره إلا بإقامته والعمل به، وأن إثارة أهل الكتاب أهواءهم على هداية دينهم، هو الذي أعماهم عن نور القرآن والاهتداء به. قال تعالى:

(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ) أي إنا نحن أنزلنا التوراة على موسى مشتملة على هدى في العقائد والأحكام. خرج به بنو إسرائيل من وثنية المصريين وضلالهم، وعلى نور أبصروا به طريق الاستقلال في أمر دينهم ودنياهم (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا) أنزلناها قانوناً للأحكام يحكم بها النبيون - موسى ومن بعده من أنبياء بني إسرائيل - طائفة من الزمان، انتهت ببعثة عيسى بن مريم عليه السلام. وهم الذين أسلموا وجوههم لله مخلصين له الدين على ملة إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، فالإسلام دين الجميع، وكل ما استحدثه اليهود والنصارى من أسباب التفرق في الدين فهو باطل وضلال مبين. وإنما يحكمون للذين هادوا أي اليهود خاصة، لأنه شريعة خاصة بهم لا عامة، ولذلك قال آخرهم عيسى: «لم أرسل إلا

إلى خراف إسرائيل الضالة». ولم يكن لداود وسليمان وعيسى من دونها شريعة (وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ) أي ويحكم بها الربانيون والأحبار في الازمنة أو الأمكنة التي لم يكن فيها أنبياء أو معهم بإذنهم، والربانيون هم المنسوبون إلى الرب. إما بمعنى الخالق المدبر لأمر الملك، لأنه يعنون بالعلم الإلهي والتهذيب الروحاني، وإما بمعنى مصدر ربه يربه أي رباه، لانهم يربون أنفسهم ثم غيرهم بالعلم والعرفان، وإحاسن الآداب والأخلاق، وهم كبار كهنتهم من اللاويين الصالحين. ويروى عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أنه قال: أنا رباني هذه الأمة، وقد سبق بيان معنى الكلمة في تفسير آل عمران. والأحبار جمع حبر - لفتح الحاء وكسرهما - وهو العالم. ومادة حبر في اللغة تدل على الجمال والزينة التي تسر الناس، وشعر مجبر. مزين بنكت البلاغة والفصاحة. وثوب مجبر: مزين بالنقوش أو الوشي الجميل. ومنه برد حبرة (بالكسر) وجبير، وهو ثوب ذو خطوط بيض وسود أو حمر. فيحتمل أن يكون إطلاق لفظ الحبر على العالم مأخوذاً من هذا المعنى ويحتمل أن يكون من الحبر الذي يكتب به. وقال الراغب الحبر - بالكسر - الأثر المتسحسن. ثم قال: والحبر العالم وجمعه أحبار لما يبقى من أثر علومهم. اهـ. وأطلق لقب حبر الأمة في الإسلام على ابن عباس رضي الله عنهما، كما أطلق لفظ الرباني على علي المرتضى عليه الرضوان، والذي يسبق إلى فهمي عند ذكر الربانيين والاحبار أن الربانيين عند بني إسرائيل كالأولياء العرافين عندنا. والاحبار عندهم كعلماء الظاهر عندنا. وقال ابن جرير الربانيون جمع رباني، وهم العلماء الحكماء البصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم. وأما الأحبار فإنهم جمع حبر وهو العالم المحكم للشيء. وما قلناه أظهر. وهو إلى اللغة أقرب. والتوراة مؤنثة اللفظ ومعناها الشريعة.

وأما قوله تعالى: (بِمَا آسَـتُحَفِّظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) فمعناه أنهم يحكمون بها بسبب ما أودعوه من الكتاب واثبتوا عليه وطلب منهم حفظه. أي طلب منهم الأنبياء موسى ومن بعده أن يحفظوه ولا يضيعوا منه شيئاً. وناهيك بالعهد الذي أخذه موسى بأمر الله على شيوخ بني إسرائيل - بعد أن كتب التوراة - أن يحفظوها ولا يتحولوا عنها - وقد تقدم في تفسير الميثاق من أواخر سورة النساء وأوائل هذه السورة، وأنهم نقضوا ميثاق الله ولم يوفوا به، وقد قال الله فيهم: إنهم استحفظوا ولم يقل إنهم حفظوا، ولكنه قال: (وَكَاُنُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) أي كان سلفهم الصالحون رقباء على الكتاب وعلى من يريد العبث به كما فعل عبد الله بن سلام في مسألة الرجم، أو شهداء على أنه هو شرع الله تعالى، لا كما فعل خلفهم من كتمان بعض

أحكامه إتباع للهوى، أو خوفاً من أشرافهم إن أقاموا عليهم حدوده، وطمعاً في برهم إذا حابوهم فيها وأعظم من ذلك كتمانهم صفة خاتم المرسلين والبشارة به، وروى عن ابن عباس أن المراد: وكانوا على حكم النبي الموافق لحكم التوراة في حد الزنا شهداء. ولعله أراد - إن صحت الرواية عنه - أن هذا مما يدخل في عموم صفات أحبار اليهود الصالحين. تعريضاً بجمهور الخلف الصالحين، ولذلك شهد عبد الله بن سلام وهو من بقية خيارهم وكذا غيره بأن حكم التوراة رجم الزاني تصديقاً وتأيداً لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم قال تعالى تعقيباً على ما قصه من سيرة سلف بني إسرائيل الصالح، بعد بيان سوء سيرة الخلف الذين خلفوا بعدهم. مخاطباً رؤساء اليهود الذين كانوا في زمن التنزيل لا يخافون الله في الكتمان والتبديل.

(وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) أي وكل من رغب عن الحكم بما أنزل الله من أحكام الحق والعدل، فلم يحكم بها لمخالفتها لهواه أو لمنفعته الدنيوية، فأولئك هم الكافرون بهذه الآيات، لأن الإيمان الصحيح يستلزم الإذعان، والإذعان يستلزم العمل وينافي الاستقباح والترك. وهذه الجملة مقررة لما قبلها، ومؤيدة لقوله تعالى في هذا السياق: (وما أولئك بالمؤمنين).

تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء الثاني صفحة ٧٣٦-٧٤١

المائدة ٥: ٤٤ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا آسَحَفُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

لقد جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة. منهج حياة واقعية. جاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية، وتنظيمها، وتوجيهها، وصيانتها. ولم يجرى دين من عند الله ليكون مجرد عقيدة في الضمير، ولا ليكون كذلك مجرد شعائر تعبدية تؤدي في الهيكل والمحراب. فهذه وتلك - على ضرورتها للحياة البشرية وأهميتها في تربية الضمير البشري - لا يكفیان

وحدهما لقيادة الحياة وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها، ما لم يقيم على أساسهما منهج ونظام وشريعة تطبق عملياً في حياة الناس، ويؤخذ الناس بها بحكم القانون والسلطان، ويؤخذ الناس على مخالفتها، ويؤخذون بالعقوبات.

والحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلقت العقيدة والشعائر والشرائع من مصدر واحد، يملك السلطان على الضمائر والسرائر، كما يملك السلطان على الحركة والسلوك. ويجزي الناس وفق شرائعه في الحياة الدنيا، كما يجزيهم وفق حسابه في الحياة الآخرة.

فأما حين تتوزع السلطة، وتتعدد مصادر التلقي.. حين تكون السلطة لله في الضمائر والشعائر بينما السلطة لغيره في الأنظمة والشرائع... وحين تكون السلطة لله في جزاء الآخرة بينما السلطة لغيره في عقوبات الدنيا.. حينئذ تتمزق النفس البشرية بين سلطتين مختلفتين، وبين اتجاهين مختلفين، وبين منهجين مختلفين.. وحينئذ تفسد الحياة البشرية ذلك الفساد الذي تشير إليه آيات القرآن في مناسبات شتى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا».. «ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهم».. «ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون»..

من أجل هذا جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة. وسواء جاء هذا الدين لقرية من القرى، أو لأمة من الأمم، أو للبشرية كافة في جميع أجيالها، فقد جاء ومعه شريعة معينة لحكم واقع الحياة، إلى جانب العقيدة التي تنشئ التصور الصحيح للحياة، إلى جانب الشعائر التعبديّة التي تربط القلوب بالله.. وكانت هذه الجوانب الثلاثة هي أقوام دين الله. حيثما جاء دين من عند الله. لأن الحياة البشرية لا تصلح ولا تستقيم إلا حين يكون دين الله هو منهج الحياة.

وفي القرآن الكريم شواهد شتى على احتواء الديانات الأولى، التي ربما جاءت لقرية من القرى، أو لقبيلة من القبائل على هذا التكامل، في الصورة المناسبة للمرحلة التي تمر بها القرية أو القبيلة.. وهنا يعرض هذا التكامل في الديانات الثلاث الكبرى.. اليهودية والنصرانية، والإسلام..

ويبدأ بالتوراة في هذه الآيات التي نحن بصدددها في هذه الفقرة:

«إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ»..

فالتوراة - كما أنزلها الله - كتاب الله الذي جاء لهداية بني إسرائيل، وإنارة طريقهم إلى الله. وطريقهم في الحياة.. وقد جاءت تحمل عقيدة التوحيد. وتحمل شعائر تعبدية شتى. وتحمل كذلك شريعة:

«يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ»

أنزل الله التوراة لا لتكون هدى ونورا للضمائر والقلوب بما فيها من عقيدة وعبادات فحسب. ولكن كذلك لتكون هدى ونوراً بما فيها من شريعة تحكم الحياة الواقعية وفق منهج الله، وتحفظ هذه الحياة في إطار هذا المنهج. ويحكم بها النبيون الذين أسلموا أنفسهم لله، فليس لهم في أنفسهم شيء، إنما هي كلها لله، وليست لهم مشيئة ولا سلطة ولا دعوى في خصيصة من خصائص الألوهية - وهذا هو الإسلام في معناه الأصيل - يحكمون بها للذين هادوا - فهي شريعتهم الخاصة نزلت لهم في حدودهم هذه وبصفتهم هذه - كما يحكم بها لهم الربانيون والأحبار، وهم قضاتهم وعلمائهم. وذلك بما أنهم قد كلفوا المحافظة على كتاب الله، وكلفوا أن يكونوا عليه شهداء، فيؤدوا له الشهادة في أنفسهم، بصياغة حياتهم الخاصة وفق توجيهاته، كما يؤدوا له الشهادة في قومهم بإقامة شريعته بينهم.

وقبل أن ينتهي السياق من الحديث عن التوراة، يلتفت إلى الجماعة المسلمة، ليوجهها في شأن الحكم بكتاب الله عامة، وما قد يعترض هذا الحكم من شهوات الناس وعنادهم وحربهم وكفاحهم، وواجب كل من استحفظ على كتاب الله في مثل هذا الموقف، وجزاء نكوله أو مخالفته:

«فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»..

ولقد علم الله - سبحانه - أن الحكم بما أنزل الله ستواجهه - في كل زمان وفي كل أمة - معارضة من بعض الناس، ولن تتقبله نفوس هذا البعض بالرضى والقبول والاستسلام.. ستواجهه معارضة الكبراء والطغاة وأصحاب السلطان الموروث. ذلك أنه سينزع عنهم رداء الألوهية الذي يدعونه، ويرد الألوهية لله خالصة، حين ينزع عنهم حق الحاكمية والتشريع والحكم بما يشرعونه هم للناس مما لم يأذن به الله.. وستواجهه معارضة أصحاب المصالح المادية - ٥٠٤ -

القائمة على الاستغلال والظلم والسحت. ذلك أن شريعة الله العادلة لن تبقى على مصالحهم الظالمة.. وستواجهه معارضة ذوي الشهوات والأهواء والمتاع الفاجر والانحلال. ذلك أن دين الله سيأخذهم بالتطهر منها وسيأخذهم بالعقوبة عليها.. وستواجهه معارضة جهات غير هذه وتيك وتلك، ممن لا يرضون أن يسود الخير والعدل والصلاح في الأرض.

علم الله - سبحانه - أن الحكم بما أنزل ستواجهه هذه المقاومة من شتى الجهات، وأنه لا بد للمستحفظين عليه والشهداء أن يواجهوا هذه المقاومة، وأن يصمدوا لها، وأن يحتملوا تكاليفها في النفس والمال.. فهو يناديهم:

«فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُونِ»..

فلا تقف خشيتهم للناس دون تنفيذهم لشريعة الله. سواء من الناس أولئك الطغاة الذين يأبون الاستسلام لشريعة الله، ويرفضون الإقرار - من ثم - بتفرد الله - سبحانه - بالألوهية. أو أولئك المستغلون الذين تحول شريعة الله بينهم وبين الاستغلال وقد مردوا عليه. أو تلك الجموع المضللة أو المنحرفة أو المنحلة التي تستثقل أحكام شريعة الله وتشغب عليها.. لا تقف خشيتهم لهؤلاء جميعاً ولغيرهم من الناس دون المضي في تحكيم شريعة الله في الحياة. فالله - وحده - هو الذي يستحق أن يخشوه. والخشية لا تكون إلا لله..

كذلك علم الله - سبحانه - أن بعض المستحفظين على كتاب الله المستشهدين، قد تراودهم أطماع الحياة الدنيا، وهم يجدون أصحاب السلطان، وأصحاب المال، وأصحاب الشهوات، لا يريدون حكم الله فيملقون شهوات هؤلاء جميعاً، طمعاً في عرض الحياة الدنيا - كما يقع من رجال الدين المحترفين في كل زمان وفي كل قبيل، وكما كان ذلك واقعاً في علماء بني إسرائيل.

فناداهم الله:

«وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا» وذلك لقاء السكوت، أو لقاء التحريف، أو لقاء الفتاوى

المدخولة!

وكل ثمن هو في حقيقته قليل. ولو كان ملك الحياة الدنيا.. فكيف وهو لا يزيد على أن يكون رواتب ووظائف وألقاباً ومصالح صغيرة، يباع بها الدين، وتشترى بها جهنم عن يقين؟! إنه ليس أشنع من خيانة المستأمن، وليس أبشع من تفريط المستحفظ، وليس أحسن من

تدليس المستشهد. والذين يحملون عنوان: «رجال الدين» يخونون ويفرطون ويدلسون، فيسكتون عن العمل لتحكيم ما أنزل الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، لموافاة أهواء ذوي السلطان على حساب كتاب الله..

«وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»..

بهذا الحسم الصارم الجازم. وبهذا التعميم الذي نحملة «من» الشرطية وجملة الجواب. بحيث يخرج من حدود الملابس والزمان والمكان، وينطلق حكماً عاماً، على كل من لم يحكم بما أنزل الله في أي جيل ومن أي قبيل..

والعلة هي التي أسلفنا.. هي أن الذي لا يحكم بما أنزل الله، إنما يرفض ألوهية الله فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية. ومن يحكم بغير ما أنزل الله، يرفض ألوهية الله وخصائصها في جانب، ويدعى لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها في جانب آخر.. وماذا يكون الكفر إن لم يكن هو هذا وذاك؟ وما قيمة دعوى الإيمان أو الإسلام باللسان، والعمل - وهو أقوى تعبيراً من الكلام - ينطق بالكفر أفصح من اللسان؟!

إن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل، لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة. والتأويل والتأول فيمثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه.. وليس لهذه المماحكة من قيمة ولا أثر في صرف حكم الله عمن ينطبق عليهم بالنص الصريح الواضح الأكيد.

وبعد بيان هذا الأصل القاعدي في دين الله كله، يعود السياق، لعرض نماذج من شريعة التوراة التي أنزلها الله ليحكم بها النبيون والربانيون والاحبار للذين هادوا - بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء.

الكتاب المنير (الكتب التي واجهها المسيح)

اخترنا آيتين من الآيات

الدالة على الكتاب المنير

آل عمران ١٨٤:٣ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.

فاطر ٢٥:٣٥ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.

تفاسير للعبارة الكتاب المنير

يقول الطبري: «وأما قوله «المنير» فإنه يعني الذي ينير ويبين الحق لمن ألبس عليه ويوضحه»
(الطبري، ١٩٨:٤).

لا يوجد هناك تفسير دقيق لد «زبر» يقول الطبري أنها جمع زبور وهو كتاب (الطبري،
١٩٨:٤).

كتاب الأبرار (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد هذه العبارة مرة واحدة

المطفون ١٨:٨٣-٢٨ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ١٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ
٢٠ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٢١ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ٢٢ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٣ عَلَى
الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٢٤ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٥ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ
مَخْتُومٍ ٢٦ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٧ وَمِمَّا جُزِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ
٢٨ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ.

كتاب موسى (الكتب التي واجهها المسيح)

نقدم آيتين من الآيات

عن الكتاب المسمى بكتاب موسى

هود ١٧:١١ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ.

الأحقاف ١٢:٤٦ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ.

الكتب (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد هذه العبارة ٣ مرات

الأنبياء ١٠٤:٢١ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ.

سبأ ٤٤:٣٤ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ.

البينة ٣:٩٨ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ.

كتبه (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد هذه العبارة القانونية

التي تتضمن التوراة والإنجيل ٣ مرات

البقرة ٢: ٢٨٥ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

النساء ٤: ١٣٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.

التحریم ٦٦: ١٢ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ.

تفسير سورة التحريم ٦٦ : ١٢ انظر (مريم من أجداد المسيح)

التوراة (الكتب التي واجهها المسيح)

يرد الاسم «التوراة» ١٤ مرة

يشهد القرآن بصحة التوراة في عدة شهادات، وللتوراة منزلة قيمة ودرجة رائعة في القرآن فهو يعتبرها:

جزء الكتاب السماوي	٢٣:٣ ، ٥٣:٤٠ ، ٢:١٧ ، ٤٨:٥
كتاب الله	١٠١:٢ ، ٢٣:٣ ، ٤٤:٥١
كلام الله	٧٥:٢
آيات الله	٥:٦٢
صحة تنزيلها من الله	٦٥:٣ ، ٣:٣ و ٤
صالحة للتعليم	٤٨:٣
مصدق عليها من القرآن	٣:٣ ، ٨٩:٢ ، ١٠١
مصدق عليها من الإنجيل	٥٠:٣ ، ٤٦:٥
فيها حكم الله	٤٣:٥
فيها الهدى والنور	٤٤:٥ ، ٥٣:٤٠ ، ٣:٣ و ٤ ، ٢:١٧
مشهود عليها	٤٣:٥-٤٨
ضرورة إقامتها والعمل بها	٦٦:٥ ، ٦٨ ، ٥:٦٢
تُتلى حق تلاوتها	١٢١:٢ ، ٩٣:٣
الاستشهاد بها	٤٥:٥ ، ٢٩:٤٨
أمر بالإيمان به	١٣٦:٤ ، ٨٩:٦
الاقتداء بها	٩٠:٦
الاحتكام بها	٢٣:٣
التوراة إمام القرآن في الهدى والرحمة	١٢:٤٦
وعود الله بالجنة مصرح فيها	١١١:٩

استحفظ عليها من أهلها ٤٤:٥

ليس من السهل تحريفها فهي تحت الهيمنة ٤٨:٥

الله حافظها ٩:١٥

آل عمران ٣:٣ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

آل عمران ٣:٤٨ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

آل عمران ٣:٥٠ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

آل عمران ٣:٦٥ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

آل عمران ٣:٩٣ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

المائدة ٥:٤٣-٤٨ وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٤ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ٤٥ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٤٦ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ٤٧ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤٨ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا

جَاءَكَ مِنْ أَحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً
فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

المائدة ٦٦:٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ
فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ.

المائدة ٦٨:٥ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ.

الأعراف ١٥٧:٧ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ
آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

التوبة ١١١:٩ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ
أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم.

الفتح ٢٩:٤٨ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا.

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

الجمعة ٥:٦٢ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٣:٣

تفسير الرازي الجزء السابع صفحة ١٥٧-١٥٩

آل عمران ٣:٣ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. وأما قوله تعالى (نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)

فاعلم أن الكتاب ههنا هو القرآن. وقد ذكرنا في أول سورة البقرة اشتقاقه. وإنما خص القرآن بالتنزيل، والتوراة والإنجيل بالإنزال، لأن التنزيل للتكثير، والله تعالى نزل القرآن نجماً نجماً. فكان معنى التكثير حاصلًا فيه، وأما التوراة والإنجيل فإنه تعالى أنزلهما دفعة واحدة، فلهذا خصهما بالإنزال، ولقائل أن يقول: هذا يشكك بقوله تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) وبقوله (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل).

واعلم أنه تعالى وصف القرآن المنزل بوصفين:

(الوصف الأول) قوله (بالحق) قال أبو مسلم. إنه يحتمل وجوهاً (أحدهما) أنه صدق فيما تضمنه من الأخبار عن الأمم السالفة (وثانيها) أن ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والأعمال، ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل (وثالثها) أنه حق

بمعنى أنه قول فصل، وليس بالهزل (ورابعها) قال الأصم: المعنى أنه تعالى أنزله بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية، وشكر النعمة، وإظهار الخضوع، وما يجب لبعضهم على بعض من العدل والإنصاف في المعاملات (وخامسها) أنزله بالحق لا بالمعاني الفاسدة المتناقضة، كما قال (أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) وقال (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً).

(والوصف الثاني) لهذا الكتاب قوله (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) والمعنى أنه مصدق لكتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولما أخبروا به عن الله عز وجل، ثم في الآية وجهان (الأول) أنه تعالى دل بذلك على صحة القرآن، لأنه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقاً لسائر الكتب، لأنه كان أمياً لم يختلط بأحد من العلماء، ولا تتلمذ لأحد، ولا قرأ على أحد شيئاً والمفتري إذا كان هكذا امتنع أن يسلم عن الكذب والتحريف، فلما لم يكن كذلك ثبت أنه إنما عرف هذه القصص بوحى الله تعالى (الثاني) قال أبو مسلم: المراد منه أنه تعالى لم يبعث نبياً قط إلا بالدعاء إلى توحيده، والإيمان به، وتنزيهه عما لا يليق به، والأمر بالعدل والإحسان، وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان، فالقرآن مصدق لتلك الكتب في كل ذلك، بقي في الآية سؤالان:

(السؤال الأول) كيف سمي ما مضى بأنه بين يديه.

(والجواب) أن تلك الأخبار لغاية ظهورها سماها بهذا الاسم.

(السؤال الثاني) كيف يكون مصدقاً لما تقدمه من الكتب، مع أن القرآن ناسخ لأكثر تلك الأحكام؟

(والجواب) إذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول، ودالة على أن أحكامها تثبت إلى حين بعثه، وأنها تصير منسوخة عند نزول القرآن، كانت موافقة للقرآن. فكان القرآن مصدقاً لها، وأما فيما عدا الأحكام فلا شبهة في أن القرآن مصدق لها، لأن دلائل المباحث الإلهية لا تختلف في ذلك، فهو مصدق لها في الأخبار الواردة في التوراة والإنجيل.

ثم قال الله تعالى (وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) قال صاحب الكشف: التوراة والإنجيل اسمان أعجميان، والاشتغال

باشتقاقهما غير مفيد، وقرأ الحس (والأنجيل) بفتح الهمزة، وهو دليل على العجمية، لأن أفعيل بفتح الهمزة معدوم في أوزان العرب، واعلم أن هذا القول هو الحق الذي لا محيد عنه، ومع ذلك فننقل كلام الأدباء فيه.

أما لفظ (التوراة) ففيه أبحاث ثلاثة:

(البحث الأول) في اشتقاقه قال الفراء (التوراة) معناها الضياء والنور، من قول العرب وري الزند يرى إذا قدح وظهرت النار، قال الله تعالى (فالموريات قدحاً) ويقولون: وريت بك زنادي، ومعناه. ظهر بك الخير لي، فالتوراة سميت بهذا الاسم لظهور الحق بها، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء).

(البحث الثاني) لهم في وونه ثلاثة أقوال:

(القول الأول) قال الفراء: أصل (التوراة) تورية تفعله بفتح التاء، وسكون الواو وفتح الراء والياء، إلا أنه صارت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

(القول الثاني) قال الفراء: ويجوز أن تكون تفعله على وزن توفية وتوصية، فيكون أصلها تورية، إلا أن الراء نقلت من الكسر إلى الفتح على لغة طيء، فإنهم يقولون في جارية: جارة، وفي نصاية: ناصاة، قال الشاعر:

فما الدنيا ببقاء لحي وما حي على الدنيا بباق

(والقول الثالث) وهو قول الخليل والبصريين: إن أصلها: وورية، فوعلة، ثم قلبت الواو الأولى تاء، وهذا القلب كثير في كلامهم، نحو: تجاه، وتراث، وتخمة، وتكلان، ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصارت (توراة) وكتبت بالياء على أصل الكلمة، ثم طعنوا في قول الفراء، أما الأول فقالوا: هذا البناء نادر، وأما فوعلة فكثير، نحو: صومعة، وحوصلة، ودوسرة والحمل على الأكثر أولى، وأما الثاني فلأنه لا يتم إلا بحمل اللفظ على لغة طيء، والقرآن ما نزل بها البتة.

(البحث الثالث) في التوراة قراءتان، الإمالة والتفخيم، فمن فخم فلأن الراء حرف يمنع الإمالة لما فيه من التكرير، والله أعلم.

وأما الإنجيل ففيه أقوال (الأول) قال الزجاج: إنه فاعيل من النجل، وهو الأصل، يقال: لعن الله ناجليه، أو والديه، فسمى ذلك الكتاب بهذا الاسم، لأن الأصل المرجوع إليه في ذلك الدين (والثاني) قال قوم: الإنجيل مأخوذ من قول العرب: نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته

ويقال للماء الذي يخرج من البئر: نجل، ويقال: قد استنجل الوادي، إذا خرج الماء من النزل فسمي الإنجيل إنجيلاً لأنه تعالى أظهر الحق بواسطته (والثالث) قال أبو عمرو الشيباني: التنجل التنازع، فسمى ذلك الكتاب بالإنجيل لأن القوم تنازعوا فيه (والرابع) أنه من النجل الذي هو سعة العين، ومنه طعنة نجلاء، سمي بذلك لأنه سعة ونور وضياء أخرجه لهم.

تفسير ابن كثير الجزء الأول صفحة ٣٤٤

آل عمران ٣:٣ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

من عند الله نزله يعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أي من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والأنبياء فهي تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان وهو يصدقها لأن طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه. وقوله (وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ) أي على موسى بن عمران (وَالْإِنْجِيلَ) أي على عيسى بن مريم عليهما السلام (من قبل) أي من قبل هذا القرآن (هدى للناس) أي في زمانهما (وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ) وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل والغي والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج والبيّنات والدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات، ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك وقال قتادة والربيع بن أنس الفرقان ههنا القرآن واختار ابن جرير أنه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن في قوله (نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) وهو القرآن. وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي صالح أن المراد بالفرقان ههنا التوراة فضعيف أيضاً لتقدم ذكر التوراة والله أعلم.

تفسير المنار

آل عمران ٣:٣ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

(نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أي أوحى إليك هذا القرآن المكتوب بالتدرج متصفاً بالحق متلبساً به، وإنما عبر عن الوحي بالتنزيل والإنزال كما في آيات أخرى للإشعار بعلو مرتبة الموحى على الموحى إليه، ويصح التعبير بالإنزال عن صيغة التنزيل، وكذلك كان، فقد نزل القرآن نجوماً متفرقة بحسب الأحوال والوقائع. ومعنى تنزيله بالحق أن فيه ما يحقق أنه من عند الله تعالى، كما قال: (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ ٥٧: ٢٥) وأما التدرج فقد استفيد من صيغة التنزيل،

وكذلك كان، فقد نزل القرآن نجوماً متفرقة بحسب الأحوال والوقائع. ومعنى تنزيله بالحق أن فيه ما يحقق أنه من عند الله تعالى. فلا يحتاج إلى دليل من غيره على حقيقته، أو معناه. أن كل ما جاء به من العقائد والأخبار والأحكام والحكم حق. وقد يوصف الحكم بكونه حقاً في نفسه إذا كانت المصلحة والفائدة تتحقق به، وفي أشهر التفاسير: أن المراد بالحق العدل أو الصدق في الأخبار. أو الحجج الدالة على كونه من عند الله، وما قلناه أعم وأوضح (مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أي مبيناً صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة على الأنبياء، أي كونها وحياً من الله تعالى، وذلك أنه أثبت الوحي وذكر أنه تعالى أرسل رسلاً أوحى إليهم. فهذا تصديق إجمالي لأصل الوحي لا يتضمن تصديق ما عند الأمم التي تنتمي إلى أولئك الأنبياء من الكتب بأعيانها ومسائلها. ومثاله تصديقنا لنبينا صلى الله عليه وسلم في جميع ما أخبر به فهو لا يستلزم تصديق كل ما في كتب الحديث المروية عنه، بل ما ثبت منها عندنا فقط:

(وأنزلنا التوراة والإنجيل. من قبل هدى للناس) التوراة: كلمة عبرانية معناها المراد الشريعة أو الناموس، وهي تطلق عند أهل الكتاب على خمسة أسفار، يقولون إن موسى كتبها، وهي سفر التكوين وفيه الكلام عن بدء الخليقة وأخبار بعض الأنبياء، وسفر الخروج، وسفر اللاويين أو الأخبار، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع ويقال التثنية فقط. ويطلق النصارى لفظ التوراة على جميع الكتب التي يسمونها العهد العتيق، وهي كتب الأنبياء وتاريخ قضاة بني إسرائيل وملوكهم قبل المسيح ومنها ما لا يعرفون كاتبه، وقد يطلقونه عليها وعلى العهد الجديد معاً، وهو المعبر عنه بالإنجيل وسيأتي تفسيره. أما التوراة في عرف القرآن فهي ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه الصلاة والسلام ليلبغهم قومه لعلمهم يهتدون به، وقد بين تعالى أن قومه لم يحفظوه كله إذ قال في سورة المائدة: (ونسوا حظاً مما ذكروا به ٥: ١٣) كما أخبر عنهم في آيات أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه، وذلك فيما حفظوه واعتقدوه. وهذه الأسفار الخمسة التي في أيديهم تنطق بما يؤيد ذلك، ومنه ما فيه التثنية من أن موسى كتب التوراة وأخذ العهد على بني إسرائيل بحفظها والعمل بها. ففي الفصل (الإصحاح) الحادي والثلاثين منه ما نصه:

«٢٤ فَعِنْدَمَا كَمَلَ مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا، ٢٥ أَمَرَ

مُوسَى آلَ لَّاوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ: ٢٦ «خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَةِ هَذَا

وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَيْكُمْ، لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِداً عَلَيْكُمْ.

٢٧ لَأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدُكُمْ وَرِفَابُكُمْ الصُّلْبَةِ. هُوَذَا وَأَنَا بَعْدَ حَيٍّ مَعَكُمْ الْيَوْمَ
 قَدْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ الرَّبَّ، فَكُمْ بِالْحَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِي! ٢٨ اجْمَعُوا إِلَيَّ كُلَّ شُيُوخِ
 أَسْبَاطِكُمْ وَعُرَفَاءِكُمْ لِأَنِّي لَأَنْطِقَ فِي مَسَامِعِهِمْ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَأُشْهِدَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ
 وَالْأَرْضَ. ٢٩ لَأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي
 أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَيُصِيبُكُمُ الشَّرُّ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ لِأَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ الشَّرَّ أَمَامَ الرَّبِّ
 حَتَّى تُغِظُوهُ بِأَعْمَالِ أَيْدِيكُمْ». ٣٠ فَنَطَقَ مُوسَى فِي مَسَامِعِ كُلِّ جَمَاعَةٍ
 إِسْرَائِيلَ بِكَلِمَاتِ هَذَا النَّشِيدِ إِلَى تَمَامِهِ - وههنا ذكر النشيد في الفصل الثاني
 والثلاثين ثم قال أي الكاتب لسفر التثنية - ٤٤ فَأَتَى مُوسَى وَنَطَقَ بِجَمِيعِ
 كَلِمَاتِ هَذَا النَّشِيدِ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، هُوَ وَيَشُوعُ بْنُ نُونٍ. ٤٥ وَلَمَّا فَرَغَ
 مُوسَى مِنْ مُحَاطَبَةِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ بِكُلِّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، ٤٦ قَالَ لَهُمْ: «وَجَّهُوا
 قُلُوبَكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَنَا أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِهَا الْيَوْمَ، لِكَيْ تُوصُوا بِهَا
 أَوْلَادَكُمْ، لِيُخَرِّصُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ. ٤٧ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ
 أَمْرًا بَاطِلًا عَلَيْكُمْ، بَلْ هِيَ حَيَاتُكُمْ. وَبِهَذَا الْأَمْرِ تُطِيلُونَ الْأَيَّامَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي
 أَنْتُمْ عَابِرُونَ الْأَرْدُنَّ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا».

ومنه خبر موت موسى وكونه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثله بعد، أي إلى وقت الكتابة.
 فهذان الخبران عن كتابة موسى للتوراة وعن موته معدودان عندهم من التوراة، وما هما في
 الحقيقة من الشريعة المنزلة على موسى التي كتبها ووضعها بجانب التابوت، بل كتبها كغيرهما
 بعده وقد ظهر تأويل علم موسى في بني إسرائيل فإنهم فسدوا وزاغوا بعده كما قال. وأضاعوا
 التوراة التي كتبها ثم كتبوا غيرها. ولا ندري عن أي شيء أخذوا ما كتبوه على أنه فقد أيضاً،
 وفي الفصل الرابع والثلاثين من أخبار الأيام الثاني «أن حلقيا الكاهن وجد سفر شريعة الرب
 وسلمه إلى شافان الكاتب فجاء به شافان إلى الملك» قال صاحب دائرة المعارف العربية: إنهم
 ادعوا أن هذا السفر الذي وجده حلقيا هو الذي كتبه موسى ولا دليل لهم على ذلك، على
 أنهم أضاعوه أيضاً ثم إن عزرا الكاهن الذي «هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم
 إسرائيل فريضة وقضاء» قد كتب لهم الشريعة بأمر ارتحششتا ملك فارس الذي أذن لهم (أي
 لبني إسرائيل) بالعودة إلى أورشليم.

وقد أمر الملك بأن تقام شريعتهم وشريعته كما في سفر عزرا (راجع الفصل السابع منه) فجميع أسفار التوراة التي عند أهل الكتاب قد كتبت بعد السبي كما كتب غيرها من أسفار العهد العتيق. ويدل على ذلك كثرة الألفاظ البابلية فيها. وقد اعترف علماء اللاهوت من النصارى بفقد توراة موسى التي هي أصل دينهم وأساسه. قال صاحب كتاب (خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية) «والامر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية في الوجود إلى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها والمرجح أنها فقدت مع التابوت لما خرب بختنصر الهيكل. وربما كان ذلك سبب حديث كان جارياً بين اليهود على أن الكتب المقدسة فقدت وأن عزرا الكاتب الذي كان نبياً جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة وأصلح غلطها وبذلك عادت إلى منزلتها الأصلية» انتهى بحروفه.

ولقد نعلم أنهم يجيبون من يسأل: من أين جمع عزرا تلك الكتب بعد فقدها وإنما يجمع الموجود. وعلى أي شيء اعتمد في إصلاح غلطها؟ قائلين: إنه كتب ما كتب بالإلهام فكان صواباً، ولكن هذا الإلهام مما لا سبيل إلى إقامة البرهان عليه ولا هو مما يحتاج فيه إلى جمع ما في أيدي الناس الذين لا ثقة بنقلهم. ولو كتب عزرا بالإلهام الصحيح لكتب شريعة موسى مجردة من الأخبار التاريخية. ومنها ذكر كتابته لها ووضعها في جانب التابوت وذكر موته وعدم مجيء مثله، وقد بين بعض علماء أوربا أن أسفار التوراة كتبت بأساليب مختلفة لا يمكن أن تكون كتابة واحد، وليس من غرضنا أن نطيل في ذلك وإنما نقول: إن التوراة التي عند القوم فهي كتب تاريخية مشتملة على كثير من تلك الشريعة المنزلة. لأن القرآن يقول في اليهود: إنهم أوتوا نصيباً من الكتاب. كما يقول: إنهم نسوا حظاً مما ذكروا به. ولأنه يستحيل أن تنسى تلك الأمة بعد فقد كتاب شريعتها جميع أحكامها. فما كتبه عزرا وغيره مشتمل على ما حفظ منها إلى عهده وعلى غيره من الأخبار. وهذا كاف للاحتجاج على بني إسرائيل بإقامة التوراة وللشهادة بأن فيها حكم الله كما في سورة المائدة، وبهذا يجمع بين الآيات الواردة في التوراة وبين المعقول والمعروف في تاريخ القوم.

أما لفظ «الإنجيل» فهو يوناني الأصل، ومعناه البشارة، قيل: والتعليم الجديد وهو يطلق عند النصارى على أربعة كتب تعرف بالإنجيل الأربعة. وعلى ما يسمونه العهد الجديد وهو هذه الكتب الأربعة مع كتاب اعمال الرسل (أي الحوارين) ورسائل بولس وبطرس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا. أي على المجموع فلا يطلق على شيء مما عدا الكتب الأربعة بالانفراد،

والانجيل الأربعة عبارة عن كتب وجيزة في سيرة المسيح عليه السلام وشيء من تاريخه وتعليمه، ولهذا سميت أنجيل وليس لهذه الكتب سند متصل عند أهلها، وهم مختلفون في تاريخ كتابتها على أقوال كثيرة، ففي السنة التي كتب فيها الإنجيل الأول تسعة أقوال وفي كل واحد من الثلاثة عدة أقوال أيضاً. على أنهم يقولون: إنها كتبت في النصف الثاني من القرن الأول للمسيح. لكن أحد الأقوال في الإنجيل الأول أنه كتب سنة ٣٧ ومنها أنه كتب سنة ٦٤ ومن الأقوال في الرابع أنه كتب في ٩٨ للميلاد ومنهم من أنكر أنه من تصنيف يوحنا وأن خلافهم في سائر كتب العهد الجديد الأقوى وأشد، وأما الإنجيل في عرف القرآن فهو من أوحاه الله إلى رسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من البشارة بالنبي الذي يتمم الشريعة والحكم والأحكام، وهو ما يدل عليه اللفظ، وقد أخبرنا سبحانه وتعالى في (١٤:٥) أن النصارى نسوا حظاً مما ذكروا به كاليهود، وهم أجدر بذلك، فإن التوراة كتبت في زمن نزولها، وكان الألوف من الناس يعملون بها، ثم فقدت، الكثير من أحكامها محفوظ معروف، ولا ثقة بقول بعض علماء الإفرنج: إن الكتابة لم تكن معروفة في زمن موسى عليه السلام، وأما كتب النصارى فلم تعرف وتشتهر إلا في القرن الرابع للمسيح، لأن أتباع المسيح كانوا مضطهدين بين اليهود والرومان، فلما أمنوا باعتراف الملك قسطنطين النصرانية سياسة ظهرت كتبهم ومنها تواريخ المسيح المشتملة على بعض كلامه الذي هو إنجيله، وكانت كثيرة فتحكم فيها الرؤساء حتى اتفقوا على هذه الأربعة. فمن فهم ما قلناه في الفرق بين عرف القرآن وعرف القوم في مفهوم التوراة والإنجيل يتبين له أن ما جاء في القرآن هو الممحص للحقيقة التي أضاعها القوم، وهي ما يفهم من لفظ التوراة والإنجيل، ويصح أن يعد هذا التمهيد من آيات كون القرآن موحى به من الله، ولولا ذلك لما أمكن ذلك الأمي الذي لم يقرأ هذه الأسفار والأنجيل المعروفة ولا تواريخ أهلها أن يعرف أنهم نسوا حظاً مما أوحى إليهم وأوتوا نصيباً منه فقط، بل كان يحاربهم على ما هم عليه ويقول: الأنجيل لا الإنجيل. ثم إن من فهم هذا لا تروج عنده شبهات القسيسين الذين يوهمون عوام المسلمين أن ما في أيديهم من التوراة والأنجيل هي التي شهد بصدقها القرآن.

وقال الاستاذ الإمام في تفسير هذه الجملة: المتبادر من كملة (انزل) أن التوراة نزلت على موسى مرة واحدة وإن كانت مرتبة في الأسفار المنسوبة إليه فإنها مع ترتيبها مكررة، والقرآن لا يعرف هذه الأسفار ولم ينص عليها. وكذلك الإنجيل نزل مرة واحدة وليس هو هذه الكتب

التي يسمونها الأنجيل، لأنه لو أرادها لما أفرد الإنجيل دائماً، مع أنها كانت متعددة عند النصارى حينئذ، وحاول بعض المفسرين بيان اشتقاق التوراة والإنجيل من أصل عربي وما هما بعرييين، ومعنى التوراة - وهي عبرية - الشريعة، ومعنى الإنجيل - وهي يونانية - البشارة، وإنما المسيح مبشر بالنبي الخاتم الذي يكمل الشريعة للبشر، وأما كونهما هدى للناس فهو ظاهر.

تفسير سورة آل عمران ٤٨:٣ و ٥٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٤٤:٥ انظر (كتاب الله، الكتب التي واجهها المسيح)

تفسير سورة المائدة ٤٦-٤٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٤٨:٥

تفسير الطبري الجزء الرابع صفحة ٢٦٥

٤٨ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

وهذا خطاب من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى ذكره (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ)، وهو القرآن الذي أنزله عليه، ويعني (بِالْحَقِّ): بالصدق، ولا كذب فيه ولا شك أنه من عند الله (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) يقول: أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله، التي أنزلها إلى أنبيائه (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) يقول: أنزلناه الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدقاً للكتب قبله، وشهيداً عليها أنها حق من عند الله، أميناً عليها، حافظاً لها، واصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب، يقال: إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو يهيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، إلا أنهم اختلفت عباراتهم عنه، فقال بعضهم: معناه: شهيداً:

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله (وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ) قال: شهيداً عليه.

حدثني بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) يقول: الكتب التي خلت قبله (وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ) أميناً وشاهداً على الكتب التي خلت قبله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ): مؤتمناً على القرآن وشاهداً ومصداقاً.

وقال ابن جريج وآخرون: القرآن أمين على الكتب فيما إذ أخبرنا أهل الكتاب في كتابهم بأمر إن كان في القرآن فصدقوا، وإلا فكذبوا، وقال بعضهم: معناه: أمين عليه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، وحدثنا هناد بن السري، قال: ثنا وكيع جميعاً، عن سفيان عن أبي إسحاق عن التميمي، عن ابن عباس (وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ) قال: مؤتمناً عليه.

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أبو الاحوص، عن أبي إسحاق، عن التميمي عن ابن عباس في قوله (وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ) قال: مؤتمناً عليه.

حدثنا وكيع، قال: ثنا أبي. قال: ثنا سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحاق بإسناده، عن ابن عباس مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن مطرّف، عن أبي إسحاق، عن رجل من تميم، عن ابن عباس، مثله.

حدثني المثني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة. عن ابن عباس، قوله (وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ) قال: والمهيمن: الأمين. قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) وهو القرآن، شاهد على التوراة والإنجيل. مصدقاً لهما (وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ) يعني: أميناً عليه، يحكم على ما كان قبله من الكتب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم عن زهير، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس مثله.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا بن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان وإسرائيل، عن علي بن بذيمة، عن سعيد بن جبير (وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ) قال: مؤتمناً على ما قبله من الكتب. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عباس، عن أبي رجاء، قال: سألت الحسين، عن قوله (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ) قال: مصدقاً لهذه الكتب وأميناً عليها، وسئل عنها عكرمة وأنا أسمع، فقال: مؤتمناً عليه. وقال آخرون: معنى المهيمن: المصدق.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ) قال: مصدقاً عليه كل شيء أنزله الله من توراة أو إنجيل أو زبور، فالقرآن مصدق على ذلك، وكل شيء ذكر الله في القرآن فهو مصدق عليها، وعلى ما حدث عنها أنه حق.

وقال آخرون: عنى بقوله (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ) نبي الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال ذلك

حدثني المشني، قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ) محمد صلى الله عليه وسلم. مؤتمن على القرآن.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا ابو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ) قال: محمد صلى الله عليه وسلم مؤتمن على القرآن.

فتأويل الكلام على ما تأوله مجاهد: وأنزلنا الكتاب مصداقاً الكتب قبله إليك، مهيمناً عليه، فيكون قوله مصداقاً حالاً من الكتاب، وبعضاً منه، ويكون لتصديق من صفة الكتاب، والمهيمن حالاً من الكاف التي في إليك. وهي كناية عن ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم، والهاء في قوله (عليه) عائدة على الكتاب، وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب، بل هو خطأ، وذلك أن المهيمن عطف على المصدق، فلا يكون إلا من صفة ما كان المصدق صفة له، ولو كان معنى الكلام ما روى عن مجاهد، لقليل: وأنزلنا إليك الكتاب مصداقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه، لأنه متقدم من صفة الكاف التي في إليك، وليس بعدها شيء يكون مهيمناً عليه عطفاً عليه، وإنهما عطف به على المصدق، لأنه من صفة الكتاب الذي من صفته المصدق.

فإن ظن ظان أن المصدق على قول مجاهد وتأويله هذا من صفة الكاف التي في إليك، فإن قوله (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) يطل أن يكون تأويل ذلك كذلك، وأن يكون المصدق من صفة الكاف التي في إليك، لأن الهاء في قوله (بَيْنَ يَدَيْهِ) كناية اسم غير المخاطب، وهو النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إليك، ولو كان المصدق من صفة الكاف لكان الكلام، وأنزله إليك الكتاب مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فيكون معنى الكلام حيثئذ كذلك.

القول في تأويل قوله (فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ).

وهذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهل الملل، فكتابه الذي أنزله إليه، وهو القرآن الذي خصه بشريعته، يقول تعالى ذكره: احكم يا محمد بين أهل الكتاب والمشركين، بما أنزل إليك من كتابي وأحكامي، في كل ما احتكموه فيه إليك من الحدود والجروح، والقود والنفوس، فارجم الزاني المحصن، واقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ظلماً. وافقاً العين بالعين، واجذع الأنف بالأنف.

فإني أنزلت إليه القرآن مصداقاً في ذلك ما بين يديه من الكتب، ومهيماً عليه، رقيباً يقضي على ما قبله من سائر الكتب قبله. ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود الذين يقولون: إن أوتيتم الجلد في الزاني المحصن دون الرجم. وقتل الوضيع بالشريف إذا قتله، وترك قتل الشريف بالوضيع إذا قتله فخذوه. وإن لم تؤتوه فاحذروا عن الذي جاءك من عند الله من الحق، وهو كتاب الله الذي أنزله إليك، يقول له: اعمل بكتابي الذي أنزلته إليك إذا احتكموا إليك، فاختر الحكم عليهم، ولا تترك العمل بذلك اتباعاً منك أهواءهم، وإيثار إلهاً على الحق الذي أنزلته إليك في كتابي.

كما حدثني المثنى، قال: عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) يقول: بحدود الله (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن عنبسة، عن جابر، عن عامر، عن مسروق أنه كان يحلف اليهودي والنصراني بالله، ثم قرأ (وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) وأنزل الله: أن لا يشرکوا به شيئاً.

القول في تأويل قوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا) :

يقول تعال ذكره: لكل قوم منكم جعلنا شريعة، والشريعة: هي الشريعة بعينها تجمع الشريعة شراعاً. والشريعة شرائع. ولو جمعت الشريعة شرائع كان صواباً، لأن معناها. ومعنى الشريعة واحد، فيردها عند الجمع إلى لفظ نظيرها، وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ومن ذلك قيل لشريعة الماء: شريعة، لأنه يشرع منها إلى الماء. ومنه سميت شرائع الإسلام وشرائع، لشروع أهله فيه، ومنه قيل للقوم إذا تساوا في الشيء: هم شرع سواء، وأما النهج فإن أصله: الطريق البين الواضح، يقال منه، هو طريق نهج ومنهج بين. كما قال الراجز:

من يك في شك فهذا فلاح ماء رواء وطريق نهج

ثم يستعمل في كل شيء كان بنياً واضحاً سهلاً.

فمعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمه. وسبيلاً واضحاً يعمل به.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ) فقال بعضهم: عنى بذلك أهل الملل المختلفة، أي أن الله جعل لكل ملة شريعة ومنهاجاً.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن تقادة. قوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ) يقول: سبيلاً وسنة، والسنن مختلفة للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء بلاء. ليعلم من يطبعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق. قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ) قال: الدين واحد. والشريعة مختلفة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن هاشم، قال: أخبرنا سيف بن عمرو، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي، قال: الإيمان منذ بعث الله تعالى ذكره آدم صلى الله عليه وسلم شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، لكل قوم ما جاءهم من شرعة أو منهاج. فلا يكون المقر تاركاً، ولكنه مطيع.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنما معنى الكلام: قد جعل الكتاب الذي أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أيها الناس لكلكم. أي لكل من دخل في الإسلام وأقر بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه لي نبي شرعة ومنهاجاً.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ) قال: سنة ومنهاجاً. السبيل لكلكم من دخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله له شرعة ومنهاجاً. يقول: القرآن هو له شرعة ومنهاج. وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: لكل أهل ملة منكم أيها الأمم جعلنا شرعة ومنهاجاً.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لقوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) ولو كان عنى بقوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ) أمة محمد. وهم أمة واحدة لم يكن لقوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) وقد فعل ذلك فجعلهم أمة واحدة معنى مفهوم، ولكن معنى ذلك على ما جرى به الخطاب من الله لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم. أنه ذكر ما كتب على بني إسرائيل في التوراة. وتقدم إليهم بالعمل بما فيها. ثم ذكر أنه قفى بعبسى بن مريم على آثار الأنبياء قبله،

وأنزل عليه الإنجيل، وأمر من بعثه إليه بالعمل بما فيه، ثم ذكر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، وأخبره أنه أنزل إليه الكتاب مصداقاً لما بين يديه من الكتاب، وأمره بالعمل بما فيه، والحكم بما أنزل إليه فيه دون ما في سائر الكتب غيره، وأعلمه أنه قد جعل له ولأئمة شريعة غير شرائع الأنبياء والأئم قبله. الذي قص عليهم قصصهم، وإن كان دينه ودينهم في توحيد الله، والإقرار بما جاءهم به من عنده، والانتفاء إلى أمره ونهيه واحداً، فهم مختلفو الأحوال فيما شرع لكل واحد منهم، ولأئمة فيما أحل لهم، وحرّم عليهم. وبنحو الذي قلنا في الشريعة والمنهاج من التأويل، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا مسعر، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) قال: سنة وسبيلاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان وإسرائيل وأبيه، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي عن أبيه، عن ابن عباس قوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) يعني: سبيلاً وسنة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، قال: سمعت الحسن يقول: الشريعة: السنة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى الققات، عن مجاهد، قال: سنة وسبيلاً.

حدثني محمد عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره (شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) قال: الشريعة: السنة، ومنهاجاً، قال: السبيل.

حدثني المشنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

حدثني المشنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) يقول: سبيلاً وسنة.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحوضي، قال: ثنا شع بة، قال: ثنا أبو إسحاق، قال: سمعت رجلاً من بني تميم، عن ابن عباس بنحوه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا اسباط، عن السدي (شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا) يقول: سبيلاً وسنة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: السنة والسبيل.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد، قال: أخبرني عبيد بن سلمان قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا) قال: سبيلاً وسنة.

القول في تأويل قوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم لجعل شرائعكم واحدة. ولم يجعل لكل أمة شريعة ومنهاجاً غير شرائع الأمم الأخر، ومنهاجهم فكنتم تكونون أمة واحدة، لا تختلف شرائعكم ومنهاجكم. ولكنه تعالى ذكره يعلم ذلك، فخالف بين شرائعكم ليختبركم، فيعرف المطيع منكم من المعاصي، والعامل بما أمره في الكتاب الذي أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم من المخالف، والابتلاء: هو الاختبار. وقد ثبت ذلك بشواهد في ما مضى قبل. وقوله (فِي مَا آتَاكُمْ) يعني: فيما أنزل عليكم من الكتب.

كم حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال ثنى حجاج، عن ابن جريج (وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) قال عبد الله بن كثير: لا أعلمه إلا قال: ليلوكم فيما آتاكم من الكتب.

فإن قال قائل: وكيف قال: ليلوكم فيما آتاكم. ومن المخاطب بذلك، وقد ذكرت أن المعنى: لكل جعلنا منكم شريعة ومنهاجاً لكل نبي مع الأنبياء الذين مضوا قبله وأممهم الذين قبل نبينا صلى الله عليه وسلم. والمخاطب النبي وحده؟ قيل: إن الخطاب وإن كان لنبينا صلى الله عليه وسلم. فإنه قد أريد به الخبر عن الأنبياء قبله وأممهم، ولكن العرب من شأنها إذا خاطبت إنساناً وضمت إليه غائباً. فأرادت الخبر عنه أن تغلب المخاطب، فيخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب، فلذلك قال تعالى ذكره (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا).

القول في تأويل قوله (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُبَيِّنُكُمْ لِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)

يقول تعالى ذكره: فبادروا أيها الناس إلى الصالحات من الأعمال، والقرب إلى ربكم

يأدمان العمل بما في كتابكم الذي أنزله إلى نبيكم، فإنه إنما أنزله امتحاناً لكن وابتلاء، ليتبين المحسن منك من المسيء. فيجازي جميعكم على عمله جزاءه عند مصيركم إليه، فإن مصيركم إليه جميعاً. فيخبر كل فريق منكم بما كان يخالف فيه الفرق الأخرى، فيفصل بينهم بفصل القضاء، ويبين المحقق بمجازاته إياه بجناته من المسيء بعقابه إياه بالنار، فيتبين حينئذ كل حزب عياناً، المحق مهم من المبطل.

فإن قال قائل: أو لم ينبئنا ربنا في الدنيا قبل مرجعنا إليه ما نحن فيه مختلفون؟ فقل: إنه بين ذلك في الدنيا بالرسول. والأدلة والحجج، دون الثواب والعقاب عياناً، فمصدق بذلك ومكذب. وأما عند المرجع إليه، فإنه ينبئهم بذلك بالمجازاة التي لا يشكون معها في معرفة المحق والمبطل، ولا يقدرّون على إدخال اللبس معها على أنفسهم، فكذلك خبره تعالى ذكره أنه ينبئنا عند المرجع إليه بما كنا فيه نختلف في الدنيا.

وإنما معنى ذلك: إلى الله مرجعكم جميعاً، فتعرفون المحق حينئذ من المبطل منكم.

كما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حباب، عن أبي سنان، قال: سمعت الضحاك يقول: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً) قال: أمة محمد صلى الله عليه وسلم البر والفاجر.

تفسير ابن كثير الجزء الثاني صفحة ٦٥-٦٧

٤٨ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى كليمه ومدحها وأثنى عليها وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع وذكر الإنجيل ومدحه وأمر أهله بإقامته وابتاع ما فيه كما تقدم بيانه شرع في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم فقال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أي الصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) أي من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأن سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقاً عند حاملها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر

الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله كما قال تعالى (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) أي إن كان ما كان ما وعدنا الله على السنة رسله المتقدمة من مجيء محمد عليه السلام لمفعولا أي لكائنا لا محالة ولا بد. وقوله تعالى (وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ) قال سفيان الثوري وغيره عن أبي إسحق عن التميمي عن ابن عباس أي مؤتمناً عليه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله وورى عن عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك وقال ابن جريج القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل وعن الوالي عن ابن عباس (ومهيمناً) أي شهيداً وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وقال العوفي عن ابن عباس (ومهيمناً) أي حاكماً على ما قبله من الكتب وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها واشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى (إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فأما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وابن أبي نجيح عن مجاهد أنهم قالوا في قوله (وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ) يعني محمداً ﷺ أمين على القرآن فإنه صحيح في المعنى ولكن في تفسير هذا بهذا نظر وفي تنزيله عليه من حيث العبرة أيضاً نظر وبالجمله فالصحيح الأول وقال أبو جعفر بن جرير بعد حكايته له عن مجاهد وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب بل هو خطأ وذلك أن المهيمن عطف على المصدق فلا يكون إلا صفة لما كان المصدق صفة له قال: ولو كان الأمر كما قال مجاهد لقال: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب مهيمناً عليه، يعني من غير عطف وقوله تعالى (فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) أي فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم أميهم وكتابهم بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك هكذا وجهه ابن جرير بمعناه قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيراً إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم فردهم إلى

أحكامه فنزلت (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) فأمر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بما في كتابنا، وقوله (ولا تتبع أهواءهم) أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله ولهذا قال تعالى (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء وقوله تعالى (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن يوسف حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحق عن التميمي عن ابن عباس قال (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً) قال سبيلا وحدثنا أبو سعيد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحق عن التميمي عن ابن عباس (وَمِنْهَاجًا) قال وسنة وكذا روى العوفي عن ابن عباس (شريعة ومنهجا) سبيلاً وسنة وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة والضحاك والسدي وأبي إسحق السبيعي أنهم قالوا في قوله (شريعة ومنهجا) أي سبيلاً وسنة وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد أي وعطاء الخرساني عكسه (شريعة ومنهجا) أي سنة وتبديلاً والأول أنسب فإن الشريعة وهي الشريعة أيضاً هي ما يبدأ فيه إلى الشيء ومنه يقال شرع في كذا أي ابتداء فيه وكذا الشريعة وهي ما يشرع فيها إلى الماء. أم المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن الطرائق. فتفسير قوله (شريعة ومنهجا) بالسبيل والسنة اظهر في المناسبة من العكس والله أعلم. ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الاحكام المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «نحن معشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد» يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب انزله كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا ونوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) يقول سبيلاً وسنة والسنن مختلفة هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل المخاطب بهذه الآية

هذه الأمة ومعناه لكل جعلنا القرآن منكم آيتها الأمة شرعة ومنهاجاً أي هو لكم كلكم تقتدون به وحذف الضمير المنصوب في قوله (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ) أي جعلناه يعني القرآن شرعة ومنهاجاً أي سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة وسنة أي طريقاً ومسلكاً واضحاً بينا هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله، والصحيح القول الأول ويدل على ذلك قوله تعالى بعده (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) فلو كان هذا خطاباً لهذه الأمة لما صح أن يقول (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) وهم أمة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشرعة واحدة لا ينسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً ﷺ الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الأنبياء كلهم ولهذا قال تعالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) أي أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم ويشيهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله وقال عبد الله بن كثير (في ما آتاكم) يعني من الكتاب ثم إنه تعالى نديهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخاً لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ثم قال تعالى (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ) أي معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة (جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) أي فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق فيجزي الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم معاندون للبراهين القاطعة، والحجج البالغة والأدلة الدامغة، وقال الضحاك (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) يعني أمة محمد ﷺ والأول أظهر.

تفسير محمد عبده الجزء السادس صفحة ٣٣٩-٣٤٩

٤٨ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَآخُكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

هذه الآيات تنمة السياق. بين الله تعالى شأنه إنزال التوراة ثم الإنجيل على بني إسرائيل،

وما أودعه فيها من هدى ونور، وما حتم عليهم من إقامتها، وما شدد عليهم من إثم ترك الحكم بهما، فناسب بعد ذلك أن يذكر إنزاله القرآن على خاتم النبيين والمرسلين، ومكانه من الكتب التي قبله. وكون حكمته تعالى اقتضت تعدد الشرائع ومناهج الهداية - فتلك مقدمات ووسيلة، وهذا هو المقصد والنتيجة، قال:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) أي وأنزلنا إليك الكتاب الكامل الذي أكملنا به الدين، فكان هو الجدير بأن ينصرف إليه معنى الكتاب الإلهي عند الإطلاق، وهو القرآن المجيد - هذه حكمة التعبير بالكتاب الخاص (الإنجيل) - ومثل هذا إطلاق لفظ النبي حتى في كتبهم - وقوله (الْحَقُّ) الخ. معناه أنزلناه متلبساً بالحق مؤيداً به مشتملاً عليه مقررأً له، بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مصدقاً لما تقدمه من جنس الكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل، أي ناطقاً بتصديق كونها من عند الله، وأن الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم.

وأما قوله: (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) أي على جنس الكتاب الإلهي، فمعناه أنه رقيب عليها وشهيد، بما بينه من حقيقة حالها، في أصل إنزالها، وما كان من شأن من خوطبوا بها، من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته، وتحريف كثير مما بقي وتأويله، والإعراض عن الحكم والعمل بها، فهو يحكم عليها لأنه جاء بعدها. روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) يعني أميناً عليه، يحكم على ما كان قبله من الكتب. وفي رواية عنه عند الفريابي وسعيد بن منصور والبيهقي ورواة التفسير المأثور قال: مؤتمناً عليه. وفي رواية أخرى قال: شهيداً على كل كتاب قبله.

لسان العرب: وقال ابن الأنباري في قوله «وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ» قال: المهيمن (أي من أسماء الله) القائم على خلقه، وأنشد:

ألا أن خير الناس بعد نبيه مهيمنه التالبي في العرف والنكر

(قال) معناه القائم على الناس بعده. وقيل القائم بأمر الخلق. (قال) وفي المهيمن خمسة أقوال - قال ابن عباس. المهيمن المؤمن. وقال الكسائي: المهيمن الشهيد. وقال غيره: هو الرقيب، يقال هيمن يهيمن هيمنة إذا كان رقيباً على الشيء. وقال أبو معشر: (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) معناه وقبانا عليه. وقيل وقائماً على الكتب اهـ. والظاهر من مجموع الأقوال أن المهيمن على

الشيء هو من يقوم بشئونه ويكون له حق مراقبته والحكم في أمره بحق، كما وصف بذلك أبو بكر رضي الله عنه في قيامه بأعباء خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم. والقيام بالأمر يستلزم المراقبة والائتمان والشهادة عليه.

ومن الغرائب أن بعض المفسرين فهم من هيمنة القرآن على الكتب التي قبله أنه يشهد لها بالحفظ من التحريف والتبديل! واللفظ لا يدل على هذا المعنى، فإذا كان معنى المهيمن الشهيد فهل يصح أن يتحكموا في شهادته كما يشاءون؟ أم الواجب عليهم الرجوع إلى ما قاله في شأن هذه الكتب وأهلها، لأنه هو نص شهادته لها ولهم، أو عليها وعليهم؟ والقرآن يفسر بعضه بعضاً - وحسبهم أنه قال في سورة النساء قبلها أنهم «أوتوا نصيباً من الكتاب». وقال فيهما جميعاً أنهم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: (آمنّا بالله وما أنزل إلينا ٢: ١٣٦) الآية. رواه البخاري في صحيحه، وذكر أن سببه أنه كان بعض أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها لبعض المسلمين بالعربية، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستماع إليهم وقبول كلامهم بهذا الحديث، يوضحه ما رواه أحمد والبخاري - واللفظ له - من حديث جابر قال: نسخ عمر كتاباً من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ - ووجه النبي صلى الله عليه وسلم يتغير - فقال له رجل من الأنصار: ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا اتباعي» وورد في هذا المعنى أحاديث أخرى ضعيفة. والمراد من النهي عن سؤالهم النهي عن سؤال الاهتداء، وتلقى ما يروونه بالقبول لأجل العلم بالشرائع الماضية وأخبار الأنبياء، لزيادة العلم أو التفصيل إليهم وتحريفهم لبعضه بطلت الثقة بروايتهم، فالمصدق لها عرضة لتصديق الباطل، والمكذب لها عرضة لتكذيب الحق، إذ لا يتيسر لنا أن نميز فيما عندهم بين المحفوظ السالم من التحريف وغيره، فالاحتياط ألا نصدقهم ولا نكذبهم. إلا إذا رووا شيئاً يصدقه القرآن أو يكذبه، فإننا نصدق ما صدقه، ونكذب ما كذبه، لأنه مهيمن على تلك الكتب وشهيد عليها، وشهادته حق، لأنه نزل بالحق، وحفظه الله من التحريف والتبديل بتوفيق المسلمين لحفظه في الصدور والسطور،

من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، وسيحفظه كذلك إلى آخر الزمان (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ١٥:٩) ولا يعارض هذا قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر) لأن ذلك ورد في السؤال عن أمر متواتر قطعي وهو أن الرسل كانوا رجالاً يوحى إليهم.

(فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) أي إذا كان هذا شأن القرآن ومنزلته مما قبله - وهو أنه قائم بأمر الدين بعدها، ورقيب وشهيد عليها، فاحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله إليك من الاحكام والحدود، دون ما انزله إليهم، لأن شرعك ناسخ لشرائعهم (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) أي ولا تتبع ما يهوون - وهو الحكم بما يسهل عليهم ويخف احتمالاه - ماثلاً بذلك عما جاءك من الحق الذي لا مرية فيه ولا ريب، ولو إلى ما صح من شريعته بما نقصه عليك منها (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) فهذه الجملة استئناف بياني لتعليل الأمر والنهي قبلها. أي لكل رسول أو لكل أمة منكم أيها المسلمون والكتاييون أو أيها الناس جعلنا شريعة أوجبنا عليهم إقامة أحكامها، وطريقاً للهداية فرضنا عليهم سلوكه لتزكية أنفسهم وإصلاحها، لأن الشرائع العملية، وطرق التزكية الأدبية، تختلف باختلاف أحوال الاجتماع واستعداد البشر، وإنما اتفق جميع الرسل في أصل الدين وهوت وحيد الله وإسلام الوجه له بالإخلاص والإحسان.

والشرعة والشريعة في اللغة: الطريق إلى الماء، أو مورد الماء من النهر ونحوه، وهذا هو المستعمل عند العرب حتى الآن، وهي من الشروع في الشيء. قال ابن جرير: وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ومن ذلك قبل لشريعة الماء شريعة، لأنه يشرع منها إلى الماء، ومنه سميت شرائع الإسلام لشروع أهله فيه، ومنه قيل للقوم إذا تساوا في الشيء: هم شرع سواء. وأما المنهاج، فإن أصله الطريق البين الواضح. يقال منه: هو طريق نهج ومنهج بين، كما قال الراجز:

من يك في شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج: ١ هـ.

وقال بعضهم: سميت الشريعة شريعة تسبيهاً بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة روى وتطهر، والمراد الري المعنوي وطهارة النفس وتزكيتها، وقد جعل الله الماء سبب الحياة النباتية والحيوانية، وجعل الشريعة سبب الحياة الروحية الإنسانية.

أخرج غير واحد من رواة التفسير المأثور عن قتادة في قوله تعالى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) يقول سبيلاً وسنة. والسنن مختلفة، للتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة،

يحل الله فيها ما يشاء، كي يعلم الله من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص الذي جاءت به الرسل. وفي رواية عنه: الدين واحد والشرعة مختلفة. وروى ابن جرير من عدة طرق عن ابن عباس أنه قال في تفسير (شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا) سنة وسبيلاً، وظاهر من قول قتادة أن الشرعة أخص من الدين إن لم تكن مباينة له، وأنها الأحكام العملية التي تختلف باختلاف الرسل وينسخ لاحقها سابقها، وأن الدين هو الأصول الثابتة التي لا تختلف باختلاف الأنبياء. وهذا يوافق أو يقارب عرف الأمم حتى اليوم، لا يطلقون اسم الشرعة إلا على الأحكام العملية، بل يخصونها بما يتعلق بالقضاء وما يتخاصم فيه إلى المحاكم، ودون ما يدان الله تعالى به من أحكام الحلال والحرام.

ولا تجد هذا الحرف في القرآن إلا في هذه الآية - وفي قوله تعالى من سورة الشورى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ٤٢: ١٣) وقوله منها: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ٤٢: ٢١) - وفي قوله من سورة الجاثية: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٤٥: ١٨) فأما شرع الدين فهو وضعه وإنزاله من عند الله تعالى، وليس لغيره أن يشرع، فأيتا الشورى تدلان على أن وضع الله تعالى للدين ومخاطبة الناس به يسمى شرعاً بالمعنى المصدري، وليس مما نحن فيه. وأما آية الجاثية فقد روى ابن جرير عن قتادة أنه قال فيها: الشرعة الفرائض والحدود والأمر والنهي، وهو نص فيما ذكرنا من قصر الشرعة على الأحكام العملية دون العقائد والحكم والعبر التي يشملها الدين. والمشهور في عرف فقهاءنا وعامتنا أن الدين والشرع وكتب الشرعة - ، ألصق بالفقه وكتبه وعلمائه منها بعلم العقائد والأخلاق وعلمائها وكتبها، وتجد الفقهاء يقولون: يجوز هذا ديانة لا قضاء. ونحو ذلك. وتحرير القول أن الشرعة اسم للأحكام العملية وأنها أخص من كلمة (الدين) وإنما تدخل في مسمى الدين من حيث إن العامل بها يدين الله تعالى بعمله ويخضع له ويتوجه إليه مبتغياً مرضاته وثوابه بإذنه.

(لِكُلِّ جَعَلْنَا) للاختصاص الحصري أم لا، خلافاً لمن قال به محتجين بقوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ٤٢: ١٣) الآية. وقوله: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ٦: ٩٠) الآية، وما في معناها. فأما الآية الأولى فقد بين ما شرعه تعالى فيها من التوصية وهو قوله تعالى (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ٤٢: ١٣) فهذه وصية

الله إلى الأمم على السنة جميع الرسل، فهي لا تدل على اتحاد شرائعهم بل على حظر الاختلاف في الدين، لأن الدين نزل لإزالة الخلاف الضار وإصلاح الأمة، فالاختلاف فيه يجعل الإصلاح إفساداً، والدواء داء، ولذلك قال تعالى: (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ٩٨:٤) وقال: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣:١٠٥) ولو كانت الآية عامة في الدين والشرعة لكان معناها أن ما شرعه الله لنا هو عين ما شرعه لنوح والنبیین من بعده، ولم يكن معناها أننا مخاطبون بالأحكام العملية التي شرعها الله لقوم نوح ومن بعده. وكون ما شرعه لنا هو عين ما شرعه لهم مناقض لقوله: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) وكيف يتصور عاقل أن يكون المراد من الآية أن كل ما شرعه الله لقوم نوح هو شرع لنا إذا لم يرد في شريعتنا ما ينسخه؟ وهو خبر لا فائدة فيه، إذ لا علم لنا بما شرعه تعالى لقوم نوح، وكلام الله منزّه عن العبث!

وأما قوله تعالى في سورة الأنعام (فبهذا هم اقتده) فقد جاء بعد ذكر هدايته تعالى لطائفة من الأنبياء والمرسلين، فلا يمكن أن يراد به العمل بشرائعهم العملية، لعدم إعلامه تعالى بها، وعدم الثقة بإعلام غيره - إن وجد - ولاختلافها ونسخ بعضها بعضاً. قال بعض المحققين: ولا يجوز أيضاً أن يراد بذلك الاقتداء بهم في العقائد وأصول الدين، لأن الاقتداء بتقيد، والعقائد لا تصح إلا بالعلم اليقين بالبرهان العقلي أو السمع، وقد أبطل الله التقليد في كتابه فلا يقبله من آحاد الناس. فكيف يأمر به خاتم المرسلين، الذي هو مقام حق اليقين؟ ولأنه صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الآية كان عالماً بالعقائد داعياً إليها، ولا معنى لأن يكون أمره بالاقتداء أمراً بالثبات عليها. والصواب أن المراد بالاقتداء هنا موافقة سنتهم وسيرتهم في دعوة أقوامهم إلى الدين والصبر على أذاهم، وغير ذلك من أنباء الرسل الحسنة التي بينها الله تعالى في سيرتهم كما قال: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ١١:١٢٠) وقال تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ٤٦:٣٥) أي ولا تستعجل لقومك العذاب كما استعجل بعضهم، ولو دلت هذه الآية على أن شرع من قبلنا شرع لنا لدل عليها قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم ١:٦) أيضاً، ولكننا مأمورون بأن نتبع من دون النبیین، من الصديقين والشهداء والصالحين، في جميع أحكام شرائعهم وجزئيات أعمالهم. كلا إن المراد بالهداية في هذا الباب، هداية القلوب بما وفقها الله له من الإخلاص ونور

البصيرة، وحب الحق والخير وتحريمها في العلم والعمل، والوقوف عند حدود الله تعالى. فهم بهذا كانوا مهتدين وهذا هداهم وصراتهم، لا أحكام الشرائع التي خوطب بها من عمل بها ومن لم يعمل.

لعمري إن الحق في هذه المسألة واضح كالصبح بل هو أوضح، ولكن أكثر المصنفين المقلدين جروا على سنة سيئة، وهي ان يأخذوا أقوال العلماء الذين ينتسبون إليهم قضايا مسلمة، ويلتمسون الدلائل فإثباتها وإبطال ما خالفها دليلاً ومدلولاً ولو بالتمحل والتأول والاحتمال، فالأدلة عندهم تابعة لا متبوعة، فما وافق الأصل المسلم عندهم ولو بادي الرأي قبلوه، وما خلفه وأبطله أعرضوا عنه وتركوه، أو حرفوه وتأولوه. وإلا فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن الله قد أكمل الدين بديننا، وختم النبيين بنبينا. وأرسله للناس كافة، وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وأن جميع الشرائع قبله كانت موقته، وشريعته هي الشريعة الدائمة، وحكمه ذلك معروفة بين العلماء، لم تكن محل خلاف بين المذاهب ولا بين الأفراد، وهي أن هذه الشريعة الكاملة السمحة صالحة لكل زمان وكل مكان، وحكمه نسخ الشرائع الماضية عدم صلاحيتها لغير أهلها، فكل من اطلع عليهما، يعلم علم اليقين أنه لا طاقة للبشر في هذا العصر بإقامتهما. فشدة أحكام التوراة في العبادات وأحكام المعاملات المدنية والقتال لا يمكن أن تعمل به أمة، ولشدة أحكام الإنجيل في الزهد وترك الدنيا، والخضوع لكل حاكم وكل معتد، لا يمكن ان تكون عليه أمة - فإذا كان الأمر كذلك فهل يعقل أن تكون تلك الشرائع الخاصة الموقوتة - التي نسختها شريعتنا لإكمال الدين بما يناسب ارتقاء البشر - شريعة دائمة لنا يجب علينا العمل بها، وأن يعد هذا أصلاً من أصولنا؟؟ يا ضيعة الوقت الذي نصرفه في رد هذا القول، بل يا ضيعة الحبر والورق الذي يصرف في سبيله، لولا أنه صار ضرورياً بتلك الشبهات التي فتن بها كثير من الأذكياء كالسعد التفتازاني وأضرابه.

وجملة القول أن دين الله تعالى على السنة أنبيائه واحد في أصوله ومقاصده، وهي توحيد الله وتنزيهه وإثبات صفات الكمال له، والإخلاص له في الأعمال، والإيمان باليوم الآخر، والاستعداد له بالعمل الصالح، وأما الشرائع فهي مختلفة، وشرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، وموافقته لبعض الشرائع في بعض الأحكام كموافقته لبعض القوانين الوضعية، في كونها لا يصح أن تكون سبباً لشرعها لنا، كما لا يصح أن تكون مانعاً، فإنما كنا مخاطبين بهذه الأحكام بنزولها علينا، لا بكونها شرعت لمن قبلنا، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم

يحب مخالفة اليهود - بعد نزول الكثير من الأحكام الشرعية عليه في المدينة - حتى في عمل البر الداخل في عموم شريعتنا وشريعتهم كصيام يوم عاشوراء إذ كان يصومه فلما قيل له في المدينة أن أهل الكتاب يعظمونه - أو اليهود يصومونه - قال: لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» رواه مسلم، وإنما روى أنه كان يحب موافقتهم اجتهداً قبل نزول الأحكام التفصيلية في مكة. وما قال من قال: إن شرع من قبلنا شرع لنا إلا عدم التفرقة بين أصل الدين والملة وبين الشريعة، لأن الجمهور يستعملون هذه الألفاظ استعمال المترادفات، والتحقيق الفرق - كما قال قتادة - وعرف تفصيله.

يدل على ذلك ما ورد في (ملة إبراهيم) فإن الله سمي الإسلام ملة إبراهيم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم، وامتن على العرب بأنه أمرهم بملة أبيهم إبراهيم، قال تعالى: (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣: ٩٥) وقال: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ٤: ١٢٥) وقال: (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ٦: ١٦١-١٦٣) فهذا هو الإسلام وهو بيان لملة إبراهيم. يؤيد ذلك قوله: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِئاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لِأَنْعَمِهِ آجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦: ١٢٠-١٢٣) فهذه هي ملة إبراهيم الحنيفية السمحة التي كان عليها سائر الأنبياء من ذريته - ومن قبله أيضاً - يؤيده قوله تعالى: (وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٢: ١٣٠-١٣٣) يؤيد هذا قوله تعالى حكاية عن يوسف: (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ١٢: ٣٧، ٣٨) فهذه الآيات يصدق بعضها بعضاً ويؤيده، وكلها برهان على ما حققناه، وأما قوله تعالى في آخر سورة الحج: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ

وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ٢٢:٧٨) فالظاهر أن قوله فيه «ملة إبراهيم» منصوب على الاختصاص، أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم، وهي التوحيد الخالص والإخلاص لله الذي هو معنى الإسلام. وعلم منه أن لفظ الملة يراد به أصل الدين وجوهره دون ما يتبع ذلك من الشرائع وتفصيل الأحكام، ومنه قول العلماء: الكفر ملة واحدة. مع الجزم بأن شرائع الكفار مختلفة ومتعددة.

قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أي ولو شاء تعالى أن يجعلكم أيها الناس أمة واحدة ذات شريعة واحدة ومنهاج واحد في سلوكها والعمل بها لفعل، بأن خلقكم على استعداد واحد، وألزمكم حالة واحدة في سلوكها والعمل بها لفعل، بأن خلقكم شريعة واحدة في كل زمان، وحينئذ تكونون كسائر أنواع الخلق التي يقف استعدادها عند حد معين كالطير أو النمل أو النحل.

(وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) أي ولكن لم يشأ ذلك بل جعلكم نوعاً ممتازاً يرتقي في أطوار الحياة بالتدريج وعلى سنة الرقاء، فلا تصلح له شريعة واحدة في كل طور من أطوار حياته، في جميع أقوامه وجماعاته. وآتاكم من الشرائع والمناهج في الفهم والهداية في طور طفولية النوع وغلبة المادية عليه ما يصلح له - وفي طور تمييزه وغلبة الوجدانات النفسية عليه ما يصلح له - حتى إذا ما بلغ النوع سن الرشد ومستوى استقلال العقل بظهور ذلك في بعض الأقسام بالقوة وفي بعضها بالفعل، ختم له الشرائع والمناهج بالشريعة المحمدية المنبئة على أصل الاجتهاد، وجعل أمره في القضاء والسياسة والاجتماع. شورى بين أولى الأمر، من أهل المكانة والعلم والرأي - (لِيَبْلُوَكُمْ) أي ليعاملكم بذلك معاملة المختبر على غيركم من أنواع الخلق في أرضكم. وهو كونكم جامعين بين الحيوانية والملكية.

يظهر مثال ما حققناه في الشرائع والمناهج الأخيرة - اليهودية والنصرانية والإسلامية - فاليهودية شريعة مبنية على الشدة في تربية قوم ألفوا العبودية والذل، وفقدوا الاستقلال في الإرادة والرأي، فهي مادية جسدية شديدة ليس لأهلها فيها رأي ولا اجتهاد، فالقائم بتنفيذها كالمرابي للطفل العارم الشكس.

والمسيحية يهودية من جهة وروحانية شديدة من جهة أخرى، فهي تأمر أهلها بأن يسلموا أمورهم الجسدية والاجتماعية للمتغلبين من أهل السلطة والحكم، مهما كانوا عليه من الفساد

والظلم، وأن يقبلوا كل ما يسامون به من الخسف والذل، ويجعلوا عنايتهم كلها بالأمر الروحية، وتربية العواطف والوجدانات النفسية، فهي تربية للنوع في طور التمييز عندما كان كالغلام اليافع الذي تؤثر في نفسه الخطايا والشعريات.

وأما الإسلامية فهي القائمة على أساس العقل والاستقلال، المحققة لمعنى الإنسانية بالجمع بين مصالح الروح والجسد، وبهذا يصدق عليها قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ) (١٤٣: ٢) وقوله: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ۚ) (١١٠: ٣) فهي مبنية على أساس الاستقلال البشري اللائق بسن الرشد. وطور ارتقاء العقل، ولذلك كانت الأحكام الدينية في كتابها قليلة، وفرض فيها الاجتهاد، لأن الراشد يفوض إليه أمر نفسه فلا يقيد إلا بما يمكن أن يعقله من الأصول القطعية، ومن مقومات أمته المالية، التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان. ومن احب زيادة التفصيل في هذا البحث ليرجع إلى تفسير قوله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ۚ) (٢١٣: ٢) الآية (راجع ص ٢٢ وما بعدها ج ٢ ط الهيئة) وتفسير: (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ) (٣٣: ٤٣) في (ص ٨٢٧ م ١٥ من المنار) وإلى فصل (الدين الإسلامي أو الإسلام) من رسالة التوحيد لشيخنا الأستاذ الإمام.

ومن فقه ما حققناه علم أن حجة الله تعالى بإكمال الله الدين بالقرآن وختمه النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل شريعة عامة دائمة - لا تظهر إلا ببناء هذا الدين على أساس العقل، وبناء هذه الشريعة على أساس الاجتهاد وطاعة أولى الأمر، الذين هم جماعة أهل الحل والعقد فمن منع الاجتهاد فقد منع حجة الله تعالى وأبطل مزية هذه الشريعة على غيرها، وجعلها غير صالحة لكل الناس في كل زمان، فما أشد جناية هؤلاء الجهال على الإسلام، على أنهم يسمون أنفسهم علماء الإسلام.

(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) أي فإذا كان الأمر كذلك فالواجب عليكم جميعاً أن تبندروا الخيرات وتسارعوا إليها، لأنها هي المقصودة بالذات من جميع الشرائع ومناهج الدين.

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الصف ٦: ٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

كلام الله (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد العبارة «كلام الله» مرة واحدة عن التوراة

البقرة ٧٥:٢ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

آيات الله (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد العبارة «آيات الله» مرة واحدة

آل عمران ١١٣:٣ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ.

الفرقان (الكتب التي واجهها المسيح) (هنا التوراة)

نقدم آيتين من الآيات السبع
المتكلمة عن الفرقان التي تقصدان التوراة

البقرة ٥٣:٢ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.
الأنبياء ٤٨:٢١ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ.

ألواح ولوح (الكتب التي واجهها المسيح) ترد ٣ آيات متكلمة عن ألواح موسى وآية عن لوح محفوظ

الأعراف ١٤٥:٧ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ
فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ.

الأعراف ١٥٤:٧ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخِهَا هُدًى
وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ.

الأعراف ١٥٠:٧ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ
بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ
إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

البروج ٢١:٨٥-٢٢ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ٢٢ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ.

صحف مكرمة (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد العبارة «صحف مكرمة» مرة واحدة

عبس ٨٠:١٣-١٥ في صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ ١٤ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ١٥ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ.

صحف إبراهيم (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد هذه العبارة مرة واحدة

الأعلى ٨٧:١٩ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

صحف موسى (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد هذه العبارة مرتين

النجم ٥٣:٣٦ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى.

الأعلى ٨٧:١٩ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

الصحف الأولى (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد هذه العبارة مرتين

طه ١٣٣:٢٠ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى.
الأعلى ١٨:٨٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى.

تفسير عن العبارة الصحف الأولى

قال مجاهد أن «الصحف الأولى» التوراة والإنجيل (الطبري، ١٦: ٢٣٧).
قال الطبري عن تفسير هذه الآية هناك خلاف طويل في تفسير «الصحف الأولى» قال بعضهم أنه أشير به إلى الآيات التي في «سبح اسم ربك الأعلى» (أعلى ١: ٨٧، الطبري، ٣٠: ١٥٨).

الزبور (الكتب التي واجهها المسيح)

(مزامير داود)

نقرأ عن الزبور ٣ مرات

النساء ١٦٣:٤ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا.

الإسراء ٥٥:١٧ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا.

الأنبياء ١٠٥:٢١ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.

ملاحظة: إن العبارة الموجودة في سورة الأنبياء ١٠٥:٢١ تشبه ما في المزمور ٩:٣٧،

٢٢،١١.

الزبر (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد هذه العبارة «الزبر» ٦ مرات

آل عمران ١٨٤:٣ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.

النحل ٤٤:١٦ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ.

الشعراء ١٩٦:٢٦ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ.

فاطر ٢٥:٣٥ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.

القمر ٤٣:٥٤ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ.

القمر ٥٢:٥٤ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ.

ملاحظة وتفسير عن معنى الزبر

لا يوجد هناك تفسير دقيق لـ «زبر» يقول الطبري: إنها جمع زبور وهو كتاب (الطبري

١٩٨:٤).

زبر الأولين (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد هذه العبارة مرة واحدة فقط

الشعراء ١٩٦:٢٦ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ.

ملاحظة وتفسير عن زبر الأولين

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: «أن هذا القرآن لفي زبر الأولين يعني في كتب الأولين

يعني أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله» (الطبري، ١٩:١١٣).

الذكر (الكتب التي واجهها المسيح)

اخترنا ٣ آيات فيها العبارة «الذكر»

يوسف ٤٢:١٢ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ
ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ.

الأنبياء ٢:٢١ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَبَّهُمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ.

الأنبياء ١٠٥:٢١ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ.

الحكمة (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد الكلمة «الحكمة» ٣ مرات

بخصوص بشارة المسيح

آل عمران ٤٨:٣ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ.

الزخرف ٦٣:٤٣ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

تفسير سورة آل عمران ٤٨:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الزخرف ٦٣:٤٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

ما أنزل (الكتب التي واجهها المسيح)

اخترنا من الآيات فيها هذه العبارة ٤ فقط

البقرة ١٣٦:٢ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

آل عمران ٨٤:٣ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

المائدة ٥٩:٥ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ.

تفسير سورة البقرة ١٣٦:٢ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٨٤:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

ما أُوتِيَ (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد في نخبة من الآيات هذه العبارة

متعلقة بأباء الإيمان ٦ مرات

البقرة ١٣٦:٢ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

آل عمران ٨٤:٣ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

القصص ٤٨:٢٨ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ.

القصص ٧٩:٢٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ.

تفسير سورة البقرة ١٣٦:٢ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة آل عمران ٨٤:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تصديق الذي بين يديه (الكتب التي واجهها المسيح)

ترد هذه العبارة مرتين فقط

يونس ٣٧:١٠ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يوسف ١١١:١٢ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

تفسير عن العبارة تصديق الذي بين يديه

يقول الطبري في تفسيره لسورة يونس ٣٧:١٠: «أن «بين يديه» يعني الكتب التي أنزلت على أنبياء الله كالتوراة والإنجيل وغيرهما وأما الكتاب في «تفصيل الكتاب» فهو الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد وفرائضه» (الطبري، ١١: ١١٧).

مصدقاً لما بين يديه أو لما معهم (الكتب التي واجهها المسيح)

أو مصدق الذي بين يديه

اخترنا من الآيات التي توجد فيها هذه العبارات ٩ آيات

البقرة ٨٩:٢ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ.

البقرة ١٠١:٢ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

آل عمران ٥٠:٣ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُم بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

المائدة ٤٦:٥-٤٨ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٤٧ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤٨ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

الأنعام ٩٢:٦ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ

حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ.

فاطر ٣١:٣٥ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ

بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ.

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً

لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

ملاحظات وتفسير عن العبارة مصدقاً لما بين يديه

قال الطبري في تفسيره لسورة الصف ٦:٦١: «وفي رواية عن طريق قتادة قال بعض

الأنصار كنا قد علوناهم دهرأ في الجاهلية ونحن أهل الشرك وهم أهل الكتاب فكانوا يقولون:

إن نبينا الآن مبعثه قد أظل زمانه يقتلكم قتل عاد وارم فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من

قريش واتبعناه كفروا به» (الطبري، ١: ٤١٠)

يثبت أولاً المسيح حسب هذه الآيات وثانياً الإنجيل وثالثاً محمد عصمة التوراة التي

يختمها الله رابعاً مهيمناً على كتابه. وسببت الآية ٤٧ الحق الشرعي لأهل الإنجيل كأهل

الذمة أن يحكموا أمورهم الخاصة حسب الإنجيل وليس حسب القرآن.

تفسير سورة آل عمران ٥٠:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:٦٦ و ٤٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:٤٨ انظر (التوراة الكتب التي واجهها المسيح)

تفسير سورة الصف ٦:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

ثانياً: إنجيل المسيح حسب القرآن

ترد الكلمة «إنجيل» ١٢ مرة

القسم الأول: معاني الإنجيل الإيجابية حسب القرآن

- الله بشر مريم العذراء بولادة المسيح منها
٤٦-٤٥:٣
- الله نفسه علّم المسيح الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل
١١٠:٥، ٤٨:٣
- الله أعطاه الإنجيل الذي فيه حكم الله وهدى ونور
٤٧-٤٦:٥
- من يحفظ الإنجيل يدخل الجنة لأن الله كفر عن سيئات المؤمنين
٦٦-٦٥:٥
- التحريض على إقامة التوراة والإنجيل
٦٨ و ٦٦:٥
- الله أعطى المسيح الإنجيل وجعل في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة
٢٧:٥٧
- القسم الثاني: معاني الإنجيل الغريبة حسب القرآن يصدق
القرآن التوراة والإنجيل فمن يكفر يُعذب
٤-٣:٣
- الادعاء بأن التوراة والإنجيل قد جاءتا بعد إبراهيم فهما تجهلانه
٦٦-٦٥:٣
- هذا يماثل ما حصل لبولس من جدال بينه وبين اليهود
على صحة الانتساب لإبراهيم، بالإيمان لا بالنسب
(غل ١:٣-٧)
- الادعاء بأن النبي الأمي موعود في التوراة والإنجيل
١٥٧:٧
- الادعاء بأن الله اشترى الأنفس للمقاتلة حسب التوراة والإنجيل
١١١:٩
- الادعاء بأن الإنجيل ينبئ عن المسلمين كأنهم الزرع الصالح
٢٩:٤٨

الإنجيل (رسالة المسيح)

يشهد القرآن بصحة الإنجيل في عدة شهادات، وللإنجيل منزلة وقيمة ودرجة رائعة في القرآن فهو يعتبره:

جزء الكتاب السماوي	٤٨:٥
آيات الله	١١٣:٣
صحة تنزيله من الله	٤٧:٥ ، ٤٧:٥ و ٤٧
صالح للتعليم	٤٨:٤
مصدق عليه من القرآن	٣:٣
فيه الهدى والنور والموعظة	٣:٣ ، ٤٦:٥
يُتلى حق تلاوة	١٢١:٢
الاستشهاد به	٢٩:٤٨
أمر بالإيمان به	٨٩:٦ ، ١٣٦:٤
الاقتداء به	٩٠:٦
وعود الله بالجنة مصرح فيه	١١١:٩
به حكم الله	٤٧:٥
ليس من السهل تحريفه فهو تحت الهيمنة	٤٨:٥
الله هو الحافظ له	٩:١٥

آل عمران ٣:٣ و٤ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ ٤ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ.

آل عمران ٣:٤٥-٤٦ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٦ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ
فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ.

آل عمران ٣:٤٨ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

آل عمران ٣:٦٥-٦٦ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ
وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٦ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

المائدة ٥:٤٦-٤٧ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً
لِلْمُتَّقِينَ ٤٧ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.

المائدة ٥:٦٥-٦٦ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٦٦ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ
لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا
يَعْمَلُونَ.

المائدة ٥:٦٨ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

المائدة ٥: ١١٠ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
بِأَذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ.

الأعراف ٧: ١٥٧ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ
آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

التوبة ٩: ١١١ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ
أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

الفتح ٤٨: ٢٩ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ
رُكْعًا سُجَّدًا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ
السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَاللهَزَرَهُ
فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا.

الحديد ٥٧: ٢٧ ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَاللهُ تَتِينَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

تعني العبارة «إن الله يشارك» أن الرب نفسه قدم لمريم بشرى سماوية أو خبراً مفرحاً الذي يعني في اللغة اليونانية إنجيلاً.

تفسير سورة آل عمران ٣:٣ انظر (التوراة الكتب التي واجهها المسيح)

تفسير سورة آل عمران ٣:٤٥-٤٦ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:٤٦ و٤٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الصف ٦:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

ثالثاً: حكمة المسيح (رسالة المسيح)

ترد هذه العبارة كرسالة المسيح ٣ مرات

آل عمران ٤٨:٣ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ.

المنافقون ٦٣:٤٣ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

تفسير سورة المائدة ٤٨:٥ انظر (التوراة الكتب التي واجهها المسيح)

تفسير سورة المائدة ١١٠:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته) ى

رابعاً: أقوال المسيح الثمانية (رسالة المسيح)

خطاب المسيح لبني إسرائيل كرسول الله إليهم ودعوته لحواريه إلى مواجهة معارضيه

آل عمران ٤٩:٣-٥٢ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي
أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ
وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٠ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥١ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥٢ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي
إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

خلاصة خطاب المسيح لبني إسرائيل

المائدة ٥:٧٢ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ.

خطاب المسيح لحواريه في البرية وصلاته لله لأجل إنزال المائدة السماوية

المائدة ٥:١١٢-١١٥ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١١٣ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ
نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ
١١٤ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا
لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١١٥ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا
عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

المائدة في الإنجيل في يوحنا ٦: ٣٢-٥١، وهذا هو الرزق الذي ذكره القرآن وجعله عيداً دائماً لأولهم وآخرهم.

جواب المسيح في مكالمته مع الله على سؤاله عن موقفه من الثالث

المائدة ٥: ١١٦-١١٨ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٨ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

تعزية الطفل يسوع لأمه وإلهامها إجابة ماكرة

مريم ١٩: ٢٤-٢٦ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ٢٥ وَهَؤُلَاءِ ابْنُكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْباً جَنِيّاً ٢٦ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَفَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً.

تعريف المسيح بنفسه أمام آل عمران وأهل القرية

مريم ١٩: ٣٠-٣٤ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ٣١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ٣٢ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ٣٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

خطاب المسيح للفقهاء والعلماء اليهود

الزخرف ٤٣: ٦٣ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

نبوة المسيح بحلول الروح القدس بعد صعوده والتي نسبها محمد إلى نفسه

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

تفسير سورة آل عمران ٤٩:٣-٥٢ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:٧٢ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:١١٢-١١٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:١١٦-١١٨ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة مريم ١٩:٢٤-٣٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة مريم ١٩:٣٦ انظر (ربي وربكم، علاقة المسيح بالله وروحه)

تفسير سورة الزخرف ٤٣:٦٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الصف ٦:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

خامساً: أسرار المسيح (رسالة المسيح)

١ - ميثاق المسيح والمواثيق المختلفة

٢ - عهد المسيح والعهود المتعددة

٣ - صبغة الله

٤ - عيد المسيح

ميثاق المسيح (رسالة المسيح)

ومواثيق أخرى في القرآن

تصدر كلمة ميثاق ٢٥ مرة

ومنها مرتين بخصوص المسيح والنصارى

١٦

أ - ميثاق جبل سيناء

٣

ب - ميثاق المسيح

٦

ج - مواثيق محمد

أ - ميثاق جبل سينا

ترد ١٦ مرة كلمة «ميثاق»

عن ميثاق جبل سينا

البقرة ٢: ٢٧ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

البقرة ٢: ٦٣-٦٦ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٦٤ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٥ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ٦٦ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ.

البقرة ٢: ٨٣-٨٥ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ٨٤ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ٨٥ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

البقرة ٢: ٩٣ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا
قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ
إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ.

آل عمران ٣: ٨١-٨٢ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى
ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٨٢ فَمَنْ تَوَلَّى
بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.

آل عمران ٣: ١٨٧ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ
فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ.

النساء ٤: ١٥٤-١٥٥ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ مِيثَاقَهُمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ١٥٥ فَبِمَا نَقْضِهِمْ
مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ
اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا.

المائدة ٥: ١٢-١٣ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا
وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْهُمْ
وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ١٣ فَبِمَا نَقْضِهِمْ
مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ.

المائدة ٥: ٧٠ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ.

الأعراف ١٦٩:٧ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى
وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ
أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

الرعد ٢٥:١٣ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ.

الأحزاب ٧:٣٣ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.

تفسير سورة الأحزاب ٧:٣٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

ب - ميثاق المسيح (رسالة المسيح)

ترد كلمة «ميثاق» عن المسيح ٣ مرات

منها العبارة «ميثاق غليظ» مرة واحدة

المائدة ١٤:٥ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
فَاغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ.

الأحزاب ٧:٣٣ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.

تفسير سورة الأحزاب ٧:٣٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

ج - مواثيق محمد

في الزواج والحماية والجهاد والدين

ترد كلمة ميثاق عن محمد ٦ مرات

النساء ٢٠: ٢١ - وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٢١ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.

النساء ٩٠: ٩٢ - إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ٩١ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَاخْذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ٩٢ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.

المائدة ٦: ٨ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ

اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَسْتَمِ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ٧ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا آَعِدُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

الأحزاب ٧:٣٣ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.

الحديد ٧:٥٧-٨ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٨ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ
لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

تفسير سورة الأحزاب ٧:٣٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

العهود المختلفة

تصدر كلمة عهد ٢٩ مرة
وضمناً مرة واحدة متعلقة بالمسيح

١ - عهود العهد القديم

٢ - عهد المسيح

٣ - العهود عامة

٤ - العهد في زمن محمد

العهد في العهد القديم

ترد عبارات متعلقة بعهد العهد القديم ٦ مرات

البقرة ٤٠: ٢-٤٢ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ٤١ وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون ٤٢ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ٤٣ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وآركعوا مع الراكعين.

البقرة ١٢٤: ٢ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين.

الرعد ١٣: ٢٠-٢٥ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢١ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢٢ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٣ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٤ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٥ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ.

طه ٨٦: ٢٠-٨٧ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ٨٧ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ.

عهد المسيح (رسالة المسيح)

تشير كلمة «عهد» إلى المسيح مرة واحدة فقط

مریم ۱۹: ۸۵-۹۱ یَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۸۶ وَنَسُوقُ الْجَائِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً ۸۷ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۸۸ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا ۸۹ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۹۰ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۹۱ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا .

تفسير سورة مریم ۱۹: ۸۸-۹۱ انظر (ليس لله ولد، علاقة المسيح بالله وروحه)

العهد عامة

ترد عبارات تدل على عهد عامة ۷ مرات

البقرة ۲: ۲۷ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۲۸ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

البقرة ۲: ۸۰ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

البقرة ۲: ۱۰۰ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

آل عمران ۳: ۷۶-۷۷ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۷۷ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

الأعراف ۷: ۱۰۲ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ.

العهود في عصر محمد

والمختصة بالدين والجهاد والردّة والحماية والوثنيين

والتجارة والله الكفيل عليها

وترد العبارات حول عهود محمد ١٤ مرة

البقرة ١٧٧:٢ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ.

الأنعام ١٥٢:٦ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

التوبة ٧-٤:٩ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٥ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٦ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ٧ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ.

التوبة ٩: ١١١ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ آجَنَةً يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

النحل ١٦: ٩١-٩٥ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٩٢ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيَسِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٩٣ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسَّالِنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٤ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩٥ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

الإسراء ١٧: ٣٤ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا.

المؤمنون ٢٣: ١-٩ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ٢ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٦ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٧ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ.

الأحزاب ٣٣: ١٥ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا.

المعارج ٣٢:٧٠-٣٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ
بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ٣٤ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٣٥ أُولَئِكَ فِي
جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ.

صبغة الله (رسالة المسيح)

ترد هذه العبارة مرتين

البقرة ١٣٨:٢ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ.

تفسير للعبارة صبغة الله (المعمودية)

قال الطبري تفسيراً لهذه الآية: «هي صبغة الإسلام (كلمة الإسلام هنا على الإطلاق: أي علامة الانتساب للدين). وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تنصّر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس - بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام - وأنه صبغة لهم في النصرانية».

عيد المسيح (رسالة المسيح)

ترد كلمة «عيد» بنسبة المسيح مرة واحدة

المائدة ١١٤:٥ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

تفسير سورة المائدة ١١٤:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

ملاحظات عن العبارة عيد المسيح

العشاء الرباني في الإنجيل: «إن موسى لم يعطكم الخبز من السماء ولكن أبي يعطيكم خبز السماء الحقيقي، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم... أنا هو خبز الحياة (يو ٦: ٣٢-٥١).

وهذا هو الرزق الذي ذكره القرآن وجعله عيداً دائماً لأولهم وآخرهم. ولكن القرآن أورد الخبر بأسلوب قصة المائدة الهابطة في رؤيا على بطرس الرسول (أعمال ٩: ١٠-١٦).

معجزة المائدة في القرآن تدل على ثلاث حوادث في الإنجيل:

أولاً: العشاء الرباني ثانياً: الملائة النازلة على بطرس ثالثاً: أشبع الخمس آلاف في البرية

الجزء الخامس

معجزات المسيح العشرة

المذكورة في القرآن

٤	البيّنات
٣	إحياء الموتى
٤	آيات المسيح
١	عالم الغيب
٣	التكلم في المهد
١	إنزال المائدة من السماء
٢	خلق الطير
٢	تغيير الشريعة وطلب الطاعة
٢	إبراء الأكمه
٦	تجديد قلوب أتباعه
٢	إبراء الأبرص
٣	هو بذاته آية الله

تفسير لمعجزات المسيح عامة

قال الطبري: «عن ابن اسحاق، لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرًا أدخلته أمه الكتاب، فكان عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان، فلا يذهب يعلمه شيئاً إلاّ بدره إلى علمه قبل أن يعلمه إياه. ويحدث الغلمان بما صنع آبائهم. ويخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدّخرون. وزعم فيه أنه ربما اجتمع على عيسى (أثناء دعوته) من المرضى في الجماعة الواحدة نحو خمسين ألفاً، من أطاق منهم يبلغه، ومن لم يطق أتاه عيسى، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله... ومعجزاته من خلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، لا يطبقها أحد من البشر إلاّ من أعطاه الله ذلك علماً على صدقه. وآية له أيضاً على صدقه وحقيقة قوله، أنبأه بكل الغيب الذي لا سبيل لأحد من البشر عليه» (الطبري تاريخ الرسل والملوك ٧٣٠:٢:١).

البيّنات للمسيح (معجزات المسيح)

ترد كلمة «بيّنات» للمسيح ٥ مرات

البقرة ٨٧:٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

البقرة ٢٥٣:٢ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

الزخرف ٦٣:٤٣ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

الصف ٦:٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

تفسير سورة البقرة ٣٥٢:٢ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الزخرف ٤٣: ٦٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الصف ٦: ٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

آيات المسيح (معجزات المسيح)

ترد كلمة «آية أو آيات» للمسيح ٤ مرات

آل عمران ٤٩:٣ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

آل عمران ٥٠:٣ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

المائدة ١١٤:٥ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٤٩:٣ و ٥٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٤:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تكلم في المهد (معجزات المسيح)

ترد العبارة «تكلم في المهد» ٣ مرات

مرتين واضحا ومرة ضمنا

آل عمران ٤٦:٣ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ.

وفي ظهور المعجزة في تلك الحال قيل فيه قولان:

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ

طَبْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِي الْأَكْمَه وَالْأَبْرَص بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ.

مریم ۱۹: ۲۴-۳۳ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۲۵
وَهَئِذَا إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ۲۶ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي
عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
إِنْسِيًّا ۲۷ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۲۸ يَا أُخْتَ
هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ۲۹ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۳۰ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ۳۱ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا
۳۲ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۳۳ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا.

تفاسير عن تكلم المسيح في المهد

قال أبو علي الجبائي: «إنها كانت مقرونة بنبوة المسيح لأنه كمل عقله في تلك الحال حتى
عرف الله بالاستدلال ثم أوحى إليه بما تكلم به» (التباين ۳: ۴۴).

قال ابن الأخشذ: «إن كل ذلك كان على جهة التأسيس لنبوته والتمكن لها بما يكون دالاً
علينا وبشارة متقدمة لها يجوز عندنا الوجهان ويجوز أيضاً أن يكون ذلك معجزة لمريم تدل
على براءة ساحتها مما قذفت» (التيان ۳: ۴۱، ۴۱۵، ۴۶۳) وكان كلم الناس بتبليغه إياهم
ما أرسله الله به إلى عباده. وما يدعوهم إليه من طاعة الله وتصديق رسله... فبين لهم في هذا
وفي وقت ما صار كهلاً أن الله بعثه نبياً ولم يتكلم أحد من الأنبياء في المهد سواه ولم يبعث
أحد عندما وُلد غيره (التيان، ۴: ۵۸)

تفسير سورة آل عمران ۳: ۴۶ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ۵: ۱۱۰ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

خلق الطير والنفخ فيه (معجزات المسيح)

ترد هاتان العبارتان

عن خلق الطير والنفخ فيه

مرتين كل واحدة منهما

آل عمران ٤٩:٣ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

والخلق هو الفعل المقدر على مقدار يعرفه الفاعل فعلى هذا جميع أفعاله تعالى توصف بأنها مخلوقة لأنه ليس فيها شيء على وجه السهو والغفلة ولا على سبيل المجازفة ومعنى ذلك أنه خلق من الطين كهية الطير أي تصور الطين بصورة الطير الذي تريد وسماه خلقاً لأنه كان يقدره (التبيان، ٤٦٨:٢)

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

ملاحظات وتفسير عن خلق المسيح الطير والنفخ فيه

قال ابن العربي: «أعطي عيسى علم هذا النفخ الإلهي ونسبته، فكان ينفخ في الصور الكائنة في القبر أو في صورة الطائر الذي أنشأه من الطين فيقوم حياً بالإذن الإلهي الساري في

تلك النفخة وفي ذلك الهواء. ولولا سريان الإذن الإلهي فيها لما حصلت حياة في صورة أصلاً. فمن نفَس الرحمان جاء العلم العيسوي إلى عيسى فكان يحيي الموتى بنفخة عليه السلام وكان انتهاؤه إلى الصور المنفوخ» (ابن العربي الفتوحات المكية ١٨٧).

يقول الدميري: «كان يصور الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله. ولم يخلق غير الخفاش، وإنما خص الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً فيكون أبلغ في القدرة لأن له ثدياً وأسناناً ويلد ويحيض ويطير.

كان مباحناً لصنعة الخالق ولهذا سائر الطيور تقهره وتبغضه فما كان منها يأكل اللحم أكله، وما لا يأكل اللحم قتله، فلذلك لا يطير إلا ليلاً» (الدميري، حياة الحيوان الكبرى ١: ٢٩٦).

بنفخة من فهمه الخلاق، خلق المسيح من الطين طيراً، هي معجزة المعجزات.

تفسير سورة آل عمران ٣: ٤٩ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

إبراء الأكمه (معجزات المسيح)

يرد الدليل على إبراء الأكمه مرتين

آل عمران ٣: ٤٩ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ.

المائدة ٥: ١١٠ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ.

تفسير سورة آل عمران ٤٩:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٠:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسيرات عن إبراء المرضى

كانت لدى المسيح قدرة على الإبراء تفوق طاقة البشر والمخلوقات، وقد خص القرآن منها إبراء الأكمه والأبرص.

قال البيضاوي في تفسيره للآية ٤٩:٣: «وروي أنه عليه الصلاة والسلام ربما اجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى، من أطاق منهم أتاها، ومن لم يطق أتاها عيسى. وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده».

قال الجلالان في تفسيره للآية ٤٩:٣: فأبرأ في يوم خمسين ألفاً بالدعاء، بشرط الإيمان». قوله «وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني» معناه أنك تدعوني حتى أبرئ الأكمه وهو الذي خلُق أعمى (التبيان، ٦٠:٤).

إبراء الأبرص (معجزات المسيح)

يرد الدليل على إبراء الأبرص مرتين

آل عمران ٤٩:٣ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بَآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ

طَيَّرًا بِإِذْنِي وَتُبِّرُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذَا تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذَا كَفَفْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ.

تفسير سورة آل عمران ٤٩:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥:١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

إقامة الموتى (معجزات المسيح)

يرد البيان عن إقامة الموتى

مرتين واضحاً ومرة ضمناً

آل عمران ٤٩:٣ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ.

«وأحيي الموتى بإذن الله» على وجه المجاز إضافة إلى نفسه وحقيقته أدعو الله بإحياء

الموتى فيحييهم الله فيحيون بإذنه (التيان، ٤٦٨:٣)

المائدة ٣٢:٥ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ.

المائدة ١١٠:٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

تخرج الموتى أ تخرجهم من القبور احياء (النسفي، ٣٠٩:٢)

تفسير سورة آل عمران ٤٩:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٠:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير لإقامة الموتى بواسطة المسيح

قال الكلبي: «كان عيسى يحيي الموتى بـ «يا حيّ يا قيوم» (الثعلبي، عرائس المجالس ٣٩٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١: ٢٢٤).
قال البيضاوي: «كان عيسى بن مريم إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين، يقرأ في الأولى صورة الملك (تبارك الذي بيده الملك) وفي الثانية سورة السجدة (ألم تنزل الكتاب) فإذا فرغ منهما مدح الله وأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء: يا قديم يا خفي يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد يا حمد، وكان إذا أصابته شديدة دعا بسبعة آخر: يا حي يا قيوم يا الله يا رحمان يا ذا الجلال والإكرام يا نور السماوات والأرض وما بينهما ورب العرش العظيم يا رب وهذا أثر عظيم جداً».

علم الغيب (معجزات المسيح)

يرد البيان على علم المسيح بالغيب مرتين

آل عمران ٤٩: ٣ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ.

آل عمران ٥٢: ٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

تفسير سورة آل عمران ٤٩: ٣ و ٥٢ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

إنزال المائدة من السماء (معجزات المسيح)

ترد قصة إنزال المائدة مرة واحدة

المائدة ١١٢:٥-١١٥ إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. ١١٣ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ١١٤ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١١٥ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

والمائدة حسب النسفي «الخوان إذا كان عليه الطعام من مائه إذا أعطاه كأنها تميد من تقدم إليها (النسفي، ٣٠٩:٢)

تفسير سورة المائدة ١١٢:٥ - ١١٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تعليقات على إنزال المائدة من السماء

هذه القصة القرآنية قريبة الشبه بـ:

- معجزة إشباع ٥ آلاف: لوقا ٩:١٢-١٢ ومتى ١٤:١٤-٢١ و٢٢:١٥-٣٨

ومرقس ٨:١-٩ و٨:١-١٠ ويوحنا ٦:٣٠-٥٩

- إنزال المائدة على بطرس: أعمال ٩:١٠-١٦

- العشاء الرباني:

متى ٢٦:٢٦

أحل لكم (معجزات المسيح)

يظهر المسيح كمشرع مرة واحدة

آل عمران ٥٠:٣ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

تفسير للعبارة أحل لكم

فإنما أحل لكم لحوم الإبل والشروب وأشياء من الطير والحيتان مما كان محرماً في شرع موسى ولم يحل لهم جميع ما كان محرماً عليهم من الظلم والغضب والكذب والعبث وغير ذلك (التبيان، ٤٧٠:٣).

تفسير سورة آل عمران ٥٠:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

طلب الطاعة (معجزات المسيح)

يرد طلب الطاعة عن المسيح مرتين

آل عمران ٥٠:٣ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

أطيعوني في أمري (النسفي، ٤٧٠:٣)

الزخرف ٦٣:٤٣ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

تفسير سورة آل عمران ٥٠:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الزخرف ٦٣:٤٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تجديد قلوب أتباعه (معجزات المسيح)

جنس متفوق على الكفار ٥٥:٣

لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ١٩٩:٣

أمة مقتصدة ٦٦:٥

لا يستكبرون ٨٢:٥

في قلوبهم رافة ورحمة ٢٧:٥٧

قدوة لأنصار محمد ٩٠:٦ ، ١٤:٦١

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخُكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

آل عمران ١٩٩:٣ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

المائدة ٦٦:٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ.

المائدة ٨٢:٥ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ.

الحديد ٢٧:٥٧ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَاتَّبَعَتْهُ إِلَّا مَجِيلٌ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

الصف ١٤:٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.
الأنعام ٩٠:٦ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ.

آل عمران ١١٣:٣ و ١١٤ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٤ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٥٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الحديد ٢٧:٥٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الصف ١٤:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

المسيح بذاته آية الله (معجزات المسيح)

ترد العبارة آية الله ٣ مرات عن المسيح

مريم ٢١:١٩ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ
أَمْرًا مَقْضِيًّا.

الأنبياء ٩١:٢١ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً
لِلْعَالَمِينَ.

تفاسير من أن المسيح هو آية الله

قال الطبري في تفسيره للآية ٩١:٢١: «إن الله فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للمعتبرين» (تاريخ الرسل والملوك ١:٣:٧٩٨).

تفسير سورة مريم ٢١:١٩ انظر (مريم من أجداد المسيح)

تفسير سورة الأنبياء ٩١:٢١ انظر (روح الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المؤمنون ٥٠:٢٣ انظر (مريم من أجداد المسيح)

قال البيضاوي في تفسيره للآية ٢١:١٩: «آية للناس، علامة لهم وبرهاناً على كمال قدرتنا».

قال الجلالان في تفسيره لسورة الأنبياء ٩١:٢١: «آية للعالمين: الأنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير زواج».

الجزء السادس

المسيح رسول إلى بني إسرائيل

حسب القرآن

٤٠	بني إسرائيل
٣١	أهل الكتاب
٢١	الذين أوتوا الكتاب
١٢	آل آباء الإيمان
١٠	الذين هادوا
٩	اليهود
٧	أصحاب السبت والسبت
٦	قوم موسى
٣	قردة وخنازير
٣	هود
٢	أهل الذكر

بنو إسرائيل (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

(وهم بنو يعقوب الذي لقبه إسرائيل)

يرد هذا اللقب ٤٠ مرة في القرآن

منها ٧ مرات متعلق بالمسيح

أولاً : بنو إسرائيل قبل المسيح

ثانياً : المسيح رسول الله إلى بني إسرائيل

ثالثاً : محمد وبنو إسرائيل

أولاً: بنو إسرائيل قبل المسيح

١ - اختيارهم والكتاب والوعود لهم ٤٠:٢، ٤٧، ١٢٢-١٢٣، ١٧:٢٠٦،

٣٢:٢٣-٢٤، ٤٠:٥٣، ٥٤

٢٤٦:٢، ١٢:٥

٢ - تنظيم بني إسرائيل

٢:٨٣-٨٥، ٣:٩٣

٣ - شريعة موسى والمحرمات

٤ - موسى أمام فرعون، المرور من وسط البحر مع المَن والسلوى وأرض المعاد

٧:١٠٤، ١٠٥، ١٣٤-١٤٠، ١٠:٩٣-٩٠،

١٧:١٠١-١٠٤، ٢٠:٤٧-٤٠، ٨٠، ٥٠

٢٦:١-٦٥، ٤٤:٣٠، ١٠:٧٥-٧٧

٥ - القتل والانتقام، قساوة القلب واللعنة ٢:٨٤-٨٥، ٢١١، ٥:١٢-١٣، ٣٢:٧٠،

٦ - العجل الذهبي والخلاف بين موسى وهارون

٢٠:٨٧-٨٩، ٩٢-٩٤

ملاحظة: نكتفي بذكر شواهد هذه الآيات

ثانياً: المسيح رسول الله إلى بني إسرائيل

١ - إرسالته إليهم، وهو مثل لهم، وتمردهم ومكرهم

٤٩:٣ ، ٥٤، ٥٢ ، ٧٢:٥-٧٣ ، ١١٠:٥ ،

١٤:٤٣ ، ٥٧-٦١ ، ١٦:١٤

٢ - لعنهم المسيح حسب القرآن ٨٠-٧٨:٥

(تبرز الصفحات التالية الآيات المختصة بالمسيح وبني إسرائيل معاً وعددها ٦)

آل عمران ٤٩:٣ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

آل عمران ٥٢:٣ و ٥٤ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكَفْرَ (في بني إسرائيل) قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٤ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

المائدة ٧٣-٧٢:٥ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

المائدة ٥: ٧٨-٨٠ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ٧٩ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٨٠ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ.

المائدة ٥: ١١٠ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

الزخرف ٤٣: ٥٧-٦١ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ٥٨ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٩ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٦٠ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ٦١ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

الصف ٦١: ١٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَتَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٤٩: ٣ و ٥٢ و ٥٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ٧٢-٧٣ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ٧٨ و ١١٠ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الزخرف ٤٣: ٥٧ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الزخرف ٤٣ ٥٨-٦١

تفسير ابن كثير الجزء الرابع صفحة ١٣٠-١٣٣

٥٨ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٩ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ٦٠ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ٦١ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

وقوله (وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) قال قتادة يقولون آلهتنا خير منه، وقال قتادة قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَذَا يَعْنُونَ مُحَمَّدٌ ﷺ. وقوله تبارك وتعالى (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا) أي مراء، وهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية لأنها لما لا يعقل وهي قوله تعالى (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ) ثم هي خطاب لقريش وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يورده، فتعين أن مقاتلتهم إنما كانت جدلاً منهم ليسوا يعتقدون صحتها، وقد قال الإمام أحمد رحمة الله تعالى حدثنا ابن نمير حدثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) وقد رواه الترمذي وابن ماجة وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به، ثم قال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديثه مؤمل حدثنا حماد أخبرنا ابن مخزوم عن القاسم بن أبي عبد الرحمن السامي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال حماد لا أدري رفعه أم لا؟ قال: كما ضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل، ثم قرأ (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ). وقال ابن جرير أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عباد بن عباد عن جعفر عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً حتى كأنما صب على وجهه الخل. ثم قال صلى الله عليه وسلم «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإنه ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل» ثم تلا صلى الله عليه وسلم (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ). وقوله تعالى (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) يعني عيسى عليه الصلاة والسلام، ما هو إلا عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة الرسالة (وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) أي دلالة وحجة وبرهان على قدرتنا على ما نشاء، وقوله عز وجل (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ) أي بدلكم (مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ) قال السدي يخلفونكم فيها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يخلف بعضهم بعضاً كما يخلف بعضكم بعضاً وهذا القول يستلزم الأول، وقال مجاهد يعمرّون الأرض بدلكم وقوله سبحانه وتعالى (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام وفي هذا نظر. وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبیر أن الضمير في وإنه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيداً) ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) أي أمانة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة، وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم. وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً. وقوله تعالى (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهِ) أي لا تشكوا فيها إنها واقعة وكائنه لا محالة (وَاتَّبِعُونِ) أي فميا أخبركم به (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَا يَصْدَنُكُمُ الشَّيْطَانُ) أي عن اتباع الحق.

تفسير في ظلال القرآن سيد قطب الجزء السابع صفحة ٣٤٣-٣٤٩

٥٨ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٩ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ٦٠ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ٦١ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

«وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى، وإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هيناً!».

ولم يذكر صاحب الكشاف من أين استقى روايته هذه. وهي تتفق في عمومها مع رواية ابن إسحاق.

ومن كليهما يتضح الالتواء في الجدل، والمراء في المناقشة. ويتضح ما يقرره القرآن عن طبيعة القوم وهو يقول: «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ».. ذوو لد في الخصومة ومهارة. فهم يدركون من أول الأمر ما يقصد إليه القرآن الكريم وما يقصد إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيلونه عن استقامته، ويتلمسون شبهة في عموم اللفظ فيدخلون منها بهذه المماحكات الجدلية، التي يغرم بمثلها كل من عدم الإخلاص، وفقد الاستقامة، يكابر في الحق، ويعمد إلى شبهة في لفظ أو عبارة أو منفذ خلفي للحقيقة! ومن ثم كان نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتشديده عن المراء، الذي لا يقصد به وجه الحق، إنما يراد به الغلبة من أي طريق.

قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن، ع ن عبادة ابن عبادة، عن جعفر، عن القاسم، عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن. فغضب غضباً شديداً، حتى كأنما صب على وجهه الخل. ثم قال - صلى الله عليه وسلم -: «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض. فإنه ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل». ثم تلا - صلى الله عليه وسلم - «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ»..

وهناك احتمال في تفسير قوله تعالى: «وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» يرشح له سياق الآيات في صدد أسطورتهم عن الملائكة. وهوانهم عنوا أن عبادتهم للملائكة خير من عبادة النصارى لعيسى ابن مريم. بما أن الملائكة أقرب في طبيعتهم وأقرب نسباً - حسب أسطورتهم - من الله سبحانه وتعالى عما يصفون. ويكون التعقيب بقوله تعالى: «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ».. يعني الرد على ابن الزبيري كما سبق. كما يعني انضربهم المثل بعبادة النصرانية للمسيح باطل. فعمل النصارى ليس حجة لأنه انحراف عن التوحيد. كانحرافهم هم. فلا مدال للمفاضلة بين انحراف وانحراف. فكله ضلال. وقد أشار إلى هذا الوجه بعض المفسرين أيضاً. وهو قريب.

ومن ثم جاء التعقيب بعد هذا:

«إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ»..

فليس إلهاً يعبد كما انحرف فريق من النصارى فعبدوه. إنما هو عبد أنعم الله عليه. ولا جريرة له في عبادتهم إياه. فإنما أنعم الله عليه ليكون مثلاً لنبي إسرائيل ينظرون إليه ويتأسون به. فنسوا المثل، وضلوا السبيل!

واستطرد إلى أسطورتهم حول الملائكة، يبين لهم أن الملائكة خلق من خلق الله مثلهم. ولو شاء الله لجعل الملائكة يخلفونهم في هذه الأرض، أو لحول بعض الناس إلى ملائكة يخلفونهم في الأرض:

«وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ»..

فمرد الأمر إلى مشيئة الله في الخلق. وما يشاؤه من الخلق بالخالق، والعبد بالرب، والعابد بالمعبود. ثم يعود إلى تقرير شيء عن عيسى عليه السلام. يذكرهم بأمر الساعة التي يكذبون بها أو يشكون فيها:

«وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ»..

وقد وردت أحاديث شتى عن نزول عيسى - عليه السلام - إلى الأرض قبيل الساعة وهو ما تشير إليه الآية: «وإنه لعلم للساعة» بمعنى أنه يعلم بقرب مجيئها، والقراءة الثانية «وإنه لعلم للساعة» بمعنى أمانة وعلامة. وكلاهما قريب من قريب.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «والذي نفسي بديه ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها».

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال: صل لنا. فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله تعالى لهذه الأمة». وهو غيب من الغيب الذي حدثنا عنه الصادق الأمين وأشار إليه القرآن الكريم، ولا قوله فيه لبشر إلا ما جاء من هذين المصدرين الثابتين إلى يوم الدين.

«فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ»..

وكانوا يشكون في الساعة، فالقرآن يدعوهم إلى اليقين. وكانوا يشردون عن الهدى،
والقرآن يدعوهم على لسان الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى أتباعه فإنه يسير بهم في
الطريق المستقيم، القاصد الواصل الذي لا يضل سالكوه.

تفسير سورة الصف ١٤:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

ثالثاً: محمد وبنو إسرائيل

نبرز نخبة من الآيات عن علاقة محمد مع بني إسرائيل

البقرة ٢: ٤٠-٤٢ يا بني إسرائيل اذكروا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ٤١ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ٤٢ وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

الشعراء ٢٦: ١٩٧ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

الأحقاف ٤٦: ١٠ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

الفرقان ٢٥: ٤ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا.

الأنعام ٦: ١٠٥ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.

تفسيرات لعلاقة محمد ببني إسرائيل

يقول الجلالان في تفسيره لسورة النحل ١٦: ١٠٣: «وهو قين نصراني كان النبي يدخل

عليه».

ويقول أيضاً في تفسيره لسورة الفرقان ٢٥: ٤: «ما القرآن إلا كذب أعانه عليه قوم من أهل

الكتاب».

(الجلالان).

ويقول أيضاً في تفسيره لسورة الأنعام ٦: ١٠٥: «ذاكرت أهل الكتاب، وفي قراءة درست

كتب الماضين».

أهل الكتاب (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

يرد اللقب أهل الكتاب ٣١ مرة

منها عن بني إسرائيل ١٦ مرة

وعن النصارى ٥ مرات

وعن كليهما ٩ مرات

أولاً: عن بني إسرائيل وحدهم

١٠٥:٢-١٠٩، ٦٩:٣-٧٨

١١٠:٣-١١٢، ١٥٣:٤-١٥٩

٥٩:٥-٦٣، ٢٦:٣٣-٢٧

٦٤:٣، ١٧١:٤-١٧٢، ١٥:٥-١٧

٧٢:٥-٧٧، ٥٧:٢٩

٦٥:٣-٦٨، ٩٨-١٠٠

ثانياً: عن النصارى وحدهم

ثالثاً: عن بني إسرائيل والنصارى

١١٣-١١٥، ١٩٩:٣، ١٢٣:٤-١٢٥، ١٥:٥-١٩، ٦٥:٥-٦٨

(نبرز الآيات المختصة بالنصارى فقط والتي ترد فيها العبارة «أهل الكتاب» ١٤ مرة)

آل عمران ٦٤:٣-٦٨ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. ٦٥ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٦ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٦٧ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٦٨ إِنِّشَاؤُلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ.

آل عمران ٩٨:٣-١٠٠ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ٩٩ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٠٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ.

آل عمران ١١٣:٣-١١٥ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٤ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٥ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ.

آل عمران ١٩٩:٣ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

النساء ١٢٣:٤-١٢٥ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٢٤ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ

ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ١٢٥ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا.

النساء ١٧١-١٧٢ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاللَّهُ مَبْنِيهَا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ١٧٢ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهِ جَمِيعًا.

المائدة ١٥-١٩ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٦ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٧ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٨ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ١٩ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

المائدة ٦٥-٦٨ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٦٦ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ

لَا كُلُّوا مِنْ فَوَهِهِمْ وَمِنْ مَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ٦٧ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٦٨ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

المائدة ٥: ٧٢-٧٧ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٤ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧٥ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ٧٦ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٧٧ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

الحديد ٥٧: ٢٩ لئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

تفسير سورة آل عمران ٣: ٦٤ انظر (كلمة الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤: ١٧١ انظر (عيسى الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ٤: ١٧٢ انظر (المسيح الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١٧ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١٩ انظر (رسل الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ٧٢ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير وملاحظات للعبارة أهل الكتاب

قال الرازي في تفسيره للآية آل عمران ٣: ٦٤: «يسميهـم أهل الكتاب وهذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله».

ملاحظة: معاملة المسلمين لأهل الكتاب

المعاملة الإيجابية

- مجادلتهم بالتي هي أحسن ٤٦:٢٩ ، ١٢٥:١٦
- سؤالهم عندما يستعصي على المسلمين فهم القرآن وأمور الدين ٤٣:١٦ ، ٧:٢١ ، ٩٤:١٠
- الاقتداء بهم ٩٠:٦
- إمكانية الارتباط بهم (الزواج) والأكل من طعامهم ٥:٥
- الصفح والعفو عنهم ٨٩:٤٣ ، ١٠٩:٢
- أحبوهم أولاً وأغبطوهم بعدئذ ١١٩:٣
- دعوتهم إلى الوحدة في الدين ٦٤:٣
- الإيمان إليهم ٧٥:٣

المعاملة السلبية

- الحذر منهم لتضليلهم ٦٩:٣
- الحذر من نعمتهم لإيمانكم ٥٩:٥
- جدالهم في أمر الدين ٢٤:٢١
- عدم موالاتهم ٨٩:٤ ، ٥٧ ، ٥١:٥ ، ٨١
- الأخذ منهم الجزية عن يدو وهم صاغرون ٢٩:٩
- عدم اتخاذ قبلتهم اتجاهًا للصلاة ١١٥:٢ و ١٤٢-١٤٥
- عدم الاهتمام بهزئهم نحو عبادتكم ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧:٥

٣٧:١٣

دعوتهم إلى المباهلة إذا اشتد معهم الجدل ٦١:٣

٤٣:٥

عدم دعوتهم للاحتكام عندكم

٢٢:١٨

عدم استفتائهم في أي شيء

لعنهم وقتالهم

٨٩:٤ ، ٣٠ ، ٢٩:٩

١١٩:٣

أحبوهم أولاً وبعدئذ أغيظوهم حتى الموت

١٩٤:٢

الانتقام منهم

٧٥:٣

عدم الإئتمان إليهم

الذين أوتوا الكتاب (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

ترد العبارة «الذين أوتوا الكتاب» ٢١ مرة

وحسب الجلالان تدل هذه العبارة على بني إسرائيل والنصارى على

السواء ١٠ مرات وتختص ١١ مرة باليهود وحدهم

جدول بمن يختص العبارة الذين أوتوا الكتاب

أولاً: الآيات المعتدلة ١٠:٢-١٠:١ ، ٢:١٤٤-١٤٥ ، ٣:١٩-٢٤ ،

٣:١٠٠ ، ٣:١٨٦-١٨٧ ، ٤:١٣١ ، ٥:٥ ،

٥٧:١٦ ، ٧٤:٣١ ، ٩٨:٤

ثانياً: الآيات الصارمة باللغات ٤:٤٤-٤٧ ، ٤:٥١-٥٢ ، ٥:٥٦-٥٧ ،

٩:٢٩-٣٠

ثالثاً: الآيات المختصة باليهود ٢:١٤٤-١٤٥ ، ٣:١٨٦-١٨٧ ، ٤:٤٤-٤٤ ،

٤٧ ، ٤:٥١-٥٢ ، ٥:٥ ، ٧٤:٣١ ، ٩:٢٩-

٣٠

(نبرز الآيات المختصة بالنصارى فقط التي كُتب فيها عن الذين أوتوا الكتاب ٣ مرات)

جدول بمن تختص العبارة «الذين أوتوا الكتاب»

يهود		١٠١:٢
يهود		٥١:٤
يهود		١٤٤:٢
يهود ونصارى		١٣١:٤
يهود		١٤٥:٢
يهود ونصارى	x٢	٥:٥
يهود ونصارى		١٩:٣
يهود		٥٧:٥
يهود ونصارى		٢٠:٣
يهود ونصارى		٢٩:٩
يهود		٢٣:٣
يهود ونصارى		١٦:٥٧
يهود		١٠٠:٣
يهود	x٢	٣١:٧٤
يهود ونصارى		١٨٦:٣
يهود ونصارى		٤:٩٨
يهود		١٨٦:٣
يهود		٤٤:٤
يهود		٤٧:٤

النساء ٤: ٤٧-٤٨ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ٤٥ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ٤٦ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْتِثِمِ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْرَبَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ٤٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. (نزلت الآية بخصوص عبد الله بن سلام من اليهود لما نزلت الآية ٤٧)

النساء ٥١: ٥٢ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ٥٢ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا. (نزلت الآية في كعب الأشرف من علماء اليهود)

المائدة ٥٦: ٥٨ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ٥٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٨ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُورًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ.

التوبة ٢٩: ٣٠ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ٣٠ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتِلِهِمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

تفسير سورة التوبة ٣٠ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

آل الإيمان (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

ترد العبارات المختصة بآل عن آباء الإيمان كما يلي

آل لوط	٥٩:١٥-٦١، ٥٦:٢٧، ٣٤:٥٤
آل موسى	٢٤٨:٢
آل إبراهيم	٣٣:٣، ٥٤:٤
آل هارون	٢٤٨:٢
آل يعقوب	٦:١٢، ٦:١٩
آل داود	١٣:٣٤
آل عمران	٣٣:٣

آل عمران

آل عمران ٣:٣ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

الذين هادوا (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

تصدر هذه العبارة ١٠ مرات

أولاً: المساواة بين المسلمين واليهود والصابئين والنصارى في يوم الدين

٦٢:٢، ٦٩:٥، ١٧:٢٢

ثانياً: أحكام الأطعمة

١٦٠:٤، ١٤٦:٦، ١١٨:١٦

ثالثاً: آيات الرفض واللعنة

٤٦:٤، ٤١:٥، ٦:٦٢

رابعاً: الآية التي تمنح الحكم

٤٤:٥-٤٥

الشرعي لليهود كأهل الذمة

البقرة ٢: ٦٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

المائدة ٥: ٦٩ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

الحج ٢٢: ١٧ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

المائدة ٥: ٤٤-٤٥ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيِّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ
شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ٤٥ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ
وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ
فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

تفسير سورة المائدة ٥: ٤٥ انظر (كتاب الله، الكتب التي واجهها المسيح)

اليهود (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

ترد العبارة «اليهود» ٨ مرات

والعبارة يهودياً مرة واحدة

أولاً: الآيات الناكدة من قبل القرآن ١٢٠:٢ ، ١٨:٥ ، ٦٧:٣

ثانياً: آية الإذلال المتبادل بين اليهود والنصارى ١١٣:٢

ثالثاً: آيات الرفض واللعنة ٥١:٥ ، ٦٤ ، ٨٢ ، ٢٩:٩-٣٠

رابعاً: الآيات المختصة باليهود والنصارى معاً ١١٣:٢ ، ١٢٠ ، ١٨:٥ ، ٥١ ، ٨٢ ، ٩

٢٩-٣٠:

(نبرز كل الآيات التي ترد فيها العبارة «اليهود» ٨ مرات)

البقرة ١١٣:٢ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

البقرة ١٢٠:٢ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِئْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ.

آل عمران ٦٧:٣ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

المائدة ١٨:٥ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

المائدة ٥: ٥١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

المائدة ٥: ٦٤ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا

وَكُفْرًا وَآلَقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ

أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.

المائدة ٥: ٨٢ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ

أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَّيْنَ وَرُهْبَانًا

وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ.

التوبة ٩: ٢٩-٣٠ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ

عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ٣٠ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ

ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ

أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

السبت وأصحاب السبت (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

ترد كلمة السبت ٦ مرات
ومنها أصحاب السبت مرة واحدة

أولاً: أحكام السبت ١٥٤:٤ ، ١٦٣:٧ ، ١٢٤:١٦

ثانياً: قصاص صارم لعدم حفظ السبت ٦٥:٢-٦٦ ، ٤٧:٤

(نبرز الآيات المختصة بالذين خالفوا السبت فقط)

البقرة ٦٥:٢-٦٦ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ٦٦ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ.

النساء ٤٧:٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدِّهَا عَلَى أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا.

قوم موسى (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

ترد العبارة «قوم موسى» ٣ مرات

والعبارة «يا قوم» ٣ مرات

الأعراف ١٤٨:٧ ، ١٥٩ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ١٥٩ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.

يونس ٨٤:١٠ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ.

طه ٨٦:٢٠، ٩٠ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ٩٠ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي.

القصص ٢٨:٢٦، ٦ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ.

قردة وخنازير (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

ترد العبارة «قردة» عن الذين لم يحفظوا السبت مرتين
ومرة واحدة عن عصاة تجاه دعوة الله مع العبارة «خنازير»

البقرة ٢:٦٥-٦٦ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ٦٦ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ.

المائدة ٥:٦٠ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

الأعراف ٧:١٦٣-١٦٦ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ١٦٤ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا أَلَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٦٥

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجِئْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّعْرِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا
بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ١٦٦ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ.

هود (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

ترد هذه العبارة عن اليهود وهي مربوطة بالنصارى

وصابئين ٣ مرات

البقرة ١١١:٢ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

البقرة ١٣٥:٢ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

البقرة ١٤٠:٢ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

أهل الذكر (المسيح رسول إلى بني إسرائيل)

يرد اللقب أهل الذكر مرتين فقط

النحل ٤٣:١٦ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

الأنبياء ٧:٢١ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

تفسير عن العبارة أهل الذكر

قال الجلالان في تفسيره لسورة النحل ٤٣:١٦: «أهل الذكر، وهم العلماء بالتوراة

والإنجيل، ذلك بأنهم يعلمونه»

الجزء السابع

موت المسيح في القرآن

١٢	قتل الرسل والأنبياء بيد بني إسرائي
٢	وفاة عيسى
٢	موت ابن مريم
١	ما صلبوه
١	شُبه لهم
١	التبوء باثم آخر
١	الفداء اليقين بذبح عظيم
١	القربان تأكله نار
١	التكفير الإلهي المبني على الإيمان

قتلوا الرسل والنبين (موت المسيح حسب القرآن)

ترد الافعال المختصة بقتل الرسل والنبين ١٢ مرة

البقرة ٦١:٢ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ أَحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

البقرة ٨٧:٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

البقرة ٩١:٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ أَحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

آل عمران ٢١:٣ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

آل عمران ١١٢:٣ و١١٣ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُحِبُّوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ١١٣ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ.

آل عمران ١٨١:٣ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.

آل عمران ١٨٣:٣ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ.

النساء ١٥٥:٤ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا.

النساء ١٥٧:٤ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا.

المائدة ٧٠:٥ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ.

تفسير وملاحظة عن قتل النبيين بواسطة اليهود

قال الجلالان في تفسيره لآل عمران ١٨٣:٣: «وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد. قل لهم قد جاءكم رسل من قبلي بالمعجزات وبالذي قتلتم كزكريا ويحيى فقتلتوهم». محمد لم يأت بقربان، بل القربان هو المسيح نفسه وقد قتله اليهود.

تفسير سورة النساء ١٥٥:٤ انظر (النبين والأنبياء، من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ١٥٧:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

وفاة المسيح (موت المسيح حسب القرآن)

ترد الكلمات المشتقة عن الوفاة

مرتين عن المسيح

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتَوَفِّيكَ وَرَأَيْتُكَ إِلَيَّ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

المائدة ١١٧:٥ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

ملاحظات وتفسير عن وفاة المسيح

كتب السيوطي في حديث صحيح: عن المثني، قال حدثني إسحاق، عن عبد الله بن جعفر عن الربيع، أن الوفاة في لغة القرآن لا تعني الموت بل وفاة النوم استناداً إلى آيتين: «وهو الذي يتوفاكم بالليل...» (الأنعام ٦: ٦٠)، «الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها...» (الزمر ٣٩: ٤٢). فالقرآن على حد قولهم يأخذ الوفاة بالمعنى المجازي، لا بالمعنى الحقيقي. وفات هؤلاء أن القرآن يستعمل كلمة «الوفاة» بمعنى الموت الحقيقي نحو ٢٥ مرة وبالمعنى المجازي آيتين فقط. (المائدة ٥: ١٢٠، النحل ١٦: ٧٠، السجدة ٣٢: ١١، النساء ٤: ١٤...).

قال الزمخشري والبيضاوي في تفسيرهما لآية آل عمران ٥٥:٣: «إن «الوفاة» بمعنى «الاستيفاء» من استوفي الشيء أي أخذه كاملاً. قال البيضاوي في تفسيره للآية ٥٥:٣: «إن متوفيك أي مستوفي أجلك، ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصماً إياك من قتلهم. أو قابضك

من الأرض، أو متوفيك نائماً إذ روي أنه رفع نائماً. أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت. وقيل: أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء». وبعضهم فسرّ وفاة المسيح بمعنى النوم، إذ رفعه الله في حالة نوم إلى السماء.

فتفسير الوفاة بمعنى النوم أو الاستيفاء في موت المسيح تهريج. فالوفاة تعني الموت الحقيقي كما تشهد به آيات القرآن كلها.

قال الرازي في تفسيره بـ «متوفيك» أي مميتك وهو مروي عن ابن عباس ومحمد بن إسحاق، قالوا مع وهب: توفي ثلاث ساعات ثم رُفع ومع محمد بن إسحاق: توفي سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعته».

ونقل السيوطي في (الإتقان ١: ١١٠) «متوفيك: مميتك».

قال الرازي في تفسيره الآية ٥٥ من آل عمران: «واعترفوا بأن الله تعالى شرف عيسى بهذه الآية بصفات: الأولى الوفاة المعجزة، الثانية الرفع إلى ملكوت الله، إلى محل كرامته، وجعل ذلك (رفعاً) إليه للتفخيم والتعظيم، الثالثة تطهيره من الذنوب كفروا، وكما عظم شأنه بلفظ الرفع إليه، أخبر عن معنى تخليصه منهم بلفظ التطهير، والرابعة تفوق المؤمنين بالمسيح على الكافرين به بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة، وبالحنة والبرهان والفوقية بالرفعة والدرجة. إنه تعالى بشر عيسى عليه السلام بأنه يعطيه في الدنيا تلك الخواص الشريفة والدرجات الرفيعة العالية. وأما في القيامة فإنه يحكم بين المؤمنين به وبين الجاحدين برسالته».

تفسير سورة آل عمران ٥٥: ٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

موت عيسى ابن مريم (موت المسيح حسب القرآن)

تدل كلمتان على موته الحقيقي

وتشير عبارة مشابهة على موت يحيى

النساء ١٥٩:٤ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا.

مريم ١٥:١٩ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا.

مريم ٣٣:١٩ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا.

تفسير سورة النساء ١٥٩:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة مريم ٣٣:١٦ انظر (مريم من أجداد المسيح)

ما صلبوه (موت المسيح حسب القرآن)

ترد العبارة «ما صلبوه» مرة واحدة فقط

النساء ١٥٧:٤ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا

تفسير سورة النساء ١٥٧:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

شُبِّهَ لَهُمْ (موت المسيح حسب القرآن)

ترد العبارة «شبه لهم» مرة واحدة فقط

النساء ١٥٧:٤ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا.

تفسير سورة النساء ١٥٧:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير للعبارة شُبِّهَ لَهُمْ

قال الزمخشري في تفسير الآية ١٥٧:٤: «أفصل من فسر لغة القرآن وبيانه عن العبارة «شبه لهم»: «خُيِّلَ إِلَيْهِمْ» أي توهموا أو همموا أنهم قتلوه وصلبوه، فهو ميت لا حي، بل هو حي لأن الله رفعه إليه».

التبوء بإثم آخر (موت المسيح حسب القرآن)

(النيابة في حمل إثم آخر والتألم عوضاً عنه في النار)

ترد العبارة «تبوء بإثمي» مرة واحدة

المائدة ٢٨-٢٩ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ٢٩ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين.

يجوز أن الله يكفر عن أهل الكتاب (موت المسيح حسب القرآن)

على أساس إيمانهم ويكون عليهم شهيداً

ترد هذه العبارة عن «تكفير الله» واضحة مرة واحدة
ومراراً ضمناً

البقرة ٢: ٦٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

آل عمران ٣: ٥٢-٥٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ٥٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا
أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

المائدة ٥: ٦٥-٦٦ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٦٦ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ
لَأَكْلَوْا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا
يَعْمَلُونَ.

المائدة ٥: ١١٦-١١٧ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ
إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَامُ الْغُيُوبِ ١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

يجوز أنّ الله يكفر عن أهل الكتاب (موت المسيح حسب القرآن)

تفسير سورة آل عمران ٣: ٥٢-٥٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٥: ١١٦-١١٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

الفداء (موت المسيح حسب القرآن)

بالذبيحة النائية

المعينة من الله

ترد الكلمة «لقد فديناه» مرة واحدة

كما أن العبارة «ذبح عظيم» واردة مرة واحد فقط

الصافات ٣٧: ١٠٧ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ.

القربان تأكله النار (موت المسيح حسب القرآن)

ترد هذه العبارة مرة واحد

آل عمران ٣: ١٨٣ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٣: ١٨٢

تفسير الرازي الجزء الثامن صفحة ١٢٠-١٢٢

آل عمران ٣: ١٨٣ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

قوله تعالى (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

اعلم أن هذه هي الشبهة الثانية للكفار في الطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم، وتقريرها أنهم قالوا: أن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار. وأنت يا محمد ما فعلت ذلك فوجب أن لا تكون من الأنبياء. فهذا بيان وجه النظم، وفي الآية مسائل:

(المسألة الأولى) قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في كعب بن الأشرف، وكعب بن أسد ومالك بن الصيف، ووهب بن يهودا، وزيد بن التابوت، وفنحاص بن عازوراء وغيرهم. أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد تزعم أنك رسول الله وأنه تعالى أنزل عليك كتاباً. وقد عهد الله إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار. ويكون لها دوي مخيف تنزل من السماء، فإن جئتنا بهذا صدقناك، فنزلت هذه الآية، قال عطاء: كانت بنو إسرائيل يذبحون لله، فيأخذون الثروب وأطايب اللحم يضعونها في وسط بيت، والسقف مكشوف ليقوم النبي في البيت ويناجي ربه، وبنو إسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي خفيف، ولا دخان لها فتأكل كل ذلك القربان.

واعلم أن للعلماء فيما ادعاه اليهود قولين: الأول وهو قول السدي: أن هذا الشرط جاء في التوراة ولكنه مع شرط، وذلك أنه تعالى قال في التوراة: من جاءكم يزعم أنه نبي فلا تصدقون حتى يأتكم بقربان تأكله النار، إلا المسيح ومحمداً عليهما السلام. فإنهما إذا أتيا فآمنوا بهما فإنهما يأتيان بغير قربان تأكله النار. قال وكانت هذه العادة باقية إلى مبعث المسيح عليه السلام، فلما بعث الله المسيح ارتفعت وزالت.

(القول الثاني) ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة، ويدل عليه وجوه: أحدها: أنه لو ان ذلك حقاً لكانت معجزات كل الأنبياء هذا القربان، ومعلوم أنه ما كان الأمر كذلك، فإن معجزات موسى عليه السلام عند فرعون كانت أشياء سوى هذا القربان. وثانيها: أن نزول هذه النار وأكلها للقربان بل لما ظهرت المعجزة القاهرة على يد محمد عليه الصلاة والسلام وجب القطع بنبوته سواء ظهرت هذه المعجزة أو لم تظهر. وثالثها: أنه إما أن يقال إنه جاء في التوراة أن مدعي النبوة وإن جاء بجميع المعجزات فلا تقبلوا قوله إلا أن يجيء بهذه المعجزة المعينة، أو يقال جاء في التوراة أن مدعي النبوة يطالب بالمعجزة سواء كانت المعجزة هي مجيء النار أو شيء آخر، والأول باطل. لان على هذا التقدير لم يكن الإتيان بسائر المعجزات دالاً على الصدق، وإذا جاز الطعن في سائر المعجزات جاز الطعن أيضاً في هذه المعجزة المعينة.

(وأما الثاني) فإنه يقتضي توقيت الصديق على ظهور مطلق المعجزة. لا على ظهور هذه المعجزة المعينة، فكان اعتبار هذه المعجزة عبثاً ولغواً. فظهر بما ذكرنا سقوط هذه الشبهة بالكلية والله أعلم.

(المسألة الثانية) في محل (الذين) وجوه: أحدها: قال الزجاج: الجر. وهذا نعت العبيد والتقدير: وما ربك بظلام للعبيد الذين قالوا كذا وكذا. وثانيها: أن التقدير: لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير. وقول الذين قالوا إن الله عهد إلينا. وثالثها: أن يكون رفعاً بالابتداء والتقدير: هم الذين قالوا ذلك.

(المسألة الثالثة) قال الواحدي رحمه الله: القربان البر الذي يتقرب به إلى الله، وأصله المصدر من قولك قرب قرباناً، كالكفران والرجحان والخسران. ثم سمي به نفس المتقرب به. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لكعب بن عجرة «يا كعب الصوم جنة والصلاة قربان» أي بها يتقرب إلى الله ويستشفع في الحاجة لديه.

الجزء الثامن

المسيح حي عند الله

١	أُبعث حياً
٢	رفعه الله إليه
١(٦)	من المقربين
١(١) -	من أصحاب اليمين
١	وجيه في الدنيا والآخرة
١(٢)	الصلاة الشفعية

أُبْعَثُ حَيًّا (المسيح حي عند الله) (قيامة المسيح)

ترد العبارة «أُبْعَثُ حَيًّا» مرة واحدة

مريم ١٩: ٣٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا.

رفعه الله إليه (المسيح حي عند الله)

تفسير سورة مريم ١٩: ٣٣ انظر (مريم من أجداد المسيح)

(صعود المسيح)

ترد العبارات الدالة على رفع المسيح إلى الله مرتين

آل عمران ٥٥: ٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْ فَرَأَيْتُكَ إِلَى يَدِكَ مَبْثُورًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخُكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

النساء ١٥٨: ٤ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا.

ملاحظات وتفسير حول رفع المسيح إلى الله

المسيح وحده حي عند الله، وإذ هو وحده حي فيما غيره قد مات وصار رميماً. فرسالته دائمة، وهدايته دائمة. ورسالة الحي الدائم أفضل من رسالة الميت. وواضح أن الرفع إلى الله كان عقب الوفاة. فالمسيح وحده، من دون البشر أجمعين رفعه الله إليه حياً.

قال الرازي في تفسيره للآيتين ٥٥: ٣ و ١٥٨: ٤: «رفع عيسى عليه السلام ثابت بهذه الآية (النساء ١٥٨: ٤). ونظير هذه الآية قوله في آل عمران: «رافعك إليّ» ودلّ ذلك على أن رفعه إليه أعظم من باب الثواب من الجنة ومن كل ما فيها من اللذات الجسمانية. وهذه الآية تفتح عليك باب معرفة السعادة الروحانية».

واختصاص الله المسيح برفعه حيّاً خالداً إلى السماء، إلى قرب الله، من دون الناس أجمعين، بينما جميعهم ينتظرون يوم الدين برهان على سموّ رسالته على الرسالات كلها، وعلى ألوهية شخصيته على الناس كافة.

تفسير سورة آل عمران ٥٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ١٥٨:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

من المقربين (المسيح حي عند الله)

اخترنا من العبارة «المقربون» ٦ آيات

مرة واحدة عن المسيح و٥ مرات عامة

آل عمران ٤٥:٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

النساء ١٧٢:٤ لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا.

الواقعة ١٠:٥٦-١٣ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ١١ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١٢ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ١٣ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ.

الواقعة ٨٨:٥٦-٨٩ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٨٩ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ.

المطففين ١٢:٨٣-٢٨ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ

٢٠ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٢١ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ٢٢ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٣ عَلَى

الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٢٤ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٥ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ

مَخْتُومٍ ٢٦ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٧ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ

٢٨ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ.

إن كان من أصحاب اليمين (المسيح حي عند الله)

وردت هذه العبارة «أصحاب اليمين»

ضمناً عن المسيح مرتين

الواقعة ٨٨-٩١: ٥٦ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٨٩ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ. ٩٠
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩١ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

وجيه في الدنيا والآخرة (المسيح حي عند الله)

ترد هذه العبارة عن المسيح مرة واحدة

آل عمران ٤٥:٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٤٥:٣ انظر (مريم من أجداد المسيح)

الصلاة الشفعية النابتة عن الخطاة (المسيح حي عند الله)

ترد عبارتين عن الصلاة النابتة

ونعتبرهما رمزاً لشفاعة المسيح

يوسف ٩٧:١٢ و٩٨ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ٩٨ قَالَ سَوْفَ
اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

مريم ٨٥:١٩ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا.

المائدة ١١٨:٥ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

ملاحظة عن شفاعة المسيح

الآية ١١٨:٥ هي مشهد صريح لشفاعة المسيح في يوم الدين: «يوم يجمع الله الرسل»
(المائدة ١٠٩:٥). يُستجوب عيسى في تأليه أمتة له بأسلوب استفهام إنكاري، فيرد التهمة
بأدب جم، ويقول: «إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ، وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»،
فيطلب لهم الغفران، بلطيف البيان، وهذه هي الشفاعة.

تفسير سورة المائدة ١١٨:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

الجزء التاسع

أسماء أتباع المسيح وأخلاقهم

أولاً: أسماء أتباع المسيح وألقابهم

ثانياً: أخلاق أتباع المسيح وموقفهم من المسلمين

أولاً: أسماء أتباع المسيح وألقابهم في القرآن

١٥	نصارى
١	المرسلون
١	أهل الكتاب الله الرقيب عليهم
٧	(مختص بالمسيحيين)
١	أمة مقتصدة
٥	حواريون
١	أصحاب الكهف
٤	رهبان ورهبانية
١	أصحاب الأخود
٤	المؤمنون
١	قوم آخرون
٤	أنصار (الله والمسيح)
١	قسيسون
٤	أتباع المسيح
١	ليس أحباء الله
٢	مسلمون
١	ليس أبناء الله
٢	شاهدون
١	عباد الله
١	أهل الإنجيل
١	الضالون

نصارى (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

يرد الاسم «نصارى» ١٤ مرة

والعبارة نصرايياً مرة واحدة

البقرة ٢: ٦٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

البقرة ٢: ١١١ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

البقرة ٢: ١١٣ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ
الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

البقرة ٢: ١٢٠ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى
اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ.

البقرة ٢: ١٣٥ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

البقرة ٢: ١٤٠ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا
هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

آل عمران ٣: ٦٧ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

المائدة ١٤:٥ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.

المائدة ١٨:٥ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

المائدة ٥١:٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

المائدة ٦٩:٥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

المائدة ٨٢:٥ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ.

التوبة ٣٠:٩ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

الحج ١٧:٢٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

تفسير سورة التوبة ٣٠:٩ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

أهل الكتاب المسيحيون (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد العبارة «أهل الكتاب»

خاصة بأتباع المسيح ٧ مرات تقريباً

البقرة ١٠٩:٢ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

آل عمران ٦٤:٣ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

آل عمران ٦٥:٣ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

آل عمران ٦٩:٣ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ.

النساء ١٥٩:٤ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

المائدة ١٩:٥ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

المائدة ٦٥:٥ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

المائدة ٦٨:٥ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

المائدة ٧٧:٥ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

التعليق المختص بمعاملة المسلمين لأهل الكتاب موجود في نهاية فقرة أهل الكتاب (بنو

إسرائيل)

تفسير سورة آل عمران ٦٤:٣ انظر (كلمة الله من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ١٥٩:٤ و ١٧١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١٩:٥ انظر (رُسل الله، من أسماء المسيح وصفاته)

حواريون (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد العبارة «الحواريون» ٥ مرات،

ثلاث مرات بصيغة حواريون

ومرتين حوارين

آل عمران ٥٢:٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

المائدة ١١١:٥ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ.

المائدة ١١٢:٥ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا
مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُوبَكُمْ مُؤْمِنِينَ.

الصف ١٤:٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.

تفسير عن العبارة حواريون

قال الجلالان: «الحواريون أصفياء عيسى وهم أولى من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً من
الحدود وهو البياض الخالص، وقيل كانوا قصّارين يحورون الثياب أي يبيضونها».

تفسير سورة آل عمران ٥٢:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١١:٥ انظر (رسول الله، من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٢:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الصف ١٤:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

رهبان (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد العبارة «رهبان» ٣ مرات

والعبارة رهبانية مرة واحدة

المائدة ٨٢:٥ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ.

التوبة ٣١:٩ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

التوبة ٣٤:٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

الحديد ٢٧:٥٧ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

تفسير سورة التوبة ٣١:٩ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

المؤمنون (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد الأفعال المختصة بالإيمان

٤ مرات عن النصارى

البقرة ٦٢:٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

آل عمران ٥٢:٣ و ٥٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ
وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

المائدة ١١١:٥ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ.

الصف ١٤:٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَاْمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٥٢:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١١:٥ انظر (رسول الله، علاقة المسيح بالله وروحه)

تفسير سورة الصف ١٤:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

أنصار (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد العبارة «أنصار» عن المسيحيين ٤ مرات

منها «أنصاري» مرتين

و«أنصار الله» مرتين

آل عمران ٥٢:٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

الصف ١٤:٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَاْمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٥٢:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة الصف ١٤:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

أتباع المسيح (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

نقرأ عن أتباع المسيح ٣ مرات

آل عمران ٥٣:٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

تفسير سورة آل عمران ٥٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

الحديد ٢٧:٥٧ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى أَثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَاتِّبَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

مسلمون (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

يرد اللقب «مسلمون»

عن أتباع المسيح مرتين ومرة واحدة ضمناً

آل عمران ٥٢:٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

المائدة ١١١:٥ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

الحج ٧٨:٢٢ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ (أهل الكتاب) وَفِي هَذَا (أهل القرآن)»

تفسير سورة آل عمران ٥٢:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١١:٥ انظر (رسول الله، علاقة المسيح بالله وروحه)

ملاحظة عن العبارة مسلمون

أهل الكتاب هم المسلمون الحقيقيون من قبل القرآن، إذ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون
صالحاً ولهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

الشاهدون (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد عبارة «الشاهدون»

عن أتباع المسيح ثلاث مرات

آل عمران ٥٣:٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

المائدة ٨٢:٥ و ٨٣ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

فَسَيِّسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٨٣ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى
أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ. الشاهدین من أتباع المسيح (الهجرة إلى الحبشة)

المائدة ١١٣: ٥ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ
عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ.

أهل الإنجيل (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد عبارة «أهل الإنجيل» مرة واحدة فقط

المائدة ٤٧:٥ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.

تفسير سورة المائدة ٤٧:٥ انظر (الإنجيل رسالة المسيح)

الوحي للحواريين (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

نقرأ عن وحي الله للحواريين مرة واحدة

المائدة ١١١:٥ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ.

تفسير سورة المائدة ١١١:٥ انظر (رسول الله، علاقة المسيح بالله وروحه)

المرسلون (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد اللقب المرسلون عن أتباع المسيح مرة واحدة في القرآن

يس ٣٦: ١٣-٢٨ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ١٤ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ١٥ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ١٦ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ١٧ وَمَا عَلَيْنَا الْآبِلَاغُ الْمُبِينُ ١٨ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٩ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ٢٠ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ٢١ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ٢٢ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٣ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرْدُنَ الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ٢٤ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢٥ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ٢٦ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ٢٧ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ٢٨ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ.

ملاحظات وتفسير عن المرسلين أي الحواريون

قال البيضاوي في تفسير لهذه الآيات: «أصحاب القرية - القرية أنطاكية - إذ جاءها المرسلون - وهم رسل عيسى عليه السلام. إذ أرسلنا إليهم اثنين - لأنه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس، وقيل غيرهما. فكذبوهما فعززنا بثالث - وهو مشعون. فقالوا إنا إليكم من مرسلون - وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام. فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين. فلما قربا من المدينة رأيا حبيب النجار يرعى غنماً فسألتهما فأخبراه. فقال أمعكما آية؟ فقالا: نشفي المريض وبنرى الأكمه والأبرص. وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب. ففشى الخبر

فَشَفِي عَلَى أَيْدِيهِمَا خَلَقَ كَثِيرٌ. وَبَلَغَ حَدِيثُهُمَا إِلَى الْمَلِكِ. وَقَالَ لِهَما: أَلنا آلهة سوى آلهتنا؟ قالوا: نعم. من أوجدك وآلهتك؟ قال: حتى أنظر في أمركما. فحبسهما. ثم بعث عيسى شمعون، فدخل متنكراً وعشار أصحاب الملك، فأنس به فقال له يوماً: سمعت أنك حسبت رجلين، فهل سمعت ما يقولانه؟ قال: لا. فدعاهما فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالوا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك. فقال: صفاه وأوجزا. فقالوا: يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد. قال: وما آيتكما؟ قالوا: ما يتمنى الملك. فدعا بغلام مطمئز العينين، فدعوا الله حتى انضق له بصره. وأخذا يندقتين فوضعاهما ف يحدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما. فقال شمعون: أرأيت لو سألت آلهتك حتى تصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف؟ قال: ليس لي عنك سرا! آلهتنا لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع. ثم قال: إني أدخلت سبعة أودية من النار. وأنا أحذركم ما أنتم فيه. فآمنوا. وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء الثلاثة. فقال شمعون: وهذان. فلما رأى شمعون أن وقله قد أثر فيه نصحه، فآمن في جمع. ومن لم يؤمن صاح علين جبريل فهلكوا».

وقال البيضاوي تفسيراً لهذه الآيات: «وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار، وكان ينحت أصنامهم، وهو ممن آمن بمحمد وبينهما ستمائة سنة. وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهاهم وأظهر دينه.

قال الله تعالى: واضرب لهم مثل القرية إذ جاءها المرسلون، يعني رسل عيسى عليه السلام، إذ أرسلنا إليهم اثنين. واختلفوا في اسميهما: فقال ابن اسحق: فاروض وروماض، وقال وهب: يحيى ويونس، وقال مقاتل: يومان ومالوس، وقال كعب: صادق وصادوق، فكذبوهما فعززنا بثالث، أي فقوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين، وقال مقاتل: صمعان.

قالت العلماء باخبار الأنبياء: بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين إلى مدينة أنطاكية، فلما قربا من المدينة أتيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس، فسلما عليه، فقال: من أنتما؟ قالوا: رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمان، قال: أمعكما آية؟ قالوا: نعم نبرئ المريض ونشفي الأكمه والأرض بإذن الله فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين، قالوا: فانطلق بنا إلى منزلك فنطلع

على حاله. فأتى بهما إلى منزله فلما نظرا إلى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا إليه ودعوا له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت بإذن الله صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على يديهما كثيراً من المرضى.

وكان في مدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الأصنام يقال له سلاحين، وقال وهب: اسمه ابطيحيس وكان من ملوك الروم. قالوا فانتهى الخبر إلى الملك فدعاهما إليه وقال لهما: من أنتما؟ قالاً: رسولا عيسى. قال: وما آيتكما؟ قالاً: نبىء الأكمه والأبرص ونشفي المرضى بإذن الله تعالى. قال: وفيم جئتما؟ قالاً. جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر. قال الملك: أو إله لنا سوى آلهتنا؟ قالاً: نعم. قال: من؟ قالاً: من جدك بعد عدمك وآلهتك. قال: قوما حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس وضربوهما في السوق.

وقال وهب تفسيراً لهذه الآيات: بعث عيسى بهذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها فلم يصلأ إلى ملكها وطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرأ الله تعالى، فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة. قالوا فلما كُذِب الرسولا ن وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أقرهما لينصرهما. فدخل شمعون البلد متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم: أيها الملك أنه بلغني أنك حسبت رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال: حال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما، فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون: استخبرهما. فقال شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالاً: الذي خلق كل شيء. فقال لهما شمعون: فصفاه وأوجزا. فقالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال شمعون وما آيتكما؟ قالاً: ما تتمناه نبىء الأكمه والأبرص ونشفي المرضى والزمنى بإذن الله. قال: فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقيتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارا مقتلين يبصر بهما فعجب الملك، فقال شمعون للمك: إن أنت سألت إلهك حتى يصنع لك صنيعاً

مثل هذا فيكون لك الشرف ولأهلك. فقال الملك: ليس لي عنك سر، اعلم أن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع. وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلي كثيراً ويتضرع حتى ظنوا أنه على متلهم، فقال الملك للرسولين: إلهكما الذي تعبدانه يقدر على إحياء الميت؟ قال: إلهنا يقدر على كل شيء.. فقال الملك: إن ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرجته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه، وكان أبوه غائباً. فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح فجعلوا يدعوان بهما علانية وجعل شمعون يدعو سرّاً، فقام الميت وقال لهم: إني قد مت منذ سبعة أيام مشركاً فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم مما أنتم فيه فآمنوا بالله، ثم قال: إن أبواب السماء فتحت لي فرأيت شاباً حسن الوجه يتسفع لهؤلاء الثلاثة. فقال الملك: ومن الثلاثة؟ فقال شمعون وهذان، وأشار إلى صاحبيه فتعجب الملك. فلما علم شمعون أن قولهم قد أثر في الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون.

وقال كعب ووهب تفسيراً لهذه الآيات: بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مري صاحب يس.

وقال ابن عباس ومقاتل تفسيراً لهذه الآيات: اسمه حبيب بن إسرائيل النجار. قال وهب: وكان سقيماً قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمضى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفاً ويتصدق بالنصف الآخر. فلما بلغه أن وقمه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتب إيمانه ويعبد ربه في غار. فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم إلى طاعة الله تعالى كما أخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله: «وجاء من أقصا المدينة رسج ليسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين. اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون. فقال له قومه: أو أنت مخالف لدينا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالله؟ فقال: وما لي لا أعبد الذي لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا

ينقذون. إني إذا لفي ضلال مبين. فطرنني وإليه تردعون. أأخذ من دونه آلهة أن يرذني الرحمن بضر إني آمنت بربكم فاسمعون». فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه.

وقال عبد الله بن مسعود تفسيراً لهذه الآيات: وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره.. وقال السدي عن هذه الآيات: كانوا يمرنون به بالحجارة وهو يقول: «اللهم اهدِ قومي» حتى قطعوه وقتلوه.

وقال الحسن تفسيراً لهذه الآيات: خرقوا خرقاً في حلقة وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سور انطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى: «هل أدخل الجنة»، فلما أفضى إلى جنة الله وكرامته قال: «يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وعلمي من المكرمين».

قالوا فلما قُتل حبيب، غضب الله عليهم وعجل لهم النعمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم، فذلك قوله تعالى: «وما أنزلنا على قومه من بعده من جند السماء وما كنا منزلين» على غيرهم من كفار الأمم، «إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون» أي ميتون. وممن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور. فسار إليه اثنان من تلاميذ المسيح يدعوانه إلى الله عز وجل فحبسهما وضربهما «فعرزهما الله بثالث»، وقد تنوزع فيه، فذهب كثير من الناس أنه برس، هنا اسمه بالرومية واسمه بالعربية سمعان الصفا، وبالسريانية شمعوهن وهو شمعون الصفا، وذكر كثير من الناس وإليه ذهب سائر فرق النصرانية إن الثالث المعزز به بولس، وأن الناس المتقدمين للذينم أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الإعجاز والأعاجيب والبراهين من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وحيلة بولس عليه بمداخلته إياه وتلطفه له واستنقاذ صاحبيه من الحبس.

فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله وقد أخبر الله بذلك في كتابه بقوله «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث» إلى قوله: «وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى». وقُتل بولس وبطرس بمدينة رومية وصلبا منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سيما الساحر. ثم جُعلا بعد ذلك في أ خزنة البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وخزنتهما في كنيسة هناك.

المصادر:

- الثعلبي، عرائس المجالس، ٤٠٤-٤٠٦
الطبري، تاريخ الرسل والملوك ١: ٣: ١٠٧
المسعودي، مروج الذهب ١: ١٢٨-١٢٩

الله الرقيب عليهم (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

نقرأ عن هذه العبارة خاصة بالحواريين مرة واحدة

المائدة ١١٧:٥ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

تفسير سورة المائدة ١١٧:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

أمة مقتصدة (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

نقرأ مرة واحدة

عن المسيحيين أنهم «أمة مقتصدة»

المائدة ٦٦:٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ.

يقول الطبري في تأويل «أمة مقتصدة»: أي مقتصدة في القول في عيسى بن مريم قائلة فيه

الحق أنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ولا مقصرة قائلة لغير رشدة (الطبري، ٦:٦، ٣٠).

أصحاب الكهف (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

نقرأ مرة واحدة عن فئة مسيحية مضطهدة

بالعبارة «أصحاب الكهف والرقيم»

الكهف ١٨: ٩-٢٦ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ١٠ إِذِ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١١ فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١٢ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ١٣ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٤ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ١٥ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَيَمْضِي أُولَئِكَ فِي كُفْرٍ ١٦ وَادِّعْ لَنَا آيَاتَكَ يَا رَبَّنَا لِنَعْلَمَ إِنْ هِيَ إِلَّا آيَاتُكَ فَتُكْفَى لَكَ الْبُحْبُوحَةُ ١٧ وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ١٨ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّتْ مِنْهُمْ رُجْبًا ١٩ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ٢٠ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ٢١ وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا

رَبِّ فِيهَا إِذِ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا آمَنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ
الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ٢٢ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ
كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ
كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ٢٣ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ٢٤ إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا
رَشَدًا ٢٥ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ٢٦ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا.

ملاحظات وتفسير عن أهل الكهف

قصة أهل الكهف، قصة نصرانية أسطورية نقلها كتبة النصرانية لتمجيد الشهداء وانتشار
المسيحية على الوثنية بمثل هذه الخوارق كما تشير الآية ٩. ويظهر من القرآن والحديث تردد
النبي في مدة نومهم وفي عددهم الصحيح.

كتب الطبري عن هذه الآيات: «أخرج ابن اسحاق عن ابن عباس أن قريشاً سألوا النبي عن
أصحاب الكهف. مكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيًا، فلما نزل جبريل
قال له «أبطأت»! فذكر: «وما ننزل إلا بأمر بلك».

وجاء في تفسير الطبري: «أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى وكان لهم ملك عابد وثن
دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم أو يقتلهم فاستخفوا
منه في الكهف» (الطبري، ٢٠٠: ١٥)

أصحاب الأخدود (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد العبارة أصحاب الأخدود عن المسيحيين مرة واحدة

البروج ٨٥: ٥٩ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ.

ملاحظة وتفسير عن العبارة أصحاب الأخدود

من هم أصحاب الأخدود؟

يجمع أهل التفسير أنهم جماعة مسيحية كانت بنجران، أحرقت بالنار في أخدود هيأه لهم أعدائهم اليهود.

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: «قيل لما تنصر نجران غزاها ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الأخاديد من لم يرتد».

يقول الرازي عن هذه الآية: «أنه وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فصار إليهم ذونواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا، فأحرق منهم اثني عشر ألفاً في الأخاديد، وقيل سبعين ألفاً. وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً، وعن النبي ﷺ «أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء» فإن قيل تعارض هذه الروايات يدل على طذبتها، قلنا لا تعارض فقل إن هذا كان في ثلاث طوائف ثلاث مرات مرة باليمن، ومرة بالعراق ومرة بالشام، ولفظ الأخدود وإن كان واحداً إلا أن المراد هو الجمع وهو كثير من القرآن، وقال القفال: ذكروا في قصة أصحاب الأخدود روايات مختلفة وليس في شيء منها ما يصح إلا أنها متفقة في أنهم قوم من المؤمنين خالفوا قومهم أو ملكاً كافراً كان حاكماً عليهم فألقاهم في أخدود وحفر لهم، ثم قال وأظن أن تلك الواقعة كانت مشهورة عند قريش فذكر الله تعالى ذلك لأصحاب رسوله تنبيهاً لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال المكاره فيه فقد كان مشركوا قريش يؤذون المؤمنون على حسب ما اشتهرت به الأخبار من مبالغتهم في إيذاء عمار وبلال».

قوم آخرون (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد العبارة قوم آخرون مرة واحدة عن المسيحيين

الفرقان ٤: ٢٥ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا.

تفسيرات لعلاقة محمد بقوم آخرين

يقول الجلالان في تفسيره لسورة الفرقان ٤: ٢٥: «ما القرآن إلا كذب أعانه عليه قوم من أهل الكتاب».

يقول الجلالان في تفسيره لسورة النحل ١٠٣: ١٦: «وهو قين نصراني كان النبي يدخل عليه».

ويقول الجلالان أيضاً في تفسيره لسورة الأنعام ١٠٥: ٦: «ذاكرت أهل الكتاب، وفي قراءة درست كتب الماضين».

قسيسون (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد هذه العبارة مرة واحدة

المائدة ٨٢: ٥ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ.

ليسوا أحباء الله (أسماء أتباع المسيح وأخلاقهم)

ترد العبارة «أحباء الله» عن اليهود والنصارى مرة واحدة

المائدة ١٨:٥ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

ليسوا أبناء الله (أسماء أتباع المسيح وأخلاقهم)

ترد العبارة «أبناء الله» عن اليهود والنصارى مرة واحدة

المائدة ١٨:٥ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

عباد الله (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد العبارة «عباد الله» عن اليهود والنصارى مرة واحدة

المائدة ١١٧:٥-١١٨ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٨ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

تفسير سورة المائدة ١١٧:٥-١١٨ انظر (عيسى من أسماء المسيح)

الضالون (أسماء أتباع المسيح وألقابهم)

ترد هذه العبارة

عن المسيحيين مرة واحدة

الفاصلة ٦: ٧ و ٧ آهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٧ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.

تفسير للعبارة الضالون عن المسيحيين

قال الجلالان في تفسيره لهذه الآية: «غير المغضوب عليهم وهم اليهود، الضالون وهم النصارى».

ثانياً: أخلاق أتباع المسيح وموقفهم من المسلمين

التواضع	٨٢:٥
الرأفة والرحمة	٢٧:٥٧
لا يشترطون بآيات الله	١٩٩:٣
شعب أسمى منزلة	٥٥:٣
أمة مقتصدة	٦٦:٥
يشهدون ببشارة الإنجيل	٥٢:٣-٥٣، ١٧١:٤، ١٧:٥-١٨، ٧٢-٧٣، ١١٦، ٣٠:٩-٣١
يشرحون المسلمين	٦٩:٣، (٨٩:٤) ٥١:٥
أقرب للمسلمون مودة	٨٢:٥
يأمرهم بالمعروف ويسارعون في الخيرات	١١٣:٣، ١١٤
قدوة للمسلمين	٦١:١٤، ٦:٩٠
مرجع لمحمد وللمسلمين	٩٤:١٠، ١٦، ٤٣

لا يستكبرون (أخلاق أتباع المسيح) (التواضع)

ترد هذه العبارة عن النصارى مرة واحدة

المائدة ٨٢:٥ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ.

في قلوبهم رافة ورحمة (أخلاق أتباع المسيح) ترد هذه العبارة عن النصارى مرة واحدة

الحديد ٢٧:٥٧ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

لا يشترون بآيات الله (أخلاق أتباع المسيح)

ترد هذه العبارة مرة واحدة

آل عمران ١٩٩:٣ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

شعب أسمى منزلة (أخلاق أتباع المسيح)

ترد هذه العبارة مرة واحدة

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافُ الَّذِي فِي يَدَيْكَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

تفسير سورة آل عمران ٥٥:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

أمة مقتصدة (أخلاق أتباع المسيح)

ترد هذه العبارة مرة واحدة

المائدة ٦٦:٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ.

يشهدون ببشارة الإنجيل (أخلاق أتباع المسيح)

نخبة من الآيات التي تدل على شهادة النصارى

البقرة ١١١:٢-١١٣ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١١٢ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٣ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

آل عمران ٥٢:٣-٥٣ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

النساء ١٧١:٤ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

المائدة ١٧:٥-١٨ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٨ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

المائدة ٧٢:٥-٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٣ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

المائدة ١١٦:٥ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

التوبة ٣٠:٩-٣١ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ٣١ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

تفسير سورة آل عمران ٥٢:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة النساء ١٧١:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١٧:٥ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ٧٢:٥-٧٣ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٦:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة التوبة ٣:٩-٣١ انظر (المسيح من أسماء المسيح وصفاته)

ييشرون المسلمين (أخلاق أتباع المسيح)

اخترنا ٣ آيات تدل إلى هذه الفكرة

آل عمران ٦٩:٣ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ.

النساء ٨٩:٤ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا.

المائدة ٥١:٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

يأمرون بالمعروف ويسارعون في الخيرات (أخلاق أتباع المسيح)

ترد هذه العبارة مرة واحدة عن المسيحيين في القرآن

آل عمران ١١٣: ٣، ١١٤ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٤ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ.

أقربهم مودة (أخلاق أتباع المسيح)

ترد هذه العبارة عن علاقة النصارى

بالمسلمين مرة واحدة

المائدة ٨٢: ٥ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ.

أنصار المسيح قدوة للمسلمين (أخلاق أتباع المسيح)

ترد هذه الفكرة مرتين

الصف ١٤:٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.
الأنعام ٩٠:٦ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ آفَتِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ.

تفسير سورة الصف ١٤:٦١ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

المسيحيون مرجع لمحمد والمسلمين (أخلاق أتباع المسيح)

يرد هذا الفكر عن اليهود والنصارى ٣ مرات

يونس ٩٤:١٠ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.

النحل ٤٣:١٦ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

الأنبياء ٧:٢١ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ.

الجزء العاشر

الاختلافات بين النصارى واليهود والمسلمين

١. الاختلاف بين البشر أجمعين ١١٣:٢ ، ١٩:١٠
٢. الاختلاف بين شعب العهد القديم نفسه ١١٠:١١ ، ١٦:٦٣-٦٤ ، ٣٢:٢٣-٢٥ ، ٤١:٤٥ ، ١٦:١٧-١٧
٣. الاختلاف بين بني إسرائيل والنصارى ١١٣:٢ ، ٢٥٣ ، ٤٣:٦٣-٦٥
٤. الاختلاف بين النصارى أنفسهم ٢٥٣:٢ ، ٣:٥٥ ، ٤:١٥٧ ، ٥:١٤
٥. الاختلاف بين اليهود والمسلمين ١٤٣:٢-١٤٥ ، ١٧٤-١٧٦ ، ١٦:١٢٤ ، ٢٧:٧٥-٧٦
٦. الاختلاف بين النصارى والمسلمين ١٦١:٦-١٦٥ ، ٩:٣٠-٣١ ، ٣٩:٣-٤
٧. الاختلاف بين المسلمين من جهة واليهود والنصارى من جهة أخرى ١١٣:٢ ، ١٤٣-١٤٥ ، ٣:١٩ ، ٥:٤٨ ، ١٦:٩٢-٩٥
٨. الاختلاف بين المسلمين والوثنيين ٣٨:٣٩-٣٩ ، ٩٢-٩٥ ، ٣٩:٤٥-٤٦
٩. يقضي الله على المختلفين يوم القيامة ١١٣:٢ ، ١٤:٥ ، ٤٨ ، ١٦:١٢٤ ، ٣٢:٢٥ ، ٤٥:١٧

(نبرز في الصفحات التالية الآيات المختصة بالنصارى فقط)

البقرة ١١٣:٢ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

البقرة ١٤٣:٢-١٤٥ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ١٤٤ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٤٥ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ.

البقرة ٢٥٣:٢ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

آل عمران ١٩:٣ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِسْلَامٌ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

آل عمران ٥٥:٣ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْفُضْكَ إِلَيَّ وَمَطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

النساء ١٥٧:٤ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا.

المائدة ١٤:٥ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.

المائدة ٤٨:٥ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

الأنعام ١٦١:٦-١٦٥ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦٢ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٣ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ١٦٤ قُلْ أَغْيَرُ اللَّهَ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٦٥ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

النحل ٩٢:٩٥-٩٥ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوَكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٩٣ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسَّالَنَ عَنْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٤ وَلَا

تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩٥ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

الزمر ٣٩:٤- ٣٩:٤ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ٤ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

الزخرف ٤٣:٦٣- ٤٣:٦٥ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٦٤ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦٥ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ.

- تفسير سورة البقرة ٢:٢٥٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
- تفسير سورة آل عمران ٣:٥٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
- تفسير سورة النساء ٤:١٥٧ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)
- تفسير سورة المائدة ٥:٤٨ انظر (التوراة الكتب التي واجهها المسيح)
- تفسير سورة الزخرف ٤٣:٦٣- ٤٣:٦٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

الجزء الحادي عشر

المسيح ويوم القيامة

٦١:٤٣	١	علم الساعة
١٥٩:٤	١	يؤمنوا به قبل موته
٣٢:٥	١	أحيا الجميع
١١٧:٥ ، ١٥٩:٤	٢	شهيد في يوم الدين
٤٩:٣	١	أنبئكم بأسراركم
٨٧-٨٦:١٩	١	عهد للشفاعة
٣١:١٩	١	مبارك أينما كنت
٣٣:١٩	١	عليه السلام

ملاحظات وأحاديث حول نزول المسيح الثاني إلى الأرض وما يحدث

عن أبي هريرة قال: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، وإماماً عادلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» (مسند الإمام أحمد صحيح البخاري صحيح مسلم، سنن الترمذي سنن ابن ماجه).

عن أبي هريرة قال: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعن إلى المال فلا يقبله أحد» (صحيح مسلم).

عن ابن عمرو قال: «أراني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قدرجلها فهي تقطر ماء متكئاً على رجلين يطوف بالبيت، فسألت من هذا؟ ف قيل لي: المسيح ابن مريم، ثم إذا أنا برجل جعد قطط، أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية، فسألت من هذا؟ ف قيل لي المسيح الدجال» (مسند الإمام أحمد، صحيح البخاري، صحيح مسلم).

عن مجمع جارية قال: «ليقتلن ابن مريم الدجال بباب لد» (مسند الإمام احمد).

عن أبي هريرة قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأمكم؟» (صحيح مسلم).

علم الساعة (المسيح ويوم القيامة)

ترد هذه العبارة مرة واحدة فقط

الزحرف ٦١:٤٣ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا.

تفسير سورة الزحرف ٦١:٤٣ انظر (ابن مريم من أسماء المسيح وصفاته)

الإيمان به قبل موته (المسيح ويوم القيامة)

يرد هذا الادعاء مرة واحدة فقط

النساء ١٥٩:٤ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا.

تفسير سورة النساء ١٥٩:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

أحيا الجميع (المسيح ويوم القيامة)

ترد هذه العبارة مرة واحدة

المائدة ٣٢:٥ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ.

شَهِيد يَوْمَ الْقِيَامَةِ (المسيح ويوم القيامة)

ترد هذه العبارة بخصوص المسيح مرتين

النساء ١٥٩:٤ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا.

المائدة ١١٧:٥ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

تفسير سورة النساء ١٥٩:٤ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

تفسير سورة المائدة ١١٧:٥ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

أَنْبِئُكُمْ بِأَسْرَارِكُمْ (المسيح ويوم القيامة)

يرد هذا المعنى عن المسيح مرة واحدة فقط

آل عمران ٤٩:٣ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

تفسير سورة آل عمران ٤٩:٣ انظر (عيسى من أسماء المسيح وصفاته)

الشفاعة (المسيح ويوم القيامة)

ترد هذه العبارة عن المسيح ٥ مرات ضمناً

مريم ١٩: ٨٦-٨٧ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ٨٧ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا.

طه ١٠٩: ٢٠ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا.

سبا ٢٣: ٣٤ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

الزمر ٤٤: ٣٩ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

الزخرف ٨٦: ٤٣ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

ملاحظة عن الشفاعة

اذن الشفاعة ١٠٩: ٢٠ و ٢٣: ٣٤ الشفاعة للذي شهد بالحق ٨٦: ٤٣

عهد الشفاعة ٨٧-٨٦: ١٩ الشفاعة لله ٤٤: ٣٩